

# تفسير القراز العظيم

الإمام الجليل الحافظ عماد الدين  
أبي الفداء إسماعيل بن كثير الفهرشي الدمشقي  
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثالث

[ قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية ]

انتدب من العلماء

طبع بدار إحياء الكتب العربية  
مكتبة البابي الحلبي وشركاه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( تفسير سورة سبحان وهي مكية )

قال الإمام الحافظ المتعمّن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود رضى الله عنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العتاق الأول وهن من تлады . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى تقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمزم .

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )

يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، ( الذى أسرى بعبده ) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ( ليلاً ) أى فى جنح الليل ( من المسجد الحرام ) وهو مسجد مكة ( إلى المسجد الأقصى ) وهو بيت المقدس الذى يابلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم فى محلهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى ( الذى باركنا حوله ) أى فى الزروع والثمار ( لنزيه ) أى محمداً ( من آياتنا ) أى العظام كما قال تعالى ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى ( إنه هو السميع البصير ) أى السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم فيعطى كلا منهم ما يستحقه فى الدنيا والآخرة

( ذكر الأحاديث الواردة فى الإسراء : رواية أنس بن مالك رضى الله عنه )

قال الإمام أبو عبد الله البخارى : حدثنى عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديدته - يعنى عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال معى محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا فرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى يعلمهم ، فوجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه وردّ عليه آدم فقال مرحباً

وأهلا بابني نعم الابن أنت ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال « ماهذان النهران يا جبريل ؟ » قال هذان النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من أولو زبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي خبالك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة الأولى من هذا ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد صمهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن أن ترفع علي أحدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال « عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة » قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعندهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه « يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا » فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال « يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا » فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد قال « لبيك وسعديك » قال إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت ؟ فقال « خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها » قال موسى قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا موسى قد والله استحيت من ربي عز وجل مما أختلف إليه » قال فاهبط باسم الله . قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام ، هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخرو وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمره اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الأحاديث الأخر ومنهم من يجعل هذا مناما توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « نور أنى أراه » وفي رواية « رأيت نورا » أخرجه مسلم وقوله ( ثم دنا فتدلى ) إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته

فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الحائلة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك قال ؟ محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطى الشطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم يقول الله تعالى ( ورفعهما مكانا عليا ) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد قيل قد أرسل إليه ا قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك ا قال محمد فقيل وقد بعث إليه ا قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ا قال جبريل قيل ومن معك ا قال محمد فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيتها من أمر الله ما غشيتها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلي ما أوحى ، وقد فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى أتيت إلى موسى قال ما فرض ربك على أمتك ا قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فنزلت حتى أتيت إلى موسى فقال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى أتيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت » ورواه مسلم عن شيان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك . قال . البهقي وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجأ لركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فواته ما ركبك قط أكرم على الله منه . قال فارفض عرقا ورواه الترمذي عن إسحق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للماعرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم ، وقال أيضا حدثنا وكيع حدثنا سليمان عن سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره » ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان

التي هي وثابت البناني كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب بن بنية حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلي في قبره ، وقال أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس . قال أبو بكر صفها لي فقال رسول الله ﷺ « هي كذبه وذه » فقال أشهد أنك رسول الله وكان أبو بكر رضى الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ أبو بكر أحمد ابن عمرو البزار في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقمعت في أحدها وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الحافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل كأنه جلس لاط فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرق الدر والياقوت وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث إلا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث ابن عبيد وكان رجلا مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني أو قال دون الحجاب رفرق الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملا من أصحابه فجاء جبريل فنكت في ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقمعت في أحدها وقعد جبريل في الآخر فنشأت بناحتي بلغت الأفق فلو بسطت يدي إلى السماء لالتها فدلني بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه جلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحى إلى نبي ملكا أو نبيا عبدا وإلى الجنة ما أنت فأومأ إلى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبياً عبداً قلت وهذا إن صح يقتضى أنها واقعة غير ليلة الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهي كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم . وقال البزار أيضا حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بجر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل . وهذا غريب . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما زكبتك مثله وسار رسول الله تعالى عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال « ما هذه يا جبريل ؟ » قال سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعو متنجها عن الطريق فقال هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال فلقبه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل اردد السلام يا محمد فردد السلام ، ثم لقبه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الحجر والماء واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الحجر لغويت ولغويت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز . وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن يميل إليه ، وأما الذين سلوا عليك في إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب . وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة في طريق أخرى عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جداً وهي في سنن النسائي

النجي ولم أرها في الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصليت ، فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ؛ ثم قال انزل فصل فصليت ، فقال أتدرى أين صليت ، صليت بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أمتهم ثم سعدني إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ، ثم سعدني إلى السماء الثانية فإذا فيها ابننا الحائلة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم سعدني إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم سعدني إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم سعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام . ثم سعدني إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم سعدني إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم سعدني فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشاني ضبابه فخررت ساجداً قليل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة ، قال فانك لا تستطيع ان تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشراً ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشراً ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فانه فرض علي بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك ، قال فعرفت أنها من الله عز وجل صرى فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله عز وجل صرى — يقول أى حتم — فلم أراجع « طريق أخرى » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خلفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذى يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم أتى إلى الحجر الذى ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم سعد فلما استويا فى صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال « نعم » فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال « فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت من أنتن قلتن نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا . وأقاموا فلم يظعنوا ، وخذلوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفاً ننظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى خلفك - قال - قلت لا - قال - صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل - قال - ثم أخذ بيدي جبريل فصعدني إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك - قال - فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أهلك آدم - قال - قلت بلى فأنته فسلمت عليه فرد على وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح - قال - ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام ، قال - ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل ؛ قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك

وبين معك فإذا فيها إدريس عليه السلام - قال - فرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبين معك وإذا فيها هرون عليه السلام ، ثم فرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ، قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبين معك ، وإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم فرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبين معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد ألا تسلم على أهلك إبراهيم ؟ قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح ، ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت قتلت يا جبريل إن هذا الطير لناعم قال يا محمد كله أنعم منه ، ثم قال يا محمد أتدرى أي نهر هذا - قال - قلت لا ، قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة تجري على رضراض من الياقوت والزمرد مائة أشد بياضاً من اللبن - قال - فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل فقال الله لي : يا محمد أتى يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك - قال - ثم انجلت عني السحابة فأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً فأتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، فأتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟ قلت فرض رب علي وعلى أمتي خمسين صلاة . قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفضني جبريل وخررت ساجداً وقلت رب إنك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشرة - قال - ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل - قال - فانصرفت سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ثم أتيت على موسى فقال لي ما صنعت يا محمد ؟ قلت وضع عن ربى عشرة قال فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بمخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف قلت إنى قد استحيت منه تعالى » قال ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل « مالي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي » قال يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك ، قال ثم ركب منصرفاً فينا هو في بعض الطريق مربع لقريش تحمل طعاماً منها حمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالبير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك في صاحبك ؟ يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته فقال أبو بكر رضي الله عنه إن كان قاله فقد صدق وإننا لنصدقها فيما هو أبعد من هذا لنصدقها على خبر السماء فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول قال « مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر » فلما قدمت الغير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق وسألوه وقالوا هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟ قال « نعم » قالوا فصفهم لنا قال « نعم أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربيعة سبط تملوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان » هذا سياق فيه غرائب عجيبة (رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينا أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجماً إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة - قال - فأتاني فقدت - سمعت قتادة يقول فشق - ما بين هذه

إلى هذه » وقال قتادة فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعنى قال من ثغرة نحره إلى شعرته وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته قال « فاستخرج قلبي - قال - فأثبتت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أثبت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » قال فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال « فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى آتى بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قليل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء - قال - ففتح لنا فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم سعد حتى آتى السماء الثانية فاستفتح فقبل من هذا فقال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قليل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء - قال - ففتح لنا فلما خلصت فإذا عيسى ويحيى وهما ابنا الحالة قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما - قال - فسلمت فردا السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم سعد حتى آتى السماء الثالثة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قليل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء - قال - ففتح لنا فلما خلصت إذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف - قال - فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم سعد حتى آتى السماء الرابعة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء - قال - ففتح لنا فلما خلصت فإذا إدريس عليه السلام قال هذا إدريس قال فلما سلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح - قال - ثم سعد حتى آتى السماء الخامسة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قليل أو قد أرسل إليه قال نعم قبل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء ففتح لنا فلما خلصت فإذا هرون عليه السلام قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح - قال - ثم سعد حتى آتى السماء السادسة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قليل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قليل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء - قال - ففتح لنا فلما خلصت فإذا نوح عليه السلام قال هذا نوح فسلمت عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح - قال - فلما تجاوزته بكى قبله ما يبكيك قال أبى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى . قال ثم سعد حتى آتى السماء السابعة فاستفتح قبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال نعم قليل أو قد بعث إليه قال نعم قبل مرحباً به ولنعم المحيىء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا إبراهيم عليه السلام فقال هذا إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح - قال - ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبهها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات - قال - ثم رفعت إلى البيت المعمور « قال قتادة وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لا يعودون فيه ثم رجع إلى حديث أنس قال « ثم أثبت بيانه من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل - قال - فأخذت اللبن قال هذه الفطرة أنت عليها وأمتك - قال - ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم - قال - فنزلت حتى أثبت موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قال فقلت خمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك - قال - فرجعت فوضع عنى عشرين - قال - فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك - قال - فرجعت فوضع عنى عشرين فقال بم أمرت ؟ قلت بعشرين صلاة كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع



لعشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشرًا آخر فرجعت إلى موسى فقال به أمرت ؟ فقلت أمرت بعشر صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال به أمرت فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال قلت قد سألت ربى حتى استحيت ولكن أرفض وأسلم ففندت فنادى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى « وأخرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة بنحوه . (رواية أنس عن أبي ذر) قال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج عن سقفي بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب تمتلئ بحكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ يدي فخرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء قال جبريل لحازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك أحد قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وطى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا قال وهذا آدم هذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بي إلى السماء الثانية فقال لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قاله الأول ففتح » قال أنس فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال إدريس ثم مر بموسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم قال الزهرى فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا جبة الأنصارى كانا يقولان قال النبي ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام فقال ما فرض الله على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال موسى فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فقال هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال ارجع إلى ربك قلت قد استحيت من ربى ، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فنشبهها ألوان لا أدرى ماهى ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال للؤلؤ وإذا ترابها المسك » وهذا لفظ البخارى فى كتاب الصلاة ورواه فى ذكر بنى إسرائيل وفى الحج وفى أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به ، ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان عن حرملة عن ابن وهب عن يونس به نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا هام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسأله قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربك قال إني قد سأله فقال « قدرأيته نوراً أنى أراه » هكذا قد وقع فى رواية الإمام أحمد وأخرجه مسلم فى صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال « نور أنى أراه » وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام حدثنا أبى عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسأله فقال عن أى شئ كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألت

فقال رأيت نوراً ﴿رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري رضى الله عنه﴾ قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد ابن إسحق بن محمد بن المسيبي حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال : قال ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا عمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوءة بحكمة وإيمانا فأفرغها في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ ييدى فخرج بي إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه تبسم وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل يمينه هم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله هم أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى - قال - ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له » قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وإبراهيم وعيسى ولم يثبت لى كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قال « قلت من هذا يا جبريل قال هذا إدريس ، قال - ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ققلت من هذا قال هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم - قال - ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم » قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقدام » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرض الله على أمي خمسين صلاة ، قال فرجعت بذلك حتى أمر على موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لى موسى راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى ، قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحيت من ربي ، قال ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى قال ففشيها ألوان ما أدري ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنانة اللؤلؤ وإذا تراها المسك » هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسنده أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فأنه أعلم

﴿رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن إبراهيم واللفظه قال : حدثنا أبو نعيم حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة أسرى بي - قال - فأتى جبريل الصخرة التي بييت المقدس - قال - فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ثم قال البزار لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نعيم ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به وقال غريب . ﴿رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي عن صالح بن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس قتت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به ، وقال البيهقي حدثنا أحمد بن الحسن القاضي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : إن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى وإنه أتى بقدرين قرح من لبن وقرح من خمر فنظر إليهما ثم أخذ قرح اللبن فقال جبريل أصبت هديت للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة فأخبر أنه أسرى به فافتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه . وقال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن فتجهز أو كلمة نحوها ناس من قريش إلى

أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة . فقال أبو بكر أوقال ذلك ؟ قالوا نعم ، قال فأنا أشهد لأن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة فيها سمى أبو بكر الصديق . قال أبو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »

رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رضي الله عنه قال الإمام أحمد ثنا أبو النضر ثنا سليمان عن شيان عن عاصم عن زر بن حبیش قال أتيت على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو يحدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فلم يدخلاه قال قلت بل دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك قال قلت أنا زر بن حبیش قال فما علمك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلتئذ قال قلت القرآن يخبرني بذلك قال فمن تكلم بالقرآن فليجأ اقرأ قال فقلت ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ) قال يا أصلع هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ ولو صلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زابلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعدا الآخرة أجمع ثم عادا عودها على بدهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال وتحدثوني أنه ربطه لا يفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قلت أبا عبد الله أي دابة البراق ؟ قال دابة أبيض طويل هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد ابن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبي النجود به وقال الترمذي حسن وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفي ما أثبتته غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مما سبق وما سبق مقدم على قوله والله أعلم بالصواب رضي الله عنه رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو انعباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو بكر يحيى بن أي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو محمد راشد الحماني عن أي هرون العبدي <sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له أصحابه يا رسول الله أسيرنا عن ليلة أسرى بك فيها قال : قال الله عز وجل ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ) الآية قال فأخبرهم قال « وبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئا فإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصري حتى خرجت من المسجد الحرام فإذا أنا بدابة أدنى شهبأ بدوايك هذه ، بغالكم هذه غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلي يقع حافره عند مد بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني نسألك يا محمد انظرني أسألك يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرني أسألك فلم ألثفت إليها ولم أقم عليها حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها ثم أتاني جبريل عليه السلام بإناء من أحدها خمر والآخر لبن فشربت اللبن وأبيت الحمر فقال جبريل أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الحمر غوت أمتك قفلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل مارأيت في وجهك هذا ؟ قال قلت بيننا أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذلك داعي اليهود أما إنك لو أجبته أووقفت عليه لتهودت أمتك - قال - فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرني أسألك فلم ألثفت ولم أقم عليه قال ذلك داعي النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك - قال - فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظرني أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها قال تلك الدنيا أما إنك لو أجبته أووقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . قال ثم دخلت أنا وجبريل بيت

(١) هو ضعيف وقيل كذاب .

المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت اليت حين يشق بصره طامعا إلى السماء فأبما يشق بصره طامعا إلى السماء عجبه بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك قال : قال الله عز وجل ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) قال فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث إليه ، قال نعم فاذا أنا بأدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ؟ فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين فضيت هنية فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتكفرون الحلال ، قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام مشافهم كشافر الإبل قال ففتتح أفواههم فيلقمون من ذلك الحجر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضحون إلى الله عز وجل قلت من هؤلاء يا جبريل ، قال هؤلاء من أمتك ( الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ) قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بنساء تملقن بشدين فسمعتن يضحجن إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء ، قال هؤلاء الزناة (١) من أمتك. قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجيء السابلة فتطوهم قال فسمعتهم يضحون إلى الله - قال قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك ( الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ) قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء المهازون من أمتك اللمازون قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد على ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فاذا أنا يحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلمنا على ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه فسلم على ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تسكاد لحيته تصيب سرتة من طولها قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا الحبيب في قومه هذا هرون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على . ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص فاذا هو يقول يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني قال قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ، ثم صعدت إلى السماء السابعة فاذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فسلم على وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشرط عليهم ثياب برمد - قال - فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدمع على خير فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معي . قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تسكاد تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران ( أحدهما ) الكوثر ( والآخر ) يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه ففغر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر . ثم إنى رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية قلت لمن أنت يا جارية قالت لزيد بن حارثة وإذا بأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وإذا رمانها كالدلاء عظما وإذا أنا بطيرها كأنها بنحمتك هذه فقال عندها عليه السلام إن الله تعالى قد

(١) الزناة جمع زان فهو للذكر ، وفي الخصائص اللآل يزنين وقتلن أولادهن .

أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - قال - ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمة ولو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني ثم إنى رفعت إلى سدره المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة - قال - وفرضت على خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فإذا عملتها كتبت لك عشراً ؛ وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ثم رجعت إلى موسى فقال بما أمرك ربك ؟ فقلت بحمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك ، ومتى لا تطيقه تكفر فرجعت إلى ربي فقلت يا رب حفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني عشراً وجعلها أربعين فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لي بم أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني خمساً وجعلها خمساً فناداني ملك عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات قال ارجع إلى ربك فانه لا يؤوده شيء فأسأله التخفيف لأمتك فقلت رجعت إلى ربي حتى استحييت « ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب : إنى أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ورأيت كذا وكذا فقال أبو جهل يعني ابن هشام ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فأخبرتهم بعير لقريش لما كنت في مصعدى رأيتها في مكان كذا وكذا وأنها فرت فلما رجعت وجدت عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبغيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال أبو جهل يخبرنا بأشياء فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فان يك محمد صادقاً فسأخبركم وإن يك كاذباً فسأخبركم فجاء ذلك للشرك فقال يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كمنظر أحدنا إلى بيته قال بناؤه كذا وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال أبو جهل صدق محمد فيما قال أو نحوا من هذا الكلام وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هارون العبدى ، وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون العبدى به ، ورواه أيضاً من حديث ابن إسحاق حدثني روح بن القاسم عن أبي هارون به نحو سياقه المتقدم ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى فذكره بسياق طويل حسن أنيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة ، ثم ذكره البيهقى أيضاً من رواية روح ابن قيس الحدائى وهشيم ومعمر عن أبي هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين وهو مصعب عند الأئمة ، وإنما سقنا حديثه هنا لما فيه من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقى أخبرنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو الأزهر حدثنا يزيد بن أبي حكيم قال رأيت في النوم رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان الثورى لا بأس به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس به » حدثنا عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى عنك يا رسول الله ليلة أسرى بك قلت رأيت في السماء فحدثه بالحديث فقال لي « نعم » فقلت له يا رسول الله إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى بعجائب ؟ فقال لي « ذلك حديث القصاص » ﴿ رواية شداد بن أوس ﴾ قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدى حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الأشعري عن محمد بن الوليد ابن عامر الزبيدى حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ قال « صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض - أو قال بيضاء - فوق الحمار

ودون البغل فقال اركب فاستصعب عليّ فرازاها بأذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث اتهمى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلتني فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال صليت يثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبتنا فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال صليت بمدين عند شجرة موسى، ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبتنا فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال صليت بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأبى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تيمل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل أرسل إلى بهما جميعاً فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرفت به جيبني وبين يدي شيخ متكئ على منوات له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه لهدى، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي<sup>(١)</sup> قلت يا رسول الله كيف وجدت ما قال وجدتها مثل الحمة السخنة ثم انصرف بي فررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في مناتك، فقال علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصنفه لي، قال ففتح لي صراطاً كأنني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته به، فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله، وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال فقال إن من آية ما أقول لكم أتى بمررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا وبكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم حمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ هكذا رواه البيهقي من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به ثم قال بعد تمامه هذا إسناده صحيح، وروى ذلك مفرداً من أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله ما حضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث، وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به، ولا شك أن هذا الحديث أعنى الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم. وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم برواية عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ﷺ قال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال: ليلة أسرى رسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وخشاً<sup>(٢)</sup> فقال يا جبريل ما هذا؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس «قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا» قال فلقية موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحباً بالنبي الأمي قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما فقال من هذا يا جبريل؟ قال هذا موسى، قال فضى فلقية شيخ جليل متيِّب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه قال من هذا يا جبريل قال هذا أبوك إبراهيم قال ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الخيف قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً قال من هذا يا جبريل؟ قال هذا عاقرة الناقة، قال: فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فلما انصرف جاء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذي كان معه القدح أصبت الفطرة إسناده صحيح ولم يخرجوه. (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت أبو زيد حدثنا هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: أسرى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب

(١) في نسخة الأزهر: والأميرة الزباني، وكذا في الحوائص. (٢) في النسخ كلها وخشاً: وهو تصحيف، والرجس الجليم والسين الصوت الخفي.

الله رقابهم مع أبي جهل وقال أبو جهل يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمرًا وزبدا فترقوا ، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال « رأيت فيلانيا أقرهجان ، إحدى عينيه قامة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعد الرأس حديد البصر ومبطن الخلق ، ورأيت موسى عليه السلام أسحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ، ونظرت إلى إبراهيم عليه السلام فلم أنظر إلى ارب منه إلا نظرت إليه منى حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل سلم على أيك فسلمت عليه » ورواه النسائي من حديث أبي يزيد . ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان به وهو إسناد صحيح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا إسحاق بن الحسن حدثنا الحسين ابن محمد حدثنا شيان عن قتادة عن أبي العالية قال حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلا طويلا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس » وأرى مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه قال ( فلا تكن في مرية من لقائه ) فكان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قند لقي موسى عليه السلام ( وجعلناه هدى لبني إسرائيل ) قال جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيان وأخرجه من حديث شعبه عن قتادة مختصرا ﴿ طريق أخرى ﴾ وقال البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله أنا أحمد بن عبيد السمار ثنا ديبس المعدل ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة ؟ قال ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت باسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت ربي وربك ورب أبيك قالت أولك رب غير أبي ؟ قالت نعم ربي وربك ورب أبيك الله . قال فدعاها فقال ألك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله عز وجل . قال فأمر بيقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلتق فيها قالت إن لي إليك حاجة قال ماهي ، قال تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع قال ذلك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فأتوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال يا أمه قمى ولا تقاعسى فإنك على الحق . قال وتكلم أربعة في الهد وهم صفار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام . إسناد لا بأس به ولم يخرجوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعين قالوا حدثنا عوف عن زرارة ابن أوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة فظعت وعرفت أن الناس مكذبي ففعد معتزلاً حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزى هل كان من شيء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وما هو ، قال « إني أسرى بي الليلة » قال إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قاله ثم أصبحت بين ظهرانينا ، قال « نعم » قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يحدد الحديث إن دعا قومه إليه ، فقال رأيت ان دعوت قومك آتحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال يامعشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أسرى بي الليلة » فقالوا إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال « نعم » قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب ، قالوا وتستطيع أن تمتعنا للسجد وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله ﷺ « فما زلت أنت حتى التبس على بعض النعت - قال - فجاء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل - وأعقابه فنعته وأنا أنظر إليه - قال - وكان مع هذا نعت لم أحفظه - قال - فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه » وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الأعرابي به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات ﴿ رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴾ قال

الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا السري بن خزيمة حدثنا يوسف ابن بهلول حدثنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبد الله ابن مسعود قال : لما أسرى رسول الله ﷺ فأتته إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يصعبه حتى يقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها حتى يقبض ( إذ يغشى السدرة ما يغشى ) قال غشياً فراش من ذهب وأعطى رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً المقحجات يعني الكبائر . ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن نمير ، ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره عبد الله ابن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه مرة مرسل من دون ذكرهما ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم قلت وقد روى عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي حدثنا أبو ظبيان الجني قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أيك ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لتعلمت ، قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوى بنا كلما صعده عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط استوت يده مع رجله حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة فيرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال فدفننا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل ؟ قال هذا أحمد ، قال مرحباً بالنبي الأُمي العربي الذي بلغ رسالة توبه ونصح لأُمَّته ، قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل ، قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك ، قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرف له حدته . قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح تحتها شيخ وعياله قال فقال لي جبريل أحمد إلى أيك إبراهيم فدفننا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم من هذا معك يا جبريل ، قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحباً بالنبي الأُمي الذي بلغ رسالة توبه ونصح لأُمَّته يا بني إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل . قال ثم اندفعنا حتى اتهمنا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكمبي وقال أصبت الفطرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فأتمتهم ثم انصرفنا فأقبلنا « إسناد غريب ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلم بهم أولاً ليسلم عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة والله أعلم ( طريق أخرى ) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسرى في إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتنا فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد إلى ربي أن الدجال خارج قال ومعنى قضيان فإذا رأني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رأي حتى إن الحجر والشجر يقول يأمسلم إن تحتى كافرأ فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج بأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطأون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرن على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من تنن ريحهم أي تنن قال فينزل الله



الطر فيجترف أجسادهم حتى يقدفهم في البحر ففيا عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا . وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام ابن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرط أخى عبد الله بن قرط الثمالى قال سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثني عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من بين زمزم والقمام جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات من ذى العلو بما على سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى . ونذكر ههنا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة ( تسبح له السموات السبع ) الآتية

﴿ رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن أصلى فقال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضاهيت اليهودية ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في رداءه وكنس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيماً يصلى وراءها وهى بين يديه كما أشار كعب الأحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ولكن من الله عليه بالإسلام فهدى إلى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا أهانها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود ولكن أماط عنها الأذى وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء فى صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »

﴿ رواية أبي هريرة وهى مطولة جداً وفيها غرابة ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير فى تفسير سورة سبحان حدثنا طى بن سهل ثنا حجاج ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحى عن أبي هريرة وأغيره شك أبو جعفر فى قول الله عز وجل ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ) الآية قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل اثنتى بطست من ماء زمزم كما أظهر قلبه وأشرح له صدره قال فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل ثلاث طسناس من ماء زمزم فشرح صدره فنزع ما كان فيه من غل وملاء علماء وحلماء وإيماناً ويقيناً وإسلاماً وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمله عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره قال فسار وسار معه جبريل عليهما السلام قال فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ﷺ « يا جبريل ما هذا ؟ » قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفر عنهم من ذلك شىء فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم طى أقبالهم رقاع وطلى أديبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنعم . وياً كلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال « فما هؤلاء يا جبريل » قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نىء فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » فقال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فى أى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ألا شقته ولا شىء إلا خرقتة قال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا ( ولا تقعدوا

بكل صراط توعدون وتصدون ) الآية قال ثم أتى علي رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أداؤها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى علي قوم تفرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى علي حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها . ثم أتى علي واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال : « يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت ؟ » قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرقي وإستبرقي وحريري وسندي وعبري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهي وأكوابي وصحافي وأباريقي وأكؤسي وعسلي ومائي ولبنى وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيتني فهو آمن ، ومن سألتني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت قد رضيت قال ثم أتى علي واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحاً خبيثة فقال . « ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت ؟ » فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقى وعذابي وقد بعد قمرى واشتد حرى فائتني بما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة . وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت قد رضيت ، قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال محمد ﷺ قالوا أوقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء . قال ثم لقي أرواح الأنبياء فأتوا علي ربهم فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذى اتخذني خليلا وأعطانى ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي وأتقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم إن موسى عليه السلام أتني علي ربه فقال : الحمد لله الذى كلّفني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل علي يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أتني علي ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألآن لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطيور وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان عليه السلام أتني علي ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطيور وفضلني على كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدى وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أتني علي ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذى جعلني كلمته وجعل مثلي كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيشة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلني أبريء الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأحيي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل . قال ثم إن محمداً ﷺ أتني علي ربه عز وجل فقال « كلّمكم أنبياء علي ربه وإني مثن علي ربي فقال : الحمد لله الذى أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولين وهم الآخريين وشرح لي صدري ووضعتني وزيرى ورفع لي ذكرى وجعلني فاتحا وخاتما » فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ﷺ ، قال أبو جعفر الرازي خاتم النبوة فاتح الشفاعة يوم القيامة ، ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواها فأتى بإناء منها فيه ماء فقبل له اشرب فشرب منه يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقبل له اشرب فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر فقبل له اشرب فقال لا أريده قد رويت ، فقال له جبريل أما إنها مستحرم علي أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من

أمتك إلا القليل ، قال ثم صعديه إلى السماء فاستفتح فقيل من هذا يا جبريل فقال محمد ، فقالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء ففتح لهما ، فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن فقلت يا جبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان ؟ فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة فاذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعده به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا معك ؟ فقال محمد رسول الله ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء فدخل فاذا هو بشابين فقال يا جبريل من هذان الشبان ؟ قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الحالة عليهما السلام ، قال فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن ؟ قال هذا أخوك يوسف عليه السلام ، قال ثم صعده به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هارون الحبب وهؤلاء بنو إسرائيل ، ثم صعده به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل فقال يا جبريل من هذا ، قال موسى ، قال فما باله يبكي ، قال يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم بنى آدم على الله عز وجل وهذا رجل من بنى آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته ، قال ثم صعده به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا ، قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ، قالوا أو أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء قمام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم جاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال يا جبريل من هذا الأشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فبجاءوا وقد صفت ألوانهم ، قال هذا أبوك إبراهيم أول من شط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقايم ربهم شراباً طهوراً ، قال ثم اتى إلى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك . فاذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها والورقة منها تعطى الأمة كلها قال فغشها نور الخلاق عز وجل

وغشيها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، من حب الرب تبارك وتعالى ، قالوا فكلّمه الله عند ذلك فقال له سل ، فقال إنك اتخذت إبراهيم خيلاً وأعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً ، وأعطيت داود ملكاً عظيماً وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكاً وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيت له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يربى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك خيلاً - وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن - وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . ورفع لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك خيراً مما أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطاً ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، رجعت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم وجعلتكم أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم يعطها نبي قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتكم فاتحاً خاتماً ، فقال النبي ﷺ « فضلتى ربى بست : أعطانى فواتح الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث ، وأرسلنى إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً . وقذف فى قلوب أعدائى الرعب من مسيرة شهر ، وأحللتى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلتلى الأرض كلها طهوراً ومسجداً » قال وفرض عليه خمسين صلاة . فلما رجع إلى موسى قال بهم أمرت يا محمد ، قال بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم فقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ إلى ربه عز وجل فأسأله التخفيف فوضع عنه عشراً ثم رجع إلى موسى فقال له بهم أمرت قال بأربعين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بنى إسرائيل شدة : قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع إلى موسى فقال بهم أمرت قال أمرت بثلاثين . فقال له موسى ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة . قال فرجع إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع إلى موسى فقال بهم أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه عز وجل فأسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع إلى موسى فقال بهم أمرت قال أمرت بعشر ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من إسرائيل شدة ، قال فرجع على حياء إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بهم أمرت قال أمرت بخمس ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال قدرجت إلى ربى حتى استحيت فما أنا براجع إليه ، قيل أما إنك كاصبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال فرضى محمد ﷺ كل الرضا ، قال وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع إليه . ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد المالبني عن ابن عدى عن محمد بن الحسن السكونى البالى بالمرلة حدثنا على بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه ، وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد الله رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشمرانى عن جدته عن إبراهيم بن حمزة الزيرى عن حاتم بن إسماعيل حدثنى عيسى بن ماهان يعنى أبا جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره . وقال ابن أبي حاتم ذكر أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد الله التميمى عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس البكرى عن أبي العالية أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام )

فذكر الحديث بطوله كنعوا مما سقناه ( قلت ) وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي يهيم في الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضاً ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيء الحفظ ففرد به نظر . وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونسكاره شديدة وفيه شيء من حديث النمام في رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « حين أسرى بي لقيت موسى عليه السلام — فنعته فإذا رجل حسبته قال — مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ، قال ولقيت عيسى — فنعته النبي ﷺ قال — ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس — يعني حمام قال — ولقيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت ياناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر قيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربت فقيل لي هديت الفطرة — أو أصبت الفطرة — أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » وأخرجه من وجه آخر عن الزهري به نحوه وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن الحسين بن المثنى عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله قط فرفعه الله إلى أنظر إليه ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ووقدر رأيتني في جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلي وإذا هو رجل جمع كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس شها به عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس شها به صاحبكم — يعني نفسه — فحانت الصلاة فأمتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت إليه فبدأني بالسلام » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بي لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق قال وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحياة ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء آكلوا الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهق ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب » ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به ( ورواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم ) قال الحافظ البيهقي حدثنا أبو عبد الله يعني الحاكم حدثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق الهمداني حدثنا إبراهيم بن الحسين الهمداني حدثنا أبو محمد هو إسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا عمر بن سعد النضري من بني نضرة بن معين حدثني عبد العزيز وليس بن أبي سليم وسليمان الأعمش وعطاء بن السائب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعن محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن عمار العقيلي عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجوير عن الضحالك بن مزاحم قالوا كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقداً وقد صلى العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثاً طويلاً يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قدرة الله إن صححت الرواية . قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث أبي هارون العبدى في إثبات الإسراء والمعراج كفاية وبالله التوفيق ( قلت ) وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين ( ورواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ) قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني مكرم بن أحمد القاضي حدثني إبراهيم بن الهيثم البكري حدثني محمد بن كثير الصنعاني حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس فقال أو قال ذلك ؟ قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدق أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال نعم إني لأصدق في ذلك أصدق في خبر

السما في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه رواية أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن محمد السائب الكلبي عن أبي صالح باذان عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونامنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال «يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين» الكلبي متروك بكرة ساقط لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ بأبسط من هذا السياق فليكتب ههنا وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ قالت بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قریش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذيدي فأخرجني فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها ثم انطلق حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فأراني إبراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقى ويشبه خلقه خلقه وأراني موسى آدم طويلا سبط الشعر شبهته برجال أزد شنوءة ، وأراني عيسى بن مريم ربة أبيض يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى - قال - وأنا أريد أنا أخرج إلى قریش فأخبرهم بما رأيت « فأخذت بثوبه فقلت إنى أذكرك الله إنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقاتلك فأخاف أن يسطوا بك قالت فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني فقام جبير بن مطعم فقال يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرائنا . فقال رجل من القوم يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال « نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا بعيرا لهم فهم في طلبه » قال هل مررت بإبل لبني فلان ؟ قال « نعم وجدتهم في مكان كذا وكذا وقد أنكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها » قالوا فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة قال « قد كنت عن عدتها مشغولا » فقام فأوتى بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتى قریشا فقال لهم « سأتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسأتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان وهي تصبحكم بالعداة على الثنية » قال فعددوا على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال فاستقبلوا الإبل فسألوهم هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا نعم فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قصعة قال أبو بكر أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا أهراقوه في الأرض فصدقه أبو بكر وآمن به فسمى يومئذ الصديق

فصل في وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما انفقت عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلف عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت اسرأت متعددة فقد أبعده وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة إلى السماء فقط ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء وفرج بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الاشكالات وهذا بعيد جدا ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار . قال موسى بن عقبة عن الزهري كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدي بسنة عشر شهرا والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فلتقاه من كل مماء

مقربوها وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتهما صلى الله وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أى أقلام القدر بما هو كائن ورأى سدرة المنتهى وغشيتها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولفظاً بعباده وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها . ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة . ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أهمهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه . والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقدمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والحمر ، أو اللبن واللؤلؤ أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء . ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقدامى والله أعلم ثم اختلف الناس هل كان الإسراء بيدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين فالأكثر من العلماء على أنه أسرى بيدنه وروحه يقظة لا مناما ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناما ثم رآه بعده يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ) فالنسيح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال ( أسرى بعبده ليلاً ) وقال تعالى ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم . رواه البخاري ، وقال تعالى ( مازاغ البصر وماطنى ) والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براق لها لمعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم . وقال آخرون بل أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد بن إسحق بن يسار في السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسرى بروحه . قال ابن إسحق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية نزلت ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) ولقول الله في الخبر عن إبراهيم ( إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ) قال ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي يأتي للأنبياء من الله أيقاظاً ونياماً فكان رسول الله ﷺ يقول « تمام عيناى وقلبي يقظان » والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعابن من الله فيه ما عابن على أى حالاته كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن إسحق . وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم بالفائدة حسنة جليلة روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني مالك بن أبي الرجال عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظي . قال بعث رسول الله ﷺ دخية بن خليفة إلى قيصر فذكر وروده عليه وقدمه إليه ، وفي السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجيء بأبي سفيان

صخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه وجعل أبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده . قال في هذا السياق عن أبي سفيان والله مامنعي من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على ولا يصدقني في شيء . قال حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به قال فقلت أيها الملك ألا أخبرك خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وما هو ، قال قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فوجأ مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال وبطريق إيلياء عند رأس قيصر فقال بطريق إيلياء قد علمت تلك الليلة قال فنظر إليه قيصر وقال وما علمك بهذا قال إنني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي فاستعنت عليه بهمالي ومن يحضرنى كلهم معالجه فقلنا فلم نستطع أن نحركه كأنما زاول به جبلاً فدعوت إليه النجاجة فنظروا إليه فقالوا إن هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين آتى . قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربوط الدابة قال فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلى الليلة في مسجداً واذكر تمام الحديث (فائدة) قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه التوير في مولد السراج المنير ﴿ وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفادتم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلي الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة وسمره بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأمهات ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والمليجون ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون )

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا \* ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبد محمد ﷺ عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الإسراء ( وآتينا موسى الكتاب ) يعني التوراة ( وجعلناه ) أي الكتاب ( هدى ) أي هادياً ( لبني إسرائيل أن لا يتخذوا ) أي لثلاث ( من دوني وكيلاً ) أي ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبدوه وحده لا شريك له ثم قال ( ذرية من حملنا مع نوح ) تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح فيه تهيسج وتنبيه على اللنة أي ياسلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ( إنه كان عبداً شكوراً ) فاذكروا أتم نعمتي عليكم بإرسال إليكم محمداً صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف أن نوحاً عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلم هذا سمي عبداً شكوراً . قال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال إنما سمي نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها » وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة به ، وقال مالك عن زيد بن أسلم كان يحمد الله على كل حال ، وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال



«أناسيد ولد آدم يوم القيامة - بطوله ، وفيه - فيأتون نوحا فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك» وذكر الحديث بكامله

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا \* إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا \* عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

غير تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب أى تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذى أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوا كبيرا أى يتجرون ويطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى ( وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ) أى تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به . وقوله ( فإذا جاء وعد أولاهما ) أى أولى الافسادتين ( بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ) أى سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولى بأس شديد أى قوة وعدة وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار أى تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا وكان وعدا مفعولا . وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟ فعن ابن عباس وقناة أنه جالوت الجزرى وجنوده سلط عليهم أولا ثم أدبوا عليه بعد ذلك . وقل داود جالوت ولهذا قال ( ثم رددنا لكم الكرة عليهم ) الآية وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنجاريب وجنوده وعنه أيضاً وعن غيره أنه مختصر ملك بابل وقد ذكر ابن أبى حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه كان فقيرا مقعدا ضعيفا يستعطي الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى ما آل وأنه سار إلى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني إسرائيل ، وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج الزرى رحمه الله بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب . وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقهم ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ونحن في غنية عنها والله الحمد . وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يخوجنا الله ولا رسوله إليهم . وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طفوا ويفوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلمهم وقهرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فانهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء وقد روى ابن جرير حديثي يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني سلمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختصر على الشام فخر ببيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلى على كبا فسألهم ما هذا الدم : فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه البكا ظهر قال قتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب وهذا هو المشهور وأنه قتل أشرفهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته والله أعلم ثم قال تعالى ( إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ) أى فعلها كما قال تعالى ( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها )

وقوله ( فإذا جاء وعد الآخرة ) أى الكرة الآخرة أى إذا أفسدمت الكرة الثانية وجاء أعداؤكم ( ليسوءوا وجوهكم ) أى يهنوكم ويقهروكم ( وليدخلوا المسجد ) أى بيت المقدس ( كما دخلوه أول مرة ) أى فى التى جاسوا فيها خلال الديار ( وليتبروا ) أى يدمروا ويخربوا ( ماعلوا ) أى مآظروا عليه ( تنبيها \* عسى ربكم أن يرحمكم ) أى فيصرفهم عنكم ( وإن عدتم عدنا ) أى متى عدتم إلى الافساد ( عدنا ) إلى الإدالة عليكم فى الدنيا مع ماندخره لكم فى الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال ( وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ) أى مستقرا ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنه قال ابن عباس حصيرا أى سجنا وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره ؛ وقال الحسن فراشا ومهادا ، وقال قتادة قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمد ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدهم صاغرون

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا \* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

مدح تعالى كتابه العزيز الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدى لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجرا كبيرا أى يوم القيامة وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أى ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا أليما أى يوم القيامة كما قال تعالى ( فبشرهم بعذاب أليم )

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه فى بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أى بالموت أو الهلاك والدمار واللعة ونحو ذلك فلواستجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالى ( ولو يجعل الله للناس الشر ) الآية وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقاتة وقد تقدم فى الحديث « لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها » وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى ( وكان الإنسان عجولا ) وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح إلى رجليه وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت إلى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله : يرحمك ربك يا آدم . فلما وصلت إلى عينيه فتحهما فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه فهم بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، وقال يارب عجل قبل الليل

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةً اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ \* وَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَةٌ تَفْصِيلًا ﴾

يعتنى تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل وينتسروا فى النهار للمعاش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا مضى الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال ( لتبتغوا فضلا من ربكم ) أى فى معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك ( وتعلموا عدد السنين والحساب ) فانه لو كان الزمان كله نسقا واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شئ من ذلك كما قال تعالى ( قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون \* قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون \* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ) وقال تعالى ( تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ) وقال تعالى ( وله اختلاف الليل والنهار ) وقال ( يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل

يجرى لأجل مسمى ألاهو العزيز الغفار) وقال تعالى ( فالق الإصباح وجعد الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ) وقال تعالى ( وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ) ثم إنه تعالى جعل الليل آية أى علامة يعرف بها وهى الظلام وظهور القمر فيه ، وللنهار علامة وهى النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال تعالى ( هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق - إلى قوله - آيات لقوم يتقون ) وقال تعالى ( يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ) الآية قال ابن جرير عن عبد الله بن كثير فى قوله ( فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ) قال ظلمة الليل وسدف النهار وقال ابن جرير عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل ( فمحونا آية الليل ) قال : السواد الذى فى القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جرير قال ابن عباس كان القمر يضىء كما تضىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذى فى القمر وقدروى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال يا أمير المؤمنين ماهذه اللطخة التى فى القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فمحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة فى قوله ( فمحونا آية الليل ) كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذى فيه وجعلنا آية النهار مبصرة أى منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبى نجیح عن ابن عباس ( وجعلنا الليل والنهار آيتين ) قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل

**﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾** **أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ**  
**بِنَفْسِكَ أَلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿**

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بنى آدم ( وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ) وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويأزم به ويجازى عليه ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) وقال تعالى ( عن اليمين وعن الشمال قعيد \* ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) وقال ( وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ) وقال ( إنما تجزون ما كنتم تعملون ) وقال ( من يعمل سوءا يجز به ) الآية والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليلا وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء

وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول « لطائر كل إنسان فى عنقه » قال ابن لهيعة يعنى الطيرة ، وهذا القول من ابن لهيعة فى تفسير هذا الحديث غريب جداً والله أعلم . وقوله ( ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ) أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة إما يمينه إن كان سعيدا أو شماله إن كان شقيا منشورا أى مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ( ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر \* بل الإنسان على نفسه بصيرة \* ولو ألقى معاذيره ) ولهذا قال تعالى ( اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) أى إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمى وقوله ( ألزمناه طائره فى عنقه ) إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له فى الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا مجيد له عنه كما قال الشاعر .

أذهب بها أذهب بها طوقها طوق الحمام

قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال « لاعدوى ولا طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » كذا رواه ابن جرير ، وقد رواه الإمام عبد بن حميد فى مسنده متصلا فقال : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « طير كل عبد فى عنقه » وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثنى يزيد أن أبى الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر

رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله : اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت » إسناده جيد قوي ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة ( أزمناه طائرته في عنقه ) قال عمله ( ونخرج له يوم القيامة ) قال نخرج ذلك العمل ( كتابا يلقاه منشورا ) قال معمر وتلا الحسن البصري ( عن اليمين وعن الشمال قعيد ) يا ابن آدم بسطت لك صحيفةك ووكلك بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فأعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفةك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله

﴿ مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى أثر النبوة فيما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ( ومن ضل ) أي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإتباعي على نفسه وإنما يعود وبال ذلك عليه ثم قال ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) أي لا يحمل أحد ذنب أحد ولا يجني جان إلا على نفسه كما قال تعالى ( وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ) ولا منافاة بين هذا وبين قوله ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) وقوله ( ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) اخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله تعالى ( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير \* قالوا بلى قد جاء نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أثم لإف في ضلال كبير ) وكذا قوله ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) وقال تعالى ( وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت معجمة في صحيح البخاري عند قوله تعالى ( إن رحمة الله قريب من المحسنين ) حدثنا عبد الله بن سعد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الأعرج بإسناده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحدا وإنه ينشئ النار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ؟ ثلاثا » وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل وأما النار فانها دار عدل لا يدخلها أحد إلا بعد الاعتذار إليه وقيام الحجة عليه . وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوي بدليل ما أخرجاه في الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « تحاجت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا »

بقي ههنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم وكذا المجنون والأصم والشيخ الحرف ومن مات في الفتره ولم تبلغه دعوته وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام الأئمة في ذلك والله المستعان ﴿ فالحديث الأول ﴾ عن الأسود

ابن سريـع قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود ابن سريـع أن رسول الله ﷺ قال « أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الإسلام والصبيان يخذفوني بالبر ، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول . ف يأخذهم موثقهم ليطعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » وبالسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره « فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها » وكذا رواه إسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام ، ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن إسحق عن علي بن عبد الله المدني به وقال هذا إسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أربعة كلهم يدلى على الله بحجة » فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير من حديث معمر بن همام عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً ، ثم قال أبو هريرة فاقروا إن شئتم ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) وكذا رواه معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفاً

( الحديث الثاني ) عن أنس بن مالك . قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أنس قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ما تقول في أطفال الشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة »

( الحديث الثالث ) عن أنس أيضا . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعنوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني لهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه قال : فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أني ندخلها ومنها كنا نفر ؟ قال ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، قال : فيقول الله تعالى أتم لرسلي أشد تكديماً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ، وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله ( الحديث الرابع ) عن البراء بن عازب رضی الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضاً حدثنا قاسم بن أبي شيبه حدثنا عبد الله يعني ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن البراء قال . سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال « هم مع آبائهم » وسئل عن أولاد الشركين فقال « هم مع آبائهم » فقيل يا رسول الله ما يعملون ، قال « الله أعلم بهم » ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره

( الحديث الخامس ) عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ریحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسألة قال « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكننا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرايتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ على ذلك موثقهم فيقول اعمدوا إليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا منها ورجعوا وقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين » فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً » ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب إلا عباد ولا عن عباد إلا ریحان بن سعيد ، قلت وقد ذكره ابن حبان في ثقافته ، وقال يحيى بن معين والنسائي لا بأس به ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم شيخ لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به ( الحديث السادس ) عن

أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الحدرى : قال الإمام محمد بن يحيى الدهلي حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الهالك في الفترة والعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ، ويقول العتوه رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ، ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها ، قال فيردها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل ، فيقول إياي عصيتم فكيف لو أن رسلي أتتكم ؟ » وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره « فيقول الله إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب » ( الحديث السابع ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال هشام بن عمار وعمر بن المبارك الصورى حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال « يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول المسوخ يارب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيتته عقلا بأسعد مني » وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك « فيقول الرب عز وجل إني أمرتكم بأمر فطيعوني ، فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو دخلوها ما ضرهم فخرج عليهم قواص . فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علمت ما أتم عاملون وطى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون ، ضمهم ، فتأخذهم النار » ( الحديث الثامن ) عن أبي هريرة رضى الله عنه وأرضاه . قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الأسود ابن سريع رضى الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، » وفي رواية قالوا : يا رسول الله أفرايت من يموت صغيراً ، قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاء بن قره عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم شك موسى قال « ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « إني خلقت عبادي حنفاء » وفي رواية لغيره « مسلمين » ( الحديث التاسع ) عن سمرة رضى الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخارى من حديث عوف الأعرابي . عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة » فناداه الناس يا رسول الله وأولاد المشركين ، قال « وأولاد المشركين » وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبه ابن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألتنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال « هم خدم أهل الجنة »

( الحديث العاشر ) عن عم خنساء . قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية عن بني صريم قالت حدثني عمي قال : قلت يا رسول الله من في الجنة ، قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوثيد في الجنة » . فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين . وأولاد المشركين قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين ، قال « نعم وأولاد المشركين » ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آبائهم » ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرح به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض : وهذا القول هو الذى حكاه الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذى نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققى العلماء والحفاظ

والنقاد . وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النخعي بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال ، وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ﴿ والجواب ﴾ عما قال أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها . وأما قوله إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى ( يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ) الآية ، وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفحة الواحدة طبقاً واحداً كما أراد السجود خر لقفاه . وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مراراً ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة ، وأما قوله فكيف يكفونهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هنا بمانع من صحة الحديث فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ومنهم الساعى ومنهم الماشى ومنهم من يحب حبواً ومنهم المكدوش على وجهه في النار . وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم ، وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار فإنه يكون عليه برداً وسلاماً فهذا نظير ذلك ، وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم قتل بعضهم بعضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضاً شاق على النفوس جدا لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم . ﴿ فصل ﴾ إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنهم في الجنة واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبما تقدم في رواية أحمد عن خنساء عن عمها أن رسول الله ﷺ قال « والمولود في الجنة » وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه . فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الأشعري عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدماً لهم كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم ( والقول الثاني ) أنهم مع آباءهم في النار واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي المغيرة حدثنا عبدة بن ضمرة ابن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطيف أنه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت : قال رسول الله ﷺ « هم تبع لآبائهم » فقلت يا رسول الله بلا أعمال ؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه أبو داود من حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الهمداني سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين قال « هم مع آباءهم » قلت فذراري المشركين ؟ قال « هم مع آباءهم » قلت بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه أحمد أيضاً عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن التوكل وهو متروك عن مولاه بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله ﷺ فقال « إن شئت أممعتك تضاعفهم في النار » وروى عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولد لها ماتا في الجاهلية فقال « هما في النار » قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت فولدى منك ؟ قال

« إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) » وهذا حديث غريب فإن في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك علياً والله أعلم . وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال : قال رسول الله ﷺ « الوائدة والموودة في النار » ثم قال الشعبي حدثني به علقمة عن أبي وائل عن ابن مسعود ، وقد رواه جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا إن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وإنما وأدت أختنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال « الوائدة والموودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم » وهذا إسناده حسن

﴿ والقول الثالث ﴾ التوقف فيهم واعتمدوا على قوله صلى الله عليه وسلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن أبي إلياس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد ، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة لأن الأعراف ليس دار قرار ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذي قطع به إن شاء الله عز وجل . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة ، قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن المبارك وإسحق بن راهويه وغيرهم قالوا وهو يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جداً ، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضاً والله أعلم . وقد ذكروا في ذلك أيضاً حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصفير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال « أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم » رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عند عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها ، روى ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء العطاردي سمعت ابن عباس رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال أمر هذه الأمة موالياً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » قال ابن حبان يعني أطفال المشركين ، وهكذا رواه أبو بكر البزار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفاً

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدِمْنَاهَا نَدِيمِراً ﴾

اختلف القراء في قراءة قوله ( أمرنا ) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قديراً كقوله تعالى ( أتاها أمرنا ليلاً ونهاراً ) إن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ، وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جرير



عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير أيضاً ، وقال ابن جرير يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ جَعَلْنَاهُمْ أَمْرَاءَ قَلْتِ إِعْمَايِي هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ  
 مِنْ قَرَأَ (أَمْرَانَا مَتْرَفِيهَا) قَالَ عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ (أَمْرَانَا مَتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) يَقُولُ سُلْطَانُ أَشْرَارِهِمْ فَصَوَّافِيهَا  
 فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا) الْآيَةُ وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ  
 وَمَجَاهِدٌ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَإِذَا أُرْدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَانَا مَتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) يَقُولُ أَكْثَرُنَا عَدَدَهُمْ  
 وَكَذَلِكَ قَالَ عِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ ، وَعَنْ مَالِكٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ (أَمْرَانَا مَتْرَفِيهَا) أَكْثَرُنَا ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ  
 بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا رُوحُ بْنُ عِبَادَةَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْعَدَوِيُّ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ بَدِيلٍ عَنِ إِيَّاسِ  
 ابْنِ زَهْرٍ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ هَبِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « خَيْرُ مَالٍ أَمْرِي لَهُ مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سَكَةٌ مَأْمُورَةٌ »  
 قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْغَرِيبِ الْمَأْمُورَةُ كَثِيرَةُ النَّسْلِ وَالسَّكَةُ الطَّرِيقَةُ الْمَصْطَفَى مِنَ  
 النَّخْلِ وَالْمَأْمُورَةُ مِنَ التَّائِيرِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا جَاءَ هَذَا مُتَّسِبًا كَقَوْلِهِ : « مَا زُورَاتٌ غَيْرُ مَأْمُورَاتٍ »

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى منذراً كُفَّارِ قَرِيشٍ فِي تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَدْ أَهْلَكَ أُمَّمًا مِنَ الْمَكْذِبِينَ  
 لِلرَّسْلِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَى الْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَتْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ  
 عَشْرَةَ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَمَعْنَاهُ أَنْكُمْ أَيُّهَا الْمَكْذِبُونَ لَسْتُمْ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ وَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَشْرَفَ الرُّسُلِ  
 وَأَكْرَمَ الْخَلْقِ فَعَقُوبَتِكُمْ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ . وَقَوْلُهُ (وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) أَيُّهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ  
 خَيْرًا وَشَرًّا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا خَافِيَةٌ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \*  
 وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء وهذه  
 مقيدة لا تطلق ما سواها من الآيات فإنه قال (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم) أي في الدار الآخرة (يصلها)  
 أي يدخلها حتى تعمه من جميع جوانبه (مذمومًا) أي في حال كونه مذمومًا على سوء تصرفه وصنيعه ، إذ اختار الفاني  
 على الباقي (مدحورًا) مبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً . روى الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا رويد عن أبي إسحق  
 عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ،  
 ولها يجمع من لا عقل له » وقوله (ومن أراد الآخرة) أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور (وسعى  
 لها سعيها) أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم (وهو مؤمن) أي قلبه مؤمن أي مصدق  
 بالثبوت والجزاء (فأولئك كان سعيهم مشكوراً)

﴿ كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا \* أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ  
 عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

يقول تعالى (كلا) أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة تمدهم فيما فيه (من  
 عطاء ربك) أي هو التصرف الحاكم الذي لا يجوز فيعطى كلا ما يستحقه من السعادة والشقاوة فلا راد لحكمه  
 ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي لا يمنعه أحد ولا يرده راد . قال  
 قتادة (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي منقوصاً ، وقال الحسن وغيره أي ممنوعاً ثم قال تعالى (انظر كيف فضلنا  
 بعضهم على بعض) أي فضلنا بعضهم على بعض

بعضهم على بعض) أى فى الدنيا فمنهم الغنى والفقير وبين ذلك ، والحسن والقيبح وبين ذلك ، ومن يموت صغيرا ، ومن  
يعمر حتى يبقى شيخا كبيرا ، وبين ذلك (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ولتفاوتهم فى الدار الآخرة أكبر  
من الدنيا فإن منهم من يكون فى الدرجات فى جهنم وسلسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون فى الدرجات العلى ونعيمها  
وسرورها ، ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين  
كما بين السماء والأرض وفى الصحيحين « إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر فى أفق  
السماء » ولهذا قال تعالى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وفى الطبرانى من رواية زاذان عن سلمان  
مرفوعا « ما من عبد يريد أن يرتفع فى الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله فى الآخرة أكبر منها » ثم قرأ  
(وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾

يقول تعالى والمراد المكلفون من الأمة لا تجعل أيها المكلف فى عبادتك ربك له شريكا (فتقعده مذموما) أى  
على إشراكك به (مخذولا) لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يلكك إلى الذى عبدت معه وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا  
لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا بشير بن سليمان  
عن سيار أبى الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من أصابته فاقة فأنزلها  
بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالنفى إما آجلا وإما غنى عاجلا » ورواه أبو داود والترمذى من  
حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغْنِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا  
تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا  
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

يقول تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد (وقضى) يعنى وصى ، وكذا قرأ  
أبى بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (وصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال  
(وبالوالدين إحسانا) أى وأمر بالوالدين إحسانا كقوله فى الآية الأخرى (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وقوله  
(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما آف) أى لا تسمعهما قولاً سيئا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى  
مراتب القول السيئ (ولا تنهرهما) أى ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبى رباح فى قوله (ولا تنهرهما)  
أى لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهى عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال  
(وقل لهما قولا كريما) أى لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى تواضع لهما  
بفعلك (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أى فى كبرهما وعند وفاتهما ، قال ابن عباس ثم أنزل الله (ما كان للنبي  
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية وقد جاء فى بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروى من طرق  
عن أنس وغيره أن النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال « آمين آمين آمين » قيل يا رسول الله علام ماأمنت ؟ قال  
« أتانى جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف  
رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه  
أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين ، فقلت آمين » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا على بن زيد  
عن زرارة بن أوفى عن مالك بن الحارث عن رجل منهم أنه سمع النبي ﷺ يقول « من ضم يتيما من أبوين

مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة ومن أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضواً منه » ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد فذكر معناه إلا أنه قال عن رجل من قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد « ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله »

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن

مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار فان كل

عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيماً

من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج

ومحمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال : قال النبي ﷺ

« من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه » ورواه أبو داود الطيالسي

عن شعبة به وفيه زيادات أخرى (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل بن أبي

صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه

أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة » صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجري

وسليمان بن بلال عن سهيل به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا ربيع بن إبراهيم قال أحمد وهو أخو إسماعيل

ابن علية وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فأنسلخ فلم

يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة » قال ربيع لا أعلمه إلا قال « أو أحدهما »

ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربيع بن إبراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه (حديث آخر) قال

الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن القاسم حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي

أسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار

فقال يا رسول الله هل بقي علي من برأبوي شيء بعد موتها أبرها به ، قال « نعم خصال أربع : الصلاة عليهما

والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك

من برها بعد موتها » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن

معاوية بن جهم السلمي أن جهماً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت الغزو وحيثك أستشيرك فقال « فهل لك من

أم » قال نعم قال « فالزمها فإن الجنة عند رجلها » ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ، ورواه النسائي

وابن ماجه من حديث ابن جريج به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن

سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معديكرب عن النبي ﷺ قال « إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم

إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالآقرب فالآقرب » وأخرجه ابن ماجه من حديث

عبد الله بن عياش به .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا يونس حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبيه عن رجل من بني ربوع قال

أتيت النبي ﷺ فسمعتة وهو يكلم الناس يقول « يد العطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك »

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن المسيم

العروقي حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة

عن أبيه أن رجلاً كان في الطواف حاملاً معه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أدت حقها قال « لا ولا زفرة

واحدة » أو كما قال ثم قال البزار لانهلمه يروي إلا من هذا الوجه . قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال ( ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين ) وقوله ( فإنه كان للأوابين غفوراً ) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس السبحين وفي رواية عنه المطيعين المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله ( فإنه كان للأوابين غفوراً ) قال الذين يصيرون الذنب ثم يتوبون ويصيرون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها ووافقته مجاهد في ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله ( فإنه كان للأوابين غفوراً ) قال كنا نعد الأبواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجوع من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب لأن الأبواب مشتق من الأب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى ( إن لنا إليهم ) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيون تائبون عابدون لربنا حامدون »

﴿ وَآتَاكَ مَا تَشَاءُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَقْرَبِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا \* إِنْ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا \* وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ أُتْبِعَاءُ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفي الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفي رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفي الحديث « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت ( وآت ذا القربى حقه ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطهاها فصدق ثم قال لانعم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي وحسيد بن حماد بن الحوار وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وقدك إنما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد تقدم الكلام على الساكنين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله ( ولا تبذر تبذيرا ) لما أمر بالانفاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الأخرى ( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ) الآية ثم قال منفرا عن التبذير والسرف ( إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ) أي أشباههم في ذلك . قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا في غير حق كان مبذرا . وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباك وتعرف حق السائل والجار والمسكين » فقال يا رسول الله أقلل لي ؟ قال ( فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ) فقال حسبي يا رسول الله إذا أدت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها ، وإمها على من بدلها » وقوله ( إن البذيرين كانوا إخوان الشياطين ) أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال ( وكان الشيطان لربه كفوراً ) أى جحوداً لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته ، وقوله ( وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ) الآية أى إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقدهم النفقة ( فقل لهم قولاً ميسوراً ) أى عدم وعدا بسهولة ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله ( فقل لهم قولاً ميسوراً ) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا \* إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى آمراً بالاعتدال فى العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ) أى لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطى أحداً شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أى نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله ( ولا تبسطها كل البسط ) أى ولا تسرف فى الاتفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً وهذا من باب اللف والذم أى فتقعد إن بخلت ملوماً ياءومك الناس ويذمونك ويستنونون عنك كما قال زهير بن أبى سلمى فى المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله \* على قومه يستنن عنه ويذمم

ومنى بسطت يدك فوق طاقتك تعدت بلائى ، تنفقته فتكون كالخسير وهو الدابة التى قد عجزت عن السير فوققت ضعفاً وعجزاً فانها تسمى الخسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال ( فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ) أى كليل عن أن يرى عيباً هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جرير وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء فى الصحيحين من حديثه أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخل والمنفق كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بانه وتنفو أمره وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لوقت كل حلقة مكانها فهو يوسمها فلا تتسع » هذا لفظ البخارى فى الزكاة وفى الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « انفق هكذا وهكذا ولا توعى فيوعى الله عليك ولا توكى فيوكى الله عليك » وفى لفظ « ولا تحصى فيحصى الله عليك » وفى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لى أنفق أنفق عليك » وفى الصحيحين من طريق معاوية ابن أبى مزرع عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً » وروى مسلم عن قتبية عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً أنفق إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله » وفى حديث أبى كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعاً « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطعة فقطعوا وأمرهم بالنجور فنجروا » وروى البيهقى من طريق سعدان بن نصر عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يفاك لحي سبعين شيطاناً »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم المجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله ( إن ربك يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر) إخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء  
لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال ( إنه كان عباده خيرا بصيرا ) أى خيرا بصيرا بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر  
كما جاء في الحديث « إن من عبادى لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادى لمن لا يصلحه  
إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه » وقد يكون الغنى فى حق بعض الناس استدراجا ، والفقر عقوبة عيادا  
بالله من هذا وهذا

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا ﴾

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الولد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء  
بالأولاد فى الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لثلاث تكثر عيلته فنهى الله تعالى  
عن ذلك وقال ( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ) أى خوف أن تفتقروا فى ثانى الحال ، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم  
فقال ( نحن نرزقهم وإياكم ) وفى الأنعام ( ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ) أى من فقر ( نحن نرزقكم وإياهم ) وقوله  
( إن قتلهم كان خطئا كبيرا ) أى ذنبا عظيما وقرأ بعضهم كان خطأ كبيرا وهو بمعناه ، وفى الصحيحين عن عبد الله بن  
مسعود قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك — قلت ثم أى ؟ — قال أن تقتل ولدك  
خشية أن يطعم معك — قلت ثم أى ؟ — قال أن تزاني بحليلة جارك »

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربتهم ومخالطة أسبابه ودواعيه ( ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ) أى ذنبا  
عظيما ( وساء سبيلا ) أى وبس طريقا ومسلكا

وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة أن فتى شابا أتى النبي  
ﷺ فقال : يا رسول الله أئذن لى بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه فقال « ادنه » فدنا منه  
قريبا فقال « اجلس » فجلس فقال « أتجبه لأمك ؟ » قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم  
قال « أتجبه لابنتك ؟ » قال لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال « أتجبه لأختك ؟ »  
قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال « أتجبه لعمتك ؟ » قال لا والله جعلنى الله فداك قال  
ولا الناس يحبونه لعلماتهم قال « أتجبه لحالتك ؟ » قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لحالاتهم قال  
فوضع يده عليه وقال « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه » قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء . وقال  
ابن أبى الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقیة عن أبى بكر بن أبى مريم عن الهيم بن مالك الطائى عن النبي ﷺ قال  
« ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعا رجل فى رحم لا يحل له »

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ

فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾

يقول تعالى ناهيا عن قتل النفس بغير حق شرعى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال  
« لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والزنى  
المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفى السنن « لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » وقوله ( ومن قتل  
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ) أى سبطنة على القاتل فانه بالخيار فيه إن شاء قتله قودا وإن شاء عفا عنه على الدية  
وإن شاء عفا عنه مجانا كما ثبتت السنة بذلك . وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية

السلطنة أنه سيملك لأنه كان ولي عثمان وقد قتل عثمان مظلوماً رضي الله عنه وكان معاوية يطالب علياً رضي الله عنه أن يسلمه قتله حتى يقتص منهم لأنه أموي وكان على رضي الله عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة وأبى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الأمر العجيب ، وقدرى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شاذان عن مطر الوراق عن زهدم الجرمي قال : كُنا في سمر ابن عباس فقال : إني محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت لعل اعترل فلو كنت في جحر طلبت حتى تستخرج فعصاني ، وإيم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك أن الله يقول ( ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ) الآية وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصراني واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك وأتم تاركون كنتم كقرون من القرون هلك فيمن هلك ، وقوله ( فلا يسرف في القتل ) قالوا معناه فلا يسرف الولى في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل ، وقوله ( إنه كان منصوراً ) أى إن الولى منصور على القاتل شرعاً وغالباً وقدرنا

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا \* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

يقول تعالى ( ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ) أى لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالعطفة ( ولا تأكلوها ) (١) إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف ) وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر « يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » وقوله ( وأوفوا بالعهد ) أى الذى تعاهدون عليه الناس والعقود التى تعاملونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ( إن العهد كان مسئولاً ) أى عنه وقوله ( وأوفوا الكيل إذا كِلْتُمْ ) أى من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ( وزنوا بالقسطاس ) قريء بضم القاف وكسرهما كالتقسطاس وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله ( المستقيم ) أى الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ( ذلك خير ) أى لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال ( وأحسن تأويلاً ) أى ما لا ومنقلباً فى آخرتكم . قال سعيد عن قتادة ( ذلك خير وأحسن تأويلاً ) أى خير ثواباً وأحسن عاقبة . وابن عباس كان يقول يامعشر الموالى إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان ، قال وذكر لنا أن نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يقول « لا يقدر رجل على جرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبدله الله به فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك »

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لا تقفل ، وقال العوفي لا ترم أحداً بما ليس لك به علم وقال محمد ابن الحنفية يعنى شهادة الزور ، وقال قتادة لا تقفل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ، ومضمون ما ذكره أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذى هو التوهم والخيال كما قال تعالى ( اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ) وفى الحديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وفى سنن أبى داود « بثس مطية الرجل زعموا » وفى الحديث الآخر « إن أفرى القرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » وفى الصحيح « من تحم حملاً كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل » وقوله ( كل أولئك ) أى هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ( كان عنه مسئولاً ) أى سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتساءل عنه وعمما عمل فيها

(١) فى جميع النسخ: ولاتأكلوا أموالكم إسرافاً إلخ وهو غلط ، ربما كان سببه أن المصنف ذكر أولاً آية ولاتأكلوا أموالهم إلى أموالكم ثم ذكر هذه فسقط من النسخ آخر الآية الأولى وأول الثانية .

ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر :

فم المنازل بعد منزلة اللوى \* والعيش بعد أولئك الأيام

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ \* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ  
عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿

يقول تعالى ناهياً عباده عن التبخير والتبختر في المشية ( ولا تمش في الأرض مرحاً ) أى متبخترا متبالا مشى الجبارين ( إنك لن تخرق الأرض ) أى لن تقطع الأرض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج :

\* وقائم الأعماق خاوى المحترقن \*

وقوله ( ولن تبلغ الجبال طولاً ) أى تتألك وفخرتك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح « بينا رجل يمشى فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض وفي الحديث « من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى هو أفضى إليهم من الكلب والحنزير » وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الجول والتواضع : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال : بينا نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهمم يريد النصور وعليه جياب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأفقه ، ثاني عطفه ، مصعر خده ، ينظر في عطفه ، أى حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدى حق الله منها ، والله ان يمشى أحدهم طبيعته تلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهمم فرجع يعتذر إليه ، فقال لا تعتذر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى ( ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ) ورأى البخترى العابد رجلاً من آل طى يمشى وهو يخطر في مشيته فقال له يا هذا : إن الذى أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد . ورأى ابن عمر رجلاً يخطر في مشيته فقال إن للشياطين إخواناً وقال خالد بن معدان : إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسده رواها ابن أبي الدنيا ، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن محسن قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مشيت أمتى اللطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وقوله ( كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ) أما من قرأ سيئة أى فاحشة فعنائه عنده كل هذا الذى نهينا عنه من قوله ( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ) إلى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروهاً عند الله لا يحبه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئه على الإضافة فعنائه عنده كل هذا الذى ذكرناه من قوله ( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ) إلى هنا فسيئه أى فقيحه مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾

يقول تعالى هذا الذى أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس ( ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً ) أى تلومك نفسك ويلومك الله والخلق ( مدحوراً ) أى مبعداً من كل خير ، قال ابن عباس وقتادة مطروداً والراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم.



﴿ أَفَأَصْفُكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِنًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى رادا على المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من القامات الثلاث خطأ عظيماً فقال تعالى منكراً عليهم ( أفأصفاكم ربكم بالبنين ) أى خصصكم بالذكور ( واتخذ من الملائكة إناثاً ) أى واختار لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الإنكار عليهم فقال ( إنكم تقولون قولاً عظيماً ) أى فى زعمكم أن الله ولداً ثم جعلكم ولده الإناث التى تأفنون أن يكن لكم ورعاً قتلتموهن بالوآد فتلك إذا قسمة ضيزى وقال تعالى ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً \* لقد جئتم شيئاً لبيداً \* تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً \* أن دعوا للرحمن ولداً \* وما ينغى للرحمن أن يتخذ ولداً \* إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً \* وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ) .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾

يقول تعالى ( ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ) أى صرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يذكرون ما فيه من الحجج والبيانات والوعاظ فيزجرُوا عمهم فيه من الشرك والظلم والافك ( وما يزيدهم ) أى الظالمين منهم ( إلا نفورا ) أى عن الحق وبعداً منه .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا \* سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الله شريكاً من خلقه العابدین معه غيره ليقربهم إليه زلفاً لو كان الأمر كما يقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويتبعون إليه الوسيلة والقربة فاعبدوهم أتم وحده كما يعبدونه من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فإنه لا يجب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبياؤه ثم نزه نفسه الكريمة وقد سها فقال ( سبحانه وتعالى عما يقولون ) أى هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون فى زعمهم أن معه آلهة أخرى ( علواً كبيراً ) أى تعالياً كبيراً ، بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً

﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

يقول تعالى تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن أى من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية فى ربوبته وإلهيته

فى كل شىء له آية \* تدل على أنه واحد

كما قال تعالى ( تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً \* أن دعوا للرحمن ولداً ) وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا طابى بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطار به حتى بلغ السموات السبع . فصار رجوع قال « سمعت تسبيحاً فى السموات العلى مع تسبيح كثير سبعت السموات العلى ، من ذى الهابة مشفقات لى العلو بما علا ، سبحان

العلي الأظى سبحانه وتعالى . وقوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) أى وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ( ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) أى لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفي حديث أبى ذر أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لمن تسبيح كحنين النحل ، وكذا في يد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبىه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه » وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال « تقيها تسبيح » وقال قتادة عن عبد الله بن أبى عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهو كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها ، وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحداً من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عدى واستسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن وهب حدثنا جرير حدثنا أبى ميمت مصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي ﷺ أعرابي عليه جبة من طبالسة مكفوفة بديباج : أو مزورة بديباج فقال إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس فقام إليه النبي ﷺ مضطرباً فأخذ بمجامع جبهته فاجتذبه فقال « لا أرى عليك ثياب من يعقل » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال إني قاص عليك الوصية أمر كما بائنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك بالله والكبر ، وأمر كما بلا إله إلا الله فان السموات والأرض وما فيها لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما أو لقصمتها ، وأمر كما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ، ورواه الإمام أحمد أيضاً عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وتفرد به ، وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى حدثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبيد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بنى أمرتك أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق » قال الله تعالى ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) إسناده فيه ضعف فان الأودى ضعيف عند الأكثرين ، وقال عكرمة السلف: صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج ، وقال آخرون إنما يسبح من كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن والضحاك في قوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) قال كل شيء فيه الروح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالوا حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعد يسبح هذا الخوان ؟ فقال كان يسبح مرة - قلت الخوان هو المائدة من الخشب - فكان الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتره من القول وأما الآخر فكان

يمشى بالنيمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال «لعله يخفف عنهما ما لم يبسا» أخرجاه في الصحيحين قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال ما لم يبسا لأنهما يسبحان مادام فيهما خضرة فإذا يبسا انقطع تسبيحهما والله أعلم وقوله (إنه كان حلياً غفوراً) أي إنه لا يعاجل من عصاه بالقوبة بل يؤجله وينظره فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين «إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية وقال تعالى (وكأن من قرية أملت لها وهي ظالمة) الآية وقال (وكأن من قرية أهلكتنا وهي ظالمة) الآيتين ومن ألقع عما هو فيه من كفر أو عصيان ورجع إلى الله وتاب إليه تاب عليه كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) الآية وقال ههنا (إنه كان حلياً غفوراً) كما قال في آخر فاطر (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حلياً غفوراً) إلى أن قال (ولو يؤاخذ الله الناس) إلى آخر السورة.

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا \* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجاباً مستوراً قال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) أي مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول شيء وقوله (حجاباً مستوراً) بمعنى ساتر كيميون ومشوم بمعنى يامن وشائم لأنه من يمينهم وقيل مستوراً عن الأبصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين المسدي ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو موسى الهروي إسحق بن إبراهيم حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت (تبت بدا أي لهب) جاءت العوراء أم جميل ولها لولة وفي يدها فبروهي تقول: منذما أتينا - أو أيننا - قال أبو موسى الشك مني، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله عنه لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال «إنها لن تراني» وقرأ قرآنا اعتصم به منها (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أي بنت سيدها. وقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنان الذي يعشى القلب (أن يفقهوه) أي ثلاثا يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقراً) وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن مما عاين يفهمهم ويهتدون به. وقوله تعالى (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله إلا الله (ولوا) أي أدبروا راجعين (على أدبارهم نفوراً) ونفور جمع نافر كنعود جمع قاعد ويجوز أن يكون مصدر من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) الآية قال قتادة في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن) الآية إن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم فضافها إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن يمضيها ويعليها وينصرها ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصمها فلج ومن قاتلها نصر إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال ثلاث وسير الدهر في فنام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها ﴿ قول آخر في الآية ﴾ روى ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الدارع حدثنا روح بن السيب أبو رجاء السكبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً) هم الشياطين وهذا غريب جداً في تفسيرها وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا

﴿ تَمَحَّنْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْتَمُونَ إِلَّا رَجُلًا

مَسْحُورًا \* أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿

يخبر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سرا من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرثة أى إن تتبعون إن اتبعتم محمداً إلا بشراً يأكل كما قال الشاعر :

فان تسألنا فيم نحن فاننا \* عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز : \* يسحر بالطعام وبالشراب \* أى يفسد وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رثى يأتيه بما استمعوه من الكلام الذى يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) أى فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصا ، قال محمد بن إسحق فى السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث أن أباسفيان بن حرب وأباجهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بن زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى تتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان بن حرب فى بيته فقال أخبرنى يا أبا جهل فإني سمعت من محمد قال يا أبا لعبله والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذى حلفت به . قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحمّلوا فحمّلنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجمنا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منابى يأتيه الوحي من السماء فتى ندرك هذه والله لا تؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال فقام عنه الأخنس وتركه .

﴿ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَاتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا \* يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المستبدين وقوع المعاد القائلين استفهام إنكار منهم لذلك ( أنذا كنا عظاما ورفاتا ) أى ترابا قاله مجاهد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما غبارا ( أننا لمبعوثون خلقا جديداً ) أى يوم القيامة بعدما بلينا وصرنا عندما لا نذكر كما أخبر عنهم فى الموضع الآخر ( يقولون أننا لمردودون فى الحافرة \* ) أنذا كنا عظاما نحرة \* قالوا تلك إذا كرة خاسرة ) وقوله تعالى ( وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ) الآيتين فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال ( قل كونوا حجارة أو حديدا ) إذ هما أشد امتناعا من العظام والرفات ( أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ) قال ابن إسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو الموت وروى عطية عن ابن عمر أنه قال فى تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة

والضحك وغيرهم ، ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذى هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شئ إذا أَرَادَهُ

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثاً « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أُمْلَحُ فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » وقال مجاهد ( أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ) يعنى السماء والأرض والجبال وفي رواية : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم ، وقد وقع فى التفسير المروى عن الإمام مالك عن الزهري فى قوله ( أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم ) قال النبى ﷺ قال مالك ويقولون هو الموت . وقوله تعالى ( فسيتولون من يعيدنا ) أى من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً ( قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أى حال ) وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) الآية وقوله تعالى ( فسينفضون إليك رءوسهم ) قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذى قاله هو الذى تعرفه العرب من لغاتها لأن الانفاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظلم وهو ولد النعامة نفض لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه ويقال نفضت سنه إذا تحركت وارتفعت من مبيتها . وقال الراجز : \* ونفضت من هرم أسنانها \*

وقوله ( ويقولون متى هو ) إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) وقال تعالى ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ) وقوله ( قل عسى أن يكون قريباً ) أى احذروا ذلك فإنه قريب إليكم سيأتيكم لامحالة فكل ما هو آت آت . وقوله تعالى ( يوم يدعوكم ) أى الرب تبارك وتعالى ( إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ) أى إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى ( وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ) ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) وقوله ( فإنما هى زجرة واحدة \* فإذا هم بالساهرة ) أى إنما هو أمر واحد باتهار فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيون بحمده ) أى تقولون كلكم إجابة لأمره وطاعة لا رادته قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس فتستجيون بحمده أى بأمره وكذا قال ابن جرير . وقال قتادة بمصرفته وطاعته ، وقال بعضهم ( يوم يدعوكم فتستجيون بحمده ) أى وله الحمد فى كل حال . وقد جاء فى الحديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم كأنى بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون لا إله إلا الله » وفى روايه يقولون ( الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ) وسيأتى فى سورة فاطر . وقوله تعالى ( وتظنون ) أى يوم تقومون من قبوركم ( إن لبئتم ) أى فى الدار الدنيا ( إلا قتيلاً ) وكقوله تعالى ( كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ) وقال تعالى ( يوم ينفخ فى الصور ونحمر المجرمين يومئذ زرقاً \* يتخافتون بينهم إن لبئتم إلا عشراً \* نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبئتم إلا يوماً ) وقال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ) وقال تعالى ( قال كم لبئتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوماً فأسأل العادين ، قال إن لبئتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون )

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا فى مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى النعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم ، وعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة فإن الشيطان ينزع فى يده أى فرما أصابه بها .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن مھام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا يشيرت أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » أخرجاه من حديث عبد الرزاق . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن الحسن قال حدثني رجل من بني سليل قال أتيت النبي ﷺ وهو في رفلة من الناس فسمعتة يقول: « السلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى ههنا » قال حماد وقال بيده إلى صدره « وما تواد رجلان في الله ففرق بينهما إلا حدث يحدته أحدهما والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر »

﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَمِيمًا أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً \* وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بَيْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

يقول تعالى (ربكم أعلم بكم) أيها الناس أي أعلم من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق (إن يشأ يرحمكم) بأن يوفقكم لطاعته والابانة إليه (أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك (يا محمد) عليهم وكيلاً) أي إنما أرسلناك نذيراً فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار . وقوله ( وربك أعلم بمن في السموات والأرض ) أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وكما قال تعالى ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ) وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا تفضلوا بين الأنبياء » فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشبه والمعصية لا بمقتضى الدليل فإذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولى العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصافي آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ) وفي الشورى في قوله ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور وقد بسطنا به دلائله في غير هذا الموضع والله الموفق وقوله تعالى ( وآتينا داود زبوراً ) تنبيه على فضله وشرقه . قال البخاري حدثنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن مھام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فكان يقرؤه قبل أن يفرغ » يعني القرآن

﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾

يقول تعالى ( قل ) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ( ادعوا الذين زعتمتم من دونه ) من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم ( فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ) أي بالكلية ( ولا تحويلاً ) أي بأن يحولوه إلى غيركم والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر . قال العوفي عن ابن عباس في قوله ( قل ادعوا الذين زعتمتم ) الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والسيح وعزيراً وهم الذين يدعون يعني في الملائكة والسيح وعزيراً وقوله تعالى ( أولئك الذين يدعون ) الآية روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وفي رواية قال كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ، وقال قتادة عن معبد ابن عبد الله الرماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله ( أولئك الذين يدعون ) الآية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت

هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ) قال عيسى وأمه وعزير وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس يقول: في هذه الآية: هم عيسى وعزير والشمس والقمر ، وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة ، واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله ( يبتغون إلى ربهم الوسيلة ) وهذا لا يعبره عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال والوسيلة هي القربة كما قال قتادة ولهذا قال ( أيهم أقرب ) وقوله تعالى ( ويرجون رحمته ويخافون عذابه ) لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء فالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء يكثر من الطاعات ، وقوله تعالى ( إن عذاب ربك كان محذوراً ) أي ينبغي أن يحذرنه ويخاف من وقوعه وحصوله عياداً بالله منه

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه مامن قرية إلا سهلها بأن يبئد أهلها جميعهم أو يعذبهم (عذاباً شديداً) إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم للماضين ( وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ) وقال تعالى ( فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا ) وقال « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ) الآيات .

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا نُوحًا الْفَاتَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾

قال سنيد عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال : قال الشركون يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فان سرك أن تؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً فأوحى الله اليه : إنى قد سمعت الذى قالوا فإن شئت أن تفعل الذى قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وإن شئت أن نستأنى بقومك استأنيت بهم . قال « يارب استأنى بهم » وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما ، وروى الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى الجبال عنهم فيررعوا فقيل له: إن شئت أن نستأنى بهم وإن شئت أن يأتيهم الذى سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الأمم. قال « لا ، بل استأنى بهم » وأنزل الله تعالى ( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) الآية ورواه النسائي من حديث جرير بن عطاء. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال « وتفعلون ؟ » قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة فقال « بل باب التوبة والرحمة » وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن إسماعيل بن طي الأنصارى حدثنا خلف بن تميم المصيصى عن عبد الجبار بن عمرو الابن عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول لما نزلت ( وأنذر عشيرتك الأقربين ) صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس « يا آل عبد مناف إنى نذير » فجاءته قريش فحذروهم وأنذروهم فقالوا تزعم أنك نبي يوحى إليك وإن سليمان سخر له الريح والجبال وإن موسى سخر له البحر وإن عيسى كان يحيى الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فتتخذ محارث فنزرع ونأكل وإلا فادع الله أن يحيى لنا موتانا لسكلمهم ويكلمونا وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التى تحتك ذهباً فتتخذ منها وتغنيننا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئهم . قال فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي

فلما سرى عنه قال « والذى نفسى بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان ولكنه خيرى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين » ونزلت (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) وقرأ ثلاث آيات ونزلت (ولو أن قرآننا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) الآية ولهذا قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى نبعث الآيات ونأتى بها على ما سأل قومك منك فإنه سهل علينا يسير لدينا إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى فى المائدة (قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) وقال تعالى عن ثمود حين سألوا آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا فلما ظلموا بها أى كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها فقال (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) ولهذا قال تعالى (وآتيناهم ناقة مبرورة فظلموا بها) أى دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذى أجيب دعاؤه فيها (فظلموا بها) أى كفروا بها ومنعوا شرها وقتلوا فأبأهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) قال قتادة إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس إن ربكم يستعيبكم فأعيتوه ، وهكذا روى أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرات فقال عمر أحدتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن . وكذا قال رسول الله ﷺ فى الحديث المتفق عليه « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا حياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره - ثم قال - يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن نرى عبده أو نرى أمته ، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضاً له على إبلاغ رسالته ونخبأله بأنه قد عصمه من الناس فإنه القادر عليهم وهم فى قبضته وتحت قهره وغلبته . قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقاتدة وغيرهم فى قوله ( وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ) أى عصمك منهم وقوله ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ) الآية قال البخارى حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ) قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم لیسلة أسرى به ( والشجرة الملعونة فى القرآن ) شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفى عن ابن عباس . وهكذا فسر ذلك بلبلة الأسراء مجاهد وسعيد بن جبیر والحسن ومسروق وإبراهيم وقاتدة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد تقدمت أحاديث الإسراء فى أول السورة مستقصاة والله الحمد والمنة . وتقدم أن ناساً رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم يحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتاً وقيناً لآخرين ولهذا قال ( إلا فتنة ) أى اختباراً وامتحاناً ، وأما الشجرة الملعونة فهى شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله : هاتوا لنا تمرًا وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقوموا فلانعلم الزقوم غير هذا ، حكى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن



البصرى وغير واحد وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم وقيل المراد بالشجرة اللعونة بنو أمية وهو غريب ضعيف ، وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني أبي عن جدي قال رأى رسول الله ﷺ بنى فلان ينزون على منبره نزو القروود فسأه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله في ذلك ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) الآية وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكفية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء وأن الشجرة اللعونة هي شجرة الزقوم قال لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أى فى الرؤيا والشجرة وقوله ( ونخوفهم ) أى الكفار بالوعيد والعذاب والنكال ( فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ) أى تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا \* قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقار له ( قال أسجد لمن خلقت طينا ) كما قال فى الآية الأخرى ( أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ) وقال أيضا أرايتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب يحلم وينظر ( قال أرايتك هذا الذى كرمته على ) الآية قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لأستولين على ذريته إلا قليلا وقال مجاهد لأحتوين وقال ابن زيد لأضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرايتك هذا الذى شرفته وعظمته على لئن أنظرتنى لأضلن ذريته إلا قليلا منهم

﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَأَهُ مَوْفُورًا \* وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾

لما سأل إبليس النظرة قال الله له ( اذهب ) فقد أنظرتك كما قال فى الآية الأخرى قال ( فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ) ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم ( قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ) أى على أعمالكم ( جزاء موفورا ) قال مجاهد وافرا ، وقال قتادة موفورا عليكم لا ينقص لكم منه . وقوله تعالى ( واستفز من استطعت منهم بصوتك ) قيل هو الغناء قال مجاهد باللغو والغناء أى استخفهم بذلك وقال ابن عباس فى قوله ( واستفز من استطعت منهم بصوتك ) قال كل داع دعا إلى معصية الله عزوجل ، وقال قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى ( وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ) يقول وأحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجلتهم فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدرى كقوله تعالى ( ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ) أى تزعمهم إلى المعاصى إزعاجا وتسوقهم إليها سوقا وقال ابن عباس ومجاهد فى قوله ( وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ) قال كل راكب وماش فى معصية الله وقال قتادة: إن له خيلا ورجالا من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه ، تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهى فى المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهى ارتفاع الأصوات ، وقوله تعالى ( وشاركهم فى الأموال والأولاد ) قال ابن عباس ومجاهد هو ما أمرهم به من انفاق الأموال فى معاصى الله تعالى ، وقال عطاء: هو الربا ، وقال الحسن

هو جمعها من خيث وإنفاقها في حرام ، وكذا قال قتادة وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أما مشاركته إياهم في أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم يعنى من البحائر والسواحب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة ، وقال ابن جرير والأولى أن يقال إن الآية تعم ذلك كله . وقوله ( والأولاد ) قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعنى أولاد الزنا ، وقال طلى بن أبى طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفها بغير علم . وقال قتادة عن الحسن البصرى قد والله شاركهم في الأموال والأولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان ، وكذا قال قتادة سواء ، وقال أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بادخاله في غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخص بقوله ( وشاركهم في الأموال والأولاد ) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أوبه أو أطيع الشيطان فيه أوبه فهو مشاركة ، وهذا الذى قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقوله تعالى ( وعدم وما يعدم الشيطان إلا غرورا ) كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا حصص الحق يوم يقضى بالحق ( إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ) الآية وقوله تعالى ( إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ) إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى ( وكفى بربك وكيلًا ) أى حافظًا ومؤيدا ونصيرا ، وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى ابن وردان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن لينضى شياطينه كما ينضى أحدكم بعيره في السفر » ينضى أى يأخذ بناصيته ويقهره

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

يخبر تعالى عن لطفه مخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده لا بتعامهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم ولهذا قال ( إنه كان بكم رحيمًا ) أى إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾

يخبر تبارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منييين إليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) أى ذهب عن قلوبكم كل ماتعدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبى جهل لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا ينفع عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله إن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره اللهم لك على عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلاضعن يدي في يد محمد فلا أجدنه رءوفا رحما ، فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى ( فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ) أى نسيتم ما عرفتم من توحيدته في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له ( وكان الإنسان كفورا ) أى سجيته هذا ينسى النعم ويجهدها إلا من عصم الله

﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾

يقول تعالى أفحسبتم بخروجكم إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا وهو الطر الذي فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى ( إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا ) وقد قال في الآية الأخرى ( وأمطرنا عليهم حجارة من طين ) وقال ( أمأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور \* أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ) وقوله ( ثم لا تجدوا لكم وكيفا ) أي ناصرا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه

﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ نَارَةٌ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾

يقول تبارك وتعالى أم أمنتم أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح أي يقصف الصواري ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها وقوله ( فيغرقكم بما كفرتم ) أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى وقوله ( ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ) قال ابن عباس: نصيرا وقال مجاهد: نصيرا نائرا أي يأخذ بشاركم بعدكم . وقال قتادة ولا تخاف أحدا يتبعنا بشيء من ذلك

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن تشریفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى ( لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ) أن يمشي قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه ، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بقمه وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله ويستفح به ويفرق بين الأشياء ويعرف مناقها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية وحملناهم في البرأي على الدواب من الأنعام والحيل والبغال وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطوم والألوان المشتهة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها وينعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا الآخرة فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت كن فكان . وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روي من وجه آخر متصلا . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خارجة المصيصي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا تأكل ولا نشرب ولا نلهو فكلما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان » وقد روى ابن عساکر من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق سمعت عروة بن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم وجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب

ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب، ينامون ويستريحون ولم يجعل لنا من ذلك شيئاً فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل: لا أجعل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان» وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شعاف عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «ما شئ أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم» قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال «ولا الملائكة، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر» وهذا حديث غريب جداً

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا \* وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بامامهم، وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة أي بنبيهم وهذا كقوله تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ وقال ابن زيد بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير، وروى عن ابن أبي نجیح عن مجاهد أنه قال بكتابهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أي كل قوم بمن يأتون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وفي الصحيحين «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت» الحديث وقال تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون \* هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته فإنه لا بد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها كقوله تعالى (وأشرفت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) وقوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقروون كتابهم) أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقروه ويجب قراءته كقوله (فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه - إلى قوله - وأما من أوتى كتابه بشماله) الآيات، وقوله تعالى (ولا يظلمون فتيلاً) قد تقدم أن الفتيل هو الحيط المستطيل في شق النواة. وقد روى الحافظ أبو بكر البرزاري حديثاً في هذا فقال: حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) قال «يدعى أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيروونه من بعيد فيقولون اللهم أنتا بهذا، وبارك لنا في هذا فيأتهم فيقول لهم أفسروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتهم فيقولون اللهم أخره فيقول أبعدم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا» ثم قال البرزاري لا يروى إلا من هذا الوجه، وقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى) الآية، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (ومن كان في هذه) أي في الحياة الدنيا (أعمى) أي عن حجة الله وآياته وبيناته (فهو في الآخرة أعمى) أي كذلك يكون (وأضل سبيلاً) أي وأضل منه كما كان في الدنيا عياداً بالله من ذلك

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا

أَنْ تَبْتَنِكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذْفَنَكَ ضِعْفَ الْحَيَوَةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وثبتيه وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولى أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها ﷺ تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾

قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة . وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر . روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوماً فقالوا يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام فإن الشام أرض الحشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا فعزوا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى إسرائيل بعدما ختمت السورة ( وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا — إلى قوله — تحويلاً ) فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها حياك ومماتك ومنها تبعث . وفي هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار ) ولقوله تعالى ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون ) وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ، ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم عن عقير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام » قال الوليد يعنى بيت المقدس وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد إنه بيت المقدس والله أعلم . وقيل نزلت في كفار قريش هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وأهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه بيدى على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى ( سنة من قد أرسلنا ) الآية أى هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتهم العذاب ولولا أنه صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة لجاهم من النقم في الدنيا ما لاقى لأحده ، ولهذا قال تعالى ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ) الآية

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي تَلَاكَ لَيْلًا وَأَبْدَأَهُ أَشْرَاقًا ﴾

يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها ( أقم الصلاة لذكور الشمس ) قيل لعروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس : دلوكها زوالها

ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقر وقتادة ، واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي ﷺ فقال « اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله ( لدلوك الشمس إلى غسق الليل ) وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله ( وقرآن الفجر ) يعنى صلاة الفجر ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفاً عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه والله الحمد ( إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في هذه الآية ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً )

وقال الإمام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثهم عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال الترمذي حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » وقال عبد الله بن مسعود يجمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الآية . وأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفر له ، من يسألني أعطيه ، من يدعني فأستجيب له حتى يطلع الفجر . فلذلك يقول ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) فيشده الله وملائكة الليل وملائكة النهار فانه تفرد به زيادة ، وله بهذا حديث في سنن أبي داود . وقوله تعالى ( ومن الليل فتجهد به نافلة لك ) أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجيد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب ، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتجهد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مبسوط في موضعه والله الحمد والمئة ، وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم واختلف في معنى قوله تعالى ( نافلة لك ) فقيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجمعوا قيام الليل واجباً في حقه دون الأمة رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولى العلماء وأحد قولى الشافعي رحمه الله واختاره ابن جرير ، وقيل إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه . قال مجاهد وهو في السند عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه .  
وقوله ( عسى أن يبعك ربك مقاما محموداً ) أى افعل هذا الذى أمرتك به لنعيمك يوم القيامة مقاما محموداً يحمدك  
فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذى يقومه محمد  
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليرحبهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ﴿ ذكر من قال  
ذلك ﴾ حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : يجمع الناس  
في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادى يا محمد فيقول  
« ليك وسعديك ، والخير في يديك ، والشّر ليس إليك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، ومنك وإليك  
لامنجى ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت » فهذا المقام المحمود الذى ذكره الله عز وجل ،  
ثم رواه عن بNDAR عن غندر عن شعبة عن أبي إسحق به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري عن أبي إسحق  
به ، وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الحسن البصرى ، وقال  
قتادة هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذى قال الله  
تعالى ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ) قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ،  
وتشريفات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبعث راكباً إلى المحشر وله اللواء الذى آدم فمن  
دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذى ليس فى الموقف أكثر وارداً منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله لآتى لفصل  
القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى  
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول « أنا لها أنا لها » كما سنذكر ذلك مفصلاً فى هذا الموضوع إن شاء الله تعالى ،  
ومن ذلك أنه يشفع فى أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته وأولهم إجازة على  
الصراط بأمره وهو أول شفيع فى الجنة كما ثبت فى صحيح مسلم . وفى حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة  
إلا بشفاعته وهو أول داخل إليها وأمه قبل الأمم كلهم ، ويشفع فى رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب  
الوسيلة التى هى أعلى منزلة فى الجنة لا تليق إلا له وإذا أذن الله تعالى فى الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبون والمؤمنون  
فيشفع هو فى خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه فى ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى فى آخر  
كتاب السيرة فى باب الخصائص والله الحمد والمنة ولندكر الآن الأحاديث الواردة فى المقام المحمود والله المستعان . قال  
البخارى حدثنا اسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن على سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة  
جئاء كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعه الله مقاما  
محموداً . ورواه حمزة بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله  
ابن عبد الحكم حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت  
عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فينهم كذلك  
استغاثوا بأدم فيقول لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشى حتى  
يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً . وهكذا رواه البخارى فى الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة عن  
عبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً يحمده أهل الجحيم كلهم . قال البخارى  
وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من  
قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً  
الذى وعدته . حلت له شفاعتى يوم القيامة » انفرد به دون مسلم ﴿ حديث أبي بن كعب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا  
أبو عامر الأزدي حدثنا هير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » وأخرجه الترمذى من حديث أبي

عمر عبد الملك بن عمرو العقدي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به، وقد قدمنا في حديث  
أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف، قال عليه السلام في آخره « ققلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي  
وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » (حديث أنس بن مالك) قال الإمام أحمد حدثنا  
يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة  
فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر  
خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم  
آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله  
إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ربه من ذلك  
ويقول ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه  
التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحي ربه من ذلك ويقول ولكن  
اتوا عيسى عبدا لله ورسوله وكتبه وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمداً غفر الله له ما تقدم من  
ذنبه وما تأخر فيأتوني - قال الحسن هذا الحرف - فأقوم فأمشي بين سباطين من المؤمنين - قال أنس - حتى استأذن  
على ربي فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت - ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني - قال - ثم يقال ارفع محمد قل  
يسمع واشفع تشفع ، وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيجدي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه  
الثانية فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت - ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه  
واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيجدي حدا فأدخلهم الجنة قال ، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي  
وقعت - أو خررت - ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع  
رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيجدي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول يا رب ما بقى إلا من حبسه  
القرآن » فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال « فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ،  
ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في  
قلبه من الخير ما يزن ذرة » أخرجاه من حديث سعيد به ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن  
ثابت عن أنس بطوله . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري عن النضر  
ابن أنس عن أنس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وآله قال « إني لقايم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام  
فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون - أو قال يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث  
يشاء الله نعم ما هم فيه فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكوة وأما الكافر فينشاه الموت فقال انتظر  
حتى أرجع إليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وآله فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفي ولانبي مرسل فأوحى الله عز وجل  
إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفت في أمتي أن أخرج من كل تسعة  
وتسعين إنسانا واحدا فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاما إلا شفعت حتى أعطاني الله عز وجل  
من ذلك أن قال يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصاً ومات  
على ذلك » (حديث بريدة رضي الله عنه) قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن  
الحارث بن حضيرة عن ابن بريدة عن أبيه أنه دخل على معاوية فإذا رجل يتكلم فقال بريدة يا معاوية تأذن لي في الكلام ؟  
فقال نعم وهو يرى أنه يتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني لأرجو أن  
أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدره » قال فترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها على رضى الله عنه  
(حديث ابن مسعود) قال الإمام أحمد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا سعيد بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا على  
ابن الحكم البناني عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال : جاء ابنا مليكة إلى النبي صلى الله عليه وآله



فقالا: إن أمنا تكرم الزوج وتعطف على الولد ، قال وذكر الضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ، فقال « أمكما في النار » قال فأدبرا والسوء يرى في وجوههما فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شيء ، فقال « أمى مع أمكما » فقال رجل من المنافقين وما يعنى هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الأنصار ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيها . قال فظن أنه من شيء قد سمعه فقال « ما شاء الله ربي وما أطمعني فيه وإنى لأقوم المقام المحمود يوم القيامة » فقال الأنصارى يا رسول الله وما ذلك المقام المحمود ؟ قال ذلك إذا جرى بك حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام فيقول أكسوا خليلي فيؤتى بريطين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد فيبطنى فيه الأولون والآخرون » قال ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض فقال المنافق إنه ماجرى ماء قط إلا طلى حال أو رضراض فقال رسول الله ﷺ « حاله المسك ورضضاره الأولو » فقال المنافق لم أسمع كاليوم فإنه قلما جرى ماء على حال أو رضراض إلا كان له نبت ؟ فقال الأنصارى يا رسول الله هل له نبت ؟ فقال: « نعم ونسبان الذهب » قال المنافق لم أسمع كاليوم فإنه قلما ينبت قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر قال الأنصارى يا رسول الله هل له ثمرة قال « نعم ألوان الجواهر وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظلمأ بعده ومن حرمه لم يرو بعده » وقال أبو داود الطالسي حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم إبراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى أو موسى قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال : ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعا فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفّع وهو المقام المحمود الذى قال الله عز وجل ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا )

( حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسوتى ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود » ( حديث أبي الدرداء رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى ما بين يدي فأعرف أمتى من بين الأمم ومن خلقى مثل ذلك وعن عيني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك » فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك ؟ قال « هم عر محججون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم »

( حديث أبي هريرة رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أبو حيان حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الدرّاع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة وهى تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخريين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من التّم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه بما قد بلغكم ألا تنتظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بأدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول نوح إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضب بعده مثله قط وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم .  
 فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا  
 ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته  
 نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله  
 اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول  
 لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قلت نفساً لم أوامر بقتلها  
 نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكنته ألقاها  
 إلى مريم وروح منه وكنتم الناس فى الهدى صيباً فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول  
 لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى اذهبوا  
 إلى غيرى اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء  
 وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم  
 فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على  
 أحد قبلى ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب أمتى يا رب أمتى يارب ؟  
 فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك  
 من الأبواب ، ثم قال والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة  
 وبصرى ، أخرجاه فى الصحيحين . وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى حدثنى  
 أبو عمار حدثنى عبد الله بن فروخ حدثنى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول  
 من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن  
 يزيد الزعافرى عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )  
 سئل عنها فقالت « هى الشفاعة » رواه الإمام أحمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ( عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ) قال « هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه »  
 وقال عبيد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن طى بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة  
 مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه - قال النبي صلى الله عليه وسلم - فأكون أول  
 من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها ، فأقول أى رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته  
 إلى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال فهو المقام المحمود »  
 وهذا حديث مرسل

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا \* وَقُلْ  
 جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زَهُوْقًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ بمكة ثم  
 أمر بالمجرة فأنزل الله (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً)  
 وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الحسن البصرى فى تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه فأراد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج إلى المدينة فهو الذى قال الله  
 عز وجل (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) الآية ، وقال قتادة (وقل رب أدخلنى مدخل صدق)

يعنى المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعنى مكة ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول هو أشهر الأقوال وقال العوفي عن ابن عباس (أدخلني مدخل صدق) يعنى الموت (وأخرجني مخرج صدق) يعنى الحياة بعد الموت ، وقيل غير ذلك من الأقوال والأول أصح وهو اختيار ابن جرير . وقوله ( واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً ) قال الحسن البصرى فى تفسيرها وعده به لينزع عن ملك فارس وعن فارس وليجعلنه له ، وملك الروم وعن الروم وليجعلنه له . وقال قتادة فيها إن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولقراض الله ، ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم قال مجاهد (سلطاناً نصيراً) حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن و قتادة وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول تعالى ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات - إلى قوله - وأنزلنا الحديد ) الآية . وفى الحديث « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » أى ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع . وقوله (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية : تهديد ووعيد لكفار قريش فإنه قد جاءهم من الله الحق الذى لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع وزهق باطلهم أى اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا يثبت له مع الحق ولا بقاء ( بل تنفذ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ) وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبيد الباطل وما يبيد » وكذا رواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع ومسلم والترمذى والنسائى كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شعبة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما تعبد من دون الله . فأمر بها رسول الله ﷺ فأكبت على وجوهها وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

يقول تعالى محمداً عن كتابه الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أى يذهب ما فى القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزبوع وميل فالقرآن يشفى من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء فى حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيد سماعه القرآن إلا بعدا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ) وقال تعالى ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أئكم زادت هذة إيمانا \* فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون \* وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وما نوا وهم كافرون ) والآيات فى ذلك كثيرة ، قال قتادة فى قوله ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ودعا ( ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ) أى لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعبه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين

﴿ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُغْرِضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ \* قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ

شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو إلا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فإنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال ما يريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه. قال مجاهد بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى ( فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره ) وقوله ( فلما نجأكم إلى البر أعرضتم ) وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب ؛ والحوادث والنوائب ( كان يئوساً ) أى قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى ( ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور \* ) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور \* إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ) وقوله تعالى ( قل كل يعمل على شاكلته ) قال ابن عباس على ناحيته . وقال مجاهد على حدته وطبيعته . وقال قتادة على نيته . وقال ابن زيد دينه وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى . وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى ( وقل للذين لا يؤمنون أعمالوا على مكائتكم ) الآية . ولهذا قال ( قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ) أى منا ومنكم وسيجزى كل عامل بعمله فإنه لا يخفى عليه خافية

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث في المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح : وقال بعضهم لا تسألوه . قال فسألوه عن الروح فقالوا يا محمد ما الروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب قال فظننت أنه يوحى اليه فقال ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) قال : فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه . وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ولفظ البخارى عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا أنا أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال مارابكم اليه ، وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه . فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى اليه فقامت مقامى فلما نزل الوحي قال ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ) الآية وهذا السياق يقتضى فيما يظهر بآدى الرأى أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوهم بالآية المتقدم إنزالها عليه وهى هذه الآية ( ويسألونك عن الروح ) ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) قالوا أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً قال وأنزل الله ( قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر ) الآية . وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال سألت أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح فأنازل الله ( ويسألونك عن الروح ) الآية فقالوا تزعم أننا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ( ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ) قال فنزلت ( ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ) الآية قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله من النار فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل

وقال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أخبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال « كلا قد عنيت » فقالوا إنك تتلوأنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء

فقال رسول الله ﷺ « هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم » وأنزل الله ( ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم )

وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال ( أحدها ) أن المراد أرواح بني آدم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ( ويسألونك عن الروح ) الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يجر إليهم شيئاً فأتاه جبريل فقال له ( قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) فأخبرهم النبي ﷺ بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءني به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدونا فأ نزل الله ( قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه ) وقيل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه ؛ وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر الخلوقات كلها ؛ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ( ويسألونك عن الروح ) يقول الروح ملك . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب بن روق بن هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانه حيث كتبت » وهذا حديث غريب بل منكر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي حدثني عبد الله حدثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في قوله ( ويسألونك عن الروح ) قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم . وقال السهيلي روى عن علي أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة . قال السهيلي وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم ، وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم ، وقوله ( قل الروح من أمر ربي ) أي من شأنه وما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى أن علمكم في علم الله قليل وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فقر في البحر تقرة أي شرب منه بمنقاره فقال يا موسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجبه عماسألوا لأنهم سألوا على وجه التعنت وقيل أجابهم . وعول السهيلي على أن المراد بقوله ( قل الروح من أمر ربي ) أي من شرعه أي فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر والله أعلم . ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي إيمانفس مطمئنة أو أمارة بالسوء ، قال كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطاراً أو سخراً ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل الحجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه ، فحاصل ما تقول إن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم . قلت وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامه وصفوا في ذلك كتبوا من أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده في كتاب سمعناه في الروح

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنُدْهِبَنَّ بِالَّذِي أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا وَكِيلًا \* إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنْ فَضَّلَهُ  
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا \* قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضى الله عنه يطرق الناس ريح حمراء يعنى فى آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى فى مصحف رجل ولا فى قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود ( ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ) الآية ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم وانفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطيع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذى لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له وقد روى محمد ابن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به فأنزل الله هذه الآية . وفى هذا نظر لأن هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به فى المدينة فآله أعلم . وقوله ( ولقد صرّفنا للناس ) الآية . أى بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أى جحودا للحق وردا للصواب

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ  
الْأَنْهَارُ خِلْفَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْفِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَا إِلَهُ كَيْبَلًا \* أَوْ  
يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ  
سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمّية بن خلف والعاص بن وائل ونبها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعدوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك . فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بداء وكان عليهم حريصا يجب رشدهم ويعز عليه عنهم حتى جلس إليهم ، فقالوا يا محمد : إننا قد بعثنا إليك لنعذرك وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقى من قبيح إلا وقد جثته فيها بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فإنا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك ربيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي - فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بي ما تقولون ، ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف ويكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقت منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ولييسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فمسألهم عما تقول حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألتك وصدقوك صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ « ما بهذا بعثت إنما جئتمكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالأسواق وتلمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب فيقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل بالجمامة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوكم لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوكم أن تجعل لهم ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته بما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدهم آياه وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحق حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء . وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أعطيناهم ما سألوها فان كفروا عذبهم عذابا لا أعذبه أحدنا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال : « بلى تفتح عليهم باب التوبة والرحمة كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزيير بن العوام أيضا عند قوله تعالى ( وما منعا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا نوحا والناقة مبصرة فظموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ) . وقال تعالى ( وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا \* أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا \* انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا \* تبارك الذي إن شاء جعل لك خير من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك

قصوراً \* بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً. وقوله تعالى ( حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً )  
الينبوع: العين الجارية سألوه أن يجري لهم عينا معينا في أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير  
لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى ( إن الذين حقت  
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) وقال تعالى ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة  
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ) الآية . وقوله تعالى ( أو تسقط السماء كما زعمت ) أى  
أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتمي وتدلى أطرافها فعجل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفا أى قطعاً كقولهم  
( اللهم إن كان هذا هو الحق من عنك فأمطر علينا حجارة من السماء ) الآية وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا  
( أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ) فما فهم الله بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ،  
وأما نبي الرحمة ونبي التوبة البعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد  
لا يشرك به شيئاً وكذلك وقع فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية  
الذي تبع النبي ﷺ وقال له ما قال أسلم إسلاماً تاماً وأتاب إلى الله عز وجل . وقوله تعالى ( أو يكون لك بيت  
من زخرف ) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من  
ذهب ( أو ترقى في السماء ) أى تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ( ولن نؤمن لريك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه )  
قال مجاهد أى مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه ،  
وقوله تعالى ( قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ) أى سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر  
من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء إن شاء أجابكم إلى ما سألتهم وإن شاء لم يجبكم وما أنا إلا رسول  
إليكم أبلغكم رسالات ربي وأصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتهم إلى الله عز وجل  
قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن إسحق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن علي  
ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « عرض على ربي عز وجل لي جعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت  
لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرك ، وإذا شبعت حمدتك  
وشكرك » ورواه الترمذي في الزهد عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلي بن يزيد  
يضعف في الحديث

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا \* قُلْ لَوْ كَانَ  
فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَشْهَوْنَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٌ رَسُولًا ﴾

يقول تعالى ( وما منع الناس ) أى أكثرهم ( أن يؤمنوا ) ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلاً  
كما قال تعالى ( أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند  
ربهم ) وقال تعالى ( ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا ) الآية ، وقال فرعون وملؤه ( أنؤمن  
لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟ ) وكذلك قالت الأمم لرسولهم ( إن أتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد  
آبائنا فأتونا بسلطان مبين ) والآيات في هذا كثيرة ، ثم قال تعالى منها على لطفه ورحمته بعباده أنه يبعث إليهم الرسول  
من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا  
مواجهته ولا الأخذ عنه كما قال تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ) وقال تعالى ( لقد  
جاءكم رسول من أنفسكم ) وقال تعالى ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب  
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون \* فإذا كروني أذ كركم واشكروا لي ولا تكفرون ) ولهذا قال ههنا ( قل لو كان



في الأرض ملائكة يمشون مطمئين ( أي كما أتم فيها ) لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ( أي من جنسهم . ولما كنتم أتم بشرا بعثنا فيكم رسلا منكم لطفاً ورحمة

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى مرشداً نبيه ﷺ إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به إنه شاهد على وعليكم ، عالم بما جئكم به فلو كنتم كاذبا عليه لا تنقم مني أشد الانتقام كما قال تعالى ( ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ) وقوله ( إنه كان عباده خيرا بصيرا ) أي علميا بهم بمن يستحق الانعام والإحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والاضلال والازاعة ولهذا قال:

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكَمَا وَصَّأْنَا مَاوَاهِمَ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾

يقول تعالى محبرا عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال ( من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ) وقوله : ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ) قال الإمام أحمد حدثنا ابن عمير حدثنا إسماعيل عن نفيح قال سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال « الذي أمسأهم على أرجلهم قادر على أن يشبههم على وجوههم » وأخرجاه في الصحيحين وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا ولا تحلفوا فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج ، فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار ، فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال « يلقى الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة العجبة فيعطها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها » وقوله ( عمياً ) أي لا يبصرون ( وبكاً ) يعني لا ينطقون (وصماً) لا يسمعون وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكياً وعمياً وصماً عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه ( ماوَاهم) أي منقلهم ومصيرهم ( جهنم كلما خبت ) قال ابن عباس سكنت ، وقال مجاهد طفئت ( زدناهم سعيراً ) أي لهباً ووهجا وجرا كما قال ( فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ) .

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِإِنْتِهَائِكُمْ كَفَرُوا بِمَا آتَيْنَا وَقَالُوا أَهَذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نَلْمَعُوا نَارًا لَمْبَعُوتُونَ خَلَقْنَا جَدِيدًا \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾

يقول تعالى هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والوصم جزاؤهم الذي يستحقونه لأنهم كذبوا ( بآياتنا ) أي بأدلتنا وحجتنا واستبعدوا وقوع البعث ( وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتا ) أي بالية نخرة ( أننا لمبعوثون خلقاً جديداً ) أي بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية ؟ فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال : ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ) وقال ( أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي

يخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ( الآية وقال ) أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم \* إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ( إلى آخر السورة . وقال ههنا ( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ) أى يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم ، وقوله ( وجعل لهم أجلا لا ريب فيه ) أى جعل لاعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلا مضروباً ومدة مقدرة لا بد من اهضامها كما قال تعالى ( وما نؤخره إلا لأجل معدود ) وقوله ( فأبى الظالمون ) أى بعد قيام الحججة عليهم ( إلا كفوراً ) إلا تمادياً فى باطلهم وضلالهم .

﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف فى خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق قال ابن عباس وقتادة أى الفقر أى خشية أن تذهبوا مع أنها لا تفرغ ولا تنفذ أبداً لأن هذا من طباعكم وسجياكم ولهذا قال ( وكان الإنسان قتورا ) قال ابن عباس وقتادة أى بخيلاً ممنوعاً ، وقال الله تعالى ( أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ) أى لو أن لهم نصيباً فى ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً ولا مقدار تغير والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه فان البخل والجور والهلوع صفة له كما قال تعالى ( إن الإنسان خلق هالوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا الصالحين ) ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن العزيز ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه وقد جاء فى الصحيحين «يد الله ملائى لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم يفيض ما فى يمينه »

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مُشَبَّهًا \* فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا \* وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَغِيفًا ﴾

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهى العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هى اليد والعصا والحسن فى الأعراف والطمس والحجر ، وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هى يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوى ، وجعل الحسن البصرى السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هى تلقف العصا ما يافكون ( فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ) أى ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وما نجت بهم ، فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوكم ما سألوكم وقالوا إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات ( إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ) قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم ، فهذه الآيات التسع التى ذكرها هؤلاء الأئمة هى المرادة ههنا وهى المعنية فى قوله تعالى ( وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف — إلى قوله فى تسع آيات — إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ) فذكر هاتين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات فى سورة الأعراف وفصلها . وقد أوتى موسى عليه السلام آيات

آخر كثيرة منها ضرب به الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالعمام وإنزال اللن والسوى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها وكفروا وجحدوا . فأما الحديث الذي رواه الإمام حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضى الله عنه قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآيات ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ) فقال لا تنقل له نبي فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيريء إلى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة - أو قال لا تفروا من الزحف شعبة الشاك - وأتم يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت » قبلا يديه ورجليه وقال نشهد أنك نبي قال « فما يمنعك أن تتبعاني ؟ » قال لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي وإنما نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود . فهذا حديث رواه هكذا الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال الترمذى حسن صحيح . وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بال عشر الكلمات فانها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم ، ولهذا قال موسى لفرعون ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ) أى حججاً وأدلة على صدق ما جئتك به ( وإنى لأظنك يا فرعون مشبوراً ) أى هالكا قاله مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس ملعونا ، وقال أيضا هو والضحاك ( مشبوراً ) أى مغلوباً والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله قال الشاعر :

إذا جرى الشيطان في سنن الله \* و من مال ميله مشبور

وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروى ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون كما قال تعالى ( فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ) الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ماتقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله . وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ؟ وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله ابن سلمة فإن له بعض ما ينكر والله أعلم . ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوى بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك والله أعلم وقوله ( فأراد أن يستفهم من الأرض ) أى يخلبهم منها ويزيلهم عنها ( فأغرقناه ومن معه جميعاً وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ) وفي هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها كما قال تعالى ( وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ) الآيتين ولهذا أورد الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلماً وكرماً كما أورد الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأمواهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثناها بني إسرائيل وقال ههنا ( وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيماً ) أى جميعكم أتم وعدوكم ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : لفيماً أى جميعاً

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل أى متضمنا للحق كما قال تعالى ( لکن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ) أى متضمنا علم الله الذى أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه وقوله ( وبالحق نزل ) أى ونزل إليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل اليك بالحق فإنه نزل به شديد القوى الأمين المسكين المطاع فى الملاء الأعلى وقوله ( وما أرسلناك ) أى يا محمد ( إلا مبشرا ونذيرا ) مبشرا لمن أطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين ، وقوله ( وقرآنا فرقناه ) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع إلى رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أى أنزلناه آية مبينا مفسرا ولهذا قال ( لتقرأه على الناس ) أى لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أى ( على مكث ) أى مهل ( ونزلناه تنزيلا ) أى شيئا بعد شيء .

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾

يقول تعالى لبيته محمد ﷺ ( قل ) يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جنتهم به من هذا القرآن العظيم ( آمنوا به أولا تؤمنوا ) أى سواء آمنتم به أم لا فهو حق فى نفسه أنزله الله ونوه بذكره فى سالف الأزمان فى كتبه المنزلة على رسله ، ولهذا قال ( إن الذين أوتوا العلم من قبله ) أى من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم وقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه ( إذا تلى عليهم ) هذا القرآن ( يخرون للأذقان ) جمع ذقن وهو أسفل الوجه ( سجدا ) أى لله عز وجل شكريا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا إن أدركوا هذا الرسول الذى أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون ( سبحان ربنا ) أى تعظيما وتوقيرا على قدرته التامة وأنه لا يخلف العباد الذى وعدهم على أسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا ( سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ) وقوله ( ويخرون للأذقان ييكون ) أى خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله ( ويزيدهم خشوعا ) أى إيمانا وتسليما كما قال ( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ) وقوله ( ويخرون ) عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام \* وليث الكتيبة فى الزدحم

﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا \* وَأُتْبِعَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل اللانعين من تسميته بالرحمن ( ادعوا الله أودعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) أى لافرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى ( هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - إلى أن قال - له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض ) الآية ، وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى سجوده « يا رحمن يا رحيم » فقال إنه يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية ، وكذا روى عن ابن عباس رواهما ابن جرير ، وقوله ( ولا تجهر بصلواتك ) الآية . قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار

بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال : فقال الله تعالى لنيبيه ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سيلا) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به ، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك يفعل أي ذلك شاء ، وقال محمد بن إسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فان خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به (وابتغ بين ذلك سيلا) وهكذا قال عكرمة والحسن البصرى وقتادة نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة ، وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود (ولا تخافت بها) من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته فقيل لأبي بكر لم تصنع هذا ؟ قال أناجى ربي عز وجل وقد علم حاجتي ، فقيل لعمر لم تصنع هذا ؟ قال أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان ، قيل أحسنت فلما نزلت (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وابتغ بين ذلك سيلا) قيل لأبي بكر ارفع شيئا ، وقيل لعمر اخفض شيئا ، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت في الدعاء ، وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء وكذا قال مجاهد وسعيد ابن جبير وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير ، وقال الثوري عن ابن عياش العامري عن عبد الله بن شداد قال كان أعرابي من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم ارزقني إبلا وولداً » قال فنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (قول آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله (قول آخر) قال طلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تصل مراة للناس ولا تدعها مخافة الناس ، وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصرى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تحسن علانيتها وتساء سررتها وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشام عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك (قول آخر) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وابتغ بين ذلك سيلا) قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصبح به ويصبحون هم به وراءه فنهاه أن يصبح كما يصبح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة . وقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (ولم يكن له ولي من الدن) أي ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له قال مجاهد في قوله (ولم يكن له ولي من الدن) لم يخالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد (وكبره تكبيراً) أي عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً ، قال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي انه كان يقول في هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية قال إن اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولداً وقالت العرب : لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء

الله لذل فانزل الله هذه الآية ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ) وقال أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية ( الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ) الآية ، الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ماقرئت في بيت في ليلة فيصيه سرق أو آفة والله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيجان البصرى حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده في يدي أويدي في يده فأني على رجل رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال السقم والضرب يارسول الله قال « ألا أعدك كلمات تذهب عنك السقم والضرب ؟ » قال بلى ، مايسرنى أن شهدت بها معك بدرا أو أحدا ، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال « وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال: فقال أبو هريرة يارسول الله إياي فعلمني قال « ققل يا أبا هريرة توكلت على الحى الذى لا يموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً » قال فأني على رسول الله وقد حسنت حالى قال : فقال لى « مهمم » قال قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التى علمتني ، إسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة .

### ﴿ تفسير سورة الكهف وهى مكية ﴾

﴿ ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم في تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذى من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال حسن صحيح ، ( طريق أخرى ) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به ، وفي لفظ النسائي « من قرأ عشر آيات من الكهف » فذكره ، ( حديث آخر ) وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لميعة حدثنا زبائن بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد له غريب عن خالد بن سعيد بن أبي مرزوق عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفاً ، وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعراني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين » ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم بإسناده أن النبي ﷺ قال « من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نوراً يوم القيامة » وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي عن عبدالله بن مصعب عن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعاً : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال عصم منه .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا \* قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَاسًا شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنْ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا \* مَّا كُنِيْنَ فِيْهِ اَبْدًا \* وَيُنذِرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابٰئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ اِنْ يَقُوْلُوْنَ اِلَّا كَذِبًا ﴾

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها فإنه المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحا بينا جلياً نذيراً للكافرين بشيراً للمؤمنين ولهذا قال (ولم يجعل له عوجاً) أي لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً بل جعله معتدلاً مستقيماً ولهذا قال (قيماً) أي مستقيماً (لينذر بأساً شديداً من لدنه) أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأساً شديداً عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة (من لدنه) أي من عند الله الذي لا يعذب عباده أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد (ويبشر المؤمنين) أي بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجراً حسناً) أي مثوبة عند الله جميلة (ما كئین فيه) في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدین فيه (أبدًا) دائماً لا زوال له ولا انقضاء . وقوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) قال ابن إسحاق وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد اللائكة وهم بنات الله (مالهم به من علم) أي بهذا القول الذي افتروه واثفكوه (ولابآبائهم) أي لأسلافهم (كبرت كلمة) نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه . وقيل على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم يزيد رجلاً قاله بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك ، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فإن هذا تبشيع لمقاتلتهم واستعظام لانفكهم ولهذا قال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال (إن يقولون إلا كذباً) وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث تأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ،

وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ، فأقبل النضر وعقبه حتى قدما على قريش فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أبحار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا فسألوهم عما أمرهم به فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غدا عما سألتكم عنه » ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألتناه عنه وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معابته إياه على حزنه عليهم وخبر مأسألوهم عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ( ويسئلونك عن الروح؟ قال الروح ) الآية .

﴿ فَلَمَّا كَبَبَ بِبَيْحِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا \* إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا \* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾

يقال تعالى مسليا رسوله صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على الشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) وقال ( ولا تحزن عليهم ) وقال ( لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ) باخع أى مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال ( فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ) يعنى القرآن ( أسفا ) يقول لا تهلك نفسك أسفا ، قال قتادة : قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم ، وقال مجاهد جزعا والمعنى متقارب أى لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لادار قرار فقال ( إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ) قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها واتقائها وذهابها وخرابها فقال تعالى ( وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ) أى وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيدا جرزا لا يثبت ولا يتنفع به كما قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى ( وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ) يقول يهلك كل شيء عليها ويبيد وقال مجاهد صعيدا جرزا بلقعا ، وقال قتادة : الصعيد الأرض التى ليس فيها شجر ولا نبات ، وقال ابن زيد : الصعيد الأرض التى ليس فيها شيء . ألا ترى إلى قوله تعالى ( أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ) وقال محمد بن إسحق ( وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ) يعنى الأرض وإن ما عليها لفان وبائد وإن المرجع لألى الله فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا \* إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا \* ثُمَّ بَدَّلْنَا حَفْظَهُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِيَتْلُوا آيَاتِنَا \* أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نُبْحَانَ الْبَيْتِ أَيْدِي الْقَوْمِ فَهُمْ فِي لَمَحْزَاتِهِمُ لَمَّاعُونَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال ( أم حسبت ) يعنى يا محمد ( أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ) أى ليس أمرهم عجيبا فى قدرتنا وسلطاننا فإن



خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا) يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك ، وقال العوفي عن ابن عباس ( أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجا ) يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقم ، وقال محمد بن إسحق ما أظهرت من حججى على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقم ، وأما الكهف فهو الغار في الجبل وهو الذى لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون ، وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس هو واد قريب من أيلة وكذا قال عطية العوفي وقتادة . وقال الضحاك أما الكهف فهو غار الوادى والرقم اسم الوادى وقال مجاهد الرقيم كتاب بنيانهم ويقول بعضهم هو الوادى الذى فيه كهفهم . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله الرقيم كان يزعم كعب أنها القرية ، وقال ابن جريج عن ابن عباس الرقيم الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن إسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس ، وقال ابن جريج أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى أن اسم جبل الكهف بنجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران . وقال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال القرآن أعلمه إلا حنانا والأواه والرقم وقال ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدرى ما الرقيم ؟ كتاب أم بنيان ؟ وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : الرقيم الكتاب ، وقال سعيد ابن جبير : الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم . وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير ، قال الرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتل وللمجروح جرح والله أعلم ، وقوله ( إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ) يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لثلاثيقتنوم عنهم فهربوا منهم فلجأ إلى غار فى جبل ليخفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم ( ربنا آتنا من لدنك رحمة ) أى هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا ( وهيء لنا من أمرنا رشدا ) أى وقدر لنا من أمرنا رشدا هذا أى اجعل عاقبتنا رشدا كما جاء فى الحديث « وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبتنا رشدا » وفى السنن من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وقوله ( فضرنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ) أى ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة ( ثم بعثناهم ) أى من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدرام معه ليشتري لهم بها طعاما يأكلونه كما سيأتى بيانه وتفصيله ولهذا قال ( ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين ) أى المختلفين فيهم ( أحصى لما لبثوا أمدا ) قيل عددا ، وقيل غاية فإن الأمد الغاية كقوله \* سبق الجواد إذا استولى على الأمد \*

﴿ تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا \* هُوَ لَا يَأْتِنَا إِذْ نَسْتَعِينُ بِهِ مِنْ آلِهَةٍ لَوْ لَا يَأْتُونَنَا عَلَيْهِمْ يَلْطَمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا \* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾

من ههنا شرع فى بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانقسموا فى دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ورسوله ﷺ شبابا ، وأما

الشايع من قريش فعاتمهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا قية شباباً ، وقال مجاهد بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعني الحلق فألمهمم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فأمنوا بربههم أى اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو (وزدناهم هدى) استدلل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالى ( وزدناهم هدى ) كما قال (والدين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال ( فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ) وقال (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك . وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فآله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلمة فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمبايئتهم لهم ، وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذى القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم . وقوله ( وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ) يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فانه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويدبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحتمهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذى يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغى إلا لله الذى خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينتجس منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليها وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذى رواه البخارى تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ والناس يقولون :الجنسية علة الضم ، والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدرى أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شئ فليظهر كل واحد منكم بأمره . فقال آخر أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذى يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شئ هو الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الآخر وأنا والله وقع لى كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا خبر تعالى عنهم بقوله ( وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً ) ولن لنفى التأيد أى لا يقع منا هذا أبداً لئلا نلوعنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم ( لقد قلنا إذا شططا ) أى باطلا وكذباً وبهتاناً ( هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ) أى هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً ( فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ) يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أجب عليهم وتهددهم وأمر بزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلمهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو الشرع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه كما جاء في الحديث « يوشك

أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن « ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوم أيضاً بأبدانكم (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم زحمة يستركم بها من قومكم (ويهيئ لكم من أمركم) الذي أتم فيه (مرقفاً) أي أمراً ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف فأووا إليه ففقدتهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كإفعل بنيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يبرون عليه وعندنا قال النبي ﷺ حين رأى جندع الصديق في قوله يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وقد قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزله الله سكنته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزير حكيم) قصة هذا النار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفي هذا نظر والله أعلم . فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرُبُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَبِحُجُوَّةٍ مِّنْهُ فَلَنْ تُحَدِّثَهُ وَلَا يَمُرُّ شَيْئاً ﴾

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص النور عنها كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أي تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم معرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب وبيانه أنه لو كان باب النار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور النور يميناً ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه والله الحمد ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تقرضهم تتركهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منافقهم وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة ، وقال ابن إسحق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد بلقاء والله أعلم بأى بلاد الله هو ، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه فقد قال صلى الله عليه وسلم « ماتركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به » فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) قال مالك عن ابن زيد بن أسلم تميل (ذات اليمين) وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في متسع منه داخل بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا النار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ، ولهذا قال تعالى (ذلك من آيات الله) ثم قال (من يهد الله فهو المهتد) الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداه الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكُنْتُمْ بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فاذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها ، ولهذا قال تعالى ( وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ) وقد ذكر عن الثعلبي أنه ينام فيطبق عينا ويفتح عينا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد كما قال الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى \* بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

وقوله تعالى ( وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ) قال بعض السلف يقبلون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقبلوا لأكلتهم الأرض وقوله ( وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد ) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة : الوصيد الفناء ، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح انه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى ( إنهما عليهم مؤصدة ) أى مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب ، قال ابن جرير يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض بيباهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن اللاتسكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن . وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صعبة الاختيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن . وقد قيل إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه وقيل كلب طباطب الملك وقد كان واقفهم على الدين وصحبه كلبه فأنه أعلم ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الغساني حدثنا عباد الثقفي سمعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم هدهد سليمان عليه السلام عنفز واسم كلب أصحاب الكهف قطير واسم عجل بنى إسرائيل الذي عبده بهموت . وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بمجدة وإبليس بدست بيسان والحية بأصفهان ، وقد تقدم عن شعيب الجبائي أنه ساء حمران واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها بل هي مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب ، وقوله تعالى ( لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملكتم منهم رعبا ) أى أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لاسم حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقض رقبتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا \* إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾

يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئا وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم ( كم لبئتم ؟ ) أى كم رقدتم ( قالوا لبئنا يوما أو بعض يوم ) لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا ( أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبئتم ) أى الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فأنه أعلم ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذلك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا ( فابعثوا أحداكم بورقكم )

أى فضتكم هذه وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا بها وبقى منها فلها قالوا ( فابشوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ) أى مدينتكم التى خرجتم منها والألف واللام للعهد ( فلينظر أيها أركى طعاماً ) أى أطيب طعاماً كقوله ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ) وقوله ( قد أفلح من تزكى ) ومنه الزكاة التى تطيب المال وتطهره وقيل أ كثر طعاما ومنه زكا الزرع إذا كثر قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأتم ثلاثة وللسبع أركى من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً ، وقوله ( ولينظر ) أى فى خروجه وذهابه وشرائه وإيابه يقولون وليختف كل ما يقدر عليه ( ولا يشعرون ) أى ولا يعلمون ( بكم أحداً \* إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم ) أى إن علموا بمكانكم ( يرجوكم أو يعيدوكم فى ملتهم ) يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانكم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم فى ملتهم التى هم عليها أو يموتوا وإن وافقتهم على العود فى الدين فلا فلاح لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ولهذا قال ( ولن تفلحوا إذا أبدا )

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾

يقول تعالى ( وكذلك أعترنا عليهم ) أى أطلعنا عليهم الناس ( ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ) ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج لينذهب إلى المدينة فى شراء شئ لهم لياً كلوه تنكر وخرج بمشى فى غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة وذكروا أن اسمها دقوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحى غير رجاله

فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلد التى يعرفها ولا يعرف أحداً من أهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير فى نفسه ويقول لعل بي جنونا أومساً أو أنا حالم ويقول : والله ما بي شئ من ذلك وإن عهدى بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لى ، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه مامعه من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاماً فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضريها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزنا فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز ومن أنت ؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولى أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير فى حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعوني حتى أتقدمكم فى الدخول لأعلم أصحابى فدخل ، فيقال إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم ، ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلماً فيما قيل واسمه يندوسيس ففرحوا به وأنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل قاله أعلم . قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بكهف فى بلاد الروم فرأوا فيه عظاماً فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلاثمائة سنة رواه ابن جرير وقوله ( وكذلك أعترنا عليهم ) أى كما أرقدناهم وأيقظناهم بيأتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ( ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ) أى فى أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منسكرفجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف

حجة لهم وعليهم (فقالوا ابناو عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) أى سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم لتتخذن عليهم مسجداً) حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين (أحدهما) أنهم المسلمون منهم (والثانى) أهل الشرك منهم فأنه أعلم ، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر ، لأن النبي ﷺ قال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وحالحيم مساجد» يحذر ما فعلوا وقدرونا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال فى زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدوها عنده فيها شئ من الملاحم وغيرها

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَلِمَتَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلِمَتُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلِمَتُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس فى عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله (رجماً بالغيب) أى قولاً بلا علم كمن يرمى إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد . ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله (وثامنهم كلبهم) فدل على صحته وأنه هو الواقع فى نفس الأمر وقوله (قل ربى أعلم بعديهم) إرشاد إلى أن الأحسن فى مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض فى مثل ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس . قال قتادة قال ابن عباس أنا من القليل الذى استثنى الله عزوجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراسانى عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عزوجل ويقول عدتهم سبعة . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (ما يعلمهم إلا قليل) قال أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه

وقال محمد بن إسحق بن يسار عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة سنه وضع الورق . قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم فى عبادة الله ييكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر: مكسطينا وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ويمليخا ومرطونس وكسطونس ويرونس ودينموس ويطبونس وقالوش هكذا وقع فى هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحق ومن بينه وبينه فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعب الجبائى أن اسم كلبهم حمران وفى تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر فى صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) أى سهلاً هيناً فإن الأمر فى معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة (ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أى فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب أى من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذى لا شك فيه ولا مرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْ كُرَّرْتُكَ إِذْ نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾

هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شئ ليفعله فى المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عزوجل علام الغيوب الذى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفى رواية تسعين امرأة وفى رواية مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل فى سبيل الله قليل له - وفى رواية قال

له الملك - قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان ، فقال رسول الله ﷺ  
واللهي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دبركا لحاجته » وفي رواية « ولقناتلوا في سبيل الله فرمانا  
أجمعون » وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة  
أصحاب الكهف «غداً أجيكم» فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنى عن  
إعادته وقوله ( واذكر ربك إذا نسيت ) قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثنى عند ذكره له قاله أبو العالية والحسن  
البصرى ، وقال هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يخلف قال له أن يستثنى ولو إلى سنة وكان  
يقول ( واذكر ربك إذا نسيت ) ذلك قيل للأعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب  
كسائي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الأعمش به . ومعنى قول ابن عباس أنه يستثنى ولو بعد سنة أي  
إذا نسي أن يقول في حلفه أو في كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتياً بسنة  
الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لا أن يكون رافعا لحنث اليمين ومسقطاً  
للكفارة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال  
عكرمة ( واذكر ربك إذا نسيت ) إذا غضبت وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحارث الجبلي حدثنا صفوان بن صالح  
حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ( ولا تقولن لشيء  
إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ) واذكر ربك إذا نسيت ( أن تقول إن شاء الله ، وروى الطبراني أيضاً عن  
ابن عباس في قوله ( واذكر ربك إذا نسيت ) الاستثناء فاستثنى إذا ذكرت ، وقال هي خاصة برسول الله ﷺ  
وليس لأحد منا أن يستثنى إلا في صلة من يمينه ثم قال انفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ، ويحتمل  
في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه  
من الشيطان كما قال فتي موسى ( وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ) وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فإذا ذهب الشيطان  
ذهب النسيان فذكر الله تعالى سبب للذكر ولهذا قال ( واذكر ربك إذا نسيت ) وقوله ( وقل عسى أن يهدين ربي  
لأقرب من هذا رشداً ) أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في  
ذلك ، وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا \* قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
أَبْصَرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله  
وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت  
ما بين كل مائة سنة بالشمسية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهمنا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعاً ، وقوله ( قل الله أعلم بما لبثوا )  
أي إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا ( الله أعلم بما لبثوا  
له غيب السموات والأرض ) أي لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلع عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من  
علماء التفسير كجهاود وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة في قوله ( ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين ) الآية هذا قول أهل  
الكتاب وقدره الله تعالى بقوله ( قل الله أعلم بما لبثوا ) قال وفي قراءة عبد الله وقالوا ولبثوا يعني أنه قاله الناس وهكذا قال  
قتادة ومطرف بن عبد الله وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر فان الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع يعنون  
بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعاً والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا  
اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتاج بها

والله أعلم وقوله (أبصر به وأسمع) أى إنه لبصير بهم مسمع لهم . قال ابن جرير وذلك فى معنى المبالغة فى المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء . ثم روى عن قتادة فى قوله (أبصر به وأسمع) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع . وقال ابن زيد (أبصر به وأسمع) يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم جميعاً بصيراً وقوله (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً) أى انه تعالى هو الذى له الخلق والأمر الذى لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس

﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدِّدًا \* وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس (لا مبدل لكلماته) أى لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل . وقوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) عن مجاهد ملتحداً قال ملجأً وعن قتادة وليا ولا مولى قال ابن جرير يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فانه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة . وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أى اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء ، يقال إنها نزلت فى أشرف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وأمره أن يصبر نفسه فى الجلوس مع هؤلاء فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وقال مسلم فى صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدى عن إسرائيل عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد هو ابن أبى وقاص قال كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) انفراد بإخراجه مسلم دون البخارى . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى التياح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبى أمامة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله ﷺ « قص فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » وقال أحمد أيضاً حدثنا هاشم ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرنى رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبي ﷺ يقول « لأن أقعد فى مثل هذا المجلس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » قال شعبة فقلت أى مجلس قال كان قاصاً وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفاً » فحسبنا دياتهم ونحن فى مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفاً وههنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال إلا ثمانية دية كل واحد



منهم اثنا عشر ألفاً . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن إسحاق الأهوازي حدثنا أبو أحمد الزيري حدثنا عمرو ابن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي ﷺ سكت فقال النبي ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم » هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر مرسلًا وحدثنا يحيى بن المعلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم » وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن بكر ثنا ميمون الرئي ثنا ميمون ابن سياه عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم اجتمعوا يذكرن الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » تفرد به أحمد رحمه الله . وقال الطبراني ثنا إسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض آياته ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرن الله تعالى منهم نائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال « الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أصبر نفسي معهم » عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضى الله عنهم . وقوله ( ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ) قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ) أى شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ( وكان أمره فرطاً ) أى أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعاً له ولا عباً لطريقته ولا تعبط بما هو فيه كما قال ( ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى )

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ولهذا قال ( إنا أعتدنا ) أى أرصدنا ( للظالمين ) وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ( ناراً أحاط بهم سرادقها ) أى سورها . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال « لسرادق النار أربعة جدر كشافة كل جدار مسافة أربعين سنة » وأخرجه الترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره من حديث دراج أبي السمح به

وقال ابن جرير قال ابن عباس ( أحاط بهم سرادقها ) قال حائط من نار . قال ابن جرير : حدثني الحسين بن نصر والعباس بن محمد قالا حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثني محمد بن يحيى بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله ﷺ « البحر هو جهنم » قال فقيل له كيف ذلك ؟ فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية ( ناراً أحاط بهم سرادقها ) ثم قال « والله لا أدخلها أبداً أو ما دمت حياً لا تصيبني منها قطرة » . وقوله ( وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ) الآية قال ابن عباس : المهل الماء الغليظ مثل ددى الزيت ، وقال مجاهد هو كالكدم والقيح وقال عكرمة هو الشيء الذي انتهى جره ، وقال آخرون هو كل شيء أذيب . وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب في أخدود فلما انماع وأزبد قال : هذا أشبه شيء بالمهل . وقال الضحاك : ماء جهنم أسود

وهي سوداء وأهلها سود ، وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود  
 منق غليظ حار ولهذا قال ( يشوى الوجوه ) أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه  
 حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بإسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد  
 الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال « ماء كالمهل قال - كعكر الزيت فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه  
 فيه » وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جامعه من حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به .  
 ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال : وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم عن  
 حسن الأشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك وبقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن  
 عبد الله بن بشر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله ( ويسقي من ماء صديد يتجرعه ) قال : « يقرب إليه  
 فيتكره فإذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه ، يقول الله تعالى ( وإن يستغيثوا يغاثوا  
 بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب ) » وقال سعيد بن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم  
 فيأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش  
 فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم  
 التي قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات النسيعة السيحة ( بئس الشراب ) أي  
 بئس هذا الشراب كما قال في الآية الأخرى ( وسقوا ماء حميما مقطوع أمعاءهم ) وقال تعالى ( تسقى من عين آنية ) أي حارة  
 كما قال تعالى ( وبين حميم آن ) ( وساءت مرتفقا ) أي وساءت النار منزلا ومقيلا ومجمعا وموضعا للارتفاق كما قال في  
 الآية الأخرى ( إنها ساءت مستقرا ومقاما )

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا \* أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي  
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ  
 فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبَّءَ النَّارِ وَالْحَسَنَاتُ مَرْتَفَقًا ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثم بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمرهم  
 به من الأعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الإقامة ( تجرى من تحتهم الأنهار ) أي من تحت غرفهم ومنازلهم .  
 قال فرعون ( وهذه الأنهار تجري من تحتي ) الآية ( يحلون ) أي من الحلية ( فيها من أساور من ذهب ) وقال في المكان  
 الآخر ( ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ) وفصله ههنا فقال ( ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ) فالسندس لباس  
 رفيع رقيق كالقلمصان وما جرى مجراها وأما الإستبرق ففليظ الديباج وفيه بريق وقوله ( متكنين فيها على الأرائك )  
 الاتكاء قيل الاضطجاع وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح « أما أنا فلا آكل  
 متكئا » فيه القولان . والأرائك جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا  
 بالشخانة والله أعلم . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ( على الأرائك ) قال هي الحجال قال معمر وقال غيره السررفي  
 الحجال . وقوله ( نعم الثواب وحسنت مرتفقا ) أي نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت مرتفقا أي حسنت منزلا  
 ومقيلا ومقاما كما قال في النار ( بئس الشراب وساءت مرتفقا ) وهكذا قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله ( إنها  
 ساءت مستقرا ومقاما ) ثم ذكر صفات المؤمنين فقال ( أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين  
 فيها حسنت مستقرا ومقاما )

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا \*

كَلِمَاتِ الْجَنَّتَيْنِ ءَأَتَتْ أَكْثَلَهَا وَلَمْ تَظَلِّمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْمَهُمَا نَهْرًا \* وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا \* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا \* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين واقتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم فضرب لهم ولهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالبخيل المحدقة في جنباتها وفي خلالها الزروع وكل من الأشجار والزروع مشعر مقبل في غاية الجودة ولهذا قال (كلنا الجنتين آتت أكلها) أي أخرجت ثمرها (ولم تظلم منه شيئاً) أي ولم تنقص منه شيئاً (وفجرنا خلالها نهراً) أي والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا (وكان له ثمر) قيل المراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى (وكان له ثمر) بضم الثاء وتسكين المم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب . وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويتأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أي أكثر خدماً وحشماً وولداً . قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفس وقوله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي بكفره وعمده وتكبره وتجبره وإنكاره العاد (قال ما أظن أن تبعد هذه أبداً) وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تنفي ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلته عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت إلى ربي لأجدن منها منقلباً) أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى (ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) وقال (أفأريت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) أي في الدار الآخرة تألى على الله عز وجل . وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ مِمَّنْ مِنْ نَظْفَةِ نُحْمٍ سَوَّكَ رَجُلًا \* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا \* فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوتِيبَٰنِ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا \* أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعطاه وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز (أكفرت بالذي خلقك من تراب) الآية وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) الآية أي كيف تبحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فانه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات لأنه بمثابة فعل إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله لا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن (ولكننا هو الله ربى) أي لكن أنا لا أقول بمقاتلك بل أعترف لله بالوحدانيه والربوبية (ولا أشرك بربى أحداً) أي بل هو الله العبود وحده لا شريك له ثم قال :

(ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) هذا تخصيص وحث على ذلك أي هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت » وكان يتأول هذه الآية ( ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ) قال الحافظ أبو الفتح الأزدي عيسى بن عون عن عبد الملك ابن زرارة عن أنس لا يصح حديثه . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة عن عاصم ابن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله » تفرد به أحمد ، وقد ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال له « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال الإمام أحمد حدثنا بكر بن عيسى حدثنا أبو عوانة عن أبي بلخ عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش؟ » قال : قلت فذاك أبي وأمي قال « أن تقول لا قوة إلا بالله » قال أبو بلخ وأحسب أنه قال « فان الله يقول أسلم عبدي واستسلم » قال فقلت لعمرو قال أبو بلخ قال عمرو قلت لأبي هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها في سورة الكهف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله ( فسي ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ) أي في الدار الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى (حسبا من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهري أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال ( فتصبح صعيدا زلعا ) أي بلقا ترابا أملس لا يشبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذي لا ينبت شيئا وقوله ( أو يصبح ماؤها غورا ) أي غائرا في الأرض وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض فالعائر يطلب أسفلها كما قال تعالى ( قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتهم بما معين ) أي جار وسأخ وقال ههنا ( أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ) والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر :

تظل جياده نوحا عليه \* تقلده أعتبها صفوفا  
بمعنى نائمات عليه

﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا \* هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ الْخَيْرُ نَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

يقول تعالى ( وأحيط بشمره ) بأمواله أو بثاره على القول الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحساب على جنته التي اغتربها وألهمته عن الله عز وجل ( فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ) وقال قتادة يصفق كفيه متأسفا من تلها على الأموال التي أذهبها عليها ( ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا \* ولم تكن له فئة ) أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ( ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا \* هنالك الولاية لله الحق ) اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله ( وما كان منتصرا هنالك ) أي في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدى بقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يقف على ( وما كان منتصرا ) ويبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) ثم اختلفوا في قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الولاية لله أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله ( فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به

مشركين) وكقوله إخباراً عن فرعون ( حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين \* آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ) ومنهم من كسر الواو من الولاية أى هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى ( الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ) ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل كقوله ( ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ) الآية ولهذا قال تعالى ( هو خير ثواباً ) أى جزاء ( وخير عقبا ) أى الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا \* الْأَمْوَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴾

يقول تعالى ( واضرب ) يا محمد للناس ( مثل الحياة الدنيا ) في زوالها وفنائها وانقضائها ( كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ) أى ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله ( أصبح هشياً ) يابسا ( تذروه الرياح ) أى تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال ( وكان الله على كل شيء مقتدراً ) أى هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس ( إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ) الآية وقال في الزمر ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ) الآية وقال في سورة الحديد ( اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ) الآية وفي الحديث الصحيح « الدنيا خضرة حلوة » وقوله ( المال والبنون زينة الحياة الدنيا ) كقوله ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب ) الآية وقال تعالى ( إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ) أى الاقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ، ولهذا قال ( والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف الباقيات الصالحات الصلوات الخمس ، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي فقال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان رضى الله عنه يقول جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ثم قال « من توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بيننا وبينه وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بيننا وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بيننا وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بيننا وبين المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بيننا وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات » قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفرد به ، وروى مالك عن عمارة بن عبدالله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال سألت سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام فقال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقال ابن جريج أخبرني عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا إله إلا الله والله أكبر

وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك ، وقال مجاهد : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ، هن الباقيات الصالحات ، قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزاز عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » قال وحدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال « الملة » قيل وما هي يا رسول الله ؟ قال « التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به

قال وهب أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القى عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال فالتقي فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ماتت الباقيات الصالحات ؟ فقال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : ما زلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول « عرج بي إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مرأمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ثم قال : « أما إنه سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكندهم ومالأمهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم بكندهم ولم يعالئهم على ظلمهم فهو مني وأمانه . ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول الله ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجع بجع لحمس ما أتقلمن في الميزان : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده - وقال - يجع بجع لحمس من لقي الله مستيقنا بهن دخل الجنة : يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالْحساب » وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضى الله عنه في سفر فزل منزلا فقال لعلامة اتتنا بالشفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكثروا أتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، وأسألك لساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستعفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب » ثم رواه أيضاً النسائي من وجه آخر عن شداد بن نحوه . وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفع الجدي عن سعد بن جنادة رضى الله عنه قال : كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأتيت مني عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم هبطت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني ( قل هو الله أحد ) و ( إذا زلزلت ) وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وقال « هن الباقيات الصالحات » وبهذا الإسناد « من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فانها لا تبطل » وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ( والباقيات الصالحات ) قال هي ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلوة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض . وقال العوفي عن ابن عباس : هي السلام الطيب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله

﴿ وَيَوْمَ نَسِيْرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا \* وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا \* وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى : ( يوم تمور السماء مورا \* وتسير الجبال سيرا ) أى تذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى ( وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ) وقال تعالى ( وتكون الجبال كالعهن المنفوش ) وقال ( ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا \* فيذرها قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ) يذكر تعالى أنه تذهب الجبال وتتساوى المساد وتبقى الأرض قاعا صافيا أى سطحا مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أى لا وادى ولا جبل ولهذا قال تعالى ( وترى الأرض بارزة ) أى بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يوارى أحدا بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقادة ( وترى الأرض بارزة ) لا حجر فيها ولا غيابة قال قتادة : لا بناء ولا شجر . وقوله ( وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ) أى وجمعناهم الأولين منهم والآخرين فلم تترك منهم أحدا لا صغيرا ولا كبيرا كما قال ( قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ) وقال ( ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ) وقوله ( وعرضوا على ربك صفا ) يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا كما قال تعالى ( يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ) ويحتمل أنهم يقومون صفوفا صفوفا كما قال ( وجاء ربك والملك صفا صفا ) وقوله ( لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ) هذا تفرغ للمكركين للمعاد ، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد ، ولهذا قال تعالى مخاطبا لهم ( بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ) أى ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن وقوله ( ووضع الكتاب ) أى كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ( ترى المجرمين مشفقين مما فيه ) أى من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ( ويقولون يا ويلتنا ) أى يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا ( ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ) أى لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر إلا أحصاها أى ضبطها وحفظها . وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال لما فرغ رسول الله ﷺ من عزوة حين نزلنا قفرا من الأرض ليس فيه شيء فقال النبي ﷺ « اجتمعوا من وجد عودا فليأت به ومن وجد حطباً أو شيئا فليأت به » قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركابا فقال النبي ﷺ « أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليترك الله رجلا ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه » وقوله ( ووجدوا ما عملوا حاضرا ) أى من خير وشر كما قال تعالى ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ) الآية

وقال تعالى ( يَبْنِىَ الْإِنْسَانَ يَوْمِئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ) وقال تعالى ( يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ) أى تظهر الخبائآت والضمائر. قال الإمام أحمد حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله ( ولا يظلم ربك أحدا ) أى فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ولا يظلم أحدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملا النار من الكفار وأصحاب المعاصى ثم ينجي أصحاب المعاصى ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذى لا يجور ولا يظلم قال تعالى ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ) الآية : وقال ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا - إلى قوله - حاسين ) والآيات في هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد السكى عن عبد الله بن محمد ابن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغنى حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت بهيرا ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهرا حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يظأ ثوبه فاعتقتنى واعتقته فقلت حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى القصص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمع فقلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراة غرلا بهما » قلت وما بهما ؟ قال « ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الدين لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة قال : قلنا كيف وإنما نأتى الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » وعن شعبة عن العوام بن مزاحم عن أنى عثمان بن عفان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجلاء لتقتص من القرناء يوم القيامة » رواه عبد الله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ) وعند قوله تعالى ( إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون )

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾

يقول تعالى منها بنى آدم على عدواة إبليس لهم ولأبهم من قبلهم ومقرع لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه وهو الذى أنشأه وابتداه، وبألطافه رزقه وغذاه، ثم بعد هذا كله والى إبليس وعادى الله، فقال تعالى ( وإذ قلنا للملائكة ) أى لجميع الملائكة كما تقدم تقديره فى أول سورة البقرة ( اسجدوا لآدم ) أى سجود تشرىف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى ( وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ) وقوله ( فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ) أى خانه أصله فانه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهمذا دخل فى خطابهم وعصى بالخالفة » ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أى على أنه خلق من نار كما قال ( أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ) قال الحسن البصرى ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه ، وقال الضحاك عن ابن عباس : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم



الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة وخلق الملائكة من نور غير هذا الحى قال وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون في طرفها إذا التهب وقال الضحاك أيضا عن ابن عباس كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) قال ابن عباس قوله (كان من الجن) أى من خزان الجنان كما يقال للرجل مكى ومدنى وبصرى وكوفى وقال ابن جرير عن ابن عباس نحو ذلك ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد به ، وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا ، وقال ابن إسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حى يسمون جنا . وقال ابن جرير عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبى نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فمسخه شيطانا رجيا لعنه الله مسوخا قال وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه وإذا كانت في معصية فارجه ، وعن سعيد بن جبير أنه قال كان من الجنان الذين يعملون في الجنة وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا وفي القرآن غنية عن كل معاده من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تعديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين واتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبيّنوا ضحيجه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل ، وقوله (فسق عن أمر ربه) أى فخرج عن طاعة الله فإن الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكامها وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعث والفساد ثم قال تعالى مفرقا وموبخا لمن اتبعه وأطاعه (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية أى بدلا عنى ولهذا قال (بئس للظالمين بدلا) وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء في سورة يس (وامتازوا اليوم أيها المجرمون - إلى قوله - أفلم تكونوا تعقلون)

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئا ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين ، يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدى ليس معى في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير\* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية ولهذا قال (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال مالك : أعوانا

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا \* وَرَأَىٰ

الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقريباً لهم وتوبيخاً ( نادوا شركائهم الذين زعمتم ) أى فى دار الدنيا ادعوهم اليوم ينقدونكم مما أتم فى كإقال تعالى ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتهم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فىكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ) وقوله ( فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ) كإقال ( وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ) الآية ، وقال ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له ) الآيتين وقال تعالى ( واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا \* كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ) وقوله ( وجعلنا بينهم موبقا ) قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكا ، وقال قتادة ذكركنا أن عمرا البكالى حدث عن عبدالله بن عمرو قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة: موبقا واديا فى جهنم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول فى قول الله تعالى ( وجعلنا بينهم موبقا ) قال واد فى جهنم من قيح ودم ، وقال الحسن البصرى موبقا عداوة والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون واديا فى جهنم أو غيره والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التى كانوا يزعمون فى الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها فى الآخرة فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير . وأما إن جعل الضمير فى قوله بينهم عائدا إلى المؤمنين والكافرين كإقال عبد الله بن عمرو إنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى ( ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون ) وقال ( يومئذ يصدعون ) وقال تعالى ( وامتازوا اليوم أيها المجرمون ) وقال تعالى ( ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزبلنا بينهم - إلى قوله - وضل عنهم ما كانوا يفترون ) وقوله ( ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ) أى أنهم لما عابثوا جهنم حين جىء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك ( فإذا رأى المجرمون النار ) تحققوا لاهمالهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل لهم والحزن لهم فان توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله ( ولم يجدوا عنها مصرفا ) أى ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها . قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها موقعة من مسيرة أربعين سنة » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل فى الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها موقعة من مسيرة أربعين سنة »

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

يقول تعالى ولقد بينا للناس فى هذا القرآن ووضعنا لهم الأمور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الإنسان كثير المجادلة والخاصمة والمعارضة للحق بالباطل لإمن هدى الله وبصره . لطريق النجاة . قال الإمام أحمد حدثنا أبو الجمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني على بن الحسين أن حسين بن على أخبره أن على بن أبى طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال « ألا تصليان » فقالت يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول ( وكان الإنسان أكثر شىء جدلا ) أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ \* وَمَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُوعًا ﴿

يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات وأنه مامنهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عياناً كما قال أولئك لنبيهم (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) وآخرون قالوا (اتننا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وقالت قريش (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (وقالوا يا أيها الذي نزل عليك الذكر إنك لمجنون لو ما أتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ثم قال (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم (أو يأتيهم العذاب قبلاً) أي يرونه عياناً مواجهة ومقابلة ثم قال تعالى (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم ثم أخبر عن الكفار بأنهم (يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق الذي جاءهم به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم) واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً أي اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بست بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب (هزوا) أي سخروا منهم في ذلك وهو أشد التكذيب

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ \* وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا \* وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِقَابِهِمْ مَوْعِدًا ﴿

يقول تعالى وأي عباد الله ممن ذكر آيات الله فأعرض عنها أي تناسها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالا (ونسى ما قدمت يداها) أي من الأعمال السيئة والأعمال القبيحة (إنا جعلنا على قلوبهم) أي قلوب هؤلاء (أكنة) أي أغشية وغشاوة (أن يفقهوه) أي لثلا يفهموا هذا القرآن والبيان (وفي آذانهم وقراً) أي صمما معنويًا عن الرشد (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) وقوله (وربك الغفور ذو الرحمة) أي ربك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما قال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال (وإن ربك لندو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) والآيات في هذا كثيرة شتى ثم أخبر أنه يحلم ويستروى بغفره ورحمته بعضهم من النعمى إلى الرشد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ، ولهذا قال (بل لهم موعد لئن يجدوا من دونه موثلاً) أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل وقوله (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) أي الأمم السالفة والقرون الحالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم (وجعلنا لملئكم موعداً) أي جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص أي وكذلك أتم أيها المشركون اخذوا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذر

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْبِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا \* فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ إِتْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا \*  
قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي  
الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا \* فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً  
مِّنْ عِنْدِنَا وَعِلْمَةً مِّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿

سبب قول موسى لفته وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبدا من عباد الله بجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحظ به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفته ذلك ( لا أبرح ) أى لأزال ساثرا ( حتى أبلغ مجمع البحرين ) أى هذا المكان الذى فيه مجمع البحرين . قال الفرزدق : فما برحوا حتى تهادت نساؤهم \* يطحاء ذى قار عياب اللطائم \* قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس بمابلى المشرق وبحر الروم بمابلى المغرب ، وقال محمد بن كعب القرظى مجمع البحرين عند طنجة يعنى فى أقصى بلاد المغرب والله أعلم ، وقوله ( أو أمضى حقا ) أى ولو أتى أسير حقا من الزمان قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب فى لغة قيس سنة ثم قد روى عن عبد الله ابن عمرو أنه قال الحقب ثمانون سنة ، وقال مجاهد سبعون خريفا ، وقال طلى بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ( أو أمضى حقا ) قال دهرى ، وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك . وقوله ( فلما بلغنا مجمع بينهما نسيا حوتهما ) وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له متى قعدت الحوت فهو ثمة فساروا حتى بلغنا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فاما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان فى مكنتل مع يوشع عليه السلام وطفرو من المكنتل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت فى البحر فجل يسير فى الماء والماء له مثل الطاق لا يلتم بعده ، ولهذا قال تعالى ( واتخذ سبيله فى البحر سربا ) أى مثل السرب فى الأرض قال ابن جرير قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر . وقال العوفى عن ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئا من البحر إلا ييس حتى يكون صخرة وقال محمد بن إسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انحباب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذى فيه فانحباب كالسكوة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال ( ذلك ما كنا نبغى ) وقال قتادة سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فيه فجعل لايسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا وقوله ( فلما جاوزا ) أى المكان الذى نسيا الحوت فيه ونسب النسيان إليهم وإن كان يوشع هو الذى نسيه كقوله تعالى ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) وإنما يخرج من المالح على أحد القولين فلما ذهب عن المكان الذى نسيه فيه بمرحلة ( قال ) موسى ( لفته آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا ) أى الذى جاوزا فيه المكان ( نصبا ) يعنى تعباً ( قال أرايت إذ أويينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ) قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكره ولهذا قال ( فاتخذ سبيله ) أى طريقه ( فى البحر عجا قال ذلك ما كنا نبغى ) أى هذا هو الذى نطلب ( فارتدا ) أى رجعا ( على آثارهما ) أى طريقهما ( قصصا ) أى يقصان آثار مشيها ويقفوان أثرهما ( فوجدوا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلما من لدنا علماً ) وهذا هو الحضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفیان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى سعيد بن جبیر قال: قلت لابن عباس إن نوحا البكالى يزعم أن موسى صاحب الحضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فستل أى الناس أعلم ؟ قال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إن لى عبدا بجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يارب وكيف لى به ؟ قال تأخذ معك حوتنا فتجعله بمكنتل فحيها فقعدت

الحوت فهو ثم فأخذ حوتاً فجعله بمكبل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت في المكبل فخرج منه فسقط في البحر فانخذ سبيله في البحر سرى وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصارع عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهدما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه ( آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المسكان الذي أمره الله به ، قال له فتاه ( رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ) قال فكان للحوت سرى ولموسى وفتاه عجباً ، فقال ( ذلك ما كنا نبغي فارتداً على آثاريها قصصاً ) قال فرجما يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الحضير وأنى بأرضك السلام . فقال أنا موسى . فقال موسى بن إسرائيل ؟ قال نعم قال أنتك لتعلمي مما علمت رشداً ( قال انك لن تستطيع معي صبرا ) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لأعلمه . فقال موسى ( ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ) قال له الحضير ( فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ) فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكاحوهم أن يحماوهم فمرفوا الحضير فحملوهم بغير نول ، فلما ركبا في السفينة لم ينجأ إلا والحضير قد قاع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم ، فقال له موسى قد حملونا بغير نول فعدت إلى سفينتهم فخرقتها لتفرق أهلها ؟ لقد جئت شيئاً إمراً ( قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم - فكانت الأولى من موسى نسياناً قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين فقال له الحضير : ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فبينما يمسيان على الساحل إذ أبصر الحضير غلاماً يلبس مع الغلمان فأخذ الحضير رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى ( أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ) قال وهذه أشد من الأولى ، ( قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ) أي ماثلاً فقال الحضير بيده ( فأقامه ) فقال موسى : قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ( اوشئت لاتخذت عليه أجراً ، قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها » قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ ( وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ) وكان يقرأ ( وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ) ثم رواه البخاري عن قتبية عن سفيان بن عيينة فذكر نحوه وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام ، قال سفيان وفي حديث عن عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكبل فدخل البحر ، فلما استيقظ قال موسى لفتاه ( آتنا غداءنا ) قال وساق الحديث ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الحضير لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره وذكر تمامه بنحوه وقال البخاري أيضاً حدثنا إبراهيم ابن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني فقلت أي أبا عباس جملني الله فذلك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بن إسرائيل أما عمرو فقال لي قال كذب عدو الله وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « موسى رسول الله ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون وورقت القلوب ولي ، فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ قال لا : فعنب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله ، قيل بلى قال أي رب ، وأين ؟ قال بجمع البحرين ، قال أي رب اجعل لي علماً

أعلم ذلك به . قال لي عمرو قال حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى خذ حوتاميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتاً فجمعه في مكنل فقال لفتاه لأ كلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفك كبيراً فذلك قوله ( وإذ قال موسى لفتاه ) يوشع بن نون ليست عند سعيد بن جبير قال فيينا هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ يضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لأوقظته حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ويضرب الحوت حتى دخل في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره في حجر قال : فقال لي عمرو هكذا كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليهما قال ( لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعاً فوجدا خضراً قال : قال عثمان بن أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بأرضي من سلام ؟ من أنت ؟ قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم قال فما شأنك ؟ قال : جئتك لتعلمني مما علمت رشداً قال أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى إذا ركبا في السفينة وجد الماء برصغراً تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا لسعيد بن جبير خضر قال نعم لأنحمله بأجر فخرقها وتود فيها وتدا قال موسى ( أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ) قال مجاهد منكر أقال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً كانت الأولى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً فانطلقا حتى لقياً غلاماً فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلاماً يتعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين فقال أقتلت نفساً زكية لم تعمل الحنث وابن عباس قرأها زكية زكية مسلمة كقولك غلاماً زكياً فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن يتقص فأقامه قال بيده هكذا ودفع بيده فاستقام قال لوشئت لا تأخذت عليه أجراً قال يعلى حسبت أن سعيداً قال فسحبه بيده فاستقام قال لوشئت لا تأخذت عليه أجراً قال وكان وراءهم ملك وكان أمامهم قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد انه هدد بن برد والقلام المقتول اسمه يزعمون حيسور ملك يأخذ كل سفينة غصبا فأردت إذا هي مرت به أن يدعها بعينها فإذا جاوزوا أصلحوها فاتفعوا بها منهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالثار كان أبواه مؤمنين وكان هو كافراً فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً أن يجملمهما جبه على أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلهمار بهما خيراً منه زكاة كقوله ( أقتلت نفساً زكية ) وقوله ( وأقرب رحماً ) هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبيرانهما أبدالاً جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد أنها جارية وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بني إسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره مني فأمر أن يلقى هذا الرجل فدكر نحو ما تقدم زيادة وتقضان والله أعلم وقال محمد بن إسحق عن الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس إن نوحاً بن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى النبي الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميثا ، قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا ياسعيد ؟ فقلت له نعم أنا سمعت نوحاً يقول ذلك قال أنت سمعته ياسعيد قال قلت نعم قال كذب نوف . ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى بن إسرائيل سأل ربه فقال أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فداني عليه فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعمت له مكانه وأذن له في لقيه ، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت مليح قد قيل له إذا حي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقارنه شيء ميت إلا حي فلما نزلوا ومس الحوت الماء حي فأخذ سبيله في البحر سرباً فانطلقا فلما جاوزا النقلة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، قال الفتى وذكر رأيته إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت

وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا ، قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حتى إذا اتبها إليها فإذا رجل متلفف في كساء له فسلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له ما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل قال له موسى جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال ( وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ) أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم ( قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ) وإن رأيت ما يخالفني ، قال ( فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء ) وإن أنكرته ( حتى أحدث لك منه ذكرا ) فانطلق يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسأل أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطمأنأ فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقارآله ومطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى ورأى أمرا أفضح به ( أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا \* قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا \* قال لا تؤاخذني بما نسيت ) أي بما تركت من عهدك ( ولا ترهقني من أمري عسرا ) ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ولا أئمرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجرا فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله ، قال فرأى موسى أمرا فظيما لا صبر عليه ، صبي صغير قتله لا ذنب له قال ( أقتلت نفسا زكية ) أي صغيرة ( بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا \* قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا \* قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ) أي قد أعذرت في شأني ( فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ) فهدمه ثم قعد بينيه ، فضجر موسى بما يراه يصنع من التكليف وما ليس عليه صبر فأقامه قال ( لو شئت لاتخذت عليه أجرا ) أي قد استطعناهم فلم يطعمونا وضمناهم فلم يضيفونا ثم قعدت تعمل من غير صنيعه ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله ، قال ( هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا \* أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ) وفي قراءة أبي بن كعب ( كل سفينة صالحة ) وإنما عيبها لأرده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بها ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ) أي ما فعلته عن نفسي ( ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز إلا علما ، وقال العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله في الأرض وقال كلم الله نبيكم تكليما واصطفاني لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنيبكم أفضل أهل الأرض وأتم تفرءون التوراة فلم يترك نعمته أنعم الله عليهم إلا وعرفهم إياها . فقال له رجل من بني إسرائيل هم كذلك يا نبي الله قد عرفنا الذي تقول فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا . فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع على بلى إن لي على شط البحر رجلا هو أعلم منك . قال ابن عباس هو الخضر ، فسأل موسى ربه إن يريه إياه ، فأوحى إليه أن أنت البحر فإنك تجد على شط البحر حوتا فخذ فادهه إلى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فم تجد العبد الصالح الذي تطلب . فلما طال سفر موسى نبي الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه ( رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فأني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ) لك ، قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربرا فأعجب ذلك ، فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى وجعل

موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس عنه الماء حتى يكون صخرة فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت جزيرة من جزائر البحر فلقى الحضرة بها فسلم عليه فقال الحضرة عليك السلام ، وأتى يكون السلام بهذه الأرض ومن أنت؟ قال أنا موسى . قال الحضرة : صاحب بنى إسرائيل؟ قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك؟ قال جئتك (على أن تعلمي مما علمت رشدا) \* قال إنك لن تستطيع معي صبرا) يقول لا تطيق ذلك قال (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) قال فانطلق به وقال له : لا تسألني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله (حتى أحدث لك منه ذكرا) وقال الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحري بن قيس بن حصن الفزارى في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أني بن كعب فدعا ابن عباس فقال إنى تماريت أنا وصاحبى هذا في صاحب موسى الذى سئل السبيل إلى لقيه فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بيننا موسى في ملا من بنى إسرائيل إذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك؟ قال لا ، فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فقى موسى لموسى رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت قال موسى (ذلك ما كنا نبع فارتما على آثارهما قصصا) فوجدا عبدنا خضرا فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا \* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ، قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا \* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

خبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الحضرة الذى خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الحضرة (قال له موسى هل أتبعك) سؤال تلتطف لا على وجه الاثام والاجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله (أتبعك) أى أصحابك وأراقفك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمرى من علم نافع وعمل صالح فعندها (قال) الحضرة لموسى (إنك لن تستطيع معي صبرا) أى إنك لا تقدر على مصاحبتى لما ترى منى من الأفعال التى تخالف شريعتك لأنى على علم من علم الله ما علمك الله وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحبتى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) فانا أعرف أنك ستكره على ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلمت على حكمته ومصالحته الباطنة التى اطلمت أنا عليها دونك (قال) أى موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) أى على ما أرى من أمورك (ولا أعصى لك أمرا) أى ولا أخالفك في شيء فعند ذلك شارطه الحضرة عليه السلام (قال فان اتبعتنى فلا تسألني عن شيء) أى ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني

قال ابن جرير حدثنا حميد بن جبير حدثنا يعقوب عن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أى رب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أفضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يتبعى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى قال أى رب هل في أرضك أحد أعلم منى قال نعم قال فمن هو ، قال الحضرة قال وأين أطلبه؟ قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى إنى أحب أصحابك قال إنك لن تطيق صحبتى قال بلى قال فان صحبتى (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) قال فسار به في البحر حتى انتهى



إلى مجمع البحرين وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه قال وبعث الله الحطاف فجعل يستقي منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا الحطاف رزاً من هذا الماء قال ما أقل مارزاً قال يا موسى فإن على وعلمك في علم الله كم قدر ما استقى هذا الحطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فن ثم أمر أن يأتي الحضر وذ كرتام الحديث في خرق السفينة وقتل الفلام وإصلاح الجدار وتفسيره له ذلك .

﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه وهو الحضر أنهما انطلقا لما تواقفا واصطحبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذى يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه ويأنه فركبا في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة وأنهم عرفوا الحضر فحملوهما بعير نول يعنى بعير أجرة تكمة للحضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولجبت أى دخلت اللجة قام الحضر فخرقها واستخرج لوحا من ألواحها ثم رقعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه ( أخرقتها لتغرق أهلها ) وهذه اللام العاقبة للام التعليل كما قال الشاعر :

\* لدوالوت وابنوا للخراب \* ( لقد جئت شيئا إمرا ) قال مجاهد منكراً وقال قتادة عجا فبندها قال له الحضر مذ كرا بما تقدم من الشرط ( ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ) يعنى وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الأمور التى اشترطت معك أن لا تنكر على فيها لأنك لم تحط بها خبرا ولما دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت ( قال ) أى موسى ( لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ) أى لا تضيق على ولا تشدد على ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « كانت الأولى من موسى نسيانا »

﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾

يقول تعالى ( فانطلقا ) أى بعد ذلك ( حتى إذا لقيا غلاما قتلته ) وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى وأنه عمده إليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأضوأهم قتلته ، وروى أنه احتز رأسه وقيل رضخه بحجر ، وفي رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر فقال ( أقتلت نفسا زكية ) أى صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إنما بعد قتلته ( بعير نفس ) أى بغير مستند لقتله ( لقد جئت شيئا نكرا ) أى ظاهر النكارة ( قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ) فأكد أيضا في التذكار بالشرط الأول فلماذا قال له موسى ( إن سألتك عن شيء بعدها ) أى إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ( فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ) أى قد أعذرت إلى مرة بعد مرة ، قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم « رحمة الله علينا وعلى موسى لولبت مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا » مثقلة

﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابْوَأَ أَنْ يُضْفِرُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا \* قَالَ هَذَا قِرَانُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عنهما إنهما ( انطلقا ) بعد اللتين الأوليين ( حتى إذا أتيا أهل قرية ) روى ابن جرير عن ابن سيرين

أنها الأبله ، وفي الحديث « حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً » أى بخلاء ( فأبوا أن يضيفوها فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ) إسناد الإرادة هنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الليل والانتقاض هو السقوط ، وقوله ( فأقامه ) أى فرده إلى حالة الاستقامة ، وقد تقدم في الحديث أنه رده بيديه ودعاه حتى ردميله وهذا خارق فعد ذلك قال موسى له ( لو شئت لاتخذت عليه أجرآ ) أى لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي أن لا تعمل لهم مجاناً ( قال هذا فراق بيني وبينك ) أى لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك ( سأنتك بتأويل ) أى بتفسير ( ما لم تستطع عليه صبرا )

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى عليه السلام وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الحضر عليه السلام على حكمة باطنه فقال إن السفينة إنما خرقها لأعيابهم لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة ( يأخذ كل سفينة ) صالحة أى جيدة ( غصبا ) فأردت أن أعيابها لأرده عنها لعبها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها وقيل إنهم أيتام ، وروى ابن جريج عن وهب بن سلمان عن شعيب الجبائي أن اسم ذلك الملك هدد بن بدد وقد تقدم أيضاً في رواية البخاري وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن إسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة والله أعلم

﴿ وَأَمَّا الْكُلْبُ فَكَانَ آبَاءَ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا \* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْا وَأَقْرَبَ رِجْحًا ﴾

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه حثور . وفي هذا الحديث عن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الغلام الذي قتله الحضر طبع يوم طبع كافرآ » رواه ابن جرير من حديث ابن إسحاق عن سعيد بن عباس به ، ولهذا قال ( فكان آبوا مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ) أى يحملهما حبه على متابعتة على الكفر ، قال قتادة قد فرح به آبوا حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فلبرض امرؤ يقضاه الله فإن قضاه الله للمؤمن فيما يكره خيره من قضاؤه فيما يحب وصح في الحديث « لا يقضى الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له » وقال تعالى ( وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ) وقوله ( فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ) أى ولداً أركى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جريج وقال قتادة أبروا الولد وقد تقدم أنهما بدلا جارية. وقيل لما قتله الحضر كانت أمه حاملاً بغلام مسلم قاله ابن جريج

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولاً ( حتى إذا أتيا أهل قرية ) وقال ههنا ( فكان لغلامين يتيمين في المدينة ) كما قال تعالى ( فكأن من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ) ( وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) يعنى مكة والطائف ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما . قال عكرمة وقاتة وغير واحد كان تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال العوفي عن ابن عباس كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد

ابن جبير ، وقال مجاهد صحف فيها علم ، وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك . قال حافظ أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث ابن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس النسائي عن أبي حنيفة عن أبي ذر رفته قال : إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لا إله إلا الله محمد رسول الله . وبشر بن المنذر هذا يقال له قاضي المصيبة قال حافظ أبو جعفر العتيلي في حديثه وهم وقد روى في هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير في تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب ابن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن قال : سمعت الحسن يعني البصري يقول في قوله ( وكان تحته كنز لهما ) قال لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله . وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عباس عن عمر مولى غفرة قال إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف ( وكان تحته كنز لهما ) قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحدثني أحمد بن حازم الغفاري حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى ( وكان تحته كنز لهما ) قال سطران ونصف لم يتم الثالث : عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت للمؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح . وقد قال الله ( وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين ) قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساء وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة وورد به الحديث المتقدم وإن صح لا ينافي قول عكرمة إنه كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مما زادوا أنه كان مودعاً فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم . وقوله ( وكان أبوهما صالحا ) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم أنه كان الأب السابع فآله أعلم . وقوله ( فأراد ربك أن يبلغنا أشدها ويستخرجنا من كنفها ) ههنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله ، وقال في العلام ( فأردنا أن يبدلنا ربهما خيراً منه زكاة ) وقال في السفينة ( فأردت أن أعيها ) فآله أعلم . وقوله تعالى ( رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ) أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدي العلام ووالدي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري أي لكنت أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال في قوله الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله ( فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً ) روي آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي في تفسيره وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيا بل كان وليا فآله أعلم . وذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر بلياً بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه وذكروا في ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية وإسناده ضعيف ، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض » وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين الجن والإنس وقد قال « لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي » وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخضر قال « إنما سمى خضراً لأنه جلس على فروة يضاء فإذا هي تهتز من تحته خضراء » ورواه أيضاً عن عبد الرزاق وقد ثبت أيضاً في صحيح البخاري عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خضراء » والراد بالفروة هنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات ، قاله عبد الرزاق . وقيل المراد بذلك وجه الأرض وقوله ( ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا ) أي هذا تفسير ماضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال ( تستطع ) وقبل ذلك كان الأشكال قويا ثقيلا فقال ( سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف كما قال ( فما استطاعوا أن يظهروه ) وهو الصعود إلى أعلاه ( وما استطاعوا له تقبا ) وهو أشق من ذلك فقابل كلاهما يناسبه لفظاً ومعنى والله أعلم . فان قيل : فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما ، وفتى موسى معه تبع ، وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟ وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني ابن إسحاق عن الحسن بن عمارة عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر في حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذه العالم فطابق به سفينة ثم أرسله في البحر فانها لتتوج به إلى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب ، إسناده ضعيف والحسن متروك وأبوه غير معروف

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ ( ويسئلونك ) يا محمد ( عن ذى القرنين ) أى عن خبره . وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سلوه عن رجل طواف في الأرض ، وعن فتية مايدرى ما صنعوا ، وعن الروح ، فنزلت سورة الكهف ، وقد أوردا بن جرير ههنا والأموى في مغازيه حديثاً أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن قرأ من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شاباً من الروم وأنه بنى الاسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل ، والعجب أن أبازرعة الرازى مع جلالة قدره ساقه بتامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة أنه من الروم وإنما الذى كان من الروم الاسكندر الثانى وهو ابن فيليس المقدونى الذى تؤرخ به الروم ، فأما الأول (١) فقد ذكر الأزرقى وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام ، وأما الثانى فهو اسكندر بن فيليس المقدونى اليونانى وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم . وهو الذى تؤرخ من مملكته مائة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة ، فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرقى وغيره وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قربانا ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية والله الحمد . وقال وهب بن منبه : كان ملكا وإنما سمي ذا القرنين

(١) قوله فأما الأول الخ كذا بالنسخ وفي العبارة شبه تكرار فحرقاه .

لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ، قال : وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك الروم وفارس ، وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين ، وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين فقال كان عبداً ناصحاً لله فناصره دعا قومه إلى الله فضر به على قرنه فمات فآجياه الله فدعا قومه إلى الله فضر به على قرنه فمات فسمى ذا القرنين ، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع علياً يقول ذلك ، ويقال إنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغرب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب ، وقوله ( إنا مكنا له في الأرض ) أى أعطيناه ملكاً عظيماً يمكننا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغرب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك البلاد وخدمته الأمم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها ، وقوله ( وآتيناه من كل شيء سبياً ) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وقاتدة والضحاك وغيرهم: يعنى علماً ، وقال قاتدة أيضاً فى قوله ( وآتيناه من كل شيء سبياً ) قال منازل الأرض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله ( وآتيناه من كل شيء سبياً ) قال تعليم الألسنة قال كان لا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم ، وقال ابن لهيعة حدثنى سالم ابن غيلان عن سعيد بن أبى هلال أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الأحبار أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثرى ؟ فقال له كعب إن كنت قلت ذلك فإن الله قال ( وآتيناه من كل شيء سبياً ) وهذا الذى أنكره معاوية رضى الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب والحق مع معاوية فى ذلك الإنكار فإن معاوية كان يقول عن كعب إن كنا لنبلو عليه الكذب يعنى فيما ينقله لأنه كان يعتمد نقل ما ليس فى صحفه ولكن الشأن فى صحفه أنها من الاسرائيليات التى غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شيء منها بالكلية فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله ( وآتيناه من كل شيء سبياً ) واستشهاده فى ذلك على ما يجده فى صحفه من أنه كان يربط خيله بالثرى غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترقى فى أسباب السموات وقد قال الله فى حق بلقيس ( وأوتيت من كل شيء ) أى مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أى الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض واذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبياً والله أعلم . وفى المختارة للحافظ الضياء المقدسى من طريق قتيبة عن أبى عوانه عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد قال: كنت عند على رضى الله عنه وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب ؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد .

﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلْبًا يَدَّاءُ لِقَرْنَينَ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا \* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

قال ابن عباس ( فأتبع سبياً ) يعنى بالسبب المنزل ، وقال مجاهد ( فأتبع سبياً ) منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب ، وفى رواية عن مجاهد ( سبياً ) قال طرفى الأرض ، وقال قاتدة أى اتبع منازل الأرض ومعالمها ، وقال الضحاك ( فأتبع سبياً ) أى المنازل ، وقال سعيد بن جبير فى قوله ( فأتبع سبياً ) قال: علماً وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدى ، وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك

وقوله ( حتى إذا بلغ مغرب الشمس ) أى فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب الفصص والأخبار

من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لاحقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله ( وجدها تغرب في عين حمثة ) أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه والحمثة مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهو الطين كما قال تعالى ( إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ) أي طين أملس وقد تقدم بيانه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أنبأنا نافع بن أبي نعيم سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمأة ثم فسرها ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب الأحبار فقال أتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدتها في الكتاب تغيب في طينة سوداء ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وغير واحد وقال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ أقرأه حمثة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يعني حارة وكذا قال الحسن البصري ، وقال ابن جرير والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأههما قرأ القارئ فهو مصيب قلت ولا منافاة بين معنيهما إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وملافاها الشعاع بلا حائل وحمثة في ماء وطين أسود كما قال كعب الأحبار وغيره . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبد الله ابن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال « في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض » قلت ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وفي نسخة رفع هذا الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من راسلتيه اللتين وجدتهما يوم اليرموك والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعني ابن بشر حدثنا عمرو بن ميمون أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية ابن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف ( تغرب في عين حامية ) قال ابن عباس لمعاوية ما تقرأها إلا حمثة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال عبد الله كما قرأها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فأرسل إلى كعب فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ فقال له كعب سل أهل العربية فإنهم أعلم بها . وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار بيده إلى المغرب قال ابن حاضر لو أني عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمثة قال ابن عباس وإذا ما هو قلت فيما يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في تخلفه بالعلم واتباعه إياه

بلغ المشارق والمغارب ينتهي \* أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها \* في عين ذي خلب وثايط حرمد

فقال ابن عباس ما الحلب قلت الطين بكلامهم قال فما اللثايط قلت الحمأة قال فما الحرمد قلت الأسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل وقال سعيد بن جبيرة بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ ( وجدها تغرب في عين حمثة ) فقال كعب والذي نفس كعب بيده ما سمعت أحدا يقرأها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فإنا نجدتها في التوراة تغرب في مدرة سوداء ، وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال في تفسير ابن جريج ( ووجد عندها قوما ) قال مدينة لما اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب ، وقوله ( ووجد عندها قوما ) أي أمة من الأمم ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم وقوله ( قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ) معنى هذا أن الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفروهم وخيره إن شاء قتل وسي وإن شاء من أو فدى فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه في قوله ( أما من ظلم ) أي استمر على كفره وشركه يريه ( فسوف نعذبه ) قال قتادة بالقتل وقال السدي كان يحمي لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم ويوتهم وتغشاهم من جميع جهاتهم والله أعلم ، وقوله ( ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ) أي شديدا بليغا وجيعا ألما وفي هذا إثبات المعاد والجزاء . وقوله وأما من آمن أي تابعا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ( فله جزاء الحسنى أي في الدار الآخرة عند الله

عز وجل (وستقول له من أمرنا يسرا) قال مجاهد: معروفا .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا \* كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

يقول تعالى ثم سلك طريقا فصار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعهم واستخدم من كل أمة متستعين به جيوشه على قتال الاقليم المتاخم لهم ، وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفا وسبعمائة سنة يحوب الأرض طولها والعرض حتى يبلغ المشارق والمغارب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى ( وجدها تطلع على قوم ) أي أمة ( لم نجعل لهم من دونها سترا ) أي ليس لهم بناء يكتهم ولا أشجار تظلمهم وتسترهم من حر الشمس . قال سعيد بن جبير كانوا حمرا قصارا مساكنهم الغيران أكثر معيشتهم من السمك .

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سهل بن أبي الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى ( لم نجعل لهم من دونها سترا ) قال إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تعوروا في المياه فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة ، وقال قتادة ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئا فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حرورهم ومعايشهم وعن سلمة بن كهيل أنه قال : ليست لهم أكنان إذا طلعت الشمس طلعت عليهم فلا أحدهم أذنان يفرش إحداهما ويلبس الأخرى ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ( وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ) قال هم الزنج . وقال ابن جرير في قوله ( وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ) قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأتم بها ، قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام ؟ قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا ، قال فذهبوا هارين في الأرض وقوله ( كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ) قال مجاهد والسدي : علما أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى ( لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ) .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \* قَالُوا يَا قَوْمِ انْفِرُوا بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا \* ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾

يقول تعالى عبرا عن ذى القرنين ثم أتبع سببا أي ثم سلك طريقا من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحيان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيشون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين « ان الله تعالى يقول : يا آدم فيقول ليك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم أمتين ما كاتتا في شيء إلا . كثرناه يأجوج ومأجوج » وقد حكى النووى رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منى

خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك ، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم

وفي مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك » قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك ، وقال إنما سمي هؤلاء تركاً لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة وإلا فهم أقرباء أولئك ولكن كان في أولئك بنى وفساد وجراءة وقد ذكر ابن جرير هنا عن وهب بن منبه أنراً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكلهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أساساً والله أعلم . وقوله ( وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولاً ) أى لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس ( قالوا يا ذى القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً ) قال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس أجراً عظيماً يعنى أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير ( ما مكى فيه ربى خير ) أى إن الذى أعطانى الله من الملك والتمكين خير لى من الذى يجمعونه كما قال سليمان عليه السلام ( أتمدونن بمال فما آتانى الله من خير مما آتاكم ) الآية وهكذا قال ذو القرنين الذى أنا فيه خير من الذى تبدلونه ولكن ساعدونى بقوة أى بعملكم وآلات البناء ( أجعل بينكم وبينهم ردماً أتونى زبر الحديد ) والزبر جمع زبرة وهى القطعة منه قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهى كاللينة يقال كل لينة زنة فنطار بالدمشق أو تزيد عليه ( حتى إذا ساوى بين الصدفين ) أى وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضاً واختلفوا فى مساحة عرضه وطوله على أقوال ( قال انفخوا ) أى أجاج عليه النار حتى صار كله ناراً ( قال أتونى أفرغ عليه قطراً ) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى ( وأسلنا له عين القطر ) ولهذا يشبه بالبرد المحبر . قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلاً قال يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال « انته لى » قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال « قد رأيتة » هذا حديث مرسل ، وقد بعث الخليفة الراشق فى دولته بعض أمراءه وجهز معه جيشاً سرية لينظروا إلى السد ويمأينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية الابن والعمل فى برج هناك وأن عنده حرساً من الملوك المتاخمة له وأنه عال منيف شاقق لا يستطيع ولا ما حوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالاً وعجائب ، ثم قال الله تعالى ،

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا \* قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا \* وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

يقول تعالى عن يأجوج ومأجوج إنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على تقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل من تقبه قابل كلاً بما يناسبه فقال ( فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ) وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على تقبه ولا على شيء منه فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً



فيعودون اليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال النبي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون اليه وهو كهفته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهشة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم» ورواه أحمد أيضا عن حسن هو ابن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوى ولكن منته في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من تقبه لاحكام بنائه وصلابته وشدهته ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه ويلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحها فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحها ويلحسون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقه فيفتحونه وهذا متجه ولعل بأهريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبوهريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم

ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من تقبه ولا تقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان أربع نسوة - قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وحلق قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال «نعم إذا كثرت الحيات» هذا حديث صحيح اتفق البخارى ومسلم على إخراجه من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخارى ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروى بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيتان وثنان زوجتان رضى الله عنهن ، وقد روى نحو هذا عن أبي هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وعقد التسعين ، وأخرجه البخارى ومسلم من حديث وهب به . وقوله ( قال هذا رحمة من ربى ) أى لما بناه ذوالقرنين ( قال هذا رحمة من ربى ) أى بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العيث في الأرض والفساد ( فإذا جاء وعد ربى ) أى إذا اقترب الوعد الحق ( جعله دكاء ) أى ساواه بالأرض تقول العرب ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستويا لاسنام لها وقال تعالى ( فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ) أى مساويا للأرض . وقال عكرمة في قوله ( فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء ) قال طريقا كما كان ( وكان وعد ربى حقا ) أى كأننا لا عمالة . وقوله ( وتركنا بعضهم ) أى الناس يومئذ أى يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدى في قوله ( وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ) قال ذلك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سيأتى بيانه عند قوله ( حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون \* واقرب الوعد الحق ) الآية وهكذا قال ههنا ( وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ) قال إذا ماج الجن والإنس يوم القيامة يختلط الإنس والجن ، وروى ابن جرير عن محمد ابن حميد عن يعقوب القمى عن هرون بن عترة عن شيخ من بنى فزارة في قوله ( وتركنا بعضهم يومئذ يموج في

يعض) قال إذا ماج الإنس والجن قال إبليس أنا أعلم لكم علم هذا الأمر فيظعن إلى الشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يظعن إلى المغرب فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول مامن مامن محيص ثم يظعن يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول مامن مامن محيص فيبيننا هو كذلك إذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فيبنام عليه إذ هجموا على النار فأخرج الله خازناً من خزان النار فقال يا إبليس ألم تكن لك منزلة عند ربك ألم تكن في الجنان؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض على فريضة أعبده فيها عبادته لم يعبد مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بخناحيه فيقفونهم في النار فترفر النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هارون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس ( وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ) قال الإنس والجن يموج بعضهم في بعض

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصبهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي إسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتايس ومنسك » هذا حديث غريب بل منكر ضعيف . وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعاً « إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاءوا وشجر يلقحون ماشاءوا ولا يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً » وقوله ( وشخ في الصور ) والصور كجاء في الحديث قرن ينفخ فيه والندى ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والأحاديث فيه كثيرة . وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً « كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته واستمع متى يؤمر » قالوا كيف تقول قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله ( فجمعناهم جمعاً ) أي أحضرننا الجميع للحساب ( قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ) ( وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً )

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا \* الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا \* أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها لهم ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهمة والحزن لهم . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » ثم قال مخبراً عنهم ( الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ) أي تعافلوا وتعاموا وتصاعموا عن قبول الهدى واتباع الحق كما قال ( ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ) وقال ههنا ( وكانوا لا يستطيعون سمعاً ) أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ثم قال ( أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ) أي اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينتفعون به ( كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا ) ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلاً

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا \* ذَلِكَ جَزَاءُهمُ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب قال : سألت أبا يعنى سعد بن أبي وقاص عن قول الله ( قل هل تنبئكم بالأخسرين أعمالاً ) أم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضى الله عنه يسميهم الفاسقين ، وقال على بن أبى طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية ، ومعنى هذا عن على رضى الله عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هى أعم من هذا فان هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكيفية وإنما هى عامة فى كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو غلط ، وعمله مردود كما قال تعالى ( وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ) وقال تعالى ( وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ) وقال تعالى ( والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ) وقال فى هذه الآية الكريمة ( قل هل تنبئكم ) أى تخبركم ( بالأخسرين أعمالاً ) ثم فسره فقال ( الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ) أى عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ( وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ) أى يعتقدون أنهم على شىء وأنهم مقبولون محبوبون ، وقوله ( أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ) أى جحدوا آيات الله فى الدنيا وبراهينه التى أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة ( فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً ) أى لا تثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير . قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبى مریم أخبرنا النخعي حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لىأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة - وقال - اقرءوا إن شئتم ( فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً ) » وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقاً ، وقد رواه مسلم عن أبى بكر محمد بن إسحق عن يحيى بن بكير به ، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل الأكل الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها » قال وقرأ ( فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً ) وكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى الصلت عن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة مرفوعاً عنده ذكره بلفظ البخارى سواء وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن عمار حدثنا هاشم بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل من قريش يخطر فى حلة له فلما قام على النبي ﷺ قال « يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً » ثم قال تفرد به واصل مولى أبى عنبسة وعون بن عمار وليس بالحافظ ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن سمرة عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة رجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا ( فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً ) وقوله ( ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ) أى إنما جزاؤناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزؤا بهم وكذبوهم أشد التكذيب

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

يخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به أن لهم جنات الفردوس قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية ، وقال كعب والسدى والضحاك: هو البستان الذى فيه شجر الأعتاب وقال أبوأمامة: الفردوس سرّة الجنة وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد روى هذا مرفوعاً من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها »

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن ممره مرفوعا وروى عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بنحوه وروى ذلك كله ابن جرير رحمه الله ، وفي الصحيحين « إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » وقوله تعالى (نزلا) أى ضيافة فإن النزول الضيافة وقوله (خالدين فيها) أى مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً (لا يبعثون عنها حولا) أى لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

فحلت سويدا القلب لا أنا باغياً سواها ولا عن حبا أتحوّل

وفي قوله (لا يبعثون عنها حولا) تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائماً أنه قد يسأمه أو يمله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحوّلاً ولا انتقالاً ولا ظعنًا ولا رحلة ولا بدلاً

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذى يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أى بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمدده ويكتب بها ما نقتد كلمات الله كما قال تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) يقول لو كانت تلك البحور مداداً للكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الاقلام وفى ماء البحر ، وقيمت كلمات الله فأمة لا يفنى شيء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

روى الطبرانى من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الكوفى أنه سمع معاوية بن أبى سفيان أنه قال هذه آخر آية أنزلت يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (قل) لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إلههم (إنما أنا بشر مثلكم) فمن زعم أنى كاذب فليأت بمثل ما جئت به فانى لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضى عما سألتهم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الأمر لولا ما أطلعنى الله عليه وإنما أخبركم (إنما إلهكم) الذى أدعوكم إلى عبادته (إله واحد) لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى ثوابه وجزاءه الصالح (فليعمل عملاً صالحاً) ما كان موافقاً لشرع الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو الذى يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذا ركن العمل المتقبل . لا بد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ وقد روى ابن أبى حاتم من حديث معمر بن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال : قال رجل يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد ، وقال الأعمش حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بنى هاشم عن شهر بن حوشب قال ساء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أنبئنى عما أسألك عنه . أ رأيت رجلاً يصلى يبتغى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويصوم يبتغى وجه الله ويجب أن يحمد ، ويتصدق يبتغى وجه الله ويجب أن يحمد ، ويحج يبتغى وجه الله ويجب أن يحمد ، فقال عبادة ليس له شيء إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له نعى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كثير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله ﷺ

فنبئت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا فكثرت المحبسون وأهل النوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذه التجوى ؟ » قال قلنا تبنا إلى الله أي نبي الله إنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ » قال : قلنا بلى قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام قال : قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء يمينته فخرج يمشى بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت إن طال بكيا عمر أحدكما أو كليكما لتوشكان أن تريا الرجل من شبح المسلمين يعني من وسط قراء القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبدأ وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منزله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت . قال فبينما نحن كذلك إذ طلع شداد بن أوس رضى الله عنه وعوف بن مالك فجلسا إلىنا فقال شداد إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من الشهوة الخفية والشرك » فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : اللهم غفرا ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب . أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نساءها وشهواتها فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد ؟ فقال شداد أرأيتم رجلا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا نعم والله إن من صلى أو صام أو تصدق له لقد أشرك فقال شداد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى يرأى فقد أشرك ، ومن صام يرأى فقد أشرك ، ومن تصدق يرأى فقد أشرك » قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلس له ويدع ما أشرك به فقال شداد عند ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقول أنا خير تقسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به ، أنا عنه غني »

﴿ طريق أخرى لبعضه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد أخبرنا عبادة بن نسي عن شداد ابن أوس رضى الله عنه أنه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني ، سمعت رسول الله يقول « أتخوف على أمي الشرك والشهوة الخفية » قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال « نعم أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرًا ولا حجرا ولا وتنا ولكن يراءون بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعة من شداد نظر ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الأحمر حدثنا علي بن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك من أشرك بي أحدا فهو له كله » ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال « أنا خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك » تفرد به من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعني ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ، قال « الرياء » يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الدين كتمت تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر أخبرنا عبد الحميد يعني ابن جعفر أخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرف في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني به ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا

أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من سمع الله به ومن رأى رأى الله به » وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « من يرائى يرائى الله به ومن يسمع يسمع الله به » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلا في بيت أبي عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به ، مسامع خلقه وصغره وحقره » فذرفت عينا عبد الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الأيلى حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجونى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بي آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف محنمة فيقول الله ألقوا هذا واقلبوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرا فيقول إن عمله كان لغير وجهى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهى » ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصرى ليس به بأس ، وقال وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعى أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عوف ابن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فذلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسمايل بن عمرو السكونى حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندى أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية ، وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هى مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ في ليلة: ( فمن كان يرجوا لقاء ربه ) الآية كان له من النور من عدن أئين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة » غريب جداً .  
آخر تفسير سورة الكهف

### ( تفسير سورة مريم وهى مكية )

وقد روى محمد بن إسحق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشى وأصحابه

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( كَهَيْعَتِ مَرْيَمَ \* ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا \* إِذْ نَادَى \* نَدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِنُ مِنِّي الْيَغْتَابُ \* وَبَرِّثْ مِنِّي \* إِنِّي أَخِفْتُ دُعَاءَهُ لثَلَاثًا \* يَنْسُبُ فِي طَلْبِ الْوَالِدِ إِلَى الرَّعُونَةِ لِكِبْرِهِ ، حَكَاهُ الْمَآوِرِيُّ )

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله ( ذكر رحمت ربك ) أى هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر ( ذكر رحمت ربك عبده زكريا ) وذكر ياء ويقتصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بنى إسرائيل ، وفي صحيح البخارى أنه كان نجاريا . كل من عمل يده في النجارة . وقوله ( إذ نادى ربه نداء خفيا ) قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لثلاث ينسب في طلب الولد إلى الرعوننة لكبره ، حكاه الماوردى وقال الآخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة في هذه الآية ( إذ نادى ربه نداء خفيا ) إن الله يعلم القلب التقي ، ويسمع الصوت الخفي ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول:

خفية يارب يارب يارب، فقال الله له: ليك ليك ليك (قال رب إني وهن العظم مني) أي ضعفت وخارت القوى واشتعل الرأس شيباً) أي اضطرم المشيب في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته

أما ترى رأسي حاكى لونه      طرة صبح تحت أذيال الدجا  
واشتعل المبيض في مسوده      مثل اشتعال النار في جمر الفضا

والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة ، وقوله ( ولم أكن بدعائك رب شقياً ) أي ولم أعهد منك إلا الاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك ، وقوله ( وإني خفت الموالى من ورأى ) قرأ الأ أكثرون بنصب الياء من الموالى على أنه مفعول : وعن الكسائي أنه سكن الياء كما قال الشاعر

كأن أيديهن في القاع القرق      أيدى جوار يتعاطين الورق  
ففي لويبارى الشمس ألفت قناعها      أو القمر السارى لألقى المقالدا

ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

تغابير الشعر منه إذ سهرت له      حتى ظننت قوافيه ستقتل

وقال مجاهد وقتادة والسدي : أراد بالموالى العصبه ، وقال أبو صالح الكلابه ، وروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يقرؤها ( وإني خفت الموالى من ورأى ) بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباني من بعدى وعلى القراءة الأولى وجه خوفه أنه خشى أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه فأجيب في ذلك لا أنه خشى من وراثتهم له ماله فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده وأن يأنف من وراثته عصباته له ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه ( الثاني ) أنه لم يذكر أنه كان ذامال بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا ( الثالث ) أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح « نحن معشر الأنبياء لا نورث » وعلى هذا فتعين حمل قوله ( فهب لي من لدنك ولياً يرثني ) على ميراث النبوة ولهذا قال ( ويرث من آل يعقوب ) كقوله ( وورث سليمان داود ) أي في النبوة ، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمثل أن الولد يرث أباه فلولا أنها وراثته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويشته ما صح في الحديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » قال مجاهد في قوله ( يرثني ويرث من آل يعقوب ) كان وراثته علماً وكان زكريا من ذرية يعقوب . وقال هشيم أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ( يرثني ويرث من آل يعقوب ) قال يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه ، وقال السدي يرث نبوتى ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم ( ويرث من آل يعقوب ) قال نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ( يرثني ويرث من آل يعقوب ) قال يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي ﷺ قال « يرحم الله زكريا وما كان عليه من وراثته ماله ويرحم الله لوطاً إن كان ليأوى إلى ركن شديد » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « يرحم الله أخى زكريا ما كان عليه من وراثته ماله حين قال : هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وهذه ميرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم ، وقوله ( واجعله رب رضياً ) أي مرضياً عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه

﴿ يَزْكُرِيَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِفَلْمِ أَسْمِهِ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو أنه أجيب إلى ماسأل في دعائه فقيل له ( يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ) كما قال تعالى ( هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء \* فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يشرك يحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين ) وقوله ( لم نجعل له من قبل ميميا ) قال قتادة وابن جرير وأبن زيد أى لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد ( لم نجعل له من قبل سميا ) أى شبيها أخذته من معنى قوله ( فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ) أى شبيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام فانهما إنما تعجبا من البشارة بأسحق لكبرهما لا لعقرهما ولهذا قال ( أبشروني على أن مسنى الكبر فم تبشرون ) مع أنه كان قد ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته ( يا ويلتى ألدوأنا عجوز وهذا بعلى شيئا إن هذا لشيء عجيب \* قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد )

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُمْ مِّن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح فرحا شديدا وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذى يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا أى عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتا يعتو عتيا وعتوا وعسا يعسوا وعسا ، وقال مجاهد: عتيا يعنى قحول العظم ، وقال ابن عباس وغيره عتيا يعنى الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كلها غير أنى لا أدري أكان رسول الله ﷺ يقرأ فى الظهر والعصر أم لا ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف ( وقد بلغت من الكبر عتيا ) أو عسا ، ورواه الإمام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زياد بن أيوب كلاهما عن هشيم به ( قال أى الملك عجيبا زكريا عما استعجب منه ) كذلك قال ربك هو على هين ) أى إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها ( هين ) أى يسير سهل على الله ، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال ( وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ) كما قال تعالى ( هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا )

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لِيَالٍ سَوِيًّا \* فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام أنه ( قال رب اجعل لى آية ) أى علامة ودليلا على وجود ما وعدتني لتستقر نفسى ويطمئن قلبى بما وعدتني كما قال إبراهيم عليه السلام ( رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ) ( قال آيتك ) أى علامتك ( أن لا تكلم الناس ليال سوييا ) أى أن تجلس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدى وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة . قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ، وقال العوفى عن ابن عباس ( ثلاث ليال سوييا أى متتابعات والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح كما قال تعالى فى آل عمران ( قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار ) وقال مالك عن زيد بن أسلم ( ثلاث ليال سوييا ) من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم



الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها (إلا رمزاً) أي إشارة ولهذا قال في هذه الآية الكريمة (فخرج على قومه من المحراب) أي الذي بشر فيه بالولد (فأوحى إليهم) أي أشار إشارة خفية سريعة (أن سبحوا بكرة وعشيا) أي موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكراً لله على ما أولاه . قال مجاهد (فأوحى إليهم) أي أشار وبه قال وهب و قتادة ، وقال مجاهد في رواية عنه (فأوحى إليهم) أي كتب لهم في الأرض وكذا قال السدي :

﴿ يَبْحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا \* وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا \* وَبَرًّا  
بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا \* وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وهذا أيضاً تضمن محذوفاً تقديره أنه وجد هذا الغلام للبشر به وهو يحيى عليه السلام وأن الله علمه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً فلهمذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلو والديه فقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي تعلم الكتاب بقوة أي بجد وحرص واجتهاد (وآتيناك الحكم صبياً) أي الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال مالم لعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله (وآتيناك الحكم صبياً) وقوله (وحناناً من لدنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحناناً من لدنا) يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة و قتادة والضحاك وزاد لا يقدر عليها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد (وحناناً من لدنا) وتعطفنا من ربه عليه وقال عكرمة (وحناناً من لدنا) قال محبة عليه وقال ابن زيد أما الحنان فالحبة ، وقال عطاء بن أبي رباح (وحناناً من لدنا) قال تعظيماً من لدنا وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا والله ما أدري ما حنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبير عن قوله (وحناناً من لدنا) فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئاً والظاهر من السياق أن قوله وحناناً معطوف على قوله (وآتيناك الحكم صبياً) أي وآتيناك الحكم وحناناً وزكاة أي وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحتت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر :

تعطف على هداك المليك \* فان لكل مقام مقالاً

وفي المسند للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يبقى رجل في النار ينادى ألف سنة يا حنان يا منان » وقد يثنى ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها كما قال طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا \* حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله وزكاة معطوف على وحناناً فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والدنوب ، وقال قتادة الزكاة العمل الصالح ، وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكي ، وقال العوفي عن ابن عباس (وزكاة) قال بركة (وكان تقياً) طهر فلم يعمل بذنوب ، وقوله (وبراً بالديه ولم يكن جباراً عصياً) لما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولاً وفعلاً أمراً ونهياً ولهذا قال (ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أي له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال ، وقال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فضصه بالسلام عليه فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور الروزي عن صدقة بن الفضل عنه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (جباراً عصياً) قال كان

ابن السيب يذكر قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يلقي الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا » قال قتادة ما أذنب ولا هم بامرأة ، مرسل وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا » ابن إسحق مدلس وقد عنعن هذا الحديث فإله أعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وهذا أيضاً ضعيف لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة والله أعلم ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفري أنت خير مني . فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا \* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ نَفِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدًا زكيا طاهرا مباركا عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فان بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في آل عمران وهما وفي سورة الأنبياء بقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه وأنه على ما يشاء قادر فقال ( واذكر في الكتاب مريم ) وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها ندرتها محررة أي تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك ( فتقبلها ربهما بقبول حسن وأنتها نباتا حسنا ) ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدموع وكانت في كفاة زوج أختها زكريا بي بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره ( كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ) فذكر أنه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولى العزم الخمسة العظام ( انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ) أي اعتزلتهم وتنتحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس . قال السدي لحيض أصابها ، وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قيل ربك ( فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا ) قال جرير خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال : إني لأعلم خلق الله لأى شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله تعالى ( فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا ) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة ، وقال قتادة (مكانا شرقيا) شاسعاً متنجساً ، وقال محمد بن إسحق ذهبت بقلتها لتستقي الماء ، وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه فإله أعلم وقوله ( فاتخذت من دونهم حجاباً ) أي استترت منهم وتوارت فأرسل

الله تعالى إليها جبريل عليه السلام ( فتمثل لها بشراً سوياً ) أى على صورة إنسان تام كامل ، قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدى في قوله ( فأرسلنا إليها روحنا ) يعنى جبرائيل عليه السلام وهذا الذى قالوه هو ظاهر القرآن فانه تعالى قد قال في الآية الأخرى ( نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ) وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالبيه عن أبي بن كعب قال إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التى أخذ عليها العهد فى زمان آدم عليه السلام وهو الذى تمثل لها بشراً سوياً أى روح عيسى فحملت الذى خاطبها وحل فى فيها وهذا فى غاية الغرابة والنكارة وكأنه إسرائيلى ( قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ) أى لما تبدى لها الملك فى صورة بشر وهى فى مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت أنه يريد على نفسها فقالت ( إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ) أى إن كنت تخاف الله تذكرها له بالله وهذا هو الم شروع فى الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل فخوفته أولاً بالله عز وجل . قال ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال : قال أبو وائل وذ كر قصة مريم فقال قد علمت أن التقي ذونبيه حين قالت ( إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً \* قال إنما أنا رسول ربك ) أى فقال لها الملك مجيباً لها ومزيلاً لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكنى رسول ربك أى بعنى الله إليك ، ويقال إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا وعاد إلى هيئته وقال ( إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكياً ) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهورى القراء ، وقرأ الآخرون ( لأهب لك غلاماً زكياً ) وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى ( قالت إني يكون لى غلام ) أى فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لى غلام أى على أى صفة يوجد هذا الغلام منى ولست بذات زوج ولا يتصور منى الفجور ولهذا قالت ( ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً ) والبغى هى الزانية ولهذا جاء فى الحديث النهى عن مهر البغى ( قال كذلك قال ربك هو على هين ) أى فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشاء قادر ولهذا قال ( ولنجعله آية للناس ) أى دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذى نوع فى خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية البشرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله ( ورحمة منا ) أى ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى فى الآية الأخرى ( إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن القربين ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين ) أى يدعو إلى عبادة ربه فى مهده وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا عبد الرحيم بن إبراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث السكونى عن مجاهد قال : قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلنى وهو فى بطنى وإذا كنت مع الناس سبح فى بطنى وكبر ، وقوله ( وكان أمراً مقضياً ) يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر فى علم الله تعالى وقدره ومشيتته ، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنه كنى بهذا عن النفخ فى فرجها كما قال تعالى ( ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ) وقال ( والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ) قال محمد بن إسحق ( وكان أمراً مقضياً ) أى إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد ، واختار هذا أيضاً ابن جرير فى تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم .

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا \* فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْسَ بِي مِثُّ قَبَلٍ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال إنها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير

واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى ، فلما حملت به ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس فأنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا . وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك . فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يامريم أنى حبلى ؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضا أنى حبلى وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذى فى بطنها يسجد للذى فى بطن مريم أى يعظمه ويخضع له فان السجود كان فى ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوסף أبواه وإخوته وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم فى ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى ، قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين قال قرئ على الحارث ابن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه الله بلغنى أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم إني أرى أن ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله جعله يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ثم اختلف المفسرون فى مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد ثمانية أشهر وقال ابن جريج أخبرنى المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفى سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى ( فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ) فهذه الفاء للتعقيب بحسبها . وقد ثبت فى الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبغ الأرض مخضرة ) فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها فى المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه ما يلزم من براءتها وزايتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ما هى فيه فوجد أمرها يهوس فى فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه على أن عرض لها فى القول فقال يامريم إني سألتك عن أمر فلا تعجلى على . قالت وما هو ؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب . فقالت نعم وفهمت ما أشار اليه . أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولأم فصدقها وسلم لها حالها ، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانا قصيا أى فاصيا منهم بعيدا عنهم لثلاثهم ولا يروها ، قال محمد بن إسحق : فلما حملت به وملاّت قلتها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها ما يصاب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها لما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث فى بنى إسرائيل فقالوا إنما صاحبها يوسف ولم يكن معها فى الكنيسة غيره وتوارت من الناس وانحذت من دونهم حجابا فلا يراها أحد ولاتراه ، وقوله ( فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ) أى فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة فى المكان الذى تنحت اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدى كان شرقى محرابها الذى تصلى فيه من بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق ، وفى رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس فى قرية هناك يقال لها بيت لحم ، قلت وقد تقدم فى أحاديث الاسراء من رواية النسائى عن أنس رضى الله عنه والبيهقى عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن ذلك ببيت لحم فأنه أعلم وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صبح ، وقوله تعالى إخبارا عنها ( قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ) فيه دليل على جواز تمى الموت عند

الفتنة فانها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه طي السداد ولا يصدقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت ( ياليتني مت قبل هذا ) أى قبل هذا الحال ( وكنت نسيامنسيا ) أى لم أخلق ولم أك شيئا قاله ابن عباس ، وقال السدى قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتني مت قبل هذا الكرب الذى أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل ( وكنت نسيا منسيا ) نسي فترك طلبه كخرق الحيف إذا ألقيت وطرحتم لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي وترك فهو نسي ، وقال قتادة ( وكنت نسيا منسيا ) أى شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من أنا ، وقال الربيع بن أنس ( وكنت نسيامنسيا ) هو السقط ، وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط ، وقد قدمنا الأحاديث الدالة على النهى عن تمنى الموت إلا عند الفتنة عند قوله ( توفى مسلما وألحقني بالصالحين )

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا \* وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا \* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَعَيْنَا عَلَيْكَ وَإِنَّا بِمَا تَعْمَلِينَ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذى تحتها ، وقرأ الآخرون من تحتها على أنه حرف جر ، واختلف المفسرون فى المراد بذلك من هو ؟ فقال العوفى وغيره عن ابن عباس ( فناداها من تحتها ) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها ، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وعمرو بن ميمون والسدى وقاتدة : إنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أى ناداها من أسفل الوادى ، وقال مجاهد ( فناداها من تحتها ) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنه ابنها قال أو لم تسمع الله يقول ( فأشارت إليه ) واختاره ابن زيد وابن جرير فى تفسيره ، وقوله ( أن لا تحزنى ) أى ناداها قائلا لا تحزنى ( قد جعل ربك تحتك سرى ) قال سفيان الثورى وشعبة عن أبى إسحق عن البراء بن عازب ( قد جعل ربك تحتك سرى ) قال الجدول وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : السرى النهر ، وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه ، وقال مجاهد هو النهر بالسريانية ، وقال سعيد بن جبير السرى النهر الصغير بالنبطية ، وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية ، وقال إبراهيم النخعي هو النهر الصغير وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز ، وقال وهب بن منبه . السرى هو ربيع الماء ، وقال السدى هو النهر واختار هذا القول ابن جرير وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع فقال الطبرانى حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا يحيى بن عبد الله البالى حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن السرى الذى قال الله لمريم ( قد جعل ربك تحتك سرى ) نهر أخرجه الله لتشرب منه » وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه . وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبى قال فيه أبو حاتم الرازى ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدي : متروك الحديث ، وقال آخرون المراد بالسرى عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الأول أظهر ولهذا قال بعده ( وهزى إليك بجذع النخلة ) أى وخذى إليك بجذع النخلة ، قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مشمة قال مجاهد كانت عجوة ، وقال الثورى عن أبى داود نضج الأعمى كانت صرفانة والظاهر أنها كانت شجرة ولكن لم تكن فى إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشربا فقال ( تساقط عليك رطبا جنيا » فكلى واشربى وعينا ) أى طيبى نفسا ولهذا قال عمرو بن ميمون : ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكريمة وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عروة بن رويم عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا

عنكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله ﷺ « أطمعوا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » هذا حديث منكر جدا ورواه أبو يعلى عن شيان به ، وقرأ بعضهم ( تساقط ) بتشديد السين وآخرون بتخفيفها ، وقرأ أبو نهيك ( تسقط عليك رطبا جنيا ) وروى أبو إسحق عن البراء أنه قرأها ( يساقط ) أى الجذع والكل متقارب

وقوله ( فأما ترين من البشر أحدا ) أى مهمارأت من أحد ( فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ) المراد بهذا القول الاشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي لثلاثين ( فلن أكلم اليوم إنسيا ) قال أنس بن مالك في قوله ( إني نذرت للرحمن صوما ) قال: صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما ، والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدي وقاتدة وعبد الرحمن بن زيد . قال ابن إسحق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ، يعنى بذلك مريم عليها السلام ليكون عذرا لها إذا سئلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم ( لا تخزنى ) قالت وكيف لا أحزن وأنت معى لا ذات زوج ولا مملوكة أى شيء عذرى عند الناس؟ يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قال لها عيسى أناأ كفيك الكلام ( فلما ترين من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ) قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب

﴿ فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتِيًّا \* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَدِيقًا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك وأن لا تكلم أحدا من البشر فانها ستكنى أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأنت به قوما تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جدا وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أى أمرا عظيما قاله مجاهد وقاتدة والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالى قال وخرج قوما في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعى بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكنى رأيت الليلة من بقرى ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادى . قال عبد الله بن أبي زياد وأحفظ عن شيان أنه قال رأيت نورا ساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم تعدت وحملت ابنها في حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها ( وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ) أمرا عظيما ( يا أخت هرون ) أى ياشيبة هرون في العبادة ( ما كان أبوك امرا سوء وما كانت أمك بئيا ) أى أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال على ابن أبي طلحة والسدي قيل لها ( يا أخت هرون ) أى أختى موسى وكانت من نسله كما يقال للتيمى يا أختى تيم وللضري يا أختى مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة وحكى ابن جرير

عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هرون . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله مارواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين المهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو سخر عن القرظي في قول الله عز وجل ( يا أخت هرون ) قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى ( فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ) وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفي بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثا وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان وداود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى ( ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ) وذكر القصة إلى أن قال ( وقتل داود جالوت ) الآية والذي جراً القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلظة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون ( يا أخت هرون ) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال فرجعت فذكرت ذلك رسول الله ﷺ فقال « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم » انفرد باخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لأنه لا يعرفه إلا من حديث ابن إدريس ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبت أن كعبا قال إن قوله ( يا أخت هرون ) ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أيها المؤمنون إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله ( يا أخت هرون ) الآية قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل ، وقوله ( فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ) أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامته فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متكلمين بها ظانين أنها تزدرى بهم وتلاعب بهم ( كيف نكلم من كان في المهد صبيا ) قال ميمون بن مهران ( فأشارت إليه ) قالت كلوه فقالوا على ماجاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا : وقال السدي لما ( أشارت إليه ) غضبوا وقالوا لسخرتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها ( قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ) أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم ؟ قال إني عبد الله ، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله ( آتاني الكتاب وجعلني نبيا ) تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتسكا على جنبه الأيسر وقال ( إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا - إلى قوله - مادمت حيا ) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول ( إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ) الآية ، وقال عكرمة ( آتاني الكتاب ) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا يحيى بن سعيد

هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله ( إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ) يحيى بن سعيد العطار الحصى متروك وقوله ( وجعلني مباركا أينما كنت ) قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري وجعلني معلما للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعا وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن زيد بن خنيس الخزومي سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذى أعلن من عملى ؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذى بعث به أنبياءه إلى عباده ، وقد أجمع الفقهاء على قول الله ( وجعلني مباركا أينما كنت ) وقيل ما بركته ؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان وقوله ( وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا ) كقوله تعالى لمحمد ﷺ ( واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ) . وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله ( وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا ) قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت . ما أثبتها لأهل القدر . وقوله ( وبرأ بولدي ) أى وأمرني ببر والدي ذكروه بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيرا ما يقرب بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ) وقال ( أن اشكرى ولوآلديك إلى الصبر ) وقوله ( ولم يجعلني جبارا شقيا ) أى ولم يجعلني جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدي فأشقى بذلك : قال سفيان الثوري الجبار الشقى الذى يقتل على الغضب ، وقال بعض السلف لا تجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ ( وبرأ بولدي ) ولم يجعلني جبارا شقيا ) قال ولا تجد سبي الملكة إلا وجدته مختالا فخوراثم قرأ ( وماملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ) ، وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرى الأكمة والأبرص في آيات سلطه الله عليهم وأذنه فيهن فقالت طوبى للبطن الذى حملك وطوبى للثدى الذى أرضعت به فقال نبى الله عيسى عليه السلام يحيى طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا وقوله ( والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ) إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يحيى ويميت ويبعث كسائر المخلوقات ولكن له السلامة في هذه الأحوال التى هى أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ \* مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشَاهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذى قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (قول الحق الذى فيه يمترون) أى يختلف البطولون والحقون من آمن به وكفر به ولهذا قرأ الأكثرون قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق ، وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر إعرابا وبشده قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبدا نبيا نزه نفسه القدسة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أى عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) أى إذا أراد شيئا فإنما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقوله (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى وما أمر به عيسى قومه وهو فى مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى جئكم به عن الله صراط مستقيم أى قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى . وقوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف قول أهل الكتاب فى عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله وكتبه ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على



أنه ولد زينة ، وقالوا كلامه هذا سحر ، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله وقال آخرون بن هو ابن الله ، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله اليه المؤمنين ، وقد روى نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف . قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ( ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ) قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم يعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنان للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الاسرائيلية ملوك النصرارى عليهم لعائن الله . قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلته وهم المسلمون . فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين ، وذلك قول الله تعالى ( ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ) قال قتادة وهم الذين قال الله ( فاختلف الأحزاب من بينهم ) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً ، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك ، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافًا متباينًا جداً فقالت كل شردمة فيه قولاً فثلاثة تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فقال إليهم الملك وكان فيلسوفاً قدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هي الحيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وجرعوا دين المسيح وغبروه فابتغى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنيت أمه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب فيه الصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله ( فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ) تهديد ووعد شديد لمن كذب على الله واقترى وزعم أن له ولداً ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلاً وثقة بقدرته عليهم فانه الذي لا يعجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين « إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ ( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجامون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم » وقد قال الله تعالى ( وكان من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير ) وقال تعالى ( ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ) ولهذا قال ههنا ( فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ) أي يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار يوم القيامة إنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى ( ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا ومعنا ) الآية أى يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدى عنهم شيئاً ولو كان

هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعاً لهم ومنتقداً من عذاب الله ولهذا قال (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) يعنى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم) أى فى الدنيا (فى ضلال مبين) أى لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك ثم قال تعالى (وأندرهم يوم الحسرة) أى أندر الخلاق يوم الحسرة (إذ قضى الأمر) أى فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ماصار إليه مخلداً فيه (وهم) أى اليوم (فى غفلة) عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة (وهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون به . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت - قال - فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت - قال - فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده ثم قال « أهل الدنيا فى غفلة الدنيا » هكذا رواه الإمام أحمد وقد خرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث الأعمش به ولفظهما قريب من ذلك ، وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثنى أسباط ابن محمد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً مثله ، وفى سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة نحوه وهو فى الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريج قال : قال ابن عباس فذكر من قبله نحوه ، ورواه أيضاً عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول فى قصصه يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون ، وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء عن عبد الله هو ابن مسعود فى قصة ذكرها قال فليس نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة وبيت فى النار وهو يوم الحسرة يرى أهل النار البيت الذى فى الجنة ويقال لهم لوعاتم فتأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت الذى فى النار فيقال لهم لولا أن الله من عليكم ، وقال السدى عن زياد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى قوله (وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار آتى بالموت فى صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا فلا يبقى أحد فى أهل عليين ولا فى أسفل درجة فى الجنة إلا نظر إليه ثم ينادى مناد يا أهل النار هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا فلا يبقى أحد فى ضحاح من نار ولا فى أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبداً والبدن ويا أهل النار هو الخلود أبداً والبدن فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحدميتا من فرح ماتوا ويشهى أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا فذلك قوله تعالى (وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) يقول إذا ذبح الموت ، ورواه ابن أبي حاتم فى تفسيره وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله (وأندرهم يوم الحسرة) من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وأندرهم يوم الحسرة) قال يوم القيامة وقرأ (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) وقوله (إننا نحن نرت الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) يخبر تعالى أنه الخالق للمالك المتصرف وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكاً ولا تصرفاً بل هو الوارث لجميع خلقه الباقى بعدهم الحاكم فيهم فلا تظلم نفس شيئاً ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة قال ابن أبي حاتم ذكر هذبة بن خالد القيسى حدثنا حزم بن أبي حزم القطعى قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم إليه وقال فيما أنزل فى كتابه الصادق الذى حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه انه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِلْكُ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا بَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مَنْ الرَّحْمَنُ فَتَكُونَ  
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر في الكتاب إبراهيم وائل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذرية ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال ( يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ) أى لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا ( يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ) يقول وإن كنت من صلبك وترانى أصغر منك لأنى ولدك فاعلم أنى قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك ( فاتبعنى أهدك صراطا سويا ) أى طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المهوب ( يا أبت لا تعبد الشيطان ) أى لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعى إلى ذلك والراضى به كما قال تعالى ( ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ) وقال ( إن يدعون من دونه إلا إنانا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ) وقوله ( إن الشيطان كان للرحمن عصيا ) أى مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله ( يا بَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مَنْ الرَّحْمَنُ ) أى على شركك وعصيانك لما أمرك به ( فتكون للشيطان وليا ) يعنى فلا يكون لك مولى ولا ناصرأ ولا مغيثا إلا إبليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى ( تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم )

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِلْأَرْجَمِينَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا \* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿

يقول تعالى محبرا عن جواب أبى إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه انه قال ( أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟ ) يعنى إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فاتته عن سبها وشتمها وعبها فانك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك وهو قوله ( لأرجمك ) قاله ابن عباس والسدى وابن جريج والضحاك وغيرهم ، وقوله ( واهجرنى مليا ) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن إسحاق يعنى دهرا وقال الحسن البصرى زمانا طويلا وقال السدى ( واهجرنى مليا ) قال أبدأ . وقال على بن أبى طلحة والعمري عن عباس ( واهجرنى مليا ) قال سويا سالما قبل أن تصيبك منى عقوبة وكذا قال الضحاك وقتادة وعطية الجدلى وأبو مالك وغيرهم واختاره ابن جرير فعندها قال إبراهيم لأبيه ( سلام عليك ) كما قال تعالى في صفة المؤمنين ( وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلما ) وقال تعالى ( وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلون ) ومعنى قول إبراهيم لأبيه ( سلام عليك ) يعنى أما أنا فلا ينالك منى مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الأبوة ( سأستغفر لك ربى ) ولكن سأسأل الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك ( إنه كان بى حفيا ) قال ابن عباس وغيره لطيفا أى في أن هدانى لعبادته والاخلاص له . وقال قتادة ومجاهد وغيرهما إنه كان بى حفيا قال عوده الإجابة وقال السدى الحفى الذى يهتم بأمره ، وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام وبني المسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله ( ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ) وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهلهم من الشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ

قالوا لقوامهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله - إلى قوله - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ( الآية ، يعني إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالى أن إبراهيم ألق عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى ( ما كان للنبي والدين آمنوا أن يستغفروا للمشركين - إلى قوله - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم ) وقوله ( وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى ) أى أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن ألهتمكم التى تعبدونها من دون الله ( وأدعو ربى ) أى وأعبد ربى وحده لا شريك له ( عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً ) وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ

﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

يقول تعالى فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله أبدله الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن إسحاق كما قال في الآية الأخرى ( ويعقوب نافلة ) وقال ( ومن وراء إسحاق يعقوب ) ولا خلاف أن إسحاق والدي يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ) ولهذا إنما ذكر ههنا إسحاق ويعقوب أى جعلنا له نسلا وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال ( وكلا جعلنا نبياً ) فلولا لم يكن يعقوب عليه السلام قد نبىء في حياة إبراهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فإنه نبى أيضاً كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المنفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال « يوسف نبى الله ابن يعقوب نبى الله ابن إسحاق نبى الله ابن إبراهيم خليل الله » وفي اللفظ الآخر « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » وقوله ( ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ) قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس يعني النشاء الحسن وكذا قال السدى ومالك بن أنس ، وقال ابن جرير إنما قال علياً لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ وَأَذَكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا \* وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾

لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال ( وأذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً ) قرأ بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة ، قال الثورى عن عبد العزيز بن ربيع عن أبى لبابة قال : قال الحواريون ياروح الله أخبرنا عن المخلص لله قال : الذى يعمل لله لا يجب أن يحمده الناس ، وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفى كما قال تعالى ( إني اصطفيتك على الناس ) ( وكان رسول نبياً ) جمع الله له بين الوصفين فإنه كان من المرسلين الكبار أولى العزم الخمسة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وقوله ( وناديناه من جانب الطور ) أى الجانب ( الأيمن ) من موسى حين ذهب يبتغى من تلك النار جذوة فرآها تنلوح فقصدتها فوجدتها في جانب الطور الأيمن منه غريبه عند شاطيء الوادى فكلمه الله تعالى وناداه وقربه فاجاه ، روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ( وقريناه نجياً ) قال أدنى حتى مع صريف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدى ( وقريناه نجياً ) قال أدخل في السماء فكلم وعن مجاهد نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ( وقريناه نجياً ) قال نجاً بصدقه ، وروى ابن أبى حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحرانى عن أبى واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجياً بطور سيناء قال : يا موسى إذا خلقت لك قلباً شاكرًا

ولساناً ذا كراً وزوجة تعين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئاً ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً. وقوله ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) أى وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبياً كما قال في الآية الأخرى ( وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون ) وقال ( قد أوتيت سؤلوك يا موسى ) وقال ( فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ) ولهذا قال بعض السلف ما شفع أحد في أحد شفاعته في الدنيا أعظم من شفاعته موسى في هارون أن يكون نبياً قال الله تعالى ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال: قال ابن عباس قوله ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقاً عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي به .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا \* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾

هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد . قال ابن جرير لم يعد ربه عدة إلا أنجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاهها حقها . وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه فيه فجاء ونسى الرجل فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا ؟ قال لا قال إني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتيني فلذلك ( كان صادق الوعد ) وقال سفيان الثوري بلغني أنه أقام في ذلك المكان ينتظره حولاً حتى جاءه . وقال ابن شوذب بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع مسكناً ، وقد روى أبو داود في سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه مكارم الأخلاق من طريق إبراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث فبقيت له على بقية فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك قال فنسيت يومى والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي « يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك » لفظ الخرائطي وساق آثاراً حسنة في ذلك ، ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم به وقال بعضهم إنما قيل له ( صادق الوعد ) لأنه قال لأبيه ( ستجدني إن شاء الله من الصابرين ) فصدق في ذلك ، فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون \* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ) وقال رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضعها من صفات المؤمنين ، ولهذا أنبأ الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به ، وقد أنبأني على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال « حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي » ولما توفي النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتني أنجز له فجاء جابر بن عبد الله فقال إن رسول الله ﷺ قال « لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » يعنى ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابراً فغرف يديه من المال ثم أمره بعده فإذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثلها معها ، وقوله ( وكان رسولاً نبياً ) في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه وقوله ( وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ) هذا أيضاً من الثناء الجميل والصفة الحميدة والحالة السديدة حيث كان صابراً على طاعة ربه

عز وجل أمرآبها لأهله كما قال تعالى لرسوله (وأمر أهلك الصلاة واصطبر عليها) الآية وقال (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أى مروم بالمعروف وانهموم عن المنكر ولا تدعوم هملا فتأ كلهم النار يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح في وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت في وجهه الماء » أخرجه أبو داود وابن ماجه . وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الله كثيرا والذاكرات » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقا نبيا وأن الله رفعه مكانا عليا ، وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا فقال حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال ابن يساف قال سألت ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لإدريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب أما إدريس فان الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملا فحملة بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرأ فكلم ملك الموت في الذي كلفه فيه إدريس فقال وأين إدريس ؟ فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكانا عليا) هذا من أخبار كعب الأخبار الاسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أنه سأله كعبا فذكر نحو ما تقدم غير أنه قال لتلك الملك هل لك أن تسأله يعني ملك الموت كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل وذكر باقيه وفيه أنه لما سأله عما بقي من أجله قال لا أدري حتى أنظر فنظر ثم قال إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدريس كان خياطا فكان لا يفرر إبرة إلا قال سبحان الله فكان يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل عملا منه وذكر بقيته كالذي قبله أو نحوه وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى . وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (ورفعناه مكانا عليا) قال السماء الرابعة وقال العوفي عن ابن عباس (ورفعناه مكانا عليا) قال رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال : الجنة .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطراد من ذكر الأشخاص إلى الجنس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الآية قال السدي وابن جرير رحمهم الله فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم والذي عنى به من ذرية إبراهيم

إسحق ويعقوب وإسماعيل والذي عنى به من ذرية إسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ، قال ابن جرير ولذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فانه جد نوح (قلت) هذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل أخذنا من حديث الإسراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام . وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن عمر أن إدريس أقدم من نوح فبعثه الله إلى قومه فأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ما شاءوا فأبوا فأهلكهم الله عز وجل ، وما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء أنها كقوله تعالى في سورة الأنعام ( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم \* ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين \* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين \* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين \* ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم \* - إلى قوله - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) وقال سبجانه وتعالى ( منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ) وفي صحيح البخارى عن مجاهد أنه سأل ابن عباس أفي ص سجدة ؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) فبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم قال وهو منهم يعنى داود . وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة ( إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ) أى إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا واستكانة حمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة ، والبكى جمع بك فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لمثلهم . قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكى يريد البكاء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيها رأيت فآله أعلم

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجه ، ذكر أنه ( خلف من بعدهم خلف ) أى قرون آخر ( أضاعوا الصلاة ) وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملذذاتها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أى خسارا يوم القيامة ، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد بإضاعتها تركها بالكيفية قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة للحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وليس هذا محل بسط هذه المسألة . وقال الأوزاعي عن موسى بن سليمان بن القاسم بن خيمرة في قوله ( فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ) قال إنما أضاعوا الواجبات ولو كان تركا كان كفرا . وقال وكيع عن السعدي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود أنه قيل له إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ( الذين هم عن صلاتهم ساهون ) و ( على صلاتهم دائمون ) و ( على صلاتهم يحافظون ) فقال ابن مسعود على مواقيتها . قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على التارك قال ذلك الكفر ، قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفي

إفراطهن الملكة وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن ، وقال الأوزاعي عن إبراهيم بن يزيد ان عمر بن العزيز قرأ (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ثم قال لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت ، وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال عند قيام الساعة وذهب صالحى أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله ، وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح أنهم من هذه الأمة يعنون في آخر الزمان ، وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا الحسن الأشيب حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون من الناس في الأرض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حيوة حدثنا بشر بن أبي عمرو الحولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يحدو تراقيمهم ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر » وقال بشر قلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يأكل به ، وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال أن عائشة كانت ترسل بالشئ صدقة لأهل الصفة وتقول لا تعطوا منه بربريا ولا بربرية فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « هم الخلف الذين قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » هذا حديث غريب وقال أيضاً حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شيخ من أهل المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله (فخلف من بعدهم خلف) الآية قال هم أهل الغرب يملكون وهم شر من ملك ، وقال كعب الأخبار والله إنى لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرايين للقهوات تراكين للصلوات لعابين بالكعبات رقادين عن العتات مفرطين في الغدوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقال الحسن البصري: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات، وقال أبو الأشهب العطاردي أوحى الله إلى داود عليه السلام يداود حذر وأندر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب العلقمة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وإن أهون ما أضنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتي ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو زيد التميمي عن أبي قبيل أنه سمع عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أخاف على أمتي اثنتين : القرآن واللبن (١) » أما اللبن فيتبعون الزيف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المؤمنين ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لميعة حدثنا أبو قبيل عن عقبة بن مرفوعا بنحوه تفرد به ، وقوله (فسوف يلقون غيا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فسوف يلقون غيا) أي خسرا ، وقال قتادة شراً وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحاق عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود (فسوف يلقون غيا) قال واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم وقال الأعمش عن زياد عن أبي عياض في قوله (فسوف يلقون غيا) قال واد في جهنم من قيح ودم وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير حدثني عباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شريك بن قيس عن قيس بن عمار بن الحزاعي قال حدثنا أبو أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بطعام ثم قال : قال رسول الله ﷺ « لو أن صخرة زنة عشر أواق كذب بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهي إلى غي وآثام » قال قلت ما غي وآثام قال: قال « بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار » وهما اللذان ذكرهما الله في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله في الفرقان (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما) هذا حديث غريب ورفعه منكر ، وقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) أي إلا

(١) كذا في النسخة المسكية وفي النسخة الأميرية : الكني ، بدل اللبن .



من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال ( فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ) وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها ، وفي الحديث الآخر « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ولا قبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرا وترك نسيا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم ، وهذا الاستثناء ههنا كقوله في سورة الفرقان ( والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - إلى قوله - وكان الله غفورا رحيما )

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا \* لَا يُسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا \* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ هِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾

يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي إقامة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب أي هي من الغيب التي يؤمنون به ومارأوه وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم وقوله ( إنه كان وعده مأتيا ) تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره فإن الله لا يخلف العباد ولا يبده كقوله ( كان وعده مفعولا ) أي كائنا لا محالة ، وقوله ههنا ( مأتيا ) أي العباد صائرون إليه وسيأتونه ومنهم من قال ( مأتيا ) بمعنى آتيا لأن كل ما أتاك فقد أتيت كما تقول العرب أتت على خمسون سنة وأتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد ، وقوله ( لا يسمعون فيها لغوا ) أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا ، وقوله ( إلا سلاما ) استثناء منقطع كقوله ( لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيا إلا قبيلا سلاما سلاما ) وقوله ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لأن هناك ليلا ونهارا ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيا بأضواء وأنوار كما قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطون آتيتهم وأمشطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوثة ورشحهم اللسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » أخرجاه في الصحيحين من حديث معمر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال الضحاك عن ابن عباس ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) قال مقادير الليل والنهار ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) قال : ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب وبهذا الإسناد عن الوليد ابن مسلم عن خلود عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتتمهم انفتحتى انغلقى فتفعل ، وقال قتادة في قوله ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) فيها ساعتان بكرة وعشى ليس ثم ليل ولانهار وإنما هو ضوء ونور ، وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقال الحسن وقتادة وغيرهما كانت العرب الأنعم فيهم من يتعدى ويتشى فزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم فقال تعالى ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) قال البكور يرد على العشى والعشى يرد على البكور ليس فيها ليل ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا على ابن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثني أبي حدثني محمد بن زياد قاضي أهل شباط عن عبد الله بن حدير

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مامن غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات إلا أنه يرف إلى ولي الله فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من الزعفران » قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر ، وقوله ( تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ) أى هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عزوجل في السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين ( قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ) إلى أن قال ( أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون )

﴿ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا \* رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يعلى ووكيع قالوا: حدثنا عمر بن زر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » قال فنزلت ( وما تنزل إلا بأمر ربك ) إلى آخر الآية . انفرد بإخراجه البخارى فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال العوفي عن ابن عباس احتبس جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبرائيل وقال يا محمد ( وما تنزل إلا بأمر ربك ) الآية . وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنتي عشرة ليلة ويقولون أقل فلما جاءه قال « يا جبرائيل لقد رثت على حتى ظن الشركون كل ظن » فنزلت ( وما تنزل إلا بأمر ربك ) الآية . قال وهذه الآية كالتي في الضحى قال وكذلك قال الضحالك بن مزاحم وقتادة والسدي وغير واحد : إنها نزلت في احتباس جبرائيل ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ثم نزل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما نزلت حتى اشتقت إليك » فقال له جبريل بل أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله إلى جبرائيل أن قل له ( وما تنزل إلا بأمر ربك ) الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال أبطأت الرسل على النبي ﷺ ثم أتاه جبريل فقال له « ما حبسك يا جبريل . » فقال له جبريل وكيف نأتكم وأتم لا تقصون أظفاركم ولا تقفون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستأكون . ثم قرأ ( وما تنزل إلا بأمر ربك ) إلى آخر الآية . وقد قال الطبراني حدثنا أبو عامر النهوي حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش أخبرني ثعلبة بن مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأتم لا تستأكون ولا تقصون أظفاركم ولا تقفون شواربكم ولا تقفون براجمكم ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي اليمان عن إسماعيل بن عياش عن ابن عباس بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصلح لي لنا المجلس فإنه ينزل ملك إلى الأرض لم ينزل إليها قط » وقوله ( له ما بين أيدينا وما خلفنا ) قيل المراد ما بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا أمر الآخرة ( وما بين ذلك ) ما بين النفتين هذا قول أبي العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة في رواية عنهما والسدي والريعي بن أنس وقيل ( ما بين أيدينا ) ما يستقبل من أمر الآخرة ( وما خلفنا ) أى ماضى من الدنيا ( وما بين ذلك ) أى ما بين الدنيا والآخرة ، ويروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحالك وقتادة وابن جريج والثوري واختاره ابن جرير أيضاً والله أعلم . وقوله ( وما كان ربك نسيا ) قال مجاهد والسدي : معناه ما نسيت ربك وقد تقدم

عنه أن هذه الآية كقوله ( والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن محمد ابن عبد الصمد الدمشقي حدثنا محمد بن عثمان يعني أبا الجماهر حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء يرفعه قال « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئاً » ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسياً) وقوله ( رب السموات والأرض وما بينهما) أى خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذى لا معقب لحكمه ( فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ) قال طى بن أبي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم ، وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَهَذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا \* أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا \* فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ \* ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا \* ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا \* ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى ( وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا تراباً أنذا لى خلق جديد ) وقال ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم \* قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) وقال ههنا ( ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حياً \* أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ) يستدل تعالى بالبداءة على الاعادة يعنى أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئاً أفلا يعيده وقد صار شيئاً كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ( وهو أهون عليه ) وفى الصحيح « يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني ، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني ، أما تكذبيه إياي فقله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من آخره ، وأما آذاه إياي فقله إن لى ولداً وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقوله ( فوربك لنحشرنهم والشيطان ) أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله ( ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ) قال العوفي عن ابن عباس يعنى قعوداً كقوله ( وترى كل أمة جاثية ) وقال السدى فى قوله جثياً يعنى قياماً ، وروى عن مرة عن ابن مسعود مثله . وقوله ( ثم لنزغن من كل شيعه ) يعنى من كل أمة قاله مجاهد ( أيهم أشد طى الرحمن عتياً ) قال الثورى عن طى بن الأقرع عن أبى الأحوص عن ابن مسعود قال: يحبس الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعاً ثم بدأ بالأكابرة فالأكابر جرماً وهو قوله ( ثم لنزغن من كل شيعه أيهم أشد طى الرحمن عتياً ) وقال قتادة ( ثم لنزغن من كل شيعه أيهم أشد طى الرحمن عتياً ) قال ثم لنزغن من أهل كل دين فادتهم ورؤسائهم فى الشر وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى ( حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أحرام لأولام ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار - إني قوله - بما كنتم تكسبون ) وقوله ( ثم لنحن أعلم بالدين هم أولى بها صلياً ) ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال فى الآية المقدمة ( قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون )

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرسائي عن أبى سمية قال اختلقنا فى الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقاعضهم يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا ، فقلت جابر بن عبد الله قلت له إنا اختلقنا فى الورود فقال يردونها جميعاً ، وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعاً وأهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال

صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا وينذر الظالمين فيها جثيا » غريب ولم يخرجوه وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال قد مررتم عليها وهي خامدة ، وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبداً بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكت فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكت قال إني ذكرت قول الله عز وجل ( وإن منكم إلا واردها ) فلا أدرى أنجو منها أم لا - وفي رواية وكان مريضاً وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي فليل له ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال أخبرنا أنا واردها ولم نخبر أنا صادرون عنها ، وقال عبداً بن المبارك عن الحسن البصري قال : قال رجل لأخيه هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها ، قال لا ، قال فقيم الضحك قال لما رأيته ضاحكاً حتى لحق بأبيه وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا ابن عيينة عن عمرو أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ) وردوا أم لا وقال ( يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار ) أوردتهم أم لا ، أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله يخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع . وروى ابن جرير عن عطاء قال : قال أبو راشد الحروري وهو نافع بن الأزرق ( لا يسمعون حسيبها ) فقال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله ( يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار ) ( ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ) ( وإن منكم إلا واردها ) والله إن كان دعاء من مضى ! اللهم أخرجني من النار سلماً ، وأدخلني الجنة غانماً ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد الحاربي حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله ( وإن منكم إلا واردها ) كان على ربك حتماً مقضياً ) قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسندرها فانظر هل نصدر عنها أم لا . وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبداً بن السائب عن سمع ابن عباس يقرؤها ( وإن منكم إلا واردها ) يعني الكفار وهكذا روى عمر بن الوليد بسبق أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك ( وإن منكم إلا واردها ) قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله ( وإن منكم إلا واردها ) يعني البر والفاجر ، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون ( يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار ) الآية ( ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ) فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود ( وإن منكم إلا واردها ) قال رسول الله ﷺ « يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » ورواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به ، ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعاً هكذا وقع هذا الحديث هنا مرفوعاً ، وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكأ به الصراط والصراط دحض مزقة عليه حسك كحسك القناد حافظه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس . وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله ( وإن منكم إلا واردها ) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرها من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . وقال ابن جرير حدثني

يعقوب حدثنا ابن عليه عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن أمسكي أصحابك ودعى أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولهه ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم همود ذوشعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ « إنى لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرآ والحديبية » قالت فقلت أليس الله يقول ( وإن منكم إلا واردها ) قالت : فسمعتة يقول ( ثم تنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ) . وقال أحمد أيضاً حدثنا ابن إدريس حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة فقال « لا يدخل النار أحد شهد بدرآ والحديبية » قالت حفصة أليس الله يقول ( وإن منكم إلا واردها ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ثم تنجى الذين اتقوا ) الآية وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم »

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم » يعنى الورود ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » قال الزهري كأنه يريد هذه الآية ( وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ) . وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال « إن الله تعالى يقول هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار فى الآخرة » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو اليمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ ( وإن منكم إلا واردها ) . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبانه بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً فى الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكثر وأطيب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ألف آية فى سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله متطوعاً لا بأجر سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم » قال الله تعالى ( وإن منكم إلا واردها ) وإن الله كره فى سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف ، وفى رواية بسبعمائة ألف ضعف ، وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبانه عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ « إن الصلاة على والصيام والله كره يضاعف على النفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف » . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله ( وإن منكم إلا واردها ) قال هو المر عليها : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله ( وإن منكم إلا واردها ) قال ورود المسلمين للورود على الجسر بين ظهرانيها وورود الشركين أن يدخلوها ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سلطان من الملائكة دعاؤهم يا الله سلم سلم » وقال السدى عن مرة عن ابن مسعود فى قوله ( كان على ربك حتماً مقضياً ) قال قسماً واجباً : وقال مجاهد : حتماً ، قال قضاء وكذا قال ابن جرير وقوله ( ثم تنجى الذين اتقوا ) أى إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصى بحسبهم نجى الله تعالى المؤمنين

التقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبار من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى ( ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً )

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِثِيًّا ﴾

يخبر تعالى عن الكفار حين تلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم ( خير مقاماً وأحسن ندياً ) أي أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن ندياً وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديتهم أعمر وأكثر وارداً وطارقاً يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم محتفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبراً عنهم ( وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ) وقال قوم نوح ( أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ) وقال تعالى ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ) ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم ( وكم أهلكتنا قبلهم من قرن ) أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكتناهم بكفرهم ( هم أحسن أثناً وريثياً ) أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتة ومنظر وأشكلاً قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس ( خير مقاماً وأحسن ندياً ) قال المقام المنزل والندى المجلس والأثاث المتاع والرثى المنظر ، وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والندى المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكتهم وقص شأنهم في القرآن ( كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ) فالمقام المسكن والنعيم . والندى المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه ، وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط ( وتأتون في ناديك المنكر ) والعرب تسمى المجلس النادى ، وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة وفيهم قسافة فعرض أهل الشرك ما تسمعون ( أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ) وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال في الأثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرثى المنظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، وقال الحسن البصرى معنى الصور وكذا قال مالك ( أثناً وريثياً ) أكثر أموالاً وأحسن صوراً والكل متقارب صحيح .

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا \* حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾

يقول تعالى ( قل ) يا محمد لهؤلاء المشركين برهبهم المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل ( من كان في الضلالة ) أي منا ومنكم ( فليمدد له الرحمن مداً ) أي فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقي ربه ويتقضى أجله ( إما العذاب ) يصيبه ( وإما الساعة ) بقتة تأتبه ( فسيعلمون ) حينئذ ( من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ) في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندى . قال مجاهد في قوله ( فليمدد له الرحمن مداً ) فليدعه الله في طغيانه هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير

رحمته الله وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم إن كنتم تدعون أنكم على الحق فإنه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك وقد تقدم تقدير ذلك في سورة البقرة مبسوط والله الحمد ، وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان والعلو في دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك ( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل الله لعنة على الكاذبين ) فنكلوا أيضا عن ذلك

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَغِيضَاتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴾

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ) الآيتين. وقوله ( والباقيات الصالحات ) قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف ( خير عند ربك ثوابا ) أي جزاء ( وخير مردا ) أي عاقبة ومردا على صاحبها ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودا يابساً فحط ورقه ثم قال « إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة » قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهلن الله ولأكرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رأى الجاهل حسب أنى مجنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله أعلم ، وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء فذكر نحوه

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا \* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا \* كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا \* وَنَرَاهُ مَا يَقُولُ وَبِأُتِينَا فَرْدًا ﴾

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولى ثم مال وولد فأعطيتك فأنزل الله ( أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا - إلى قوله - وبأتينا فردا ) أخرجه صاحب الصحيح وغيرهما من غير وجه عن الأعمش به وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث وقال ( أم اتخذ عند الرحمن عهدا ) قال موقفا

وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أععمل للعاص بن وائل فاجتمعت لي عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإذا بعثت كان لي مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ( أفرايت الذي كفر بآياتنا ) الآيات وقال العوفي عن ابن عباس إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألتسم تزعمون أن في الجنة ذهاباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات ؟ قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولداً ولأوتين مثل كتابكم الذي

جتم به ف ضرب الله مثله في القرآن فقال ( أفرايت الذي كفر بآياتنا - إلى قوله - ويأتينا فردا ) وهكذا قال مجاهد  
وقتادة وغيرهم إنها نزلت في العاص بن وائل ، وقوله ( لأوتين مالا وولدا ) قرأ بعضهم بفتح الواو من ولدا وقرأ  
آخرون بضمها وهو بمضاه قال رؤبة :

الحمد لله العزيز فردا \* لم يتخذ من ولد شيء ولدا  
وقال الحارث بن حلزة: ولقد رأيت معاشرنا \* قد تمروا مالا وولدا  
وقال الشاعر: فليت فلانا كان في بطن أمه \* وليت فلانا كان ولد حمار

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم ، وقوله ( أطلع الغيب ) إنكار على هذا القائل ( لأوتين  
مالا وولدا ) يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك ( أم اتخذ عند الرحمن عهدا ) أم له عند الله  
عهد سيؤتيه ذلك ؟ وقد تقدم عند البخاري أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس ( أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا )  
قال لا إله إلا الله فيرجو بها وقال محمد بن كعب القرظي ( إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ) قال شهادة أن لا إله إلا الله  
ثم قرأ ( إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ) وقوله ( كلا ) هي حرف ردع لما قبلها وتأكيدها ( سنكتب ما يقول )  
أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتمناه وكفره بالله العظيم ( وغد له من العذاب مدا ) أي في الدار الآخرة على  
قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا ( ونرثه ما يقول ) أي من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال إنه يؤتى في الدار الآخرة  
مالا وولدا زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ، ولهذا قال تعالى ( ويأتينا فردا )  
أي من المال والولد قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ( ونرثه ما يقول ) قال نرثه . وقال مجاهد ( ونرثه ما يقول )  
ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ( ونرثه ما يقول ) قال ما عنده وهو  
قوله ( لأوتين مالا وولدا ) وفي حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده وقال قتادة ( ويأتينا فردا ) لا مال له ولا ولد وقال  
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ( ونرثه ما يقول ) قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ( ويأتينا فردا ) قال فردا من ذلك  
لا يقبمه قليل ولا كثير .

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا \*  
أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْذُهُمْ أَوْ لَا تَأْذِيهِمْ إِنَّمَا لَّهُمُ عَذَابٌ ﴾

يخبر تعالى عن الكفار المشركين برهبهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون لهم تلك الآلهة ( عزاً ) يعتزون بها ويستنصرونها  
ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ولا يكون ما طمعوا فقال ( كلا سيكفرون بعبادتهم ) أي يوم القيامة ( ويكونون عليهم  
ضداً ) أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم  
عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) وقرأ أبو نهيك ( كل سيكفرون  
بعبادتهم ) وقال السدي ( كلا سيكفرون بعبادتهم ) أي بعبادة الأوثان وقوله ( ويكونون عليهم ضداً ) أي بخلاف  
ما رجوا منهم وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ( ويكونون عليهم ضداً ) قال أعوانا قال مجاهد عونا عليهم تخاصمهم  
وتكذبهم وقال العوفي عن ابن عباس ( ويكونون عليهم ضداً ) قال قرناء وقال قتادة قرناء في النار يلعن بعضهم  
بعضاً ويكفر بعضهم ببعض ، وقال السدي ( ويكونون عليهم ضداً ) قال الخصماء الأشداء في الخصومة وقال الضحاك  
( ويكونون عليهم ضداً ) قال أعداء . وقال ابن زيد الضد: البلاء ، وقال عكرمة : الضد الحسرة . وقوله ( ألم تر أننا أرسلنا  
الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس تعويهم إغواء ، وقال العوفي عنه تحرضهم على  
محمد وأصحابه ، وقال مجاهد تشليمهم إشلأء ، وقال قتادة ترعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله ، وقال سفيان الثوري تعريهم  
إغراء وتسمجلمهم استمجالاً ، وقال السدي تطعيمهم طغياناً ، وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى ( ومن يسعى



عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين ) وقوله ( فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا ) أى لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم ( إنما نعد لهم عدا ) أى إنما تؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم سائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله وقال ( ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ) الآية ( فهل الكافرين أمهلهم رويداً ) ( إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً ) ( نمتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ) ( قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ) وقال السدى إنما نعد لهم عدا: السنين والشهور والأيام والساعات ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( إنما نعد لهم عدا ) قال نعد أنفسهم في الدنيا

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا \* وَنَسُوقُ الْكٰفِرِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِذًا \* لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾

يخبر تعالى عن أو لياته المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوه فيما أخبروهم وأطاعوه فيما أمرهم به واتبعوا عما نهى زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه والوفد هم القادمون ركباناً ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون المكذبون للرسول المخالفون لهم فاتهم يساقون عنفاً إلى النار ( وردا ) عطاشاً قاله عطاء وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال ( أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالصة عن عمرو بن قيس اللاتى عن ابن مرزوق ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رأها وأطيبها ريحاً فيقول من أنت فيقول أما تعرفني ؟ فيقول لا ، الا أن الله قد طيب ريحك وحسن وجهك . فيقول أنا عمك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فظالمًا ركبتك في الدنيا فلهلم اركبني فيركبه فذلك قوله ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) قال ركباناً ، وقال ابن جرير حدثني ابن المنذر حدثنا ابن مهدي عن سعيد بن إسحاق عن رجل عن أبي هريرة ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) قال طي الإبل وقال ابن جريج على النجائب ، وقال الثوري طي الابل النوق ، وقال قتادة ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) قال إلى الجنة : وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا سويد بن سعيد أخبرنا طي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوساً عند طي رضى الله عنه فقرأ هذه الآية ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدني به وزاد عليها رحائل من ذهب وأزمتها الزبرجد والباقي مثله . وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً فروعاه عن طي فقال حدثنا أبو حنيفة بن بوعسار مالك بن إسحاق النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت أبا معاذ البصرى قال: إن علياً كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) فقال ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فإذا حلقة من ياقوت حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين ياعلى فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتتح له فإذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجدا - فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكنت بأمرك فتيبته ويقفو أثره

فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتاً من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل الأولو طرائق : أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طريقة تشا كل صاحبها. وفي البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مع ساقها من وراء الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه : الأنهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضررع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يعتصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلى الثمار فان شاء أكل قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئاً ثم تلا ( ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ) فيشتهى الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال أخضر فترفع أجنحتها فياً كل من جنوبها أى الألوان شاء ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم ( تلك الجنة التي أورتهموها بما كنتم تعلمون ) ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لأهل الأرض لأضاءت الشمس معها سواد في نور « هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً وقد روينا في القدمات من كلام على رضى الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم وقوله ( ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ) أى عطاشاً ( لا يملكون الشفاعة ) أى ليس لهم من يشفع لهم كاشفع المؤمنين بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم ( فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ) وقوله ( إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها، قال طي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ( إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ) قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله وبيراً إلى الله من الحول والقوة ولا يرجوا إلا الله عز وجل : وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاخته عن الأسود بن يزيد قال قرأ عبد الله يعنى ابن مسعود هذه الآية ( إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ) ثم قال اتخذوا عند الله عهداً فان الله يقوم يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فانى أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك ان تكلفني إلى عملي خير من الشر ويساعدني من الخير وإنى لا أتق إلا برحمتك فأجعل لي عندك عهداً تؤديه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً إليك . ثم رواه من وجه آخر عن السعدي بنحوه

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا \* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ \* وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا \* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا \* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع في مقام الإنكار طي من زعم أن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً فقال ( وقالوا اتخذنا الرحمن ولداً لقد جئتم ) أى في قولكم هذا ( شيئاً إذا ) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أى عظيماً ويقال إذا بكسر الهمزة وفتحها ومع مدها أيضاً ثلاث لغات أشهرها الأولى وقوله ( تكاد السموات يتفطر منه وتنشق الأرض وتخِر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ) أى يكاد يكون ذلك عند سماعهم هذه المقالة من فجرة بنى آدم إعظاما للرب وإجلالا لأنهم مخلوقات ومؤسسات على توحيديه وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الأحد الصمد

وفي كل شيء له آية \* تدل على أنه الواحد

قال ابن جرير حدثني على حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن على عن ابن عباس في قوله ( تكاد السموات يتفطر منه

وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ\* أن دعوا للرحمن ولداً) قال إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك إحسان الشرك كذلك نرجو أن يفر الله ذنوب الموحدين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة » فقالوا يارسول الله فمن قالها في صحته ؟ قال « تلك أوجب وأوجب » ثم قال « والذي نفسى بيده لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن » هكذا رواه ابن جرير وبشبهه له حديث البطاقة والله أعلم ، وقال الضحاك (تكاد السموات يتفطرن منه) أى يتشققن فرقاً من عظمة الله ، وقال عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم وتنشق الأرض أى غضباً له عز وجل وتخر الجبال هدأ قال ابن عباس هدما ، وقال سعيد بن جبيرة هدأ ينكسر بعضها على بعض متتابعات ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد القبري حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال إن الجبل لينادى الجبل باسمه يافلان هل مر بك اليوم ذكرا لله عز وجل ؟ فيقول نعم ويستبشر ، قال عون لمي للخير أسمع أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره ثم قرأ (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ\* أن دعوا للرحمن ولداً) ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا النذر بن شاذان حدثنا هودة حدثنا عوف عن غالب بن عبد الرحمن حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منى قال بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة - أو قال - كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بنى آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولداً فلما تكلموا بها اقتشعت الأرض وشاك الشجر . وقال كعب الأحمري غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعيد ابن جبيرة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم » وقوله (وما ينبئني للرحمن أن يتخذ ولداً) أى لا يصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته لأنه لا كفاء له من خلقه لأن جميع الخلائق عبيده ولهذا قال (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً \* لقد أحصاهم وعدهم عدداً) أى قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكراً وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم (وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) أى لا ناصر له ولا جبر إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم ذرة ولا يظلم أحداً

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا \* فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾

يخبر تعالى أنه يفرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية - يفرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا يحيد عنه وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه - قال - فيحبه جبريل قال ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض » ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع مولى ابن عمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا  
ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن  
العبد ليلتمس مرضات الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني  
ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل  
السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن طامر  
حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المنة  
من الله - قال شريك هي المحبة - والصيت من السماء فإذا أحب الله عبدا قال لجبريل عليه السلام إنى أحب فلانا فينادي  
جبريل إن ربكم يبق - يعنى يحب - فلانا فأجوبه - أرى شريكاً قد قال فتنزل له المحبة في الأرض - وإذا أبغض عبدا قال  
لجبريل إنى أبغض فلانا فأبغضه قال فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه - أرى شريكاً قال - فيجبرى له البغض في  
الأرض » غريب ولم يخرجوه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبد العزيز - يعنى ابن محمد - وهو الدراوردي  
عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله  
عبدا نادى جبريل إنى قد أحببت فلانا فأحبه فينادى في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله عز وجل  
( إن الدين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ) » ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتبية  
عن الدراوردي به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( سيجعل لهم الرحمن  
ودا ) قال حبا وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحبه  
ويحبهم يعنى إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضا والضحاك وغيرهم ، وقال العوفي عن ابن عباس أيضا : الود من  
المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق ، وقال قتادة ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن  
ودا ) أى والله في قلوب أهل الإيمان ، وذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله  
بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ، وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول مامن عبد  
يعمل خيراً أو شراً إلا كساه الله عز وجل رداء عمله ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن  
ابن مهدي عن الربيع بن صبيح عن الحسن البصرى رحمه الله قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فكان  
لا يرى في حين صلاة إلا قائماً يصلى وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فكث بذلك سبعة أشهر  
وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا إلى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال لا أرى أنى أذكر إلا بشر لأجلن عملي  
كله لله عز وجل فلم يزد على أن قلب نيتته ولم يزد على العمل الذى كان يعمل فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم  
الله فلانا الآن وتلا الحسن ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ) وقد روى ابن جرير أيضاً أن  
هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة  
ولم يصح سند ذلك والله أعلم ، وقوله ( فإنما يسرناه ) يعنى القرآن ( بللسانك ) أى يا محمد وهو اللسان العربى اللين الفصيح  
الكامل ( لتبشر به التقيين ) أى المستجيبين لله المصدقين لرسوله ( وتندربه قوماً لدا ) أى عوجاً عن الحق مائلين إلى الباطل  
وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد قوماً لدا لا يستقيمون ، وقال الثوري عن إسماعيل وهو السدي عن أبي صالح ( وتندربه  
قوماً لداً ) عوجاً عن الحق ، وقال الضحاك الألد الخصم وقال القرظى الألد الكذاب ، وقال الحسن البصرى ( قوماً  
لداً ) صبا وقال غيره صم آذان القلوب ، وقال قتادة قوماً لدا يعنى قريشا ، وقال العوفي عن ابن عباس ( قوماً لداً )  
فجراً وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد ، وقال ابن زيد : الألد الظلوم وقرأ قوله تعالى ( وهو ألد الخصام ) وقوله ( وكم  
أهلكنا قبلهم من قرن ) أى من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله ( هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ) أى  
هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم ركزاً قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصرى وسعيد بن جبير والضحاك

وابن زيد يعني صوتا ، وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا ، والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي ، قال الشاعر : فتوحشت ركز الأنيس فراعها \* عن ظهر غيب والأنيس سقامها .  
آخر تفسير سورة مريم وفيه الحمد والمنة . ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة طه وفيه الحمد .

### ( تفسير سورة طه وهي مكية )

روى إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسبار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة - يعني عبد الرحمن بن يعقوب - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

### ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

﴿ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى \* تَنْزِيلًا مِّنْ حَقِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى \* الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى \* لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى \* وَإِن تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين ابن محمد بن شيبه الواسطي حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - أنبأنا إسرائيل عن سالم الأبطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه يا رجل وهكذاروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن أبي أيوب أنهم قالوا : طه بمعنى يا رجل ، وفي رواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثوري أنها كلمة بالنبطية معناها يا رجل . وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى ( طه ) يعني طأ الأرض يا محمد ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الأكرام وحسن المعاملة وقوله ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) قال جوير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى ( طه ) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ( فليس الأمر كما زعمه اللطاون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلاء يوم القيامة إذا تعد على كرسية لقضاء عبادي إنى لم أجعل على وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغمر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثي ذكره أبو عمرو في استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب . وقال مجاهد في قوله ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) هي كقوله ( فاقراءوا ما تيسر منه ) وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة ( إلا تذكرة لمن يخشى ) إن الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحمة بها عباده ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، وقوله ( تنزيلا من خلق الأرض والسماوات العلى ) أى هذا القرآن الذي

جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء الذي خلق الأرض بانخفاضها وكشافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطاقها، وقد جاء في الحديث الذي صححه الترمذى وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديث الأوعال من رواية العباس عم رسول الله ﷺ ورضى الله عنه ، وقوله ( الرحمن على العرش استوى ) تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن المسلك لأسلم في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكيف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، وقوله ( له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ) أى الجميع ملكه وفى قبضته وتحت تصرفه ومشيئته وإرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه لا إله سواه ولا رب غيره وقوله ( وما تحت الثرى ) قال محمد بن كعب أى ما تحت الأرض السابعة ، وقال الأوزاعي إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعبا سئل فقيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ فقال الماء ، قيل وما تحت الماء ؟ قال الأرض قيل : وما تحت الأرض؟ قال الماء ، قيل : وما تحت الماء؟ قال الأرض؟ قال الماء ، قيل : وما تحت الماء؟ قال الأرض؟ قال الماء ، قيل : وما تحت الأرض؟ قال الصخرة قيل : وما تحت الصخرة؟ قال : ملك قيل : وما تحت الملك ؟ قال حوت معلق طرفاه بالعرش ، قيل : وما تحت الحوت؟ قال الهواء والظلمة وانقطع العلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخي بن وهب حدثنا عمى حدثنا عبد الله بن عباس حدثنا عبد الله بن سلمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حبات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه » وهذا حديث غريب جدا ورفع فيه نظر ، وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا أبو موسى الهروى عن العباس بن الفضل قال قلت ل ابن الفضل الأنصارى ، قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد ابن على عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فأقبلنا راجعين فى حر شديد فحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين قال وكنت فى أول العسكر إذ عارضنا رجل فسلم ثم قال أيكم محمد ومضى أصحابي ووقفت معه فإذا رسول الله ﷺ قد أقبل فى وسط العسكر على جمل أحمر مقنع بثوبه على رأسه من الشمس فقلت أيها السائل هذا رسول الله قد أتاك فقال أيهم هو ، فقلت صاحب البكر الأحمر فدنا منه فأخذ بخطام راحلته فكف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال إني أريد أن أسألك عن خصال لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل عما شئت » قال يا محمد أينام النبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنام عيناه ولا ينام قلبه » قال صدقت ثم قال يا محمد من أين يشبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأى المائين غلب على الآخر نزع الولد » فقال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمرأة منه فقال « للرجل العظام والعروق والعصب والمرأة اللحم والدم والشعر » قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعنى الأرض فقال رسول الله ﷺ « خلق » فقال فما تحتهم ؟ قال « أرض » قال فما تحت الأرض ؟ قال « الماء » قال فما تحت الماء ؟ قال « ظلمة » قال فما تحت الظلمة قال « الهواء » قال فما تحت الهواء ؟ قال « الثرى » قال فما تحت الثرى ؟ ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال « انقطع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال فقال صدقت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس هل تدررون من هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هذا جبريل صلى الله عليه وسلم » هذا حديث غريب جدا وسياق عجيب تفرد به القاسم ابن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس يساوى شيئا وضعفه أبو حاتم الرازى ، وقال ابن عدى لا يعرف

قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في شيء وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم وقوله ( وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ) أى أنزل هذا القرآن الذى خلق الأرض والسموات العلى الذى يعلم السر وأخفى كما قال تعالى ( قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ) قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس ( يعلم السر وأخفى ) قال السر ما أسر به آدم فى نفسه ( وأخفى ) ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يطلع فأنه يعلم ذلك كله فعله فيما مضى من ذلك وما بقى علم واحد وجميع الخلائق فى ذلك عنده كنفس واحدة وهو قوله ( ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ) وقال الضحاك ( يعلم السر وأخفى ) قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبير أنت تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غداً والله يعلم ما أسر اليوم وما أسر غداً ، وقال مجاهد ( وأخفى ) يعنى الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبير ( وأخفى ) أى ما هو عامله مما لم يحدث به نفسه ، وقوله ( الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ) أى الذى أنزل عليك القرآن هو الله الذى لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة فى الأسماء الحسنى فى أواخر سورة الأعراف والله الحمد والمنة

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ انكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾

من ههنا شرع تبارك وتعالى فى ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره فى رعاية النعم وسار بأهله قيل قاصداً بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلاً بين شعاب وجبال فى برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليورى ناراً كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شرر ولا شيء فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً أى ظهرت له نار من جانب الجبل الذى هناك عن يمينه فقال لأهله يبشرهم ( إنى آنست ناراً لعلى آتيتكم منها قبس ) أى شهاب من نار وفى الآية الأخرى ( أو جذوة من النار ) وهى الحجر الذى معه لمب ( لعلكم تصطلون ) دل على وجود البرد وقوله ( قبس ) دل على وجود الظلام وقوله ( أو أجده على النار هدى ) أى من يهدينى الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثورى عن أبى سعد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ( أو أجده على النار هدى ) قال من يهدينى إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال إن لم أجده أحداً يهدينى إلى الطريق آتيتكم بنار توقدون بها

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَبُوسَى \* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى \* وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى \* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي \* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ \* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾

يقول تعالى ( فلما أتاهها ) أى النار واقترب منها ( نودى يا موسى ) وفى الآية الأخرى ( نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله ) وقال ههنا ( إنى أنا ربك ) أى الذى يكلمك ويخاطبك ( فاخلع نعليك ) قال على بن أبى طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كاتبين جلد حمار غير ذكى ، وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيماً للبقعة : وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة ، وقيل ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافياً غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله ( طوى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس

هو اسم للوادي وكذا قال غير واحد ، فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الأمر بالوطة بقدمية ، وقيل لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت والأول أصح كقوله ( إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى ) وقوله ( وأنا اخترتك ) كقوله ( إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ) أى على جميع الناس من الموجودين في زمانه ، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدرى لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لأنى لم يتواضع إلى أحد تواضعك ، وقوله ( فاستمع لما يوحى ) أى استمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك ( إني أنا الله لا إله إلا أنا ) هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وقوله ( فاعبدنى ) أى وحدنى وقم بعبادتى من غير شريك ( وأقم الصلاة له كرى ) قيل معناه صل لئذ كرنى وقيل معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لى ويشهد لهذا الثانى ما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا الثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة له كرى » وفي الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك » وقوله ( إن الساعة آتية ) أى قائمة لا محالة وكائنه لا بد منها وقوله ( أكاد أخفيها ) قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسى يقول لأنها لا تخفى من نفس الله أبدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( أكاد أخفيها ) يقول لا أطلع عليها أحداً غيرى وقال السدى ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهى فى قراءة ابن مسعود إني أكاد أخفيها من نفسى يقول كتمتها من الخلائق حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسى لفعلت ، وقال قتادة أكاد أخفيها . وهى فى بعض القراءت أخفيها من نفسى ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الأنبياء والمرسلين ، قلت وهذا كقوله تعالى ( قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ) وقال ( قلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ) أى تفل عليها على أهل السموات والأرض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب حدثنا أبو نيملة حدثني محمد بن سهل الأسدي عن ورقاء قال أقرأني سعيد بن جبير أكاد أخفيها يعنى بنصب الألف وخفض الفاء يقول أظهرها ثم أما سمعت قول الشاعر:

باب شهرين ثم شهراً دميكا بأربكين يخفيان خميرا

قال السدى الغمير نبت رطب ينبت فى خلال ييس ، والأربكين موضع ، والدميك الشهر التام وهذا الشعر لكعب ابن زهير . وقوله سبحانه وتعالى ( لتجزى كل نفس بما تسعى ) أى أقيمها لا محالة لأجزى كل عامل بعمله ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) ( وإنما تجزون ما كنتم تعملون ) وقوله ( فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها ) الآية المراد بهذا الخطاب أحاد المكلفين أى لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذه فى دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر ( فتردى ) أى تهلك وتعطب قال الله تعالى ( وما ينفع عنه ماله إذا تردى ) .

﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَىٰ بِهَا ظِلِّي فِيهَا مَتَّارِبٌ ۖ ﴾

أُخْرَىٰ ۖ قَالَ أَلَيْسَ لِيَمِينِي يَمُوسَىٰ ۖ فَأَلْتَمَّهَا فَاِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَىٰ ۖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۖ ﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عزوجل وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل ، وقوله ( وما تلك بيمينك يا موسى ) قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإناس له وقيل وإنما قال له ذلك على وجه التقرير أى أما هذه التى فى يمينك عصاك التى تعرفها فسترى ما صنعت بها الآن ( وما تلك بيمينك يا موسى ) استفهام تقرير ( قال هى عصاى أتوكؤ عليها ) أى أعتمد عليها فى حال المشى



(وأهش بها على غنمي) أي أهرز بها الشجرة لئلا يساقط ورقها لترعاه غنمي ، قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك: الهش أن يضع الرجل الحجن في الفصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه ويثمره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يجبط وكذا قال ميمون بن مهران أيضا . وقوله (ولي فيها مأرب أخرى) أي مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك ، وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المأرب التي أجهت ققيل كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويفرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الحارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية ، وكذا قول بعضهم إنها كانت لآدم عليه الصلاة والسلام وقول الآخر إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة ، وروى عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب . وقوله تعالى (قال ألقها يا موسى) أي هذه العصا التي في يدك يا موسى ألقها (فألقها فإذا حية تسعى) أي صارت في الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فإذا هي تهتز كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة (تسعى) أي تمشى وتضطرب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سالك عن عكرمة عن ابن عباس (فألقها فإذا هي حية تسعى) ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها فولى مدبرا ونودي أن يا موسى خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف ققيل له في الثالثة إنك من الأمنين فأخذها . وقال وهب بن منبه في قوله (فألقها فإذا حية تسعى) قال فألقها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظريه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغي شيئا يريد أخذه يمر بالصخرة مثل الحلقة من الإبل فيلتقمها ويطعن بالتاب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، عيناه تتقدان ناراً وقد عاد الحججن منها عرفاً قيل شعر مثل النيازك وعاد الشعبان منها مثل القلب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عاب ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال (خذها) يمينك (ولا تخف سعيدها سيرتها الأولى) وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف فدخلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده فقال له ملك أرايت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدا وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين ولهذا قال تعالى (سعيدها سيرتها الأولى) أي إلى حالها التي تعرف قبل ذلك

﴿ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سَوْءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ \*  
 أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي \*  
 يَقْفَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَرُونَ أَخِي \* أَشَدُّ بِهِ أَزْرَىٰ \* وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي \* كَتَىٰ  
 نُسَبِّحُكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الأخرى وههنا عبر عن ذلك بقوله (واضمم يدك إلى جناحك) وقال في مكان آخر (واضمم إليك جناحك من الرهب فدانك برهانان من ربك إلى فرعون وملكه) وقال مجاهد واضمم يدك إلى جناحك كفك تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تلالأ كأنها فلقة قر وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) أي من غير

برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم ، وقال الحسن البصري أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى ( لريك من آياتنا الكبرى ) وقال وهب قال له ربه: ادنه فلم يزل يدينه حتى سجد ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العصا وخضع برأسه وعنقه وقوله ( اذهب إلى فرعون إنه طغى ) أى اذهب إلى فرعون ملك مصر الذى خرجت فارا منه وهاربا فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الرب الأعلى . قال وهب بن منبه : قال الله لموسى انطلق برسالتى فإنك بسمعى وعينى وإن معك يدي وبصرى وإنى قد ألبستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى فأنت جند عظيم من جندى بمتك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكبرى وغرته الدنيا عنى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم أنه لا يعرفنى فإنى أقسم بعزتى لولا القدر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فإن أمرت السماء حصبته وإن أمرت الأرض ابتلغته وإن أمرت الجبال دمرته وإن أمرت البحار غرقته ولكنه هان على وسقط من عينى ووسعه حلمى واستغنيت بما عندى وحقى إنى أنا الذى لاغنى غيرى فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وتوحيدي وإخلاصى وذكره أيامى وحذره نعمتى وبأسى وأخبره أنه لا يقوم شئ لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى وأخبره أنى إلى الغفور والغفيرة أسرع منى إلى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يظرف ولا يتنفس إلا بإذنى وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة فى كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتمثل به وتصد عباده عن سبيله وهو يعطر عليك السماء وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء الله أن يجعل لك العقوبة لتعمل ولكنه ذؤأناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأنتا تحتسبان بجهاده فإنى لو شئت أن آتية بجنود لا قبل له بها لفلعت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذى قد أعجبتة نفسه وجموعه أن الفتنة القليلة ولا قليل منى تغلب الفتنة الكثيرة بإذنى ولا تعجبك زينتته ولا مامتع به ولا تعدا إلى ذلك أعينك فأينها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينك من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتها فعلت ولكنى أُرغب بكما عن ذلك وأزويه عنك وكذلك أفعل بأوليائى وقديما ماجرت عادنى فى ذلك فانى لأزودهم عن نعيمها وزخارفها كما يزود الراعى الشفيق إبله عن مبارك الغرة وماذا لك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم فى دار كرامتى سائلا موفراً لم تكلمه الدنيا ، واعلم أنه لا يترين لى العباد بزينة هى أبلغ فيما عندى من الزهد فى الدنيا فإنها زينة للتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسياهم فى وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائى حقا حقا ، فإذا لقيتهم فاحض لهم جناحك وذلك قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لى وليا أو أخافه فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرض لى نفسه ودعانى إليها وأنا أسرع شئ إلى نصرته أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى ، أم يظن الذى يعادىنى أن يعجزنى أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى أو يفوتنى . وكيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيرى رواه ابن أبى حاتم ( قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ) هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما به فانه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم ، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفراً وأكثرهم جزواً وأعمهم ملكاً وأطغاهم وأبلغهم تمرداً بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلها غيره ، هذا وقد مكث موسى فى داره مدة وليدأ عندهم فى حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكاملها ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال ( رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ) أى إن لم تكن أنت عوفى ونصيرى وعضدى وظهيرى وإلا فلا طاقة لى بذلك ( واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ) وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سأتى بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكيفية بل بحيث

يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال ( أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ) أي يفصح بالكلام ، وقال الحسن البصري ( واحلل عقدة من لساني ) قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطي ، وقال ابن عباس شكاً موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فأتاه سؤاله فحل عقدة من لسانه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرظي يا ابن أخي أأنت أفهمك إذا حدثت . قال نعم قال فان موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه . وقوله ( واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ) وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هرون له . قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال نبي هرون ساعثه حين نبي موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا لا ندرى . قال أنا والله أدرى ؟ قالت قلت في نفسي في حلفه لا يستثنى إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه . قال موسى حين سأل لأخيه النبوة ، قلت صدق والله . قلت ومن هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام ( وكان عند الله وجيهاً ) وقوله ( اشد به أزرى ) قال مجاهد ظهري ( وأشركه في أمري ) أي في مشاورتي ( كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، وقوله ( إنك كنت بنا بصيراً ) أي في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثت لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى \* وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى \* أَنِ اقْذِفِي فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِي فِي الْيَمِّ فَأُلْقِيهِ بِالْيَمِّ يُأَخِذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَابًا مِّنِّي وَلَتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَعَلْنَا فِتْنًا لَّكَ ﴾

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكيره بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فأخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والحلم ما ذكره الله عنها في قوله ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) فذهب به البحر إلى دار فرعون ( فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ) أي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذراً من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربي إلا على فراش فرعون ويغذي بطعامه وشرا به مع محبة وزوجته له ولهذا قال تعالى ( يأخذه عدو لي وعدو له \* وألقيت عليك حبة مني ) أي عند عدوك جعلته يجيبك قال سلمة بن كهيل ( وألقيت عليك حبة مني ) قال حبيبتك إلى عبادي ( ولتصنع على عيني ) قال أبو عمران الجوني تربي بين الله وقال قتادة تغذي على عيني وقال معمر بن النخعي ( ولتصنع على عيني ) بحيث أرى ، وقال عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة . وقوله ( إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجناك إلى أمك كي تقر عينها ) وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها قال الله تعالى ( وحرمتنا عليه المراضع من قبل ) فجاءت أخته وقالت ( هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ) تعنى هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث « مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » وقال تعالى ههنا ( فرجناك إلى أمك كي تقر عنها ولا تحزن ) أى عليك ( وقتلت نفساً ) يعنى القبطى ( فنحنناك من الغم ) وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هارياً حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح ( لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) . وقوله ( وقتناك فتونا ) ( حديث الفتون ) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصعب بن زيد حدثنا القاسم بن أبى أيوب أخبرنى سعيد بن جبير قال سأل عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام ( وقتناك فتونا ) فسأله عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأتجز منه ما وعدنى من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أبناء ومولوكا فقال بعضهم إن بنى إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فاتهموا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفار يطوفون في بنى إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بنى إسرائيل يموتون بأجلهم والصغار يذبحون قالوا ليشكن أن ننفوا بنى إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التى يكفونكم فاقبلوا عاماً كل مولود ذكر واتركوا بناتهم ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فاتهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاترتهم إياكم ولم يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهروان في العام الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثانه فاتمى الماء به حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى امرأة فرعون فلما رأينه أخذته فأردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن إن فى هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة لذلك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج منه شيئاً حتى دفعته إليها فلما فتحته رأت فيه غلاماً فألقى الله عليه منها حبة لم يلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع النباخون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل حتى آتى فرعون فاستوهبه منه فإن وهبه لى كنتم قد أحسستم وأجلمتم وإن أمر بذبجه لم أملكم فأتمت فرعون فقالت قره عين لى ولك فقال فرعون يكون لك فأما لى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قره عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك » فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظئراً فجعلت كل امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق وجمع الناس ترجو أن تجد له ظئراً تأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهاتقالت لأخته قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكراً أحمى ابنى أم قد

أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، والجنب أن يسمو بصرة الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به فقالت من الفرح حين أعيانهم الظورات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت إليها فأنت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أدع ابني وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فاني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأبنته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيري ابني فوعدها يوما تزيرها إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لحزانها وظورها وقهارتها لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أمينا يحصى ما يصنع كل إنسان منكم فلم تنزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمه وفرحت به ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فليحنلته وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض فقال الفؤاة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه انه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الدباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به . وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت ما بذاك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال الأترينه يزعم أنه يصرعني ويعلونني فقالت اجعل بيني وبينك أمرا يعرف الحق به ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فحسب اليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فالتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى ؟ فسرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالغا فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشى في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتلان أحدهما فرعونى والآخر إسرائيلي فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكر موسى الفرعونى فقتله وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم قال ( رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ) فأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار فأتى فرعون فقتله إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وإن كان صفوة مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلموا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم فيبيناهم يطوفون لا يجدون ثبنا إذا موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الاسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوى مبين فنظر الاسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوى مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراد وإنما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيل وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتاركا وانطلق الفرعونى فأخبرهم بما سمع

من الإسرائيليين من الخبر حين يقول ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاخصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فخرج موسى متوجهاً نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال ( عسى ربي أن يهديني سواء السبيل \* ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ) يعنى بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معرتين لاتسقيان مع الناس ؟ قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقى من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال ( ربي إني لما أنزلت إلى من خير فقير ) واستنكر أبوها سرعة صدورها بغيرها حفلاً بطاناً فقال إن لكما اليوم لشأناً فأخبرته بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كمل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت إحداهما ( يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ) فاحتلمته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما فوته وما أماته فقالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقى منه وأما الأمانة فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشى خلفي وانتهى لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن آتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين . ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت ستنان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا ، قال سعيد وهو ابن جبير : فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت لا وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك ، فقال أما علمت أن ثمانيا كانت على نبي الله وجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي كان وعده فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذى سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قلت أجل وأولى ، فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ماقص الله عليك في القرآن فشكا إلى الله تعالى ما يجذر من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هرون يكون له رذواً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فأتاه الله سؤاله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هرون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هرون عليه السلام ، فانطلقا جميعاً إلى فرعون فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا ( إنا رسولا ربك ) قال فمن ربكما ؟ فأخبراه بالذى قص الله عليك في القرآن ؟ قال فما تريدان ؟ وذكره القليل فاعتذر بما قدممت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا بنى إسرائيل ؟ فأبى عليه وقال آتت بآية إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي حية تسمى عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فالتجتم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فزأها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول ، فاستشار الملائكة حوله فيما رأى ، فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويندبها بطريقتك المثلى يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فانهم بأرسلك كثير حتى تغلب بسحرهم سحرهما فأرسل إلى اللدائن فحضر له كل ساحر متعلم ، فلما أتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات ، قالوا فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذى نعمل فما أجرتنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع اليك كل شيء أحببت ، فتواعدوا يوم الزينة وأن يحضر الناس ضحى . قال سعيد بن جبير فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء . فلما اجتمعوا

في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) يعنون موسى وهارون استهزاء بهما؟ (فقالوا يا موسى إما أن تلتقي وإما أن نكون نحن الملقين) قال بل ألقوا حبالهم وعصيم وقالو بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبتت عصا ولا حبالاً إلا ابتعلته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله عز وجل آمنا بالله وبما جاء به موسى من عند الله وتوب إلى الله بما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك للوطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون (فغلبوا هالكوا وقلبو اصاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتدلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى ، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويواتمه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المذائن حاشرين فتبعه بمجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدى موسى بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه ، فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصا واتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً لله . فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون افعل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال وعدنى ربي إذا أثبت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفلق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له بيده حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون \* إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الآية . قد رأيتم من العبر وسعتم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلاً وقال أطيعوا هارون فإني قد استخلفت عليكم فإني ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه ويرجع فيه رجع فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان ، قال يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفني طيب الريح قال أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ارجع فصم عشراً ثم اثنتي ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قومه أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندهم عواري وودائع ولكم فهم مثل ذلك فإني أرى أنكم تهتسون مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين إليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا فحضر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضى له أن رأى أثر قبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامري ألا تلتقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بك البحر ولا ألقها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما تريد ، فألقاها ودعا له هارون ، فقال أريد أن يكون عجلاً فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح وله خرار ، قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط

إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو إسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق ، فقالت فرقة لانكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى ، وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس ربنا ولا تؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون ( يا قوم إنما فتتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ) قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا، هذه أربعون يوما قد مضت ، وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه يتبعه ، فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده ( فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ) فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف إلى السامري فقال له ما حملك على ما صنعت قال قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم ( فبذتها وكذلك سولت لي نفسي ، قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا ماسس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلت عليه ما كفا لنحرقنه ثم لننسنفه في اليم نسفاً ) ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغضب الدين كان رأيهم فيه مثل رأى هارون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا فاختر موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألو الحير خيار بنى إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال ( رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا ) وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال ( ورحمى وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ) فقال يارب سألتك التوبة لتومى قتلتي إن رحمتي كتبها لقوم غير قومي هلا آخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل الرحومة فقال له إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الوطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمرهم به أن يلبسهم من الوظائف فتقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرأوا بها فتنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيامهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل عفاة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكرهم ثم أمرهم أمرا عجبيا من عظيمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فنادوا خولون قال رجلا من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأت قال نعم من الجبارين آمننا بموسى وخرجنا إليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل ( قالوا يا موسى إنالن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ) فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاستقن ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من العصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم موسى فاستقن وحرما عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم اللين والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عيبتهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك بالحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس : رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى



على موسى أمر القتل الذي قتل فقال كيف يفتنى عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتل موسى الذي قتل من آل فرعون؟ الإسرائيلي الذي أفتى عليه أم الفرعوني؟ قال إنما أفتى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيض نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار . أو غيره والله أعلم وصحمت شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً ، وقوله عز وجل

﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ۖ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَأْتِيَتِي وَلَا تَنِيًّا فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۖ ﴾

يقول تعالى مخاطباً لموسى عليه السلام إنه لبث مقبلاً في أهل مدين فآرا من فرعون وملئه يرضى على صهره حتى انتهت العدة وانقضى الأجل ثم جاء موافقاً لقدرة الله وإرادته من غير ميعاد والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مجاهد أي على موعد ، وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة في قوله (ثم جئت على قدر يا موسى) قال على قدر الرسالة والنبوة . وقوله (واصطفيناك لنفسى) أي اصطفيناك واجتبتناك رسولا لنفسى أي كما أريد وأشاء ، وقال البخاري عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذى أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذى اصطفاك الله برسائه واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوباً على قلبه أن يخلقنى قال نعم فحج آدم موسى» أخرجه وقوله (اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى بمججى وبراهين ومعجزاتى (ولا تنيا في ذكري) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطن ، وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له كما جاء في الحديث «إن عبدي كل عبدي الذى يذكرني وهو مناجز قرنه» وقوله (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) أى تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه (فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى) هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا باللطف واللين كما قال يزيد الرقاشى عند قوله (فقولا له قولاً لينا)

يامن يتجيب إلى من يعاديه ، فكيف بمن يتولاه ويناديه ؟

وقال وهب بن منبه قولاً له إني إلى العفو والغفرة أقرب منى إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله (فقولا له قولاً لينا) قال لا إله إلا الله ، وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى (فقولا له قولاً لينا) أعذرا إليه قولاً له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونارا وقال بقيه عن علي بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن الزال بن سبرة عن علي في قوله (فقولا له قولاً لينا) قال كنه وكذا روى عن سفيان الثوري كنه بأبي مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتها له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأجمع كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (لعله يتذكر أو يخشى) أى لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أى يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى (لمن أراد أن يذكر أو يخشى) فالتذكر الرجوع عن المهدور والخشية تحصيل الطاعة ، وقال الحسن البصرى (لعله يتذكر أو يخشى) يقول : لا تنقل أنت يا موسى وأخوك هارون أهلكته قبل أن أعذر إليه ، وههنا تذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروى لأمية بن

أبي الصلت فيما ذكره ابن إسحاق .

وأنت الذي من فضل من ورحمة	بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا	إلى الله فرعون الذي كان باغيا
فقولا له هل أنت سويت هذه	بلاوتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آ أنت رفعت هذه	بلاعمد ارفق إذن بك بانيا
وقولا له آ أنت سويت وسطها	منيرا إذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة	فيصبح مامت من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى	فيصبح منه البقل يهتز رايا
ويخرج منه حبه في رءوسه	ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله عز وجل :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى \* فَأَتِيَاهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى \* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهرون عليهما السلام أنهما قالوا مستجيرين بالله تعالى شاكين إليه (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) يعنيان أن ييدر إليهما بعقوبة أو يعتدى عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبدا الرحمن ابن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد ييسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى: يعتدى (قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) أى لا تخافا منه فإني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى على من أمركم شيء واعلم أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بأذني وبعد أمرى وأنا معكما بحفظي ونصري وتأبيدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى إلى فرعون فقال رب أى شيء أقول قال قل هياشرا هيا قال الأعمش فسر ذلك أنا الحى قبل كل شيء والحى بعد كل شيء إسناد جيد وشيء غريب (فأتياه ققولا إنا رسولا بك) قد تقدم في حديث القتون عن ابن عباس أنه قال مكنا على بابهما حين لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هرون خرجا فوقا يباب فرعون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان: إنا رسولا رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فكنا فيما بلغنى سنتين يمدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك إن على بابك رجلا يقول قولا عجبا يزعم أن له إله غيرك أرسله إليك . قال يبابي؟ قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال إني رسول رب العالمين فعرفه فرعون ، وذكر السدى أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلمنا عليه فقال له موسى يا هرون إن ربى قد أمرنى أن آتى هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرك أن تعاوننى قال افعل ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترىء على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنوننا يقول إنه رسول الله فقال على به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله (قد جئناك بآية من ربك) أى بدلالة ومعجزة من ربك (والسلام على من اتبع الهدى) أى والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين » وكذلك لما كتب مسيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا صورته من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فاني قد أشركتك في الأمر فلك المذر ولي الوبر ولكن قريش قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون ( والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ) أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى ( فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا \* فان الجحيم هي المأوى ) وقال تعالى ( فأندرتكم ناراً تلتظي \* لا يصلها إلا الأشتى \* الذي كذب وتولى ) وقال تعالى ( فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ) أي كذب بقلبه وتولى بقلبه

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى منكراً وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربّه ومليكه قال ( فمن ربكما يا موسى ) أي الذي بعثك وأرسلك من هو فاني لأعرفه وما علمت لكم من إله غيري ( قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول خلق لكل شيء زوجة وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الإنسان إنساناً والحمار حمارة والشاة شاة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد أعطى كل شيء صورته وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: سوي خلق كل دابة وقال سعيد بن جبير في قوله ( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) قال أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهياً كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح ، وقال بعض المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى ( الذي قدر فهدى ) أي قدر قدراً وهدى الخلائق إليه أي كتب الأعمال والآجال والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يهيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجعل الخليفة على ما أراد ( قال فما بال القرون الأولى ) أضح الأتوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا الله أي فبالهلم إذ كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى في جواب ذلك هم وإن لم يعبدوه فان عملهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزئهم بعملهم في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمار ( لا يضل ربى ولا ينسى ) أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئاً يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فان علم الخلق يعتربه نقصاناً أحدهما عدم الاحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك

﴿ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى \* كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى \* وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال ( الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى )

ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال (الذي جعل لكم الأرض مهادا) وفي قراءة بعضهم مهادا أي قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا لهمم يهتدون) (وأنزله من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أي من أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع (كلوا وارعوا أنعامكم) أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لأنعامكم لأقواتها خضرا وبيضا (إن في ذلك لآيات) أي لدلالات وحججا وبراهين (لأولي النهى) أي لدوى العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي من الأرض مبدؤكم فان أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض وفيها نعيدكم أي وإليها تصيرون إذا تم وبليتكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبئثم إلا قليلا) وهذه الآية كقوله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال فيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى وقوله (ولقد رأينا آياتنا كلها فكذب وأبى) يعنى فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعاین ذلك وأبصره فكذب بها وأبأها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية

﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرٍ لَكَ يَمْوَسَىٰ \* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى \* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضَحِيًّا ﴾

يقول تعالى عبرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهى إلقاء عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكثرنا بهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحرا مثل سحرك فلا يفرنك ما أنت فيه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي يوما يجتمع نحن وأنت فيه فتعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك (قال) لهم موسى (موعدكم يوم الزينة) وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لجوارق العادات النبوية ولهذا قال (وأن يخشع الناس) أي جميعهم (ضحى) أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهرا ضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء وقال السدى وقادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبیر كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح وقال وهب ابن منبه قال فرعون ياموسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أومر بهذا إنما أمرت بمناجرتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله إلى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقادة مكانا سوى منصفا وقال السدى عدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستويين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ \* قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَايُّكُمْ لَا تَفْقَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ \* فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَىٰ \* قَالُوا إِنَّ هَذَا نَسْجَرٌ مِنْ أُيُودِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ \* فَأَجْمَعُوا كَيْدَ كُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلومين تولى أى شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثيرا ناقفا جدا كما قال تعالى (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) ثم أتى أى اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أ كابر دولته ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه أخوه هرون ووقفت السحرة بين يدي فرعون صفوفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يهدم ويمنهم يقولون (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن القرين) (قال لهم ويلكم لا فتروا على الله كذبا) أى لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لاحقائق لها وإنها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله (فيسحتكم بعباد) أى يهلككم بمقوبة هلاك لا ببقية له (وقد خاب من افتري فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم فقاتل يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبى ، وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله (وأسروا النجوى) أى تناجوا فيما بينهم (قالوا إن هذان لساحران) وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ، ومنهم من قرأ (إن هذين لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه . والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون موسى وهرون - ساحران عالمان خيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتنبهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينضرا عليه ويخرجاكم من أرضكم . وقوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) أى ويستبدا بهذه الطريقة وهى السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم أموال وأرزاق عليها يقولون إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك وتمحضت لها الرياسة بهادونكم ، وقد تقدم في حديث الفتون أن ابن عباس قال في قوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) يعنى ملككم الذى هم فيه والعيش . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن عبد الرحمن بن إسحق سمع الشعبي يحدث عن طى في قوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) قال يصرفا وجوه الناس اليهما ، وقال مجاهد (ويذهب بطريقتكم المثلى) قال أولوا الشرف والعقل والأسنان . وقال أبو صالح بطريقتكم المثلى أشرافكم وسرواتكم ، وقال قتادة وطريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله يريدان أن يذهبا بها لانفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلى بالذى أتم عليه ، وقوله (فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا) أى اجتمعوا كلكم صفا واحدا وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتقلبوا هذا وأخاه (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى منا ومنه ، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل وأما هو فينال الرياسة العظيمة

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقَىٰ وَإِنَّا نَكُونُ أَوْلَىٰ مِنْ أَلْقَىٰ ۚ قَالَ بَلْ أَلْقَوْنَا إِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُوسَىٰ ۚ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۚ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۚ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبُّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ۙ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى (إما أن تلقى) أى أنت أولا (وإما أن نكون أول من ألقى) أى أتم أولا لئرى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جلية أمرهم (فإذا جبالهم وعصيم يخيل إليه من سحرهم أنها تسمى) وفي الآية الأخرى أنهم لما ألقوا (قالوا بجزرة فرعون إننا نحن الغالبون) وقال تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال ههنا (فإذا جبالهم وعصيم يخيل إليه من سحرهم أنها تسمى)

وذلك أنهم أودعوا من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسمى باختيارها وإنما كانت حيلة وكانوا جما غفيرا وجمعا كثيرا فألقى كل منهم عصا وجبلا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضاً ، وقوله ( فأوجس في نفسه خيفة موسى ) أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويعتروا بهم قبل أن يلتقى ما في يمينه فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألقى ما في يمينك يعني عصاك فإذا هم تلقف ما صنعوا وذلك أنها صارت تنينا عظيما هائلا ذاقوا ثم وعق ورأس وأضر اس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصى حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقفته وابتلغته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جبهة نهارا ضحوة ، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى ( إنعسا صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ - عن الحسن بن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقتلوه - ثم قرأ - ( ولا يفلح الساحر حيث أتى ) قال لا يؤمن حيث وجد » وقد روى أصله الترمذي موقوفا ومرقوعا . فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مرية فيه ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون ففند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة . قال محمد بن كعب كانوا ثمانين ألفاً ، وقال القاسم بن أبي بزة كانوا سبعين ألفاً وقال السدي بضعة وثلاثين ألفاً ، وقال الثوري عن عبد العزيز ابن ربيع عن أبي تمامة كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفاً ، وقال محمد بن إسحق كانوا خمسة عشر ألفاً ، وقال كعب الأخبار كانوا اثني عشر ألفاً ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن علي بن حمزة حدثنا علي بن الحسين ابن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمساوا شهداء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الليث بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال : قال الأوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ، قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سلمان عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير قوله ( وألقى السحرة سجدا ) قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي بزة

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمَنَّ أَيُّهَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ \* قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبعيه ومكابرتة الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال بجاهه وسلطانه في السحرة قتهدهم وتوغدهم وقال ( آمنتم له ) أي صدقتموه ( قبل أن آذن لكم ) أي وما أمرتكم بذلك وافتتم على في ذلك ، وقال قولا يعلم هو والسحرة والحلق كلهم أنه بهت وكذب ( إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ) أي أتم إنما أخذتم السحر عن موسى وانفقتم أتم وإياه على وعلى رعييتي لتظهروه كما قال تعالى في الآية الأخرى ( إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ) ثم أخذت يدهم فقال ( لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبكنم في جذوع النخل ) أي لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم قال ابن عباس فكان

أول من فعل ذلك رواه ابن أبي حاتم . وقوله ( ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقي ) أي أتم تقولون إنى وقومى على ضلالة وأتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه ، فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم فى الله عزوجل و( قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البين ) أى لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ( والذى فطرنا ) يحتمل أن يكون قسما ويحتمل أن يكون معطوفا على البيئات ، يعنون لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذى أنشأنا من العدم المبتدى خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت ( فاقض ما أنت قاض ) أى فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك ( إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ) أى إنما لك تسلط فى هذه الدار وهى دار الزوال ونحن قد رغبنا فى درا القرار ( إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا ) أى ما كان منا من الآثام خصوصا ما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا سفيان ابن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى ( وما أكرهتنا عليه من السحر ) قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بنى إسرائيل فأمر أن يعلموا السحر بالفرما وقال علموهم تعليما لا يعلمه أحد فى الأرض ، قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا ( آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ) وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقوله ( والله خير وأبقي ) أى خير لنا منك ( وأبقي ) أى أدام ثوابنا كنت وعدتنا ومنيتنا وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله . وقال محمد بن كعب القرظى ( والله خير ) أى لنا منك إن أطيع ( وأبقي ) أى منك عذابا إن عصى ، وروى نحوه عن ابن إسحاق أيضا . والظاهر أن فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ \* وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ \* جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يحذرونه من نعمة الله وعذابه الدائم السرمدى ويرغبونه فى ثوابه الأبدى الخلد فقالوا ( إنه من يأت ربه مجرما ) أى يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم ( فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ) كقوله ( لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك تجزى كل كفور ) وقال ( ويتجنبها الأشقي الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ) وقال تعالى ( ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما تكونون ) وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا إسماعيل أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتمتيمهم إمارة حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة جىء بهم ضبائر ضبائر فبشوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الجنة تكون فى حميل السيل » فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم فى كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر بن الفضل كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا أبي حدثنا حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ( إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ) قال النبى ﷺ « أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها فان النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت العشب فى حميل السيل » وقوله تعالى ( ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات ) أى ومن لقي ربه يوم العساد مؤمنا من القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله ( فأولئك لهم الدرجات العلى ) أى الجنة ذات الدرجات العاليات والعرف الآمات والساكن الطيبات . قال الإمام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن

النبي ﷺ قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفرديوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس » ورواه الترمذى من حديث يزيد بن هارون عن همام به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى أخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فهين الياقوت والحلى في كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد ، وفي الصحيحين « إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لفاضل ما بينهم - قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال - بلى والذي نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفي السنن وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعموا وقوله ( جنات عدن ) أى إقامة وهى بدل من الدرجات العلى ( تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ) أى ما كثرين أبداً ( وذلك جزاء من تزكى ) أى طهر نفسه من الدنس والحب والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتباع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ نَبَسًا لَاتَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى \* فَاتَّبِعْهُمْ فِرْعَوْنُ يَجْنُودُهُ فَنَشِيهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ \* وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾

يقول تعالى مخبراً أنه أمر موسى عليه السلام حين أتى فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل أن يسرى بهم فى الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا القام فى غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج بينى إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لاداع ولا مجيب فغضب فرعون غضباً شديداً وأرسل فى الدائن حاشرين أى من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه يقول إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون ثم لما جمع جنده واستوسق له جيشه ساق فى طلبهم فأتبعهم مشرقين أى عند طلوع الشمس ( فلما تراءى الجمعان ) أى نظر كل من الفريقين إلى الآخر ( قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربي سيهدين ) ووقف موسى بينى إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه ( أن اصرب لهم طريقاً فى البحر نيساً ) فصرب البحر بعصاه وقال انقلب على ياذن الله فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابساً كوجه الأرض فلهدنا قال ( فاصرب لهم طريقاً فى البحر نيساً لا تخاف دركاً ) أى من فرعون ( ولا تخشى ) يعنى من البحر أن يفرق قومك ثم قال تعالى ( فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ) أى البحر ( ما غشيهم ) أى الذى هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور كما قال تعالى ( والمؤتفة أهوى فغشاها ما غشى ) وقال الشاعر :

\* أنا أبو النجم وشعرى شعرى \* أى الذى يعرف وهو مشهور . وكأقدمهم فرعون فسلك بهم فى اليم فأضلهم وما هدام إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ويثس الورد المورود

﴿ يَدْبِنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَمَا عَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْفَؤْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى \* وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾

يدكر تعالى نعمه على بنى إسرائيل العظام ومننه الجسام حيث أنجاهم من عدوهم فرعون وأقر أعينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا فى صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال ( وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون ) وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذى أظفر الله فيه



موسى على فرعون فقال « نحن أولى بموسى فصوموه » رواه مسلم أيضا في صحيحه ، ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن وهو الذى كله الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هناك وفي غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريبا ، وأما المن والسوى فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها فالمن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء ، والسوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفًا من الله ورحمة بهم وإحسانا إليهم ولهذا قال تعالى ( كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي ) أى كلوا من هذا الرزق الذى رزقتكم ولا تطفوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجة وتخالقوا ما أمرتكم به ( فيحل عليكم غضبي ) أى أغضب عليكم ( ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى فقد شتمى وقال شفى بن مانع إن في جهنم قصرا يرمى الكافر من أعلاه فيهوى في جهنم أربعين خريفا قبل أن يبلغ الصلصال وذلك قوله ( ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ) رواه ابن أبى حاتم وقوله ( وإنى لعنار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ) أى كل من تاب إلى تبت عليه من أى ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بنو إسرائيل ، وقوله تعالى ( تاب ) أى رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو مصيبة أو نفاق ، وقوله ( وآمن ) أى قبله ( وعمل صالحا ) أى بجوارحه ، وقوله ( ثم اهتدى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى ثم لم يشكك ، وقال سعيد بن جبير ( ثم اهتدى ) أى استقام على السنة والجماعة ، وروى نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف وقال قتادة ( ثم اهتدى ) أى أزم الإسلام حتى يموت ، وقال سفيان الثوري ( ثم اهتدى ) أى علم أن لهذا ثوابا ، وثم ههنا لترتيب الخبر على الخبر كقولهم ( ثم كان من الدين آمنوا وعملوا الصالحات )

( وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى \* قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى \* قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ \* فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَمُرُّكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْهَدْمُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي \* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا مُخْلِئُونَ أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ \* أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا )

لما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون ( وأتوا على قوم يمكنون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ) وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشرين فتمت أربعين ليلة أى يصومها ليلا ونهارا وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادرا إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هرون ولهذا قال تعالى ( وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى ) أى قادمون ينزلون قريبا من الطور ( وعجلت إليك رب لترضى ) أى لتزداد عنى رضا ( قال ) فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ( أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل وعبادتهم العجل الذى عمله لهم ذلك السامري. وفي الكتب الإسرائيلية أنه كان اسمه هرون أيضا وكتب الله تعالى له في هذه اللة الألواح التضمنة للتوراة كما قال تعالى ( وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ) أى عاقبة الخارجين عن طاعة الخالفين لأمرى ، وقوله ( فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ) أى بعد ما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحلق عليهم ، هو فيها هو فيه

من الاعتناء بأمرهم وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرف لهم وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ولهذا قال رجع إليهم غضبان أسفا والأسف شدة الغضب وقال مجاهد غضبان أسفا أى جزعا وقال قتادة والسدى أسفا حزينا على ما صنع قومه من بعده ( قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ) أى أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيدى الله ( أفضال عليكم العهد ) أى فى انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم ( أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ) أم ههنا بمعنى بل وهى للاضراب عن الكلام الأول وعدول إلى الثانى كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا أى بنوا إسرائيل فى جواب ما أنبهم موسى وقرعهم ( ما أخلفنا موعداك بملكنا ) أى عن قدرتنا واختيارنا ، ثم شرعوا يعتدرون بالعذر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلى القبط الذى كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقتلناها أى ألقيناها عنا ، وقد تقدم فى حديث الفتون أن هرون عليه السلام هو الذى كان أمرهم بالقاء الحلى فى حفرة فيها نار وهى فى رواية السدى عن أبى مالك عن ابن عباس إنما أراد هرون أن يجتمع الحلى كله فى تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء ثم جاء ذلك السامرى فألقى عليها تلك القبضة التى أخذها من أثر الرسول وسأل من هرون أن يدعو الله أن يستجيب له فى دعوة فدعا له هرون وهو لا يعلم ما يريد فأجيب له فقال السامرى عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا فكان عجلا له حوار أى صوت استدراجا وإمهالا ومحنة واختبارا ولهذا قال ( فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ) وقال ابن أحنم حدثنا محمد بن عباد بن البختري حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هرون مر بالسامرى وهو ينحت العجل فقال له ما تصنع فقال أصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم أعطه ما سألك على ما فى نفسه ومضى هرون وقال السامرى اللهم إني أسألك أن تخور فخار فكان إذا خار سجدوا له وإذا خار رفعوا رؤوسهم . ثم رواه من وجه آخر عن حماد وقال أعمل ما ينفع ولا يضر وقال السدى كان يخور ويمشى فقالوا أى الضلال منهم الذين اقتنوا بالعجل وعبدوه ( هذا الحكم وإله موسى فنى ) أى نسيه ههنا وذهب يتطلبه كذا تقدم فى حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنى أى نسي أن يذكرهم أن هذا الحكم وقال محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقالوا ( هذا الحكم وإله موسى ) قال فكفوا عليه وأحبوه جبا لمحبوا شيئا قط يعنى مثله يقول الله ( فنى ) أى ترك ما كان عليه من الإسلام يعنى السامرى قال الله تعالى ردا عليهم وتقريرا لهم وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه ( أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ) أى العجل أفلا يرون أنه لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أى فى دنياهم ولا فى آخراهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لا والله ما كان حوار إلا أن يدخل الريح فى دبره فيخرج منه فيسمع له صوت ، وقد تقدم فى حديث الفتون عن الحسن البصرى أن هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير كما جاء فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب يعنى هل يصلى فيه أم لا فقال ابن عمر رضى الله عنهما انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة !

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي  
قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

يخبر تعالى عما كان من نهى هرون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء بقدره تقديراً، ذو العرش المجيد الفعال لما يريد (فاتبعوني وأطيعوا أمرى) أى فيما أمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) أى لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هرون فى ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه

﴿ قَالَ يَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي \* قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِمِلْحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلاً عند ذلك غضباً وألقى ما كان فى يده من الألواح الإلهية وأخذ برأس أخيه يجره إليه وقد قدمنا فى سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » وشرح يلام أخاه هرون فقال ( ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ) أى فتخبرنى بهذا الأمر أول ما وقع ( أفعصيت أمرى ) أى فيما كنت قدمت إليك وهو قوله ( اخلقنى فى قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ) قال ( يا ابن أم ) ترقق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ فى الحنو والعطف ولهذا قال ( يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ) الآية . هذا اعتذار من هرون عند موسى فى سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الحطب الجسم ( قال إني خشيت ) أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لى لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ( ولم ترقب قولى ) أى وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم ، قال ابن عباس وكان هرون هائباً مطيعاً له

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ \* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي \* قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا \* إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول موسى عليه السلام للسامرى ما حملك على ما صنعت وما الذى عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان السامرى رجلاً من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر فى نفسه وكان قد أظهر الإسلام مع بنى إسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفى رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان وقال قتادة كان من قرية سامرا ( قال بصرت بما لم يبصروا به ) أى رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون ( قبضت قبضة من أثر الرسول ) أى من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن السدى عن أبى بن عمارة عن على رضى الله عنه قال إن جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام إلى السماء بصر به السامرى من بين الناس قبض قبضة من أثر الفرس قال وحمل جبريل موسى عليهما السلام خلفه حتى إذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام فى الألواح فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه ، غريب ، وقال مجاهد ( قبضت قبضة من أثر الرسول ) قال من تحت حافر فرس جبريل ، قال والقبضة ملاء الكف والقبضة بأطراف الأصابع ، قال مجاهد نبذ السامرى أى ألقى ما كان فى يده على حلية بنى إسرائيل فانسبك

عجلا جسدا له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمارة حدثنا عكرمة أن السامري رأى الرسول فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء قفلت له كن فكان قبض قبضة من أثر الرسول فيست أصابعه على القبضة ، فلما ذهب موسى للبيات وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلبي آل فرعون فقال لهم السامري إنما أصابكم من أجل هذا الحلبي فاجمعوا فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فذاب فراه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه قفلت كن فكان قذفت القبضة وقال كن فكان عجلا جسدا له خوار فقال ( هذا إلهكم وإله موسى ) ولهذا قال ( فنبذتها ) أي ألقيتها مع من ألقى ( وكذلك سولت لي نفسي ) أي حسنته وأعجبها إذ ذلك ( قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ) أي كما أخذت ومست مالم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أي لا تماس الناس ولا يمسونك ( وإن لك موعداً ) أي يوم القيامة ( لن تخلفه ) أي لا يحيد لك عنه ، وقال قتادة ( أن تقول لا مساس ) قال عقوبة لهم وبقيامهم اليوم يقولون لا مساس : وقوله ( وإن لك موعداً لن تخلفه ) قال الحسن وقاتدة وأبو نهيك لن تيب عنه وقوله ( وانظر إلى إلهك ) أي معبودك ( الذي ظلت عليه عاكفاً ) أي أقتت على عبادته يعني العجل ( لنحرقنه ) قال الضحاك عن ابن عباس والسدي سحله بالمبارد وألقاه على النار ، وقال قتادة استحبال العجل من الذهب لحما ودما فحرقه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال ( ثم لنسفته في اليم نسفاً ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : إن موسى لما تعجل إلى ربه عمده السامري فجمع ما قدر عليه من حلبي نساء بنو إسرائيل ثم صوره عجلا قال فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا ؟ قال يقتل بعضكم بعضاً وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك وقوله تعالى ( إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ) يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له فإن كل شيء فقير إليه عبد له وقوله ( وسع كل شيء علماً ) نصب على التمييز أي هو عالم بكل شيء ، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين ، والآيات في هذا كثيرة جداً

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا \* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا \* خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، وهذا وقد آتيناك من لدنا أي من عندنا ذكراً وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي لم يعط نبى من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم كتاباً مثله ولا أكمل منه ولا أجمع خبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ، وقوله تعالى ( من أعرض عنه ) أي كذب به وأعرض عن اتباعه أمراً وطلباً وابتغى الهدى من غيره فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء الجحيم ولهذا قال ( من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ) أي إنما كما قال تعالى ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال ( لأنذركم به ومن بلغ ) فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدى

ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقى في الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال ( من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالد بن فيه ) أى لا يحيد لهم عنه ولا انفكاك ( وساء لهم يوم القيامة حملا ) أى بشس الحمل حملهم

﴿ يَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الصور فقال «قرن ينفخ فيه» وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم، الدائرة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وجاء في الحديث « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » فقالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله ( ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال ( يتخافتون بينهم ) قال ابن عباس يتسارون بينهم أى يقول بعضهم لبعض إن لبثتم إلا عشرا أى في الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها قال الله تعالى ( نحن أعلم بما يقولون ) أى في حال تناجيهم بينهم ( إذ يقول أمثلهم طريقة ) أى العاقل الكامل فيهم ( إن لبثتم إلا يوما ) أى لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت ليالها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - إلى قوله - ولكنكم كنتم لا تعلمون ) وقال تعالى ( أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) الآية وقال تعالى ( كم لبثتم في الأرض عدد سنين \* قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين \* قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ) أى إنما كان لبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لأنتمم الباقي على الفائى ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفائى على الدائم الباقي .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا \* لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا \* يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾

يقول تعالى ( ويسألونك عن الجبال أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟ قل ينسفها ربى نسفا ) أى يذهبها عن أما كنها ويمحقها ويسيرها تسييرا ( فيذرها ) أى الأرض ( قاعا صفصفا ) أى بساطا واحداً والقاع هو المستوى من الأرض والصفصف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذى لانبات فيه والأول أولى وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم ولهذا قال ( لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ) أى لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف ( يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له ) أى يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسارعين إلى الداعى حيثما أمروا بادرُوا إليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ) وقال ( مهطمين إلى الداع ) وقال محمد ابن كعب القرظى يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه ، فذلك قوله ( يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له ) وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله ( وخشعت الأصوات للرحمن ) قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدى ( فلا تسمع إلا همسا ) قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس يعنى وطء الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ( فلا تسمع إلا همسا ) الصوت الخفى وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبیر ( فلا تسمع إلا همسا ) الحديث وسره ووطء الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين

وهو محتمل أما وطء الأقدام فالمراد سعى الناس إلى المحشر وهو مشبه في سكون وخضوع ، وأما الكلام الحفي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى ( يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد )

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا \* وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

يقول تعالى ( يومئذ ) أى يوم القيامة ( لاتنفع الشفاعة ) أى عنده ( إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ) كقوله ( من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ) وقوله ( وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) وقال ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) وقال ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) وقال ( يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عزوجل أنه قال « آتى تحت العرش وأخرته ساجدا ويفتح على بمحامد لا أحصيا الآن فيدعى ماشاء أن يدعى ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع - قال - فيجد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود » فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء . وفى الحديث أيضا « يقول تعالى أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار من كان فى قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان فى قلبه ما يزن ذرة من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان » الحديث ، وقوله ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ) أى يحيط علماً بالخلائق كلهم ( ولا يحيطون به علماً ) كقوله ( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ) وقوله ( وعنت الوجوه للحى القيوم ) قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لا يموت ، القيوم الذى لا ينام وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل فى نفسه الذى كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به ، وقوله ( وقد خاب من حمل ظلما ) أى يوم القيامة فإن الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القراء ، وفى الحديث « يقول الله عزوجل وعزى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم » وفى الصحيح « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والحياة كل الحياة من لقي الله وهو به مشرك فإن الله تعالى يقول إن الشرك لظلم عظيم » وقوله ( ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ) لما ذكر الظالمين ووعيدهم نبي بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أى لايزاد فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحدة فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا \* فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لاحالة أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربى مبين فصيح لا لبس فيه ولا عى ( وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ) أى يتركون المآثم والمحارم والنهواحتش ( أو يحدث لهم ذكرا ) وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات ( فتعالى الله الملك الحق ) أى تنزهه وتقدس الملك الحق الذى هو حق ووعدته حق ووعيده حق ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق ، وعدله تعالى أن لا يعذب أحدا قبل الا نذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه ثلاثى بيق لأحد حجة ولا شبهة ، وقوله ( ولا تعجل بالقرآن من قبل أن

يقضى إليك وحيه) كقوله تعالى في سورة لا أقسم بيوم القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه\*) فاذا قرأناه فاتبع قرآنه\* ثم إن علينا بيانه) وثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعني أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشدته الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لتلايق عليه فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) أي أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال في هذه الآية (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي بل أنصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراءه بعده (وقل رب زدني علماً) أي زدني منك علماً، قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في الحديث « إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدالله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال » وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير به وقال غريب من هذا الوجه، وراه البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره « وأعوذ بالله من حال أهل النار »

﴿ وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اِلٰى اٰدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا \* وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى \* فَقُلْنَا يَا سٰٓدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يَخْرِجْكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقٰى \* اِنَّ لَكَ اَلًا تَجُوْعُ فِيْهَا وَلَا تَعْرٰى \* وَاَنْتَ لَا تَظْمُوْا فِيْهَا وَلَا تَضْحٰى \* فَوَسْوَسَ اِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالِ يَا سٰٓدَمُ هَلْ اَدْرٰكُ عَلٰى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلٰى \* فَاَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاُتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفٰنِ عَلَيْنِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصٰى اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوٰى \* ثُمَّ اجْتَبٰهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إنما جئى الإنسان لأنه عهد إليه فنسى وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه، وقال مجاهد والحسن: ترك، وقوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يذكر تعالى تشریف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً، وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف وسبأ في آخر سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره الملائكة بالسجود له تشریفاً وتكريماً وبين عداوة إبليس لبنى آدم ولأبيهم قديماً ولهذا قال تعالى (فسجدوا إلا إبليس أبى) أي امتنع واستكبر (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) يعني حواء عليهما السلام (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أي إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك فأنك ههنا في عيش رغيد ههنا بلا كلفة ولا مشقة (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) إنما قرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر (وأنت لا تظمؤ فيها ولا تضحى) وهذان أيضاً متقابلان فالظمأ حر الباطن وهو العطش والضحى حر الظاهر. وقوله (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) قد تقدم أنه دلاهما بفرور (وقاسنهما إني لكما لمن الناصحين) وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكل من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة العينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكل منها وكانت شجرة الخلد: أى التى من أكل منها خلد ودام مكته وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسى: حدثنا شعبة عن

أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد » ورواه الإمام أحمد ، وقوله ( فأكل منها فبدت لها سوءاتها ) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن اشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم منى تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء رأيت إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال نعم » فذلك قوله ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ) وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضاً وقوله ( وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ) قال مجاهد يرقعان كهيئة الثوب وكذا قال قتادة والسدي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ( وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ) قال يزعان ورق التين فيجعلانه على سوءاتهما وقوله ( وعصى آدم ربه فغوى \* ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى ) قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتومني على أمر كتبه الله على قسب أن يخلقني أو قدره الله على قسب أن يخلقني - قال رسول الله ﷺ - فحج آدم موسى » وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرها من المسانيد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك ، قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أتومني على أن عملت عملاً كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة - قال رسول الله ﷺ - فحج آدم موسى » قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ قَائِمًا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسَيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعاً أي من الجنة كلكم ، وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة ( بعضكم لبعض عدو ) قال آدم وذريته ، وإبليس وذريته ( فإما يأتينكم مني هدى ) قال أبو العالية : الأنبياء والرسل والبيان ( فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ( ومن أعرض عن ذكري ) أي خالف أمرى وما أنزلته على رسولى أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هدايه ( فإن له معيشة ضنكا ) أي ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تتمم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك للمعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( فإن له معيشة ضنكا ) قال الشفاء وقال العوفي عن ابن عباس ( فإن له معيشة ضنكا ) قال كلما أعطيته عبداً من عبادى قل أو أكثر لا يتقنى فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال أيضاً إن



قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلقا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسئ الظن به والثقة به اشتدت عليه معيسته فذلك الضنك ، وقال الضحاک هو العمل السيء والرزق الحثيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان ابن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله ( معيشة ضنكا ) قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه ، قال أبو حاتم الرازي : النعمان بن أبي عياش يكنى أبا سلمة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أبا نانا الوليد أبا نانا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل ( فان له معيشة ضنكا ) قال ضمة القبر له والموقوف أصح . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجرية واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيم أنزلت هذه الآية ( فان له معيشة ضنكا ) أتدرون ما الديشة الضنك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تينا ، أتدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رموس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يعثون » رفعه منكر جدا وقال البزار حدثنا محمد ابن يحيى الأزدي حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل ( فان له معيشة ضنكا ) قال « المعيشة الضنك الذي قال الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة » وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ( فان له معيشة ضنكا ) قال « عذاب القبر » إسناده جيد وقوله ( ونحشره يوم القيامة أعمى ) قال مجاهد وأبو صالح والسدي لاجلة وقال عكرمة عمى عليه كل شيء إلا جهنم ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصميا أو هم جهنم ) الآية ولهذا يقول ( رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ) أى في الدنيا ( قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ) أى لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينسك ( فالיום ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ) فان الجزء من جنس العمل . فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وإن كان متوعدا عليه من جهة أخرى فانه قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك ، قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عباد عن النبي ﷺ قال « ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجزم » ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عباد بن الصامت عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾

يقول تعالى وهكذا نجازى السرفين الكذابين بآيات الله في الدنيا والآخرة ( لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ) ولهذا قال ( ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ) أى أشد ألما من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ للتلاعنين « إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة »

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾  
 ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

السُّنْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آتَائِي اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾

يقول تعالى (أفلم يهد) لهؤلاء الكذابين بما جنتهم به يا محمد كم أهلكتنا من الأمم الكذابين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الحالية التي خلفوهم فيها يمشون فيها (إن في ذلك لآيات لأولى النهي) أي العقول الصحيحة والألباب المستقيمة كما قال تعالى ( أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ) وقال في سورة الم السجدة ( أو لم يهد لهم كم أهلكتنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ) الآية ثم قال تعالى ( ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ) أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء الكذابين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لنبية مسليا له ( فاصبر على ما يقولون ) أي من تكذيبهم لك ( وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ) يعني صلاة الفجر ( وقبل غروبها ) يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ هذه الآية، وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رؤبة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لن يبلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفي السنن والسند والسنن عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه وإن أعلام منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى في اليوم مرتين » وقوله ( ومن آتاء الليل فسبح ) أي من ساعاته فتسجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء ( وأطراف النهار ) في مقابلة آتاء الليل ( لعلك ترضى ) كما قال تعالى ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) وفي الصحيح « يقول الله تعالى يا أهل الجنة فيقولون ليبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول إني أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » وفي الحديث الآخر « يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر إليه ، وهي الزيادة .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ ﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَمَلُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٢﴾

يقول تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هؤلاء الترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لتختبرهم بذلك وقليل من عبادى الشكور ، وقال عجاهد أزواجا منهم يعني الأغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال في الآية الأخرى ( ولقد آتيناك سبعا من الثناني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك ) الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف كما قال تعالى ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) ولهذا قال ( ورزق ربك خير وأبقى ) وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك الشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصر وليس في البيت إلا صبرة من قرظ واهية معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا عمر ؟ » فقال يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال « أو في شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا » فكان صلى الله عليه وسلم أزهدهم الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئا لقد ،

قال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا » قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال « بركات الأرض » وقال قتادة والسدى : زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة (لنفتنهم فيه) لنبتليهم وقوله (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) أي استقدهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ورفأ وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فرجما لم يغم فقول لا يقوم الليلة كما كان يقوم وكان إذا استيقظ أقام يعني أهله وقال (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقوله (لانسألك رزقا نحن نرزقك) يعني إذا أتمت الصلاة أتناك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - إلى قوله - إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ولهذا قال لانسألك رزقا نحن نرزقك ، وقال الثوري لانسألك رزقا أي لانكفك الطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ (ولا تمدن عينك - إلى قوله - نحن نرزقك) ثم يقول : الصلاة ، الصلاة رحمكم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلاء صلوا ، صلوا . قال ثابت وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالبي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد قفرك ، وإن لم تفعل فلا ت صدرك شغلا ولم أسد قفرك » وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبالي الله في أي أوديته هلك » ، وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » وقوله (والعاقبة للمتقوى) أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت الليلة كأننا في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب »

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْنَا بِنَايَةِ مَنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* وَلَوْ أَنَا أَهْلِكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى \* قُلْ كُلٌّ مَّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنَ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار في قولهم (لولا) أي هلا يا تينا محمد بآية من ربه أي بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله؟ قال الله تعالى (أولم تأتنيهم بيينة ما في الصحف الأولى) يعني القرآن العظيم الذي أنزله عليه الله وهو أمي لا يحسن الكتابة ولم يدرس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافق عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فإن القرآن مبين عليها يصدق الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى في سورة العنكبوت (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) أولم يكفهم أنا أنزلنا

عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطها عليه السلام وهو القرآن وإلافه من المعجزات ما لا يحصى ولا يحصر كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه ثم قال تعالى ( ولو أنا أهلكناهم بعدنا من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولا) أي لو أننا أهلكناه هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم ونزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا (ربنا لولا أرسلنا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به وتبعه كما قال (فتتبع آياتك من قبل أن نذلل ونخزي) يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون (ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب العظيم) كما قال تعالى ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون - إلى قوله - بما كانوا يصدفون) وقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) الآية وقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) الآيتين ، ثم قال تعالى ( قل ) أي يا محمد لمن كذبتك وخالفك واستمر على كفره وعناده ( كل مترص ) أي مناومتك ( فربصوا ) أي فاتتظروا ( فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ) أي الطريق المستقيم ( ومن اهتدى ) إلى الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالى ( وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ) وقال ( سيعلمون غدا من الكذاب الأثر ) . آخر تفسير سورة طه والله الحمد والمنة ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة الأنبياء والله الحمد

### ( تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام وهي مكية )

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال ، بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، هن من العتاق الأول وهن من تلادي

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ \* قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِنَآئِهِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ \* مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ )

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ( في غفلة معرضون ) قال « في الدنيا » وقال تعالى ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال ) اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ) الآية ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هاني أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

الناس في غفلاتهم \* ورحا المنية تطحن

قليل له من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى ( اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) وروى (١) في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الأمدى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال إني استقطعت

(١) هذا الخبر غير موجود في النسخة المكية .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ( اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ) أي جديد إنزاله ( إلا استمعوه وهم يلعبون ) كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضا لم يشب رواه البخارى بنحوه ، وقوله ( وأسروا النجوى الذين ظلموا ) أي قائلين فيما بينهم خفية ( هل هذا إلا بشر مثلكم ) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال ( أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون ) أي أفقتبعونه فتسكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى عجيبا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب ( قال ربني يعلم القول في السماء والأرض ) أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السبر في السموات والأرض وقوله ( وهو السميع العليم ) أي السميع لأقوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعد وقوله ( بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء ) هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) وقوله ( فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ) يعنون كفاة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله ( وما منعا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) الآية ، ولهذا قال تعالى : ( ما آمنت قلوبهم من قرية أهلكتناهم أفهم يؤمنون ) أي ما آتينا قرية من القرى الذي بعث فيهم الرسل آية على يدي نبينا فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا ، بل ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدي رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن زيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ بعض القرآن فجاء عبد الله بن أبي بن سلول ومعه نمرة وزرية فوضع واتكأ وكان صديحا فصيحاً جدلاً فقال يا أبا بكر قل ل محمد يأتينا بآية كما جاء الأولون ؟ جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى الإنجيل وبالمائدة . فبكى أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر قوموا بنا إلى رسول الله ﷺ نستيث به من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ : « إنه لا يقام لي إنما يقام لله عز وجل » قلنا يا رسول الله إنا لقينا من هذا المنافق ، فقال : « إن جبريل قال لي أخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضلته التي فضلت بها فبشرني أتى بعثت إلى الأحمر والأسود وأمزني أن أئذرن الجن وآتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر وذكر اسمي في الأذان وأمدي بالملائكة وآتاني النصر وجعل الرعب أمامي وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة ووعدني التمام الم محمود والناس مهطعون مقنعون رءوسهم وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس وأدخل في شفاعتي سبعين ألفاً من أمي الجنة بغير حساب وآتاني السلطان والملك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوقى أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لي ولأمي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلنا » وهذا الحديث غريب جدا

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا آلَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ \* ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا النَّاسَ فِيْنَ ﴾

يقول تعالى راداً على من أنكر بعثة الرسل من البشر ( وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ) أى جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال فى الآية الأخرى ( وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى ) وقال تعالى ( قل ما كنت بدعا من الرسل ) وقال تعالى حكاية عمّن تقدم من الأمم لأنهم أنكروا ذلك فقالوا ( أشر يهدوننا ) ولهذا قال تعالى ( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) أى اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم ، وقوله ( وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ) أى بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ) أى قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضارهم ولا ناقص منهم شيئاً كما توهمه المشركون فى قولهم ( ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً \* أو يلقي إليه كزباً أو تكون له جنة يأكل منها ) الآية ، وقوله ( وما كانوا خالدين ) أى فى الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون ( وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد ) وخاصتهم أنهم يوحي إليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه فى خلقه مما يأمر به وينهى عنه ، وقوله ( ثم صدقناهم الوعد ) أى الذى وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال ( فأنجيناهاهم ومن نساء ) أى أتباعهم من المؤمنين ( وأهلكنا السرفين ) أى الكذابين بما جاءت به الرسل .

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا إِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ الْكُفُونَ \* لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾

يقول تعالى منبها على شرف القرآن ومحرضا لهم على معرفة قدره ( لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ) قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم ( أفلا تعقلون ) أى هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى ( وإنه لقد كررك ولقومك وسوف تسألون ) وقوله ( وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ) هذه صيغة تكثير كما قال ( وكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ) وقال تعالى ( وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ) الآية. وقوله ( وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ) أى أمة أخرى بعدهم ( فلما أحسوا بأسنا ) أى تيقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبياهم ( إذا هم منها يركضون ) أى يفرون هارين ( لا تاركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم ) هذاتهم بهم نرا أى قيل لهم نرا لا تاركضوا هارين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والسكن الطيبة ، قال قتادة استهزاء بهم ( لعلكم تسألون ) أى عما كنتم فيه من أداء شكر النعم ( قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ) اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك ( فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ) أى ما زالت تلك المقالة وهى الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم حصداً وخمدت حركاتهم وأصواتهم خموداً

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ \* لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَآتَخَذَ اللَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا قَائِلِينَ \* بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ بِمَا تَصِفُونَ \* وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق أى بالعدل والقسط ليجزى الدين أساءوا بما عملوا ويجزى الذى

أحسنوا بالحسنى وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً كما قال (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل الذين كفروا من النار) وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لآخذناهم من لدنا إن كنا فاعلين) قال ابن أبي نجیح عن مجاهد (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لآخذناهم من لدنا) يعنى من عندنا ، يقول وما خلقنا الجنة ولا ناراً ولا موتاً ولا حياة ولا حساباً ، وقال الحسن وقتادة وغيرهما (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً) المراد المرأة بلسان أهل اليمن ، وقال إبراهيم النخعي (لآخذناهم) من الحور العين ، وقال عكرمة والسدي : والمراد بالله ههنا الولد وهذا والنبي قبله متلازمان وهو كقوله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) فتره نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً ولا سيما عما يقولون من الآفك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزيز أو الملائكة (سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً) وقوله (إن كنا فاعلين) قال قتادة والسدي وإبراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم أى ما كنا فاعلين وقال مجاهد : كل شيء في القرآن إن فهو إنكار ، وقوله (بل نقذف بالحق على الباطل) أى نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال (فيدمغه فإذا هو زاهق) أى ذاهب مضمحل (ولكم الويل) أى أيها القائلون لله ولد (عما تصفون) أى تقولون وتفترون . ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً فقال (وله من في السموات والأرض ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يستكفون عنها كما قال (لن يستكف السجدة أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) \* ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) وقوله (ولا يستحشرون) أى لا يتبعون ولا يملون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قسداً وعملاً قادرين عليه كما قال تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء . فقال رسول الله ﷺ « إني لأسمع أطيح السماء وما تلام أن تثط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » غريب ولم يخرجوه ثم رواه أعنى ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي زريع عن سعيد عن قتادة مرسلًا ، وقال محمد بن إسحاق عن حسان بن محارق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست إلى كعب الأجبار وأنا غلام فقلت له أرأيت قول الله تعالى للملائكة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل . فقال من هذا الغلام ؟ فقالوا من بنى عبد المطلب ، قال : فقبل رأسى ثم قال يا بنى إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنت تتنفس وتمشى وأنت تتنفس ؟

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ \* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أى هم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض أى لا يقدرُونَ على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله نداً وعبدها معه ، ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والأرض فقال (لو كان فيهما آلهة) أى في السموات والأرض (لفسدتا) كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) وقال ههنا (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى عما يقولون أن له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذى يفترون ويأفكون علواً كبيراً . وقوله (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) أى هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لمظلمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وهم يستلون) أى وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وهذا كقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه)

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ \* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

يقول تعالى ( أم اتخذوا من دونه آلهة قل يا محمد هاتوا برهانكم ) أى دليلكم على ما تقولون ( هذا ذكر من معي )  
يعنى القرآن ( وذكر من قبلى ) يعنى الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبى  
أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأتهم معرضون عنه ولهذا قال ( وما أرسلنا  
من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) كما قال ( وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من  
دون الرحمن آلهة يعبدون ) وقال ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) فكل نبى  
بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والقطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا برهان لهم وحقهم داحضة  
عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ بَلْعِبَادٍ مُّكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ  
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ \* وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ  
مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْرِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب إن الملائكة بنات الله  
فقال ( سبحانه بل عباد مكرمون ) أى الملائكة عباد الله مكرمون عنده فى منازل عالية ومقامات سامية وهم له فى غاية  
الطاعة قولاً وفعلاً ( لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ) أى لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به  
بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ) وقوله  
( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) كقوله ( من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ) وقوله ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )  
فى آيات كثيرة فى معنى ذلك ( وهم من خشيته ) أى من خوفه ورهبته ( مشفقون \* ومن يقل منهم إنى إله من دونه )  
أى ادعى منهم أنه إله من دون الله أى مع الله ( فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ) أى كل من قال ذلك وهذا  
شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) وقوله ( لئن أشركت ليحبطن عملك  
ولتكونن من الخاسرين )

﴿ أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ  
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ \* وَجَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُؤسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا  
السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي  
فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴾

يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم فى خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال ( أولم ير الذين  
كفروا ) أى الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره أم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المتبدي بالتدبير فكيف يليق  
أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أى كان الجميع متصلا بعضه ببعض



متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمرت السماء وأثبتت الأرض ولهذا قال ( وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ) أي يوم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء  
ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال سئل ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال أرأيتم السموات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناها . قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني بما قال لك ، قال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لأمطر وكانت الأرض رتقا لاتنبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتى في القرآن علما ، صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتى في القرآن علما وقال عطية العوفي كانت هذه رتقا لأمطر فأمرت وكانت هذه رتقا لاتنبت فأثبتت ، وقال إسماعيل بن أبي خالده سألت أبا صالح الحنفي عن قوله ( أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين ، وهكذا قال مجاهد وزاد ولم تكن السماء والأرض متاستين . وقال سعيد بن جبير بل كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك فتقها الذي ذكر الله في كتابه ، وقال الحسن وقتادة كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهواء وقوله ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) أي أصل كل الأحياء . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أنه قال يا بني الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شيء قال : « كل شيء خلق من ماء » . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة قال : قلت يارسول إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال « كل شيء خلق من ماء » قال قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة . قال « أفسح السلام وأطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام » ورواه أيضا عبد الصمد وعفان وبهز عن همام تفرد به أحمد وهذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا والله أعلم . وقوله ( وجعلنا في الأرض رواسي ) أي جبالا أرسى الأرض بها وقررها وتقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في السماء إلا مقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات ، ولهذا قال ( أن تميد بهم ) أي لئلا تميد بهم ، وقوله ( وجعلنا فيها فجاجا سبلا ) أي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا ولهذا قال ( لعلهم يهتدون ) وقوله ( وجعلنا السماء سقفا محفوظا ) أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال ( والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ) وقال ( والسماء وما بناها ) ( أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ) والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس » أي خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تمهده العرب ( محفوظا ) أي عاليا محروسا أن ينال وقال مجاهد : مرفوعا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث يعني ابن إسحق القمي عن جعفر بن أبي الفيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رجل يارسول الله ما هذه السماء قال « موج مكفوف عنكم » إسناده غريب وقوله ( وهم عن آياتها

معرضون) كقوله (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) أى لا يتفكرون فيها خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات فى ليلها ونهارها من هذه الشمس التى تقطع الفلك بكأله فى يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذى قدرها وسخرها وسيرها . وقد ذكر ابن أبى الدنيا رحمه الله فى كتابه التفكير والاعتبار : أن بعض عباد بنى إسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلمت غمامة فلم يرد ذلك الرجل شيئاً مما كان يحصل لغيره فشكى ذلك إلى أمه فقالت له يا بنى فلعلك أذنبت فى مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فلعلك هممت قال لا ولا هممت قالت فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيراً قالت فمن ههنا أتيت ثم قال منها على بعض آياته ( وهو الذى خلق الليل والنهار ) أى هذا فى ظلامه وسكونه وهذا بضائه . وأنسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر ( والشمس والقمر ) هذه لها نور يخصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر ( وكل فى فلك يسبحون ) أى يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل فى الفلكة قال مجاهد فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا بالمغزاة كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن كما قال تعالى ( فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حاسباناً ذلك تقدير العزيز العليم )

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ \* كَلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُواكُمْ بِالْبَشَرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿

يقول تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك ) أى يا محمد ( الخلد ) أى فى الدنيا بل ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) وقد استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس يحيى إلى الآن لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً وقد قال تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) وقوله ( أفانئمت ) أى يا محمد ( فهم الخالدون ) أى يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى الفناء ولهذا قال تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ) وقد روى عن الشافعى رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد  
فقل للذى يبنى خلاف الذى مضى تنهياً لأخرى مثلها فكأن قد

وقوله ( ونبلوكم بالبشر والخير فتنة ) أى تختبركم بالمصائب تارة وبالنعمة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يفتقر كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم بالبشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله ( وإلينا ترجعون ) أى فنجازيكم بأعمالكم

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكُرُ الْهَيْتَكُمْ وَهُمْ يَذَّكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ \* خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿

يقول تعالى لئيبه صلوات الله وسلامه عليه ( وإذ أراك الذين كفروا ) يعنى كفار قريش كأبى جهل وأشباهه ( إن يتخذونك إلا هزواً ) أى يستهزئون بك وينتقصونك يقولون ( أهذا الذى يذكركم آلهتكم ) يعنون أهذا الذى يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى ( وهم يذكرون الرحمن هم كفرون ) أى وهم كفرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال فى الآية الأخرى ( وإذ أراوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذى بعث الله رسولا \* إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً ) وقوله ( خلق الإنسان من عجل ) كما قال فى الآية الأخرى ( وكان الإنسان عجولاً ) أى فى الأمور قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شئ من آخر النهار من يوم خلق

الخلايق فلما أحيى الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي - وقبض أصابعه يقللها - فسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه » قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها آدم قال الله تعالى ( خلق الإنسان من عجل سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ) والحكمة في ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى خلق الإنسان من عجل لأنه تعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذهم لم يقللته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال ( سَأْرِيكُمْ آيَاتِي ) أى تقمى وحكمى واقتدارى على من عصانى ( فلا تستعجلون )

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ \* بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضاً بوقوع العذاب بهم تكديبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) قال الله تعالى ( لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) أى لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا . ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ( لهم من فوقهم ظلم من النار ومن تحتهم ظلم ) ( لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ) وقال في هذه الآية ( حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) وقال ( سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ) فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ( ولا هم ينصرون ) أى لا ناصر لهم كما قال ( وما لهم من الله من واق ) وقوله ( بل تأتيتهم بغتة ) أى ( تأتيتهم النار بغتة ) أى فجأة ( فتبتهتهم ) أى تدعهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون ( فلا يستطيعون ردها ) أى ليس لهم حيلة فى ذلك ( ولا هم ينظرون ) أى ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* قُلْ مَن يَكْلَأُ كُفْمَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ \* أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّا يُصْحَبُونَ ﴾

يقول تعالى مسلماً لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب ( ولقد استهزىء برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ) أى لقد كذب برسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله \* ولقد جاء من نبي المرسلين ثم ذكر تعالى نعمته على عبده فى حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التى لاتنام فقال ( قل من يكلمكم بالليل والنهار من الرحمن ) أى بدل الرحمن يعنى غيره كما قال الشاعر

جارية لم تلبس المرقفا ولم تذق من البقول الفستقا

أى لم تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى ( بل هم عن ذكر ربهم معرضون ) أى لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه ثم قال ( أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ) استفهام إنكار وتقرير وتوبيخ ، أى ألهة تمنعهم وتكلمهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ، ولا كما زعموا ولهذا قال ( لا يستطيعون نصر أنفسهم ) أى

هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله ( ولا هم منا يصحبون ) قال العوفي عن ابن عباس  
ولا هم منا يصحبون أي يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون يمنعون

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا  
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ \* وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ  
مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ  
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن المشركين إنما غرهم وحلمهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متعوا في الحياة الدنيا ونعموا  
وطال عليهم العمر فيما هم فيه فاعتقدوا أنهم على شيء ثم قال واعظالمهم ( أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من  
أطرافها ) اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى ( ولقد أهلكنا ما حولكم  
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ) وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر والمعنى أفلا  
يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال  
( أنهم الغالبون ) يعني بل هم الغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون وقوله ( قل إنما أنذركم بالوحي ) أي إنما أنا مبلغ  
عن الله ما أنذرتكم به من العذاب والشكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لا يجدي هذا عمن أعمى الله  
بصيرته وطم على سمعه وقلبه ولهذا قال ( ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ) وقوله ( ولئن مستهم نفحة من عذاب  
ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ) أي ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم  
وأهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ) أي ونضع  
الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ، وقوله  
( فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ) كما قال تعالى ( ولا يظلم ربك أحدا )  
وقال ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدهن أجرها عظيما ) وقال لقمان ( يا بني إنما إن تك  
مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ) وفي الصحيحين  
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن  
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن  
ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله  
صلى الله عليه وعلى وسلم « إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه  
تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتتكر من هذا شيئا ؟ أظلمت كتبتي الحافظون ؟ قال لا يارب قال  
أفلك عذر أو حسنة ؟ قال فهت الرجل فيقول لا يارب فيقول بل إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظم عليك اليوم  
فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول أحضروه فيقول يارب ما هذه  
البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات  
وثقلت البطاقة قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم (١) » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد  
وقال الترمذي حسن غريب وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن يحيى عن أبي عبد الرحمن  
الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى  
بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيما يل به الميزان قال فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر به إذا صاح

(١) هكذا في الأصل ورواية الترمذي فلا يثقل مع اسم الله شيء اه

من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فانه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به اليزان » وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو نوح مرارا أنبأنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلالك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك » فجعل الرجل يكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ « ما له لا يقرأ كتاب الله ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ) » فقال الرجل يا رسول الله ما أجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ \* وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال ( ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ) قال مجاهد يعني الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حالها وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل ، وقال ابن زيد يعني النصر وجامع القول في ذلك أن الكتب السبوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والنعى والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نورا في القلوب وهداية وخوفا وإجابة وخشية ولهذا قال ( الفرقان وضياء وذكرا للمتقين ) أى تذكيرا لهم وعظة ، ثم وصفهم فقال ( الذين يخشون ربهم بالغيب ) كقوله ( من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ) وقوله ( إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ) ( وهم من الساعة مشفقون ) أى خائفون وجلون ، ثم قال تعالى ( وهذا ذكر مبارك أنزلناه ) يعني القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ( أفأنتم له منكرون ) أى أفتكفرونه وهو فى غاية الجلاء والظهور ؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قَالُوا آجِبْنَاكَ بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ \* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

يخبر تعالى عن خليفه إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل أى من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى ( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ) وما يذكر من الأخبار عنه فى إدخال أبيه له فى السرب وهورضيع وأنه خرج به بعد أيام فنظر إلى الكوكب والخواقف فنبرص فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعاتبها أحاديث بنى إسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئا من ذلك ردناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدق ولا نكذبه بل نجعله وقفا وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف فى روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على الكافرين فى دينهم لبيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذى نسلكه فى هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية

لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتعل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ للفقهاء من هذه الأمة. والقصود ههنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رسله من قبل أي من قبل ذلك وقوله ( وكننا به عاقلين ) أي وكان أهلاً لذلك ، ثم قال ( إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره الأنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل فقال ( ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ) أي معتكفون على عبادتها قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد ابن طريف عن الأصم بن نباتة قال: مر على رضى الله عنه على قوم يلعبون بالشرط نج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن عيسى أحدكم جمر أحتى يظفأخيره من أن يعسها ( قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ) لم يكن لهم حجة سوى صنيع آباءهم الضلال ولهذا قال ( لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ) أي الكلام مع آباءكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم ، فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آلتهم ( قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعين ) يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لا عننا أو محققاً فيه فإننا لم نسمع به قبلك ( قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ) أي ربكم الذي لا إله غيره وهو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتداء خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء ( وأنا على ذلكم من الشاهدين ) أي وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ \*  
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِثَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُ كُرْهُمُ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ \* قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ \* قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِثَالِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿

ثم أقسم الخليل قسماً سمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أي ليحرقن على أذاهم وتكسبرهم بعد أن يولوا مدبرين أي إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه، قال السدي: لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبو يابني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم فجعلوا يمررون عليه وهو صريع فيقولون: مه فيقول إني سقيم فلما جاز عاتهم وبقى ضعفاؤهم قال ( تالله لأكيدن أصنامكم ) فسمعه أولئك : وقال ابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال إني سقيم وقد كان بالأمس قال ( تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ) فسمعه ناس منهم وقوله ( فجعلهم جذاذا ) أي حطاما كسرهما كلها إلا كبيراً لهم يعني إلا الصنم الكبير عندهم كما قال ( فراغ عليهم ضرباً باليمين ) وقوله ( لعلمهم إليه يرجعون ) ذكروا أنه وضع القدم في يد كبيرهم لعلمهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها ( قالوا من فعل هذا بالهتتنا إنه لمن الظالمين ) أي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والاذلال الدال على عدم إلهيتها وعلى سخافة عقول عابديها ( قالوا من فعل هذا بالهتتنا إنه لمن الظالمين ) أي في صنيعه هذا ( قالوا سمعنا فتى يدكرهم يقال له إبراهيم ) أي قال من سمعه يحلف إنه ليكيدنهم سمعنا فتى أي شاباً يدكرهم يقال له إبراهيم ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبياً إلا شاباً ولا أوتى العلم عالم إلا وهو شاب وتلاه هذه الآية ( قالوا سمعنا فتى يدكرهم يقال له إبراهيم ) . وقوله ( قالوا فاتوا به على أعين الناس ) أي على رؤوس الأشهاد في الملايكة الأكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو القصد الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين في هذا الحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقولهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تملك لها نصراً فكيف يطلب منها شيء من

ذلك ؟ ( قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم فإله بل فعله كبيرهم هذا ) يعنى الذى تركه لم يكسره ( فاسألوهم إن كانوا ينطقون ) وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه حماد . وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث : ثنتين في ذات الله قوله ( بل فعله كبيرهم هذا ) وقوله ( إني سقيم ) - قال - وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلاً فأبى الجبار رجل فقال إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء فقال ما هذه المرأة منك قال أختي قال فاذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى سارة فقال إن هذا الجبار قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلى ، فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذ شديدا فقال ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت له فارسل فأهوى إليها فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأولين فقال ادعى الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجابها فقال إنك لم تأتني بإنسان ولكنك أتيتني بشيطان أخرجا وأعظمها هاجر . فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انقلبت من صلاته وقال مهيم قالت كفى الله كيد الكافرين وأخدمنى هاجر » قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قل تلك أمكم يا بنى ماء السماء

﴿ فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِكُمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ \* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَلَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبر عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال ( فرجعوا إلى أنفسهم ) أى باللامه في عدم احترازهم وحرصهم لآلهتهم فقالوا ( إنكم أنتم الظالمون ) أى في ترككم لها مهملة لا لحافظ عندها ( ثم نكسوا على رؤوسهم ) أى ثم أطرقوا في الأرض فقالوا ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) وقال السدى ( ثم نكسوا على رؤوسهم ) أى في الفتنة وقال ابن زيد أى في الرأى وقول قتادة أظهر فى المعنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزا ولهذا قالوا له ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك ( أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ) أى إذا كانت لا تنطق وهى لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله ( أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ) أى أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذى لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر . فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى ( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ) الآية

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾

لمادحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم فقالوا حرقوه وانصروا آلهم إن كنتم فاعلين فجمعوا خطبا كثيرا جدا ، قال السدى حتى إن كانت للمرأة تمرض فتندرن إن عوفيت أن تحمل خطبا لحريق إبراهيم ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها ناراً فكان لها شبر عظيم ولهب مرتفع لم توقد ناراً قط مثلها وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب من فارس الأكراد ، قال شعيب الجبائي

اسمه هيزن فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما ألقوه قال: حسبى الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبى الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو هشام حدثنا إسحاق بن سليمان عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك » ويروى أنه لما جعلوا يوتقونه قال: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ، وقال شعيب الجبائي كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة فأنه أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله فلي ، وقال سعيد بن جبيرة ويروى عن ابن عباس أيضا قال لما ألقى إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله ( يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ) قال لم يبق نار في الأرض إلا طفتت وقال كعب الأحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الأعمش عن شيخ عن هلي بن أبي طالب ( قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ) قال لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لأذى إبراهيم بردها ، وقال جويرير عن الضحاك كوني بردا وسلاما على إبراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء حتى أحمدها الله قال ويذكرون أن جبريل كان معه بمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل

وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن التهامي بن عمر قال أخبرني أن إبراهيم ألقى في النار قال فكان فيها إما خمسين وإما أربعين قال ما كنت أياما وليالي قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو ابن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يرشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا إبراهيم وقال قتادة لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ وقال الزهري أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وصماه فويسقا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثني عمي حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثته قال حدثني مولاة الفاكه بن الغيرة الخزومي قالت دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رحما فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت تقتل به هذه الأوزاغ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفىء النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم » فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله ، وقوله ( وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين ) أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بني الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فقلبوا هنالك ، وقال عطية العوفي لما ألقى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ \* وَلُوطًا إِتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَاءَ انْحَبَثَ لَهَا فَهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوَاءً فَصَيَّرْنَاهُمْ نَارًا لَعْنَةً وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

يقول تعالى مجبراعن إبراهيم أنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض



المقدسة منها . قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فأناجى الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي أرض المحشر والمثشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال ، وقال كعب الأخبار في قوله ( إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ) إلى حران وقال السدي انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقى إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فزوجها على أن يفر بها ، رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج مهاجراً من بلاده ، وقال العوفي عن ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله ( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ) وقوله ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ) قال عطاء ومجاهد عطية ، وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عيينة النافلة ولد الولد يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال ( فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ) وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم سألت واحدا فقال ( رب هب لي من الصالحين ) فأعطاه الله إسحاق وزاده يعقوب نافلة ( وكلا جعلنا صالحين ) أي الجميع أهل خير وصلاح ( وجعلناهم أئمة ) أي يقتدى بهم ( يهدون بأمرنا ) أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال ( وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ) من باب عطف الخاص على العام ( وكانوا لنا عابدين ) أي فاعلين لما يأمرون الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن آزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى ( فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي ) فأتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز ولهذا قال ( ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين \* وأدخلناه في رحمته إنه من الصالحين )

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَنَصْرَانَهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه ( فدعا به أي مغلوب فاتصر ) وقال نوح ( رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ) ولهذا قال ههنا ( إذ نادى من قبل فاستجيبنا له فنجيناه وأهله ) أي الذين آمنوا به كما قال ( وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ) وقوله ( من الكرب العظيم ) أي من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله عز وجل فلم يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يتصدون لأذاه ويتواصون قرنا بعد قرن وجيلاً بعد جيل على خلافه ، وقوله ( ونصرناه من القوم ) أي ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم ( الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ) أي أهلكهم الله بعامته ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمَمٌ مِنَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ \* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا دَاوُدَ إِذْ يَخْرُجُ نَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ \* وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخَفِّصَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ \* وَوَسَّلَيْنَا مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

بِرَكْنًا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ \* وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَفْضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿

قال ابن إسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عنا قيده ، وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفس الرعى ، وقال شريح والزهرى وقتادة ، النفس لا يكون إلا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الاصبم قالا حدثنا الحاربي عن أشعث عن أبي إسحاق عن مرة عن ابن مسعود في قوله ( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نشئت فيه غنم القوم ) قال كرم قد أنبتت عنا قيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يابى الله قال وماذا قال تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فذلك قوله ( ففهمناها سليمان ) وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد حدثنا خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لتقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضى بينهم ؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له أولادها وألبانها وسلأوها ومنافعها وييسر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أنى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبي إسحاق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذي نشئت فيه الغنم إنما كان كرمًا فلم تدع فيه ورقة ولا عنقودًا من غنم إلا أكلته فأتوا داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان ليلة نشئت فيه الغنم ثم يعطى أهل الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هارون أن ابن إسماعيل عن عامر قال جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما إن شيا هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهرا أم ليلا فان كان نهرا فقد برىء صاحب الشيا وإن كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ ( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ) والآية وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن الزهرى عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائظًا فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت اللواشى بالليل ضامن على أهلها ، وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب الأحكام وبالله التوفيق ، وقوله ( ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد أن إياس بن معاوية لما استقضى أمه الحسن فبكى فقال ما يبكيك ؟ قال يا أبا سعيد بلغنى أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصرى إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى ( وداود وسليمان إذا يحكمان في الحرث إذ نشئت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ) فأنى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال يعنى الحسن إن الله اتخذ على الحكم ثلاثا لا يشترها به ثمنًا قليلا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحدا ثم تلا ( يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ) وقال ( فلا تخشوا الناس واخشوني ) وقال ( ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلا ) قلت أما الأنبياء عليهم السلام فكهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخارى عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد

فأخطأ فله أجر » فهذا الحديث يرد نصاماتومه إياس من أن القاضى إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار والله أعلم ، وفي السنن :  
القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار ، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل  
فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن مارواه الإمام أحمد  
في مسنده حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله  
ﷺ « بينا امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين فتجاكتنا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا  
فبطأهما سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنا لا تشقه فقضى به للصغرى » وأخرجه  
البخارى ومسلم في صحيحهما وبوب عليه النسائي في كتاب القضاء (باب الحاكم يوم خلاف الحكم ليستعلم الحق) وهكذا  
القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه من طريق الحسن بن سفيان  
عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها  
أن امرأة حسناء في زمان بنى إسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها  
فشهدوا عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلباً لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم  
جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فاتصب حا كما وتزيا أربعة منهم بزى أولئك وآخر بزى المرأة وشهدوا عليها  
بأنها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الآخر  
فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكى ذلك لداود عليه السلام  
فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلّفوا عليه فأمر بقتلهم وقوله ( وسخرنا  
مع داود الجبال يسبحن والطير ) الآية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان إذا ترنم به تنفط الطير في الهواء  
فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا ولهذا لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من  
الليل وكان له صوت طيب جدا فوقف واستمع لقراءته وقال « لقد أوتي هذا زميراً من زمير آل داود » قال  
يارسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحييرا . وقال أبو عثمان النهدي مسمعت صوت صنح ولا يربط ولا زمير  
مثل صوت أبي موسى رضى الله عنه ، ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام « لقد أوتي زميراً من زمير آل داود »  
وقوله ( وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ) يعنى صنعة الدروع قال قتادة إنما كانت الدروع قبله صفائح  
وهو أول من سردها حلقة كما قال تعالى ( وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدر في السرد ) أى لاتوسع الحلقة فتقلق  
السبارة ولا تغلظ السمار فتقد الحلقة ولهذا قال ( لتحصنكم من بأسكم ) يعنى في القتال ( فهل أتم شاكرون ) أى نعم  
الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعله ذلك من أجلكم وقوله . ( ولسلمان الريح عاصفة ) أى وسخرنا لسليمان الريح  
العاصفة ( تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ) يعنى أرض الشام ( وكنا بكل شيء عالمين ) وذلك أنه كان له بساط  
من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور الملكة والحيل والجمال والحيام والجنود ثم يأمر الريح أن تحمله  
فتدخل تحته ثم تحمله وترفعه وتسير به وتظله الطير تقيه الحر إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلاته وحشمه  
قال الله تعالى ( فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ) وقال تعالى ( غدوها شهر ورواحها شهر ) قال ابن  
أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس  
مما يليه مؤمنو الإنس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلمهم ثم يأمر الريح فتحملهم صلى الله عليه  
وسلم وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالأطود العظيم كالجيل ثم يأمر بفراشه فيوضع على  
أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الأجنحة فيرتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف  
دون السماء وهو مطأطأ رأسه ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيما لله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله  
عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه وقوله ( ومن الشياطين من يغوصون له ) أى في الماء يستخرجون اللآلىء  
والجواهر وغير ذلك ( ويعملون عملا دون ذلك ) أى غير ذلك كما قال تعالى ( والشياطين كل بناء وغواص وآخرين

مقرنين في الأصفاد) وقوله (وكنالهم حافظين) أي يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال (وآخرين مقرنين في الأصفاد)

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ۝ ﴾

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحارث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلى في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلى في جسده يقال بالجندام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافاه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله وقد قال النبي ﷺ « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » وفي الحديث الآخر « يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه » وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن الله كرمه قال : أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إلى أعطيني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي فليس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوى إبليس بالذي صنعت حسدني . قال فلقي إبليس من ذلك منكراً قال . وقال أيوب عليه السلام يا رب إنك أعطيتني المال والولد فلم يبق علي شيء إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي فليس يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسى يا نفس إنك لم تخلفي لوطء الفراش ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك . رواه ابن أبي حاتم وقدرى عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركناها لحال الطول ، وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقتادة ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهرًا ملقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء . وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لودعوت ربك يفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة فجزعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأتيه بما تصيب قطعمه وإن إبليس انطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوك أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واحملا معكما فانه من خمر أرضكم فانه إن شرب منه برئ فأتياه فلما نظرا إليه بكيا فقال من أتيا فقالا نحن فلان وفلان فرحب بهما وقال مرحبا بمن لا يجفوني عند البلاء ، فقالا يا أيوب لعلك كنت تسرشتا وتظهر غيره فلذلك ابتلاك الله فرفع رأسه إلى السماء فقال : هو يعلم ، ما أسررت شيئاً أظهرت غيره ولكن ربي ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع فقالا له يا أيوب اشرب من خمرنا فانك إن شربت منه برأت قال فغضب وقال جاءكم الحديث فأمركم بهذا ؟ كلامكم وطعامكم وشربكم على حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخبزت لأهل بيت لهم صبي فجعلت لهم قرصاً وكان ابنهم نائماً فكرهوا أن يوقظوه فوهبوه لها فأنتت به إلى أيوب فأنكره وقال ما كنت تاتيني بهذا فما بالك اليوم فأخبرته الخبر قال فعمل الصبي قد استيقظ فطلب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلق به إليه فاقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطحها شاة لهم فقالت تعس أيوب الحظاء فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئاً غيره فقالت رحمه الله يعني أيوب فدفعت إليه

القرص ورجعت ثم إن إبليس أتاها في صورة طيب فقال لها إن زوجك قد طال سقمه فإن أراد أن يبرأ فليأخذ ذباباً فليذبحه باسم صنم بني فلان فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الحبيث لله على إن برأت أن أجلك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لاتأني أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرناً فباعته من صبية من بنات الأشراف فأعطوها طعاماً طيباً كثيراً فأنت به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أنتك هذا قالت عملت لأناس فأطعموني فأكل منه فلما كان الغد خرجت فطابت أن تعمل فلم تجد فحلقت أيضاً قرناً فباعته من تلك الجارية فأعطوها أيضاً من ذلك الطعام فأنت به أيوب فقال والله لأطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها محلوفاً جزع جزعاً شديداً فعند ذلك دعا الله عز وجل فقال (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالى أن الشيطان الذى عرج فى أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نمر من بنى إسرائيل فقال بعضهم لبعض ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب عليه السلام أخوان فجا أيوما فلم يستطيعوا أن يدنوا منه من ريحهم فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء قط فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدقنى فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقنى فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال : اللهم بعزتك ثم خر ساجداً فقال اللهم بعزتك لأرفع رأسى أبداً حتى تكشف عنى ثم أرفع رأسه حتى كشف عنه ، وقدرناه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعاً بنحو هذا فقال أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيـل عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نبي الله أيوب لبت به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له كانا يعدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذلك قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق ، قال وكان يخرج فى حاجته فإذا قضاه أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارداً وشراباً » رفع هذا الحديث غريب جداً . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسناه الله حلة من الجنة فتنتحى أيوب فجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا المبتلى الذى كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو اللئاب فجعلت تسكلمه ساعة . فقال ويحك أنا أيوب قالت أنسخرنى يا عبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد ردا الله على جسدى ، وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عياناً ومثلهم معهم ، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاعتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قرباناً واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك . رواه ابن أبي حاتم . وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن مهيـك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله فى ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشبع قال يارب ومن يشبع من رحمتك » أصله فى الصحيحين وسيأتى فى موضع آخر . وقوله ( وآتيناها أهله ومثلهم معهم ) قد تقدم عن ابن عباس أنه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضاً وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة ، وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعدهم النجعة ، وإن كان

أخذه من نقل أهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب ، وقد سماها ابن عساكر في تاريخه: رحمة الله تعالى قال ويقال اسمها ليا بنت ميثا بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة أيوب كانت معه بأرض الشنية ، وقال مجاهد قيل له يا أيوب إن أهلك لك في الجنة فان شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل أتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا ، وقال حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال أوتي أجرهم في الآخرة وأعطى مثلهم في الدنيا ، قال فحدثت به مطرفا فقال ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روى عن قتادة والسدي وغير واحد من السلف والله أعلم وقوله (رحمة من عندنا) أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به (وذكرى للعابدين) أي وجعلناه في ذلك قدوة لثلاثين أهل البلاء أما فعلنا بهم ذلك لموانهم علينا ، ولتأسوا به في الصبر على مقدرات الله وابتلائه لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك .

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ \* وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس عليه السلام وأما ذوالكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي وقال آخرون إنما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف ابن جرير في ذلك فأنه أعلم . قال ابن جرير عن مجاهد في قوله (وذا الكفل) قال رجل صالح غير نبي تكفل لني قومه أن يكفيه أمر قومه ويقمهم له ويقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذالك الكفل وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا ، وروى ابن جرير حدثنا محمد بن الثني حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث أستخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزديه الأعين فقال أنا ، فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآ . فسكت الناس : وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعيام ذلك فعسى دعوني وإياه فأناه في صورة شيخ كبير فقير فأناه حين أخذ مضجعه للقائلة - وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم ، قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعواوني وفعواوني ، وجعل يطول عليه حتى حضر الروح وذهبت القائلة فقال إذ راحت فأنتي آخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلما رآه ، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك إذا قصدت فأنتي قال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فأنتي قال فقالت القائلة فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه الناس فقال لبعض أهله لا تدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فأني قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل: وراءك ، وراءك قال إني قد أتيتك أمس وذكرته له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم تتوث فأنظر من أين أتيت قال فقام إلى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت ففرقه فقال أعدو الله قال نعم أعيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسمه الله ذالك الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به . وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن إسحق عن داود عن مجاهد بمثله ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن مسلم قال : قال ابن عباس كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامى على أن لا يغضب قال : فقال رجل : أنا فسمى ذالك الكفل

قال فكان ليله جميعاً يصلي ثم يصبح صائماً فيقضى بين الناس قال وله ساعة يقيلها قال فكان كذلك فأتمه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه مالك ؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمداً حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال إنسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبي قال اذهب أنت إليه قال فذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً قال اذهب إليه فقل له يعطيك حقا فذهب ثم جاء من الغد حين قال : قال فقال له أصحابه اخرج فقل الله بك تجيء كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصيح من أجل أني إنسان مسكين لو كنت غنيا ، قال فسمع أيضاً فقال مالك قال ذهبت إليه فضررتني ، قال امش حتى أجيء معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه شريده منه ففر . وهكذا روى عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حنيفة الأكر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال سمعت الأشعري وهو يقول على هذا المنبر : ما كان ذو الكفل نبي ولكن كان - يعني في بني إسرائيل - رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل ، وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال أبو موسى الأشعري فذكره منقطعاً والله أعلم ، وقد روى الإمام أحمد حديثاً غريباً فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أسمعها إلا مرة أو مرتين حتى عدت سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال « كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأنته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قدمها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعليه قط !! ثم نزل فقال اذهبي باله نازير لك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه قد غفر الله للكفل » هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

هذه القصة المذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن ، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغازباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلوا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورجت الإبل وفضلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثقت العنم وسخالها ، فرجع الله عنهم العذاب قال الله تعالى ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ) وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً قال الله تعالى ( فسأهم فكان من المدحضين ) أي وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود -

حوتاً يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً فان يونس ليس لك رزقا وإنما بطنك تكون له سجنًا ، وقوله ( وذا النون ) يعنى الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة . وقوله ( إذ ذهب مغاضبا ) قال الضحاك لقومه ( فظن أن لن نقدر عليه ) أى نضيق عليه فى بطن الحوت يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى ( ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهها \* سيجعل الله بعد عسر يسرا ) وقال عطية العوفى أى فظن أن لن نقدر عليه أى تقضى عليه كما أنه جعل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدّر بمعنى واحد ، وقال الشاعر فلا عائد ذاك الزمان الذى مضى \* تباركت ما تقدر يكن ذلك الأمر

ومنه قوله تعالى ( فالتقى الماء على أمر قد قدر ) أى قدر وقوله ( فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روى عن ابن عباس وعمرو ابن ميمون وسعيد بن جبير وعمر بن كعب والضحاك والحسن وقتادة وقال سالم بن أبى الجعد: ظلمة حوت فى بطن حوت آخر فى ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت فى البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى فى قراره فعند ذلك وهناك قال ( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) وقال عوف الأعرابي لما صار يونس فى بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجله فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجدا فى موضع لم يبلغه أحد من الناس وقال سعيد بن أبى الحسن البصرى مكث فى بطن الحوت أربعين يوما رواهما ابن جبير وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أُرَادَ اللهُ حبسَ يونسَ فى بطنِ الحوتِ أوحى اللهُ إلى الحوتِ أنْ خذْهُ ولا تخدشْ له لحماً ولا تكسرْ له عظماً فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هَذَا؟ فأوحى اللهُ إليه وهو فى بطن الحوت إن هَذَا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذلك عبدى يونس عسانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح ، قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفذه فى الساحل كما قال الله تعالى ( وهو سقيم ) » رواه ابن جرير ورواه البزار فى مسنده من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة فذكر بنحوه ثم قال لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخى ابن وهب ثنا عمى حدثنى أبو صخر أن يزيد الرقاشى قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أن يونس النبى عليه السلام حين بدأ له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك ؟ قالوا لا يا رب ومن هو ؟ قال عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت بطرحه فى العراء ، وقوله ( فاستجبنا له ونجينااه من الغم ) أى أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات ( وكذلك نتجى المؤمنين ) أى إذا كانوا فى الشدائد ودعونا منييين لنا ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء فى حال البلاء فقد جاء الترغيب فى الدعاء به عن سيد الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبى إسحاق الحممدانى حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد حدثنى والذى محمد عن أبيه سعد هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال مررت بثمان ابن عفان رضى الله عنه فى المسجد فسلمت عليه فملا عينيه منى ثم لم يرد على السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث فى الإسلام شيء مرتين قال لا وما ذاك قلت لا إلا أنى مررت بثمان آنفا فى المسجد فسلمت عليه فملا عينيه منى ثم لم يرد على السلام قال فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك



السلام قال ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم إن عثمان ذكر فقال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي آتفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرتها قط إلا تعشى بصري وقلبي غشاوة قال سعد فأنا أنبتك بها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا أبو إسحاق؟ » قال قلت نعم يا رسول الله قال « فمه » قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك قال « نعم دعوة ذى النون إذ هو في بطن الحوت ( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له » ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير ابن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعني ابن سعد عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا بدعاء يونس استجيب له » قال أبو سعيد يريد به ( وكذلك تنجي المؤمنين ) وقال ابن جرير حدثني عمران ابن بكار الكلاعي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اسم الله الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى » قال قلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال « هي ليونس بن متى خاصة ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل ( فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ) فهو شرط من الله لمن دعاه به » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا داود بن المخبر بن محمد المقدسي عن كثير بن معبد قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد: اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى؟ قال ابن أخي أما تقرأ القرآن قول الله تعالى ( وذا النون إذ ذهب مغاضبا - إلى قوله - وكذلك تنجي المؤمنين ) ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبيا وقد تقدمت القصة مبسوطه في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضاً وههنا أخصر منها ( إذ نادى ربه ) أي خفيه عن قومه ( رب لا تذرني فردا ) أي لا ولد لي ولا وارث يقوم بعدي في الناس ( وأنت خير الوارثين ) دعاء وثناء مناسب للسئلة قال الله تعالى ( فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ) أي امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : كانت عاقراً لا تلد فولدت وقال عبد الرحمن بن مهدي عن طلحة بن عمرو عن عطاء كان في لسانها طول فأصلحها الله وفي رواية كان في خلقها شيء فأصلحها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدي والأظهر من السياق الأول . وقوله ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ) أي في عمل القربات . وفعل الطاعات ( ويدعوننا رغبا ورهبا ) قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا ( وكانوا لنا خاشعين ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد : مؤمنين حقا وقال أبو العالية خائفين وقال أبو سنان الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً وعن مجاهد أيضا خاشعين أي متواضعين وقال الحسن وقتادة والضحاك خاشعين أي متذللين لله عز وجل وكل هذه الأقوال متقاربة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا

الإلخاف بالمسئلة فإن الله عز وجل أنشئ على زكريا وأهل بيته فقال ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين )

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَمَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام فيذكر أولاً قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لأن تلك مربوطة بهذه فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم وههنا ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله ( والتي أحصنت فرجها ) يعني مريم عليها السلام كما قال في سورة التحريم ( ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ) وقوله ( وجعلناها وابنها آية للعالمين ) أي دلالة على أن الله على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله ( ولنجعله آية للناس ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن شعيب يعني ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ( للعالمين ) قال العالمين الجن والإنس

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ \* وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ( إن هذه أمة واحدة ) يقول دينكم دين واحد وقال الحسن البصري في هذه الآية يبين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال ( إن هذه أمة واحدة ) أي سنتكم سنة واحدة فقوله إن هذه إن واسمها وأمتكم خبر إن أي هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم وقوله أمة واحدة نصب على الحال ولهذا قال ( وأنا ربكم فاعبدون ) كما قال ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - إلى قوله - وأنا ربكم فاتقون ) وقال رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » يعني أن القصد هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسوله كما قال تعالى ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) وقوله ( وتقطعوا أمرهم بينهم ) أي اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال ( كل إلينا راجعون ) أي يوم القيامة فيجازى كل بحسب عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولهذا قال ( فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ) أي قلبه مصدق وعمل عملا صالحا ( فلا كفران لسعيه ) كقوله ( إنا لانضيع أجر من أحسن عملا ) أي لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال ( وإنا له كاتبون ) أي يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء

﴿ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ \* حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ \* وَقَاتَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيِبْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

يقول تعالى ( وحرام على قرية ) قال ابن عباس وجب يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة هكذا صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أي لا يتوبون والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله ( حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ) قد قدمنا أنهم من سلالة

آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أى أبى الترك والترك شذمة منهم تركوا من وراء السد الذى بناه ذوالقرنين وقال ( هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله ذكاء وكان وعد ربى حقاً \* وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ) الآية وقال فى هذه الآية الكريمة ( حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ) أى يسرعون فى اللتى إلى الفساد ، والحدب هو المرتفع من الأرض قاله ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والثورى وغيرهم وهذه صفتهم فى حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك ( ولا ينبئك مثل خبير ) هذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذى يعلم غيب السموات والأرض لا إله إلا هو . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبى يزيد قال : رأى ابن عباس صبيانا يتزود بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم فى أحاديث متعددة من السنة النبوية ( فالحديث الأول ) قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل ( وهم من كل حدب ينسلون ) فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فيبناهم على ذلك بعث الله عز وجل دودا فى أعناقهم كنفج الجراد الذى يخرج فى أعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ، قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يامعشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحوهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شىء من النبات أصابته قط » ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق به ، ( الحديث الثانى ) قال الإمام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو الغساس المدمشى حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى يحيى بن جابر الطائى قاضى حصص حدثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخض فيه ورفع حتى ظنناه فى ناحية النخل فقال « غير الدجال أخوفنى عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه والله خليفى على كل مسلم وإنه شاب جمع ققط عينه طافية وإنه يخرج خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وشمالا يا عباد الله اثبتوا - قلنا يارسول الله مالئته فى الأرض ؟ - قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى هو كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال « لا . اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله فما إسرعه فى الأرض قال « كالفيت استدبرته الريح قال فيمر بالحقى فيدعوهم فيستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث وتروح عليهم سارحتهم وهى أطول ما كانت ذرى وأمدته خواصر وأسبغه ضروعا ويمر بالحقى فيدعوهم فيزدون عليه قوله فتتبعه أمواهم فيصبحون محلين ليس لهم من أمواهم شىء ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيما سيب النحل - قال - ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل إليه فيبناهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند بابك الشرقى - قال - فببناهم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أتى قد أخرجت عبادا من عبادى لا يدان لك بقتالهم فحرر عبادى إلى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى ( وهم من كل حدب ينسلون ) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفا فى رقابهم فيصبحون فرسى كوت نفس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون فى الأرض بيتا إلا قد ملأه

زمهم وبتهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله « قال ابن جابر فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل : قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وأين المهيل قال مطلع الشمس قال « ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوماً فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ويقال للأرض انبتى ثمرك ودرى بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظنون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ . والشاة من الغنم تكفي أهل البيت قال فيبيناهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أوقال مؤمن - ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحجر وعليهم تقوم الساعة » انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح

الحديث الثالث ﴿ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصعبه من لدغة عقرب فقال « إنكم تقولون لا أعدو لكم وإنكم لاتزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبدالله بن حرملة المدلجي عن خالة له عن النبي ﷺ فذكره مثله سواء .

الحديث الرابع ﴿ قد تقدم في آخر تفسير سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد عن هشيم عن العوام عن جيلة ابن سحيم عن مرثد بن عمار عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام - قال - فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيها عهد إلى ربى أن الدجال خارج ومعنى قضيان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتى كافراً فنعال فقاتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم - قال - فمئذ ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطئون بلادهم ولا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه - قال - ثم يرجع الناس إلى أوطانهم يشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نثر ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقدفهم في البحر ففيا عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً » ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون ﴾ ورواه ابن جرير ههنا من حديث جيلة به والأحاديث في هذا كثيرة جدا والآثار عن السلف كذلك ، وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال : قال كعب إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج فيعيده الله كما كان فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج إن شاء الله فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون حتى يخرجوا فتمر الزمرة الأولى بالبخيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيفر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع إليهم مخضبة بالماء فيقولون غلبنا أهل الأرض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يدي لنا بهم فكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دوداً يقال له النغف فيفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيراً تأخذهم بمناقيرها فتلقمهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الأرض وينبتها حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل

البيت قال فبينما الناس كذلك إذا أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده قال فبيعت عيسى بن مريم طليعة سبعائة أوبين السبعائة والثمانائة حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحاً يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج الناس فيتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه متى تضع قال كعب فمن قال بعد قولي هذا شيئاً أو بعد علمي هذا شيئاً فهو التسكف ، وهذا من أحسن سياقات كعب الأخبار لما شهد له من صحيح الأخبار ، وقد ثبت في الحديث أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق ، وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج » انفرد بإخراجه البخاري وقوله ( واقرب الوعد الحق ) يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الأحوال والزلازل والبلابل أزفت الساعة واقتربت فإذا كانت وقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى ( فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ) أي من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام ( ياويلنا ) أي يقولون ياويلنا ( قد كنا في غفلة من هذا ) أي في الدنيا ( بل كنا ظالمين ) يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفهم ذلك

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَ هُوَ آلَاءَ آلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ \* لَهُمْ فِيهَا زَوْجُرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عَلَيْهَا يُعْبَدُونَ \* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَمِتَ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ \* لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطباً لأهل مكة من مشركي قريش ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ) قال ابن عباس أي وقودها يعني كقوله ( وقودها الناس والحجارة ) وقال ابن عباس أيضاً حصب جهنم يعني شجر جهنم ، وفي رواية قال ( حصب جهنم ) يعني حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما وقال الضحاك حصب جهنم أي ما يرمى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله ( أنتم لها واردون ) أي داخلون ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) يعني لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها ( وكل فيها خالدون ) أي العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون ( لهم فيها زفير ) كما قال تعالى ( لهم فيها زفير وشهيق ) والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوج أنفاسهم ( وهم فيها لا يسمعون )

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن يعنى السعودي عن أبيه قال : قال ابن مسعود إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله ( لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ) ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن السعودي عن يونس بن حبان عن ابن مسعود فذكره ، وقوله ( إن الذين سبقت لهم منا الحسن ) قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة ( أولئك عنها مبعدون ) لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) وقال ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله ما بهم وثوابهم ونجاههم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال ( أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيستها ) أي حريقها في الأجساد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن أبي عثمان الحريري عن أبي عثمان ( لا يسمعون حسيستها ) قال حيات على الصراط تسمعهم فإذا لسعته

قال حس حس وقوله ( وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالدون ) فسلمهم من المخذور والمهروب وحصل لهم المطلوب والمحبوب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال وسمر مع علي ذات ليلة فقرأ ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزيير منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجرتوبه وهو يقول ( لا يسمعون حسيها ) وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يقول في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى ) قال عثمان وأصحابه، ورواه ابن أبي حاتم أيضا ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن ماهر عن محمد بن حاطب عن علي فذكره ولفظه عثمان منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) فأولئك أولياء الله يمدون على الصراط ما هو أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثيا فهذا مطابق لما ذكرناه ، وقال آخرون بل نزلت استثناء من العبودين وخرج منهم عزيز والمسيح كما قال حجاج بن محمد الأعور عن ابن جرير وعثمان عن عطاء عن ابن عباس ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) ثم استثنى فقال ( إن الدين سبقت لهم منه الحسنى ) فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جرير وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى ) قال نزلت في عيسى بن مريم وعزير عليهما السلام ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد بن طريف عن الأصمغ عن علي في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى ) قال كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى بن مريم إسناده ضعيف وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد ( أولئك عنها مبعدون ) قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً غريباً جداً فقال حدثنا الفضل بن يعقوب الرخاني حدثنا سعيد بن مسلمة بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) قال عيسى وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة بن الزبير ومناظرة الشركين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل حدثنا محمد بن حسن الأنماطي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) فقال ابن الزبير قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت ( ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ) ثم نزلت ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث المختارة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان يعني الثوري عن الأعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) قال المشركون فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فنزلت ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) الآلهة التي يعبدون ( وكل فيها خالدون ) وروى عن أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فنزلت ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوماً مع الوليد بن الغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) إلى قوله — هم

فيها لا يسمعون) ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبيرى السهمى حتى جلس معهم فقال الوليد ابن المغيرة لعبد الله بن الزبيرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً ولا تعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حسب جهنم . فقال عبد الله بن الزبيرى أما والله لو وجدته لحصمته فسلوا محمداً كل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فحنن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم فحجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبيرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالدون ) أى عيسى وعزير ومن عبدوا من الأجار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ونزل فيما يذكر أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون - إلى قوله - ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ) ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ( ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون \* وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك لإجله بل هم قوم خصمون \* إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لى إسرائيل \* ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخفون \* وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها ) أى ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأقسام فكفى به دليلاً على علم الساعة يقول « فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ) وهذا الذى قاله ابن الزبيرى خطأ كبير لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة فى عبادتهم الأصنام التى هى حماد لا تعقل ليكون ذلك تقريباً وتوبيخاً لها بديها ولهذا قال ( إنكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم ) فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده وعول ابن جرير فى تفسيره فى الجواب على أن ما لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبيرى بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين ، وقد كان يهاجى المسلمين أولاً ثم قال معتذراً

يا رسول المللك إن لسانى \* راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذا جارى الشيطان فى سنن النفسى ومن مال ميله مشبور

وقوله ( لا يحزنهم الفزع الأكبر ) قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الأكبر النفخة فى الصور قاله العوفى عن ابن عباس وأبو سنان سعيد بن سنان الشيبانى واختاره ابن جرير فى تفسيره وقيل حين يؤمر بالعبء إلى النار قاله الحسن البصرى وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد بن جبير وابن جرير وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلى فيما رواه ابن أبى حاتم عنه ، وقوله ( وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ) يعنى تقول لهم الملائكة تبشروهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم ( هذا يومكم الذى كنتم توعدون ) أى فأملوا ما يسركم .

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعْبُدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ ﴾

يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة ( يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ) كما قال تعالى ( وما قدرنا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) وقد قال البخارى حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه » انفرد به من هذا الوجه البخارى رحمه الله : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أنى حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن سلمة عن أبى الواصل عن أبى الليث الأزدي عن أبى الجوزاء الأزدي عن ابن عباس قال : يظوى الله السموات السبع بما فيها من الخليفة والأرضين السبع بما فيها من

الحليقة يطوى ذلك كله يمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة ، وقوله ( كطى السجل للكتب ) قيل المراد بالسجل الكتاب ، وقيل المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن يمان حدثنا أبو الوفاء الأشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب ) ، قال السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال أكتبها نورا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به ، قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن السجل ملك ، وقال السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعته إلى يوم القيامة ، وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب ) قال السجل هو الرجل ، قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو العوذى عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتبية بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر بن علي الجهضمي كما تقدم ورواه ابن عدي من رواية يحيى ابن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يسمى السجل وهو قوله ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب ) قال كما يطوى السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ . وقال الخطيب البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخي أن حمدان بن سعيد حدثهم عن عبد الله بن نعيم عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبي ﷺ وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج الزري فسح الله في عمره ونسأ في أجله ، لوختم له بصالح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حديثه والله الحمد . وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للانكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم ، والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعمري عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله ( فلما أسما وتله للجبين ) أي على الجبين ، وله نظائر في اللغة والله أعلم . وقوله ( كما بدأنا أول خلق نعيده وعدأ علينا إنا كنا فاعلين ) يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلاق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبطل وهو القادر على ذلك ولهذا قال ( إنا كنا فاعلين ) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أبو جعفر وعبيدة العمي قالوا حدثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدأ علينا إنا كنا فاعلين » وذكر تمام الحديث أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخاري عند هذه الآية في كتابه ، وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله ﷺ نحو ذلك ، وقال العمري عن ابن عباس في قوله ( كما بدأنا أول خلق نعيده ) قال : يهلك كل شيء كما كان أول مرة

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ \* إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءً لِقَوْمٍ



عَبِيدِينَ \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ( إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ) وقال ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ) وقال ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولنمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ) وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ) قال الأعمش : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ) فقال الزبور: التوراة والإنجيل ، والقرآن ، وقال مجاهد: الزبور الكتاب ، وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور الذي أنزل على داود والله ذكر التوراة وعن ابن عباس الذكر القرآن ، وقال سعيد بن جبير الذكر الذي في السماء ، وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والله ذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول ، وقال الثوري هو اللوح المحفوظ ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء والله ذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون . وقال مجاهد عن ابن عباس ( إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والريعي بن أنس والثوري ، وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدي هم المؤمنون ، وقوله ( إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ) أي إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغا لمنفعه وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم وقوله ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلفهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ) وقال تعالى في صفة القرآن ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ) . وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمير حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن أبي حازم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على الشركين قال « إنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة » انفرد بإخراجه مسلم وفي الحديث الآخر « إنما أنا رحمة مهداة » رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره عن وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال إبراهيم الحربي وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة . وكذا قال البخاري وقد سئل عن هذا الحديث فقال كان عند حفص بن غياث رسالة . قال الحافظ ابن عساكر وقد رواه مالك بن سعيد بن الحميس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ثم ساقه من طريق أبي بكر ابن المقرئ وأبي أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا رحمة مهداة » ثم أوردته من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين » . قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا أحمد بن صالح قال وجدت كتاباً بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردي وإبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خمره يا معشر قريش إن محمداً

زل يثرب وأرسل طلابه وإنما يريد أن يصيب منكم شيئاً فاحذروا أن تمر وطريقه أو تقاربوه فإنه كالأسد الضارى إنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه نفي القردان عن الناسم والله إن له لسحرة ما رأيته قط ولا أحداً من أصحابه إلا رأيته معهم الشياطين وإنكم قد عرقتم عداوة ابني قيلة يعنى الأوس والخزرج فهو عدو استعان بعدو فقال له مطعم بن عدى يا أبا الحكم والله ما رأيته أحداً أصدق لساناً ولا أصدق موعداً من أخيكم الذى طردتم وإذ فعلتم الذى فعلتم فكونوا أكف الناس عنه قال أبو سفيان بن الحارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وإن أطمعوني ألقاؤهم حير كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطروداً ، وأما ابنا قيلة فوالله ما هما وأهل دهلك في الدلة إلا سواء وسأ كفيكم حدهم وقال

سأمنح جانباً منى غليظاً \* على ما كان من قرب وبعد \* رجال الخزرجية أهل ذل \* إذا ما كان هزل بعد جد  
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « والذى نفسى بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدنهم وهم كارهون إنى رحمة بعثنى الله ولا يتوفانى حتى يظهر الله دينه، لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وأنا الحاشى الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب » وقال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قررة الكندى قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « أيام رجل سبته فى غضبي أو لعنته لعنة فأبما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما بعثنى الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة فان قيل فأى رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا إسحق الأزرق عن السعوى عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الأمم من الحسف والتذف وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث السعوى عن أبى سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره نحوه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم الطبرانى عن عبدان ابن أحمد عن عيسى بن يونس الرملى عن أيوب بن سويد عن السعوى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين ) قال من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الحسف والمسخ والتذف

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَهْلَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ \* إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ \* وَإِن أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ \* قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

يقول تعالى أمر رسوله صلوات وسلامه عليه أن يقول للمشركين (إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) أى متبعون على ذلك مستسلمون متقادون له ( فان تولوا ) أى تركوا ما دعوتهم إليه ( قتل آذنتكم على سواء ) أى أعلمتكم أنى حرب لكم كما أنكم حرب لى برى منكم كما أنتم برآء منى كقوله ( وإن كذبوك قتل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ) وقال ( وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ) أى لىكن علمك وعلمهم بنيد العهود على سواء وهكذا ههنا ( فان تولوا قتل آذنتكم على سواء ) أى أعلمتكم ببراءتى منكم وبراءتكم منى لعلى بذلك . وقوله ( وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون ) أى هو واقع لا محالة ولكن لا علم لى بقربه ولا ببعده ( إنه يعلم الجهر من القول

ويعلم ما تكتُمون) أى إن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد يعملون فى أجهارهم وأسرارهم . وسيجزئهم على ذلك القليل والجليل . وقوله ( وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ) أى وما أدرى لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكاة عون عن ابن عباس فأن الله أعلم ( قال رب احكم بالحق ) أى افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق . قال قتادة كانت الأنبياء عليهم السلام يقولون ( ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ) وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد غزاة قال ( رب احكم بالحق ) وقوله ( وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ) أى على ما يقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون فى مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم فى ذلك . آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام والله الحمد والمنة .

### ( تفسير سورة الحج )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمُ بِسُكْرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ )

يقول تعالى أمرا عباده بتقواه ومخبراً لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها ، وقد اختلف للتفسرون فى زلزلة الساعة ، هل هى بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدانهم كما قال تعالى ( إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ) وقال تعالى ( وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فى يومئذ وقعت الواقعة ) الآية ، وقال تعالى ( إذ أخرجت الأرض رجاء ، وبست الجبال بساً ) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة فى قوله ( إن زلزلة الساعة شىء عظيم ) قال قبل الساعة ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثورى عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فدكره ، قال وروى عن الشعبي وإبراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ) قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة ، وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك فى حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضع على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور ؟ قال قرن قال فكيف هو ؟ قال « قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرائيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهى التى يقول الله تعالى ( وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ) فتسير الجبال فتكون تراباً وترج الأرض بأهلها رجا وهى التى يقول الله تعالى ( يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ) فتكون الأرض كالسفينة الموقفة فى البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالتفديد المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها وترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً وهى التى يقول الله تعالى ( يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من

الله من عاصم ومن يضل الله فماله من هاد) فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمرا عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كاللؤلؤ ، ثم خسف فشمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كسخت عنهم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك « قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول ( ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ) قال « أولئك الشهداء وإنما يصل الفرع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ) وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد مطولا جدا والفرس منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقرنها منها كما يقال أشراط الساعة ونحو ذلك والله أعلم ، وقال آخرون بل ذلك هول وفرع وزلزال وبلبال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث : ﴿ الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض أسفاره وقد تقارب من أصحاب السير رفع بهاتين الآيتين صوتة : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ) فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المظي وعرفوا أنه عند قول يقوله فلما دنوا حوله قال « أتدرون أي يوم ذلك ، ذلك يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول يا آدم ابعث بعثك إلى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة » قال فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا أيضا حكمه فلما رأى ذلك قال « أبشروا واعملوا فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كاتتا مع شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني إبليس » قال فسرى عنهم ثم قال « اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقعة في ذراع الدابة » وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما عن محمد بن بشار عن يحيى وهو القبطان عن هشام وهو الدستوائي عن قتادة به بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح ( طريق آخر ) لهذا الحديث : قال الترمذي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابن جعدان عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لما نزلت ( يا أيها الناس اتقوا ربكم - إلى قوله - ولكن عذاب الله شديد ) قال نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال « أتدرون أي يوم ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال - ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يارب وما بعث النار قال تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » فأنشأ المسلمون ليكون فقال رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن عمت وإلا كملت من المنافقين ، ومما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقعة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير - ثم قال - إنى لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة - فكبروا ثم قال - إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - فكبروا ثم قال - إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ثم قال ولا أدري أقال الثلثين أم لا وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة به ثم قال الترمذي أيضا هذا حديث صحيح وقد روى عن عروة عن الحسن عن عمران بن الحصين وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي عن عمران بن الحصين فذكره وهكذا روى ابن جرير عن بندار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) وذكر الحديث فذكر نحو سياق ابن جعدان والله أعلم ، ﴿ الحديث الثاني ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني العمري عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت ( إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) وذكر يعني نحو سياق الحسن عن عمران غير أنه قال ومن هلك من كثرة الجن والإنس ،

ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر (الحديث الثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام حدثنا هلال بن جباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر نحوه ، وقال فيه « إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة ثم قال - إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - ثم قال - إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة » ففرحوا وزاد أيضاً « وإنما أتم جزء من ألف جزء »

(الحديث الرابع) قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال : قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعون فينثد تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ( وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ) » فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. قال النبي ﷺ « من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - ثلث أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - شطر أهل الجنة » فكبرنا وقد رواه البخارى أيضاً في غير هذا الموضع ومسلم والنسائي في تفسيره من طرق عن الأعمش به .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا عمار بن محمد بن أبي حاتم عن أبي حاتم عن القاسم بن محمد أخبره ابن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث يوم القيامة منادياً يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار فيقول آدم يا رب من هم فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون » فقال رجل من القوم من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله قال « هل تدرؤن ما أتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير » انفرد بهذا السند وهذا السياق الإمام أحمد

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن حاتم عن أبي حاتم عن أبي حاتم عن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبي ﷺ قال « إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهملهم ذلك » أخرجاه في الصحيحين (الحديث السابع) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لميعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال « يا عائشة أما عند ثلاث فلا أما عند الليزان حتى يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى يمينه وإما يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويتعظ عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت ثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إليها آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد - قال - فينطوى عليهم ويرمهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاب وحسك يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق كالطرف والبرق وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون : يا رب سلم ، سلم . فجاج مسلم ومخدوش مسلم ، ومكور في النار على وجهه » والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى ( إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) أى أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مقطع ، وحادثة هائل ، وكائن عجيب ، والزلازل هو ما يحصل للنفوس من الرعب والفرع كما قال تعالى ( هنالك ابتلى المؤمنون وزلوا زلزالاً شديداً ) ثم قال تعالى ( يوم ترونها ) هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له ( تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) أى فتشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه فى حال إرضاعه ولهذا قال ( كل مرضعة ) ولم يقل مرضع وقال ( عما أرضعت ) أى عن رضيعها فطامه ، وقوله ( وتضع كل ذات حمل حملها ) أى قبل تمامه لشدة الهول ( وترى الناس سكارى ) وقرئ ( سكرى ) أى من شدة الأمر الذى قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى ( وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد )

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ \* كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى ذاماً لمن كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضاً عما أنزل الله على أنبيائه متبعاً في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مرید من الإنس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء ولهذا قال في شأنهم وأشباههم (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أى علم صحيح (ويتبع كل شيطان مرید ، كتب عليه) قال مجاهد يعنى الشيطان يعنى كتب عليه كتابة قدرية (أنه من تولاه) أى اتبعه وقلده (فأنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير) أى يضلّه في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير وهو الحار المولم المقلق ، المزعج وقد قال السدى عن أبى مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث وكذلك قال ابن جرير . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن مسلم البصرى حدثنا عمرو بن البخترى أبو قتادة حدثنا العتمر حدثنا أبو كعب السكى قال: قال خبيث من خبيثاء قريش أخبرنا عن ربك من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو ؟ فتعققت السماء قمقعة - والقمقعة فى كلام العرب الرعد - فإذا قحف رأسه ساقط بين يديه ، وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد : جاء يهودى فقال يا محمد أخبرنى عن ربك من أى شىء هو من در أم من يا قوت ؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعَدَ عِلْمَ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَدَت مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَلْحَقُ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْأُبُورِ ﴾

لما ذكر تعالى المخالف للبعث النكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أى في شك (من البعث) وهو المعاد، وقيام الأرواح والاجساد ، يوم القيامة (فانا خلقناكم من تراب) أى أصل برئه لكم من تراب وهو الذى خلق منه آدم عليه السلام (ثم من نطفة) أى ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين (ثم من علقه ثم مضغة) وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوماً كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها ثم تنقلب علقه حمراء ياذن الله فتمكث كذلك أربعين يوماً ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) أى كما تشاهدونها (لنبيّن لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) أى وتارة تستقر في الرحم لا تلقها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد في قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة) قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهى مضغة أرسل الله تعالى ملكاً إليها فنفض فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنتى وكتب رزقها وأجلها وشق أو سعيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق

« إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقمة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقياً أو سعيداً ثم ينفخ فيه الروح »

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال : النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفه فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقدفتها الأرحام وما وإن قيل مخلقة قال أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد ما الأجل وما الأثر وبأى أرض يموت . قال فيقال للنطفة من ربك ؟ فتقول الله فيقال من رازقك ؟ فتقول الله فيقال له اذهب إلى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش في أرحامها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك ثم تلاعها الشعبي ( يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقمة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ) فإذا بلغت مضغة نكست في الحلق الرابع فكانت نسمة وإن كانت غير مخلقة قدفتها الأرحام وما وإن كانت مخلقة نكست نسمة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين يوماً أو خمس وأربعين فيقول أي رب أشقى أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول أم أشقى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص » ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبي الطفيل بنحو معناه . وقوله ( ثم نخرجكم طفلاً ) أي ضعيفاً في بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً ويلطف به ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار ولهذا قال ( ثم لتبلغوا أشدكم ) أي يتكامل القوي ويتزايد ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن النظر ( ومنكم من يتوفى ) أي في حال شبابه وقواه ( ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ) وهو الشيخوخة والهزم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من الحرف وضعف الفكر ولهذا قال ( لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ) كقوله تعالى ( الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ) وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا خالد الزيات حدثني داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري عن أنس بن مالك رفع الحديث قال « اللولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالده أولوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث أجرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان كانا معه أن يحفظا وأن يشددا فاذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمته الله من البلايا الثلاث : الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين خفف الله حسابها فاذا بلغ ستين رزقه الله الأناة إليه بما يحب فاذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته ونجاوزه عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكتب أميناً الله وكان أسير الله في أرضه فاذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير فاذا عمل سيئة لم تكتب عليه » هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة شديدة ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده موقوفاً ومرفوعاً فقال : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله العاملي عن عمرو بن جعفر عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمته الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام . فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابها ، وإذا بلغ الستين رزقه الله إناة يحبه عليها . وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ومحا عنه سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفعه في أهله » ثم قال حدثنا هشام حدثنا الفرج حدثني محمد بن عبد الله العامري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الله بن عمرو بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، ورواه الإمام أحمد أيضاً حدثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي بردة الأنصاري عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن

أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن معمّر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون والبرص والجذام » وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبة عن عبد الله بن عبد الملك عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعا من البلاء : الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة إليه بما يجب فإذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته »

وقوله ( وترى الأرض هامدة ) هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة وهي المصححة التي لا ينبت فيها شيء . وقال قتادة غبراء متشمعة . وقال السدي ميتة ( فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ) أي فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعند موتها وربت أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون من ثمار وزروع وأشجارات النبات في اختلاف ألوانها وطعمها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى ( وأنبتت من كل زوج بهيج ) أي حسن المنظر طيب الريح . وقوله ( ذلك بأن الله هو الحق ) أي الخالق اللدبر الفعال لما يشاء ( وأنه يحيي الموتى ) أي كما أحيى الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع ( إن الذي أحيها يحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ) ( إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ) ( وأن الساعة آتية لا ريب فيها ) أي كائنة لا شك فيها ولا مريية ( وأن الله يبعث من في القبور ) أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم ربما ويوجدهم بعد العدم كما قال تعالى ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل شيء عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون ) والآيات في هذا كثيرة . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي عن عمه أبي رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر أنه قال يارسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس كلكم ينظر إلى القمر مخليا به ؟ » قلنا بلى ، قال « فإله أعظم » قال : قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال « أما مررت بوادي أهلك محملا ؟ » قال بلى قال « ثم مررت به يهتز خضرا » قال بلى قال « فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ثم رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى عن أبي رزين العقيلي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال « أمرت بأرض من أرض قومك مجدبة ثم مررت بها مخضبة ؟ » قال نعم قال « كذلك النشور » والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن مرحوم حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن أبي الحجاج عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ \* ثَانِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال القلدين في قوله ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ) ذكر في هذه حال الدعاء إلى الضلالة من رؤوس الكفر والبدع فقال ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ) أي بلا عقل صحيح ، ولا نقل صحيح ، بل مجرد الرأي والهوى ، وقوله ( ثاني عطفه ) قال ابن عباس



وغيره مستكبر عن الحق إذا دعى إليه ، وقال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم ( ثأى عطفه ) أى لاوى عطفه وهى رقبته يعنى يعرض عما يدعى إليه من الحق ويثنى رقبته استكباراً كقوله تعالى ( وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسطان مبين فتولى بركنه ) الآية وقال تعالى ( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ) وقال تعالى ( وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ) وقال لقمان لابنه ( ولا تصعر خدك للناس ) أى تميله عنهم استكباراً عليهم ، وقال تعالى ( وإذا تتلى عليه آياتنا لى مستكبراً ) الآية . وقوله ( ليضل عن سبيل الله ) قال بعضهم هذه لام العاقبة لأنه قد لايقصد ذلك ، ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون المراد بها العاندون أو يكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الدنى لنجمه عن يضل عن سبيل الله . ثم قال تعالى ( له فى الدنيا خزى ) وهوالاهانةوالذل كما أنه لما استكبر عن آيات الله لقاء الله المذلة فى الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لأنها أكبر همه ومبلغ علمه ( ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك ) أى يقال له هذا تقيماً وتوبيخاً ( وأن الله ليس بظلام للعبيد ) كقوله تعالى ( خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم \* ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم \* ذق إنك أنت العزيز الكريم \* إن هذا ما كنتم به تمترون ) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حمزة أحمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغنى أن أحدهم يحرق فى اليوم سبعين ألف مرة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ \* يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ \* يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْتَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾

قال مجاهد وقتادة وغيرها ( على حرف ) على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أى طرفه أى دخل فى الدين على طرف فان وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر . وقال البخارى حدثنا إبراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا إسرائيل عن أبي الحصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( ومن الناس من يبعد الله على حرف ) قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاماً وتجت خيله قال هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق القمى عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألون فإذا رجعوا إلى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا ما فى ديننا هذا خير فأنزل الله على نبيه ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ) الآية . وقال العوفى عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان صح بها جسمه وتنجت فرسه مهرأ حسناً وولدت امرأته غلاماً رضى به واطمأن إليه وقال ما أصبت منذ كنت على دينى هذا إلا خيراً وإن أصابته فتنة والفتنة البلاء أى وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أماء الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً ، وذلك الفتنة ، وهكذا كرقادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف فى تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فان أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر ، وقال مجاهد فى قوله ( انقلب على وجهه ) أى ارتد كافراً وقوله ( خسر الدنيا والآخرة ) أى فلا هو حصل من الدنيا على شيء وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها غاية الشقاء والاهانة ، ولهذا قال تعالى ( ذلك هو الخسران المبين ) أى هذه هى الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة وقوله

( يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ) أى من الأصنام والأنداد يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها وهى لا تنفعه ولا تضره ( ذلك هو الضلال البعيد ) ، وقوله ( يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ) أى ضرره فى الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما فى الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله ( لبس المولى ولبس العشير ) قال مجاهد يعنى الوثن يعنى بلس هذا الذى دعاه من دون الله مولى يعنى ولياً وناصرأ ( ولبس العشير ) وهو المخالط والمعاشر واختار ابن جرير أن المراد لبس ابن العم والصاحب ( من يعبد على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ) وقول مجاهد إن المراد به الوثن أولى وأقرب إلى سياق الكلام والله أعلم

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا إيمانهم بأفعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات فى روضات الجنات ، ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء قال ( إن الله يفعل ما يريد )

﴿ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾

قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله محمدأ صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أى مجبل ( إلى السماء ) أى سماء بيته ( ثم ليقطع ) يقول ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ( فليمدد بسبب إلى السماء ) أى ليتوصل إلى بلوغ السماء فان النصر إنما يأتى محمدأ من السماء ( ثم ليقطع ) ذلك عنه إن قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر فى المعنى وأبلغ فى التهكم فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمدأ وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فان الله ناصره لمحالة قال الله تعالى ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ) الآية ولهذا قال ( فلينظر هل يذهب كيد ما يغيظ ) قال السدى يعنى من شأن محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء الخراسانى فلينظر هل يشفى ذلك ما يجد فى صدره من الغيظ وقوله ( وكذلك أنزلناه ) أى القرآن ( آيات بينات ) أى واضحات فى لفظها ومعناها حجة من الله على الناس ( وأن الله يهدى من يريد ) أى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة فى ذلك ( لا يستل عما يفعل وهم يستلون ) أما هو فلحكمته ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا فى سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا مع الله غيره فانه تعالى ( يفصل بينهم يوم القيامة ) ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرآئيرهم وما تكن ضمائرهم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ

وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً وسجود كل شيء مما يختص به كما قال تعالى ( أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ) وقال ههنا ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ) أي من الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطيور ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) وقوله ( والشمس والقمر والنجوم ) أي ما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عبدت من دون الله فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مبروبة مسخرة ( لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ) الآية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال لي : قال رسول الله ﷺ « أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت » وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف « إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وإنهما لا ينكسفان لوت أحد ولا لحياته ولكن الله عزوجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له » وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . وأما الجبال والشجر فسجودها بقاء ظلها عن اليمين والشمائل وعن ابن عباس قال جاء رجل فقال يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهي تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً وضع عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد فسمعتة وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة . رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، وقوله ( والدواب ) أى الحيوانات كلها وقد جاء فى الحديث عن الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر ، فرب مركوبة خير أو أكثر ذكر الله تعالى من رآكها وقوله ( وكثير من الناس ) أى يسجد لله طوعاً مختاراً متعبداً بذلك ( وكثير حق عليه العذاب ) أى ممن امتنع وأبى واستكبر ( ومن يهين الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرملى حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال قيل لعلى إن ههنا رجلاً يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عينك بالسيف ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فى النار » رواه مسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم وأبو عبد الرحمن المقرئ قال : حدثنا ابن لهيعة ، قال حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب العافرى قال سمعت عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين قال « نعم فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما » ورواه أبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن لهيعة به وقال الترمذى ليس بقوى وفى هذا نظر فان ابن لهيعة قد صرح فيه بالسجود وأكثر ما تقدموا عليه بتدليسه وقد قال أبو داود فى المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح أن أباناً بن وهب أخبرنى معاوية بن صالح عن عامر بن جشب عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال « فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين » ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعنى من غير هذا الوجه ولا يصح ، وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلى حدثنى ابن أبى داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثنى نافع قال : حدثنى أبو الجهم أن عمر سجد بسجدين فى الحج وهو بالجالية وقال إن هذه فضلت بسجدين ، وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الطارث بن سعيد العتقى عن عبد الله بن منين عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة

سجدة في القرآن منها ثلاث في الفصل وفي سورة الحج سجدتان ، فهذه شواهد يشد بعضها بعضا

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ \* يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ \* وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ \* كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

ثبت الصحيحين من حديث أبي مجاز عن قيس بن عباد عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم بزوا في بدر . لفظ البخاري عند تفسيرها ، ثم قال البخاري حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجاز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس : وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخاري وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فجنح أولى بالله منكم ، وقال المسلمون كتابنا يقضى على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فجنح أولى بالله منكم فأفلج الله الإسلام على من ناواه وأنزل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقال شعبة عن قتادة في قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال مصدق ومكذب ، وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في هذه الآية مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث ، وقال في رواية هو وعطاء في هذه الآية هم المؤمنون والكافرون ، وقال عكرمة (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هي الجنة والنار قالت النار اجعلني للعقوبة وقالت الجنة اجعلني للرحمة ، وقول مجاهد وعطاء إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أي فصلت لهم مقطعات من النار ، قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمى (يصب من فوق رؤوسهم الحميم \* يصهر به ما في بطونهم والجلود) أي إذا صب على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة ، وقال سعيد بن جبير هو النحاس اللذاب أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء

قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تدوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد تساقط

وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثني حدثني إبراهيم أبو إسحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجحمة حتى يخلص إلى جوفه فيسالت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال سمعت عبد الله بن السري قال : يأتيه الملك يحمل الإناء بكلبتين من حرارته فإذا أدناه من وجهه تكهره قال فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه فذلك قوله (يصهر به ما في بطونهم والجلود) ، وقوله (ولهم مقامع من حديد) قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض » وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ، ولو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا

لأنّ أهل الدنيا « وقال ابن عباس في قوله ( ولهم مقامع من حديد ) قال يضربون بها فيقع كل عضو على حiale فيدعون بالثبور ، وقوله ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ) قال الأعمش عن أبي ظبيان عن سلمان قال : النار سوداء مظلمة لا يضيء لها ولا جمرها ثم قرأ ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ) وقال زيد بن أسلم في هذه الآية ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ) قال بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون ، وقال الفضيل ابن عياض : والله ما طمعوا في الخروج إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة ولكن يرفعهم لها وتردهم مقامعها ، وقوله ( وذوقوا عذاب الحريق ) كقولهم ( وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ) ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ \* وَهَدُّوا إِلَى الْأَطْيَبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴾

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عياذاً بالله من حالهم وما هم فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال وما أعد لهم من الثياب من النار ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه فقال ( إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ) أي تتخرق في أكنافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها يصفونها حيث شاءوا وأين أرادوا ( يحلون فيها ) من الحلية ( من أساور من ذهب ولؤلؤا ) أي في أيديهم كما قال النبي ﷺ في الحديث التفق عليه « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » وقال كعب الأحبار : إن في الجنة ملكا لو شئت أن أسميه لسميته يصوغ لأهل الجنة الحلى منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها - أي سوار منها - لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر ، وقوله ( ولباسهم فيها حرير ) في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم ، لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه كما قال ( عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحوافى الدنيا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا \* إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ) وفي الصحيح « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » قال عبد الله بن الزبير : من لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى ( ولباسهم فيها حرير ) وقوله ( وهدوا إلى الطيب من القول ) كقولهم تعالى ( وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها يذنون ربهم تحيتهم فيها سلام ) وقوله ( والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ) وقوله ( لا يسمعون فيها لنوا ولا تأنيا إلا قليلا سلاما سلاما ) فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله ( ويلقون فيها تحية وسلاما ) لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يوبخون به ويقرعون به يقال لهم ( ذوقوا عذاب الحريق ) وقوله ( وهدوا إلى صراط الحميد ) أي إلى المكان الذي يمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسدهاء إليهم كما جاء في الحديث الصحيح « أنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » وقد قال بعض المفسرين في قوله ( وهدوا إلى الطيب من القول ) أي القرآن وقيل لا إله إلا الله وقيل الأذكار المشروعة ( وهدوا إلى صراط الحميد ) أي الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾

يقول تعالى منكرآ على الكفار في صدم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه ( وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ) الآية وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية كما قال في سورة البقرة ( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله

منه أكبر عند الله) وقال ههنا (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) أي ومن صفتهم أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أي ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر وهذا الترتيب في هذه الآية كقوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله (الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أي ينعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعاً سواء لافرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الدار منه (سواء العاكف فيه والباد) ومن ذلك استواء الناس في ربايع مكة وسكنائها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام وقال مجاهد (سواء العاكف فيه والباد) أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سواء فيه أهله وغير أهله وهذه المسألة هي التي اختلف فيها الشافعي وإسحق بن راهويه بمسجد الحيف وأحمد بن حنبل حاضر أيضاً فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ربايع مكة تملك وتورث وتؤجر واحتج بحديث الزهري عن علي بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله أنزل غداً في دارك بمكة؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من ربايع » ثم قال « لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر » وهذا الحديث يخرج في الصحيحين وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة فجعلها سجناً بأربعة آلاف درهم وبه قال طاوس وعمرو بن دينار وذهب إسحق ابن راهويه إلى أنها لا تورث ولا تؤجر وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء واحتج إسحق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حيوه عن عثمان بن أبي سليمان عن علقمة بن نضلة قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى ربايع مكة إلا السواحب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وقال عبد الرزاق بن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أنه قال لا يهل بيع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضاً عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة لأن ينزل الحاج في عرساتها فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال أنظرنى يا أمير المؤمنين إنى كنت امرأة تاجر فأردت أن آخذن بابين يجلسن لى ظهري قال فلك ذلك إذا . وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبواباً لينزل البادى حيث يشاء قال وأخبرنا معمر عن عمن سمع عطاء يقول (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزلون حيث شاءوا، وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجیح عن عبد الله بن عمرو موقوفاً «من أكل كراء بيوت مكة أكل ناراً» وتوسط الإمام أحمد فقال تملك وتورث ولا تؤجر جمعا بين الأدلة والله أعلم، وقوله (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) قال بعض المفسرين من أهل العربية البناء ههنا زائفة، كقوله (تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن وكذا قوله (ومن يرد فيه بإلحاد) تقديره إلحاداً وكما قال الأعشى:

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا \* بين المراحل والصريح الأجرد

وقال الآخر: بواديمان ينبت العشب صدره \* وأسفله بالمرخ والشهان

والأجود أنه ضمن الفعل ههنا معنى بهم ولهذا عاده بالباء فقال (ومن يرد فيه بإلحاد) أي يهم فيه بأمر فظيع من المعاصى الكبار وقوله (بظلم) أي عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول كما قال ابن جريج عن ابن عباس هو التعمد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: بظلم بشرك، وقال مجاهد أن يعبد فيه غير الله، وكذا قال قتادة وغير واحد وقال العوفي عن ابن عباس بظلم هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم وقال مجاهد بظلم بعمل فيه عملاً سيئاً وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادى فيه الشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن السدي أنه سمع مرة يحدث عن عبد الله يعني ابن مسعود في قوله (ومن يرد فيه

بالحداد بظلم) قال لو أن رجلا أراد فيه بالحداد بظلم وهو بعدن أئين لأذاقه الله من العذاب الأليم قال شعبة هو رفعه لنا وأنا لا أرفعه لكم ، قال يزيد هو قد رفعه ، ورواه أحمد عن يزيد بن هارون به ، قلت هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أشبه من رفعه ، ولهذا صمم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود ، وكذلك رواه أسباط وسفيان الثورى عن السدى عن مرة عن ابن مسعود موقوفا والله أعلم ، وقال الثورى عن السدى عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فكتبت عليه ولو أن رجلا بعدن أئين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم ، وكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال سفيان الثورى عن منصور عن مجاهد الحداد فيه لا والله وبلى والله ، وروى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مثله ، وقال سعيد بن جبير شتم الخادم ظلم فما فوقه ، وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله (ومن يرد فيه بالحداد بظلم) قال تجارة الأمير فيه وعن ابن عمر يبيع الطعام بمكة بالحداد وقال حبيب بن أبي ثابت (ومن يرد فيه بالحداد بظلم) قال المحترق بمكة وكذا قال غير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري أنبأنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى عن عمه عمارة ابن ثوبان حدثنى موسى بن باذان عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال « احتكار الطعام بمكة إلحاد » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار حدثنى سعيد ابن جبير قال : قال ابن عباس في قول الله (ومن يرد فيه بالحداد بظلم) قال نزلت في عبد الله بن أنيس أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فاتخروا في الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصارى ثم ارتد عن الإسلام ثم هرب إلى مكة فنزلت فيه (ومن يرد فيه بالحداد بظلم) يعنى من لجأ إلى الحرم بالحداد يعنى بميل عن الإسلام وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجمعهم كصف ما كول ، أى دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراد به سوء ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يغزو هذا البيت جيش حتى إذا كانوا يبيدوا من الأرض خسف بأولهم وآخرهم » الحديث وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كنانة حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد فى حرم الله فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت » فانظر لا تكن هو ، وقال أيضا فى مسند عبد الله بن عمرو بن العاص حدثنا هاشم حدثنا إسحاق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال أتى عبد الله بن عمر : عبد الله بن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد فى الحرم فأتى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » قال فانظر لا تكن هو ، لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

هذا فيه تفریع وتوییح لمن عبد غیر الله وأشرك به من قريش فى البقعة التى أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فقد ذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت أى أرشده إليه وسلمه له وأذن له فى بنائه ، واستدل به كثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن قبله كما ثبت فى الصحيحين عن أبى ذر قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال « بيت المقدس » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » وقد قال الله تعالى ( إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ) الآيتين وقال تعالى

( وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ) وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار بما أغنى عن إعادته هنا وقال تعالى هنا ( أن لا تشرك بي شيئا ) أي ابنه على اسمي وحدي ( وطهر بيتي ) قال قتادة ومجاهد من الشرك ( للطائفين والقائمين والركع السجود ) أي اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فإنه لا يفعل بقعة من الأرض سواها ( والقائمين ) أي في الصلاة ولهذا قال ( والركع السجود ) فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشران إلا مختصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة إليه في غالب الأحوال إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم ، وقوله ( وأذن في الناس بالحج ) أي نادى الناس بالحج داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكر أنه قال يارب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس وقال يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيوتا فحجوه فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب وأجابته كل شيء ممعه من حجر ومدبر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة ليك اللهم ليك هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة ، وقوله ( يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ) الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا لأنه قدمهم في ذلك كرفد على الاهتمام بهم وقوة همتهم وشدة عزمهم وقال وكيع عن أبي العيميس عن أبي حنيفة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ما أساء على شيء إلا إنى وددت أنى كنت حججت ما شيا لأن الله يقول ( يأتوك رجالا ) والذي عليه الأكثر أن الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام ، وقوله ( يأتين من كل فج ) يعني طريق كما قال ( وجعلنا فيها فجاجا سبلا ) وقوله ( عميق ) أي بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدي وقاتدة ومقاتل ابن حيان والثوري وغير واحد وهذه الآية كقولها تعالى إخبارا عن إبراهيم حيث قال في دعائه ( فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم ) فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحج إلى روية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

قال ابن عباس ( ليشهدوا منافع لهم ) قال منافع الدنيا والآخرة : أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والدبائح والتجارات ، وكذا قال مجاهد وغير واحد : إنها منافع الدنيا والآخرة كقوله ( ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ) وقوله ( ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ) قال شعبة وهشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : الأيام للمعلومات أيام العشر وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به وروى مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وقاتدة وعطاء وسعيد بن جبيرة والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وإبراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي والشهور عن أحمد بن حنبل ، وقال البخاري حدثنا محمد بن عرعة حدثنا شعبة عن سليمان بن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه » قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله إلا الرجل يخرج مخاطر نفسه وماله فلم يرجع بشيء » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح ، وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر ، قلت وقد تقصبت هذه الطرق وأفردت لها جزأ على حدة فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا عثمان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام



العشر فأكثرها فهين من التهليل والتكبير والتحميد » وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه ، وقال البخاري وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرها وقد روى أحمد عن جابر مرفوعاً أن هذا هو العشر الذي أقسم الله به في قوله ( والفجر وليال عشر ) وقال بعض السلف إنه المراد بقوله ( وأتمناها بعشر ) وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يصوم هذا العشر ، وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت فيه صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال أحسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث ، وفضله كثير على عشر رمضان الأخير لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتاله على ليلة القدر التي خير من ألف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالي ذلك أفضل وبهذا يجتمع شمل الأدلة والله أعلم ﴿قول ثان﴾ في الأيام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الأيام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، ويروى هذا عن ابن عمر وإبراهيم النخعي وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه ﴿قول ثالث﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا علي بن اللديني حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع أن ابن عمر كان يقول : الأيام المعلومات المدودات من جميعهن أربعة أيام فالأيام المعلومات يوم النحر ويومان بعده ، والأيام المدودات ثلاثه أيام بعديوم النحر هذا إسناد صحيح إليه ، وقاله السدي وهو مذهب الإمام مالك بن أنس وبعض هذا القول والذي قبله قوله تعالى ( على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ) يعني به ذكر الله عند ذبحها ﴿قول رابع﴾ إنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب أبي حنيفة ، وقال ابن وهب حدثني ابن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقوله ( على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ) يعني الإبل والبقر والغنم كما فصلها تعالى في سورة الأنعام ( ثمانية أزواج ) الآية وقوله ( فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ) استدلل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي وهو قول غريب والذي عليه الأكثر أنه من باب الرخصة أو الاستحباب كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة بيضعة فنطخ فأكل من لحمها وحسا من مرقها قال عبد الله بن وهب قال لي مالك أحب أن يأكل من أضحيته لأن الله يقول ( فكلوا منها ) قال ابن وهب وسألت الليث فقال لي مثل ذلك وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم ( فكلوا منها ) قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل ، وروى عن مجاهد وعطاء نحو ذلك . قال هشيم عن حصين عن مجاهد في قوله ( فكلوا منها ) قال هي كقوله ( فإذا حللتم فاصطادوا ) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ) وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ، واستدل من نصر القول بأن الأضاحي يتصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية ( فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ) فجزأها نصفين نصف للمضحى ونصف للفقراء ، والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يهديه وثلث يتصدق به لقوله تعالى في الآية الأخرى ( فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ) وسيأتي الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة ، وقوله ( البائس الفقير ) قال عكرمة هو المضطر الذي يظهر عليه البؤس وهو الفقير التعفف : وقال مجاهد هو الذي لا يبسط يده ، وقال قتادة هو الزمن . وقال مقاتل بن حيان هو الضرير وقوله ( ثم ليقضوا نفثهم ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظفار ونحو ذلك وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقال عكرمة عن ابن عباس ( ثم ليقضوا نفثهم ) قال النفث المناسك وقوله ( وليوفوا نذورهم ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني نحر ما نذر من أمر البدن . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ( وليوفوا نذورهم ) نذر الحج والهدى وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج ، وقال إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد ( وليوفوا نذورهم ) قال الذبائح . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد ( وليوفوا نذورهم ) كل نذر إلى أجل . وقال عكرمة ( وليوفوا نذورهم ) قال خجهم . وكذا روى الإمام أحمد وابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا بن أبي عمر حدثنا سفيان في قوله ( وليوفوا نذورهم ) قال نذورا للحج فكل من

دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ورمى الجمار على ما أمروا به ، وروى عن مالك نحوه هذا وقوله ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) قال مجاهد يعني الطواف الواجب يوم النحر : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أبي حمزة قال : قال لي ابن عباس أتقرأ سورة الحج بقول الله تعالى ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) فان آخر الناسك الطواف بالبيت العتيق : قلت وهكذا صنع رسول الله ﷺ فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي الجمرة فرماها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أقاض فطاف بالبيت ، وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن المرأة الحائض ، وقوله ( بالبيت العتيق ) فيه مستدل لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم وإن كانت قريش قد أخرجوه من البيت حين قصرت بهم النفقة ، ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركبتين الشاميتين لأنهما لم يتما على قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن هشام بن حجر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) طاف رسول الله ﷺ من وراءه ، وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) قال لأنه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعن عكرمة أنه قال إنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق يوم الفراق زمان نوح ، وقال خصيف إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار قط ، وقال ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد أعتق من الجبارة أن يسلطوا عليه وكذا قال قتادة وقال حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لأنه لم يردده أحد بسوء إلا هلك ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن الزبير قال إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة ، وقال الترمذي حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ « إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار » وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل الحاربي عن عبد الله بن صالح به وقال إن كان صحيحا ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلا

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء الناسك وما يلقى عليها من الثواب الجزيل (ومن يعظم حرمات الله) أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه (فهو خير له عند ربه) أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل. كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات قال ابن جرير قال مجاهد في قوله ( ذلك ومن يعظم حرمات الله ) قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وكذا قال ابن زيد . وقوله ( وأحلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ) أي أحللتنا لكم جميع الانعام وما جعل الله من بحيرة ولا سائمة ولا وصيلة ولا حام ، وقوله ( إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ) أي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة الآية قال ذلك ابن جرير وحكاه عن قتادة ، وقوله ( فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ) من هنا لبيان الجنس أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به

سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ) ومنه شهادة الزور، وفي الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » قلنا بلى يا رسول الله قال « الإشراف بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وقال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري أنبأنا سفيان بن زياد عن فائق بن فضالة عن أيمن بن خريم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال « يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشرافاً بالله » ثلاثاً ثم قرأ ( فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ) وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث ولا نعرف لأيمن بن خريم مصاعاً من النبي ﷺ وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان العصفري عن أيمن بن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فائق الأسدي قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال « عدلت شهادة الزور الإشراف بالله عز وجل » ثم تلا هذه الآية ( فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ) وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال: تعدل شهادة الزور الإشراف بالله ثم قرأ هذه الآية ، وقوله ( حنفاء لله ) أي مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق ولهذا قال ( غير مشركين به ) ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبهده عن الهدى فقال ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ) أي سقط منها ( فتخطفه الطير ) أي تقطعه الطيور في الهواء ( أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء في حديث البراء: أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرحة من هناك ثم قرأ هذه الآية وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه . وقد ضرب تعالى للمشركين مثلاً آخر في سورة الأنعام وهو قوله ( قل أئندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هदानا الله كالدئ استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى ) الآية

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ • لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

يقول تعالى هذا ( ومن يعظم شعائر الله ) أي أوامره ( فإنها من تقوى القلوب ) ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها استئمانها واستحسانها . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ليلى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ( ذلك ومن يعظم شعائر الله ) قال: الاستئمان والاستحسان والاستعظام ، وقال أبو أمامة عن سهل : كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون . رواه البخاري وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دم عفرأ أحب إلى الله من دم سوداوين » رواه أحمد وابن ماجه قالوا: والعفرأ هي البيضاء بياضاً ليس بناصع فالبيضاء أفضل من غيرها وغيرها يميزها أيضاً لما ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ضحى بكبش أقرن كحيل يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشى في سواد رواه أهل السنن وصححه الترمذي - أي فيه نكتة سواد في هذه الأماكن ، وفي سنن ابن ماجه عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين عظيمين ميمينين أقرنين أملحين موجودين وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين أملحين موجودين : قيل هما الحصان وقيل اللذان رض خصيماهما ولم يقطعهما والله أعلم . وعن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن

وأن لا نضحى بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء ، رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى ولهم عنه ، قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضحى بأعضب القرن والأذن ، قال سعيد بن المسيب : العضب النصف فأكثر وقال بعض أهل اللغة : إن كسر قرنهما الأعلى فهي قصباء فأما العضب فهو كسر الأسفل وأعضب الأذن قطع بعضها ، وعند الشافعى أن الأضحية بذلك مجزئة لكن تكره ، وقال أحمد لا تجزئ الأضحية بأعضب القرن والأذن لهذا الحديث ، وقال مالك إن كان الدم يسيل من القرن لم يجزئ والا أجزاء والله أعلم . وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنها والمدابرة من مؤخر أذنها ، والشرقاء هي التي قطعت أذنها طولا . قاله الشافعى والأصمعى وأما الخرقاء فهي التي خرقت السمة أذنها خرقا مدورا والله أعلم ، وعن البراء قال : قال رسول الله ﷺ « أربع لا تجوز في الأضاحي : العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها والكسيرة التي لا تنقي » رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى وهذه العيوب تنقص اللحم لضعفها وعجزها عن استكمال الرعى لأن الشاء يسبقونها إلى المرعى فلهمذا لا تجزئ التضحية بها عند الشافعى وغيره من الأئمة كما هو ظاهر الحديث ، واختلف قول الشافعى في المريضة مرضا يسيرا على قولين وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السامى أن رسول الله ﷺ نهى عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشعبة والكسيرة ، فالمصفرة قيل الهزيلة وقيل المستأصلة الأذن والمستأصلة مكسورة القرن والبخقاء هي العوراء والمشعبة هي التي لا تزال تشيع خلف الغنم ولا تتبع لضعفها والكسيرة العرجاء فهذه العيوب كلها مانعة من الإجزاء فإن طرأ العيب بعد تعيين الأضحية فإنه لا يضر عند الشافعى خلافا لأبي حنيفة وقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال : اشتريت كبشا أضحي به فعدا الذئب فأخذ الألية فسألت النبي ﷺ فقال « ضح به » ولهذا جاء في الحديث أمرنا النبي ﷺ أن نستشرف العين والأذن أى أن تكون الهدية والأضحية سميحة حسنة ميمنة كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال أهدى عمر نجيبا فأعطى بها ثلثمائة دينار فأثنى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني أهديت نجيبا فأعطيت بها ثلثمائة دينار فأبيعها وأشترى بسمها بدنا قال لا « انحرها إياها » وقال الضحاك عن ابن عباس البدن من شعائر الله وقال محمد بن أبى موسى الوقوف ومزدلفة والجمار والرمى والحلق والبدن من شعائر الله وقال ابن عمر أعظم الشعائر البيت وقوله ( لكم فيها منافع ) أى لكم فى البدن منافع من لبنها وصفها وأوبارها وأشعارها وركوبها إلى أجل مسمى قال مقسم عن ابن عباس فى قوله ( لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ) قال ما لم تسم بدنا وقال مجاهد فى قوله ( لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ) قال الركوب واللبن والولد فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراسانى وغيرهم ، وقال آخرون بل له أن ينتفع بها وإن كانت هديا إذا احتاج إلى ذلك كما ثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة قال « اركبها » قال إنها بدنة قال « اركبها ويحك » فى الثانية أو الثالثة وفى رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال « اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها » وقال شعبة بن زهير عن أبى ثابت الأعمى عن المغيرة بن أبى الحر عن على أنه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لا تشرب من لبنها إلا ما فضل عن ولدها فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها وقوله ( ثم محلها إلى البيت العتيق ) أى محل الهدى وانتهأؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى ( هديا بالغ الكعبة ) وقال ( والهدى معكوكا أن يبلغ محله ) وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريبا والله الحمد وقال ابن جرير عن عطاء قال : كان ابن عباس يقول : كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى ( ثم محلها إلى البيت العتيق )

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَيْكُمْ آتَاهُمُ وَاحِدٌ  
فَلَهُ اسْمُهُمْ وَبَشَرِ الْمُخْبِتِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

يخبر تعالى انه لم يزل ذبح الناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال عيداً وقال عكرمة ذبحها ، وقال زيد بن أسلم في قوله (ولكل أمة جعلنا منسكا) إنها مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها . وقوله (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسعى وكبر ووضع رجله على صفاحهما ، وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا سلام بن مسكين عن عائدة الله المجاشعي عن أبي داود - وهو نفيح بن الحارث - عن زيد بن أرقم قال : قلت أوقالوا يارسول الله ماهذه الأضاحي ؟ قال « سنة أبيكم إبراهيم » قالوا ما لنا منها ؟ قال « بكل شعرة حسنة » قال فالصوف ؟ قال « بكل شعرة من الصوف حسنة » وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به

وقوله (فألهمكم إله واحد فله أسلموا) أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (فله أسلموا) أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته (وبشر الخبتين) قال مجاهد المطمئنين وقال الضحاك وقادة المتواضعين وقال السدي الوجلين وقال عمرو بن أوس : الخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وقال الثوري (وبشر الخبتين) قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له وأحسن بما يفسر بما بعده وهو قوله (الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم) أي خافت منه قلوبهم (والصابرين على ما أصابهم) أي من المصائب ، قال الحسن البصري والله لنصبرن أولئكن (والمقيمي الصلاة) قرأ الجمهور بالإضافة السعة وبقية العشرة أيضا ، وقرأ ابن السميع (والمقيمين الصلاة) بالنصب وعن الحسن البصري (والمقيمي الصلاة) وإنما حذف النون ههنا تخفيفا ولو حذف للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصبت أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات المنافقين فإنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة

﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الطَّالِفَ وَالْمَعْرَةَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى امتنا على عبيده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو أنه جعلها تهدي إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدي إليه كما قال تعالى (لأحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) الآية ، قال ابن جريج قال عطاء في قوله (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) قال البقرة والبعر وكذا روى عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري ، وقال مجاهد إنما البدن من الإبل (قلت) أما إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين أحدهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث ، ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الأضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وقال إسحق بن راهويه وغيره بل تجزئ البقرة والبعر عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرها قاله أعلم . وقوله (لكم فيها خير) أي ثواب في الدار الآخرة ، وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ماعمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من إهراق دم وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا » رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . وقال سفيان الثوري كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن فقيل له تستدين

وتسوق البدن ؟ فقال إني سمعت الله يقول ( لكم فيها خير ) وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نخيرة في يوم عيد » رواه الدارقطني في سننه ، وقال مجاهد ( لكم فيها خير ) قال أجز ومنافع ، وقال إبراهيم النخعي يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها . وقوله ( فاذكروا اسم الله عليها صواف ) وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى فلما انصرف آتى بكبش فذبحه فقال « باسم الله والله أكبر اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمة » ثم سمي الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين ميمينين أقرنين أمدحين فإذا صلى وخطب الناس آتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدينة ثم يقول « اللهم هذا عن أمتى جميعاً من شهد لك بالتوحيد وشهدلى بالبلاغ » ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول « هذا عن محمد وآل محمد » فيطعمهما جميعاً للمساكين ويأكل هو وأهله منهما رواه أحمد وابن ماجه . وقال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله ( فاذكروا اسم الله عليها صواف ) قال قياما على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى يقول باسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك : وكذلك روى عن مجاهد وطى بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس نحو هذا . وقال ليث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث ، وروى ابن أبي نجیح عنه نحوه . وقال الضحاك يعقل رجلا فتكون على ثلاث . وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه آتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها فقال ابعتها قياما مقيدة سنة أبي القاسم ﷺ وعن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقى من قوائمها رواه أبو داود وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار أن سالم بن عبد الله قال لسليمان بن عبد الملك قف من شقها الأيمن وانحر من شقها الأيسر ، وفي صحيح مسلم عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه فنحر رسول الله ﷺ يده ثلاثا وستين بدنة جعل يطعمها بحربة في يده . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود ( صوافن ) أى معقولة قياما وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن جابر من قرأها صوافن قال معقولة من قرأها صواف قال نصف بين يديها وقال طاوس والحسن وغيرهما ( فاذكروا اسم الله عليها صوافي ) يعنى خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهري . وقال عبد الرحمن بن زيد صوافى ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامهم وقوله ( فإذا وجبت جنوبها ) قال ابن أبي نجیح عن مجاهد يعنى سقطت إلى الأرض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان . وقال العمري عن ابن عباس فإذا وجبت جنوبها يعنى نحررت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فإذا وجبت جنوبها يعنى ماتت وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحررت حتى تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث مرفوع « لاتعجلوا النفوس أن تزهدق » وقد رواه الثوري في جامعه عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن قرافصة الحنفي عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح مسلم « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ﷺ « ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه . وقوله ( فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ) قال بعض السلف قوله ( فكلوا منها ) أمر بإباحة . وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية . واختلفوا في المراد بالقانع والمعتر فقال العمري عن ابن عباس القانع المستغنى بما أعطيته وهو في بيته والمعتر الذى يتعرض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظى . وقال طى بن أبي طلحة عن ابن عباس القانع المتعفف والمعتر السائل وهذا

قول قتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه ، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والسكبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس القانع هو الذي يقنع إليك ويسألك والمعتر الذي يعتربك يتضرع ولا يسألك وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانع هو السائل قال أما سمعت قول الشهاخ

لمال المرء يصلحه فيغنى \* مفارقة أعف من القنوع

قال يعني من السؤال وبه قال ابن زيد وقال زيد بن أسلم القانع المسكين الذي يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذي يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا ، وعن مجاهد أيضا القانع جارك الغني الذي يبصر ما يدخل بيتك والمعتر الذي يعتزل من الناس ، وعنه أن القانع هو الطامع والمعتر هو الذي يعتر بالبدن من غنى أو فقير وعن عكرمة نحوه وعنه القانع أهل مكة ، واختار ابن جرير أن القانع هو السائل لأنه من أقع بيده إذا رفعها للسؤال والمعتر من الاعتراء وهو الذي يتعرض لأكل اللحم ، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء فثلث لصاحبها يأكله وثلث يهديه لأصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء لأنه تعالى قال ( فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس « إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث فكلوا وادخروا ما بدمكم » وفي رواية « فكلوا وادخروا وتصدقوا » وفي رواية « فكلوا وأطعموا وتصدقوا » : والقول الثاني : أن المضحى يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله في الآية للتقدمة ( فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ) ولقوله في الحديث « فكلوا وادخروا وتصدقوا » فإن أكل الكل فقيل لا يضمن شيئا وبه قال ابن سريج من الشافعية وقال بعضهم يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها وقيل يضمن نصفها وقيل ثلثها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعي ، وأما الجلود ففي مسند أحمد عن قتادة بن النعمان في حديث الأضاحي « فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تتبعوها » ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله أعلم ﴿ مسألة ﴾ عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فنحرق فمن فعل فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء » أخرجه فهذا قال الشافعي وجماعة من العلماء : إن أول وقت ذبح الأضاحي إذ طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين زاد أحمد وأن يذبح الإمام بعد ذلك لما جاء في صحيح مسلم وأن لا تندبحوا حتى يذبح الإمام ، وقال أبو حنيفة أما أهل السواد من القرى ونحوها فليهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر إذ لا صلاة عيد تشرع عنده لهم ، وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتى يصلي الإمام والله أعلم ، ثم قيل لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده وقيل يوم النحر لأهل الأمصار لتيسر الأضاحي عندهم وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الإمام أحمد ، وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعي لحديث جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيام التشريق كلها ذبح » رواه أحمد وابن حبان وقيل إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذى الحجة ، وبه قال إبراهيم النخعي وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، وهو قول غريب وقوله ( كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ) يقول تعالى من أجل هذا ( سخرناها لكم ) أي ذللناها لكم وجعلناها متقادة لكم خاضعة إن شئتم ركبتهم وإن شئتم حلبتم وإن شئتم ذبحتم كما قال تعالى ( أولم يروا أننا خلقناهم مما علمت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون - إلى قوله - أفلا يشركون ) وقال في هذه الآية الكريمة ( كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون )

﴿ لَنْ يَنْالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَآكِنَ يَنَالُهُ الْقَبُولَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ

عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يقول تعالى إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا الضحايا لذكروه عند ذبحها فإنه الخالق الرازق لا يناله شيء من لحومها ولا دماؤها فإنه تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لأهلتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم

ونضحوا عليها من دماؤها فقال تعالى ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودماؤها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ) أى يتقبل ذلك ويمجزى عليه كما جاء في الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وجاء في الحديث « إن الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض » كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه عن عائشة مرفوعاً فعناه أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم وقال وكيع عن يحيى بن مسلم ابن الضحاك سألت عامراً الشعبي عن جلود الأضاحى فقال ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ) إن شئت فبع وإن شئت فأمسك وإن شئت فصدق وقوله ( كذلك سخرها لكم ) أى من أجل ذلك سخر لكم البدن ( لتكبروا الله على ما هداكم ) أى لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله ( وبشر المحسنين ) أى وبشر يا محمد المحسنين أى في عملهم القائمين بحدود الله المتبعين ما شرع لهم المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل **مسألة** وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب الأضحية على من ملك نصاباً وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضاً واحتج لهم بما رواه أحمد وابن ماجه بإسناد رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة مرفوعاً « من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » على أن فيه غرابة واستنكره أحمد بن حنبل وقال ابن عمر : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يضحى رواه الترمذى وقال الشافعى وأحمد : لا تجب الأضحية بل هى مستحبة لما جاء في الحديث « ليس فى المال حق سوى الزكاة » وقد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام ضحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم ، وقال أبو سريحة كنت جاراً لأبي بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية أن يقنذى الناس بهما ، وقال بعض الناس الأضحية سنة كفاية إذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة أو بيت سقطت عن الباقيين لأن المقصود إظهار الشعار : وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذى عن محنف بن سليم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعرفات « على كل أهل بيت فى كل عام أضحية وعترة ، هل تدرون ما العترة ؟ هى التى تدعونها الرجبية » وقد تكلم فى إسناده ، وقال أبو أيوب كان الرجل فى عهد رسول الله ﷺ يضحى بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فى كل يوم ويضعون حتى تباهى الناس فصار كما ترى رواه الترمذى وصححه وابن ماجه ، وكان عبد الله بن هشام يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله رواه البخارى ، وأما مقدار سن الأضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « لا تدبجوا إلا مسنة إلا أن تعسر عليكم فتدبجوا جذعة من الضأن » ومن ههنا ذهب الزهرى إلى أن الجذع لا يحزى ، وقابله الأوزاعى فذهب إلى أن الجذع يحزى من كل جنس وهما غريبان ، والذى عليه الجمهور إنما يحزى الثنى من الإبل والبقر والعزأ والجذع من الضأن ، فأما الثنى من الإبل فهو الذى له خمس سنين ودخل فى السادسة ، ومن البقر ما له سنتان ودخل فى الثالثة ، وقيل ما له ثلاث ودخل فى الرابعة ومن العز ما له سنتان ، وأما الجذع من الضأن فقليل ما له سنة قليل عشرة أشهر ، وقيل ثمانية ، وقيل ستة أشهر وهو أقل ما قيل فى سنة وما دونه فهو حمل والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم ، قد انفرد صدعين والله أعلم

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنا بوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكفؤهم وينصرهم كما قال تعالى ( أليس الله بكاف عبده ) وقال ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدراً ) وقوله ( إن الله لا يحب كل خوان كفور ) أى لا يحب من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة فى العهد والمواثيق لا يبق بما قال ، والكفر الجحد للنعم فلا يعترف بها

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا



أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢٥﴾

قال العوفي عن ابن عباس نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة ، وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم هذه أول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية ، وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا إسحاق بن يوسف عن سفيان عن الأعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبينهم إنا لله وإنا إليه راجعون لهلكن ، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ) قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعرفت أنه سيكون قتال . ورواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به ، وزاد قال ابن عباس وهى أول آية نزلت في القتال . ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من سنينهما وابن أبى حاتم من حديث إسحاق بن يوسف زاد الترمذى ووكج كلاهما عن سفيان الثورى به وقال الترمذى حديث حسن وقد رواه غير واحد عن الثورى وليس فيه ابن عباس وقوله ( وإن الله على نصرهم لقدير ) أى هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم فى طاعته كما قال ( فإذا لقيم الدين كفروا ف ضرب الرقاب حتى إذا تخثتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم بعض ، والذين قتالوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ) وقال تعالى ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ) وقال ( أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون ) وقال ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) وقال ( ولنبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبوأخباركم ) والآيات فى هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس فى قوله ( وإن الله على نصرهم لقدير ) وقد فعل ، وإنما شرع تعالى الجهاد فى الوقت الأليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نيفاً وثمانين قالوا يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادى يعنون أهل منى ليلالى منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لم أؤمر بهذا » فلما بنى المشركون وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه شردوا فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلا يلجئون إليه شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل فى ذلك فقال تعالى ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ) قال العوفي عن ابن عباس أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق يعنى محمد وأصحابه ( إلا أن يقولوا ربنا الله ) أى ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لا شريك له وهذا استثناء منقطع بالنسبة إلى ما فى نفس الأمر ، وأما عند الشركين فإنه أكبر الذنوب كما قال تعالى ( يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ) وقال تعالى فى قصة أصحاب الأخدود ( وما تموموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ) ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون فى بناء الخندق ويقولون

لاهم لولا أنت ما هتدينا \* ولا تصدقنا ولا صلينا \* فأنزلن سكينه علينا

وثبت الأقدام أن لا قينا \* أن الألى قد بجوا علينا \* اذا أرادوا فتنة أينا

فيوافقهم رسول الله ﷺ ويقول معهم آخر كل قافية فاذا قالوا: اذا أرادوا فتنة أيينا يقول أيينا يمد بها صوته ثم قال تعالى ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ) أي لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف ( لهدمت صوامع ) وهي المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هي معابد الصابئين وفي رواية عنه صوامع الجوس وقال مقاتل بن حيان هي البيوت التي على الطرق ( ويبيع ) وهي أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهي للنصارى أيضاً قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم ، وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود وحكى السدي عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد إنما قال هي الكنائس والله أعلم ، وقوله ( وصلوات ) قال العوفي عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة : إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدي عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد الصلوات مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق وأما المساجد فهي للمسلمين ، وقوله ( يذكر فيها اسم الله كثيرا ) فقد قيل الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان ويبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب . وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهي أكثر عمارا وأكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح ، وقوله ( ولينصرن الله من ينصره ) كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ) وقوله ( إن الله لقوى عزيز ) وصف نفسه بالقوة والعزة بفقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ) وقال تعالى ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوى عزيز )

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحَقُّوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾  
 وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿

قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال : قال عثمان بن عفان فينا نزلت ( الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ) فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر والله عاقبة الأمور فهي لي ولأصحابي وقال أبو العالية هم أصحاب محمد ﷺ وقال الصباح بن سوادة الكندي سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول ( الذين إن مكانهم في الأرض ) الآية ثم قال ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمولى عليه : ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وما للوالي عليكم منه إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المزورة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها ، وقال عطية العوفي هذه الآية كقوله ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ) وقوله ( والله طلبة الأمور ) كقوله تعالى ( والعاقبة للمتقين ) وقال زيد بن أسلم ( والله عاقبة الأمور ) وعند الله ثواب ما صنعوا

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ \* وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ \* وَأَصْحَابُ

مَدِينٍ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ \* فَكَايِنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا  
وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُرٌّ مَّعْطَلٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ \* أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ  
يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿

يقول تعالى مسليا لنبية محمد ﷺ في تكذيب من خالفه من قومه ( وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح - إلى أن قال - وكذب موسى ) أى مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات ( فأملت للكافرين ) أى أنظرتهم وأخرتهم ( ثم أخذتهم فكيف كان نكير ) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتهم لهم ؟ وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى وبين إهلاك الله له أربعون سنة وفي الصحيحين عن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذهم بفلته » ثم قرأ ( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ) ثم قال تعالى ( فكأين من قرية أهلكتناها ) أى كم من قرية أهلكتها ( وهي ظالمة ) أى مكذبة لرسولها ( فهي خاوية على عروشها ) قال الضحاك سقوفها أى قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها ( وبئر معطله ) أى لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة واردتها والازدحام عليها ( وقصر مشيد ) قال عكرمة يعنى البيض بالجص وروى عن على بن أبى طالب وبجاهد وعطاء وسعيد ابن جبير وأبى المليح والضحاك نحو ذلك ، وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد النبع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها فانه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حاول بأس الله بهم كما قال تعالى ( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ) وقوله ( أفلم يسيرا فى الأرض ) أى بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكير والاعتبار حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن : يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا من سح فى الأرض ثم اطلب الآثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتتكرر العصا . وقال ابن أبى الدنيا قال بعض الحكماء أحى قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكير وموته بالزهد وقوه باليقين وذلكه بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تغلب الأيام واعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره فى ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم اقبلوا . أى فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال ( فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بها ) أى فيعتبرون بها ( فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ) أى ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة وإن كانت القوة الباصرة سليمة فانها لاتنفذ إلى العبر ولا تدرى ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسى الشنترينى وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة

يا من يصيخ إلى داعى الشقاء وقد \* نادى به الناعيان الشيب والكبر  
إن كنت لا تسمع الذكري فقيم ترى \* فى رأسك الواعيان السمع والبصر  
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل \* لم يهده الهاديان العين والأثر  
لا الدهريتي ولا الدنيا ولا الفلك الـ \* أعلى ولا النيران الشمس والقمر  
يرحلن عن الدنيا وإن كرها \* فراقها الثاويان البدن والحضر

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا نَعُدُّونَ \* وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾

يقول تعالى لنبية صلوات الله وسلامه عليه ( ويستعجلونك بالعذاب ) أى هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى ( وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

من السماء أو اثنتا بعدد أليم ) ( وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب ) وقوله ( ولن يخلف الله وعده ) أى الذى قد وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه ، والاكرام لأوليائه ، قال الأصمعي كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه عمرو بن عبيد فقال يا أبا عمرو هل يخلف الله اليعاد ؟ فقال لا ، فذكر آية وعيد فقال له أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الإيعاد كرما أما سمعت قول الشاعر :

ليهرب ابن العم والجار سطوتى \* ولا أثنى عن سطوة المتهدد  
فأنى وإن أوعدته أو وعدته \* لخلف إيعادى ومنجز موعدى

وقوله ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) أى هو تعالى لا يعجل فان مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وأنه لا يفوته شيء وإن أجل وأنظر وأملى ولهذا قال بعد هذا ( وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ثم أخذناها وإلى المصير ) قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني عبدة ابن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسينة عام » ورواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى عن محمد بن عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح ، وقد رواه ابن جرير عن أبي هريرة موقوفا فقال : حدثني يعقوب ثنا ابن علي ثنا سعيد الجريرى عن أبي نضرة عن عمير بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت وما مقدار نصف يوم ؟ قال أو ما تقرأ القرآن ، قلت بلى ، قال ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) وقال أبو داود فى آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال « إني لأرجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وما نصف يوم ؟ قال خمسينة سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) قال من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن المهدي ، وبه قال مجاهد وعكرمة ونص عليه أحمد بن حنبل فى كتاب الرد على الجهمية وقال مجاهد هذه الآية كقوله ( يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ) وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عارم بن محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال : إن الله تعالى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة فى اليوم السابع ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) فقدمت الستة الأيام وأتم فى اليوم السابع فمثل ذلك كمثل الحامل إذا دخلت شهرها ففى أية لحظة ولدت كان تماما

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۗ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۗ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به ( قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ) أى إنما أرسلنى الله إليكم نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد وليس إلى من حسابكم من شيء أمركم إلى الله إن شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار ( لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ) ( وإنما أنا لكم نذير مبين \* فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أى آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم ( لهم مغفرة ورزق كريم ) أى مغفرة لما سلف لهم سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم ، قال محمد بن كعب القرظى إذا سمعت الله تعالى يقول ( ورزق كريم ) فهو الجنة . وقوله ( والذين سعوا فى آياتنا معاجزين ) قال مجاهد يثبطون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال عبد الله بن الزبير مشبطين ، وقال ابن عباس معاجزين مراغمين ( أولئك أصحاب الجحيم )

وهي النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها أجارنا الله منها قال الله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ \* وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَفِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مسنده من وجه صحيح والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع ( أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) قال فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن ترجى ، قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ) ورواه ابن جرير عن بنادر عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى ( أفرايم اللات والعزى ) وذكر بعقته ، ثم قال البزار لانه لم يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوضعه أمية بن خالد وهو ثقة مشهور وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية وعن السدي مرسلًا وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسلًا أيضا وقال قتادة كان النبي ﷺ يصلى عند اللتام إذ نعى فألقى الشيطان على لسانه وإن شفاعتها لترجى ، وإنما لمع الغرائيق العلى فحفظها المشركون واجرى الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها فنذلت بها ألسنتهم فأنزل الله ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) الآية فدحر الله الشيطان ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن إسحق الشيباني حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ماناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزونه ضلالهم فكان يتمنى هدامهم فلما أنزل الله سورة النجم قال ( أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى \* ألكم الذكر وله الأنثى ) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال وإنهن لمن الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لمي التي ترجى وكان ذلك من سجع الشيطان وقتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا فرفع يده كفه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن المسلمون معهم الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنيته رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثهم به الشيطان

أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله ﷺ وبلغهم سجد الوليد بن المغيرة على التراب على كفه وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وحفظه من القرية ، وقال الله ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم \* ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ) فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلاتهم وعداوتهم المسلمين واشتدوا عليهم وهذا أيضاً مرسل ، وفي تفسير ابن جرير عن الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة فلم يجزيه موسى بن عقبة ساقه من مغازيه بنحوه قال وقد روينا عن أبي إسحق هذه القصة ( قلت ) وقد ذكرها محمد بن إسحق في السيرة بنحو من هذا وكلها مراسلات ومنقطعات والله أعلم ، وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرها بنحو من ذلك ثم سأل ههنا سؤالاً كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه ، ثم حكى أجوبة عن الناس من ألقها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهوا أنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك في نفس الأمر بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها وقوله ( إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ) هذا فيه تسلية من الله لرسوله صلاة الله وسلامه عليه أي لا يهدئك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ، قال البخاري : قال ابن عباس ( في أمنيته ) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ( ثم يحكم الله آياته ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ) يقول إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، وقال مجاهد ( إذا تمنى ) يعني إذا قال ويقال أمنيته قراءته ( إلا أمانى ) يقرءون ولا يكتبون قال البغوي وأكثر الفسرين قالوا معنى قوله ( تمنى ) أي تلا وقرأ كتاب الله ( ألقى الشيطان في أمنيته ) أي في تلاوته قال الشاعر في عثمان حين قتل :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك ( إذا تمنى ) إذا تلا قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، وقوله ( فينسخ الله ما يلقي الشيطان ) حقيقة النسخ لغة الإزالة والرفع ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فيبطل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشيطان وقال الضحاك نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته ، وقوله ( والله عليم ) أي بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية ( حكيم ) أي في تقديره وخلقه وأمره له . الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال ( ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ) أي شك وشرك وكفر وتفاق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان : قال ابن جريج ( الذين في قلوبهم مرض ) هم المناقون ( والقاسية قلوبهم ) هم المشركون . وقال مقاتل بن حيان هم اليهود ( وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ) أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحق والصواب ( وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ) أي وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحينا إليك هو الحق من ربك الذي أنزل به علمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) وقوله ( فيؤمنوا به ) أي يصدقوه وينقادوا له ( فتخبت له قلوبهم ) أي تخضع وتذل له قلوبهم ( وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ) أي في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ويوقظهم لمخالفة الباطل واجتنابه وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ويحزحهم عن العذاب الأليم والدركات

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ \* الْمَلِكُ  
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لا يزالون في مرية أي في شك وريب من هذا القرآن قاله ابن جريج واختاره ابن جرير ، وقال سعيد بن جبیر وابن زيد منه أي مما ألقى الشيطان ( حتى تأتيهم الساعة بغتة ) قال مجاهد فجأة ، وقال قتادة ( بغتة ) بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرثهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون وقوله ( أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ) قال مجاهد قال أبي بن كعب هو يوم بدر ، وكذا قال مجاهد وعكرمه وسعيد بن جبیر وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ، قال عكرمة ومجاهد في رواية عنهما هو يوم القيامة لاليل له وكذا قال الضحاك والحسن البصرى وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به لكن هذا هو المراد ولهذا قال ( الملك يومئذ يحكم بينهم ) كقوله ( مالك يوم الدين ) وقوله ( الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيرا ) ( فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أي آمنت قلوبهم وصدقوا بالله ورسوله وعملوا بمقتضى ما علموا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم ( في جنات النعيم ) أي لهم النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ولا يبديد ( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ) أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم ( فأولئك لهم عذاب مهين ) أي مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحق كقوله تعالى ( إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) أي صاغرين

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ \* ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَمَعُوذٌ غَفُورٌ ﴾

يخبر تعالى عن من خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلباً لما عنده وترك الأوطان والأهلين والحلان وفارق بلاده في الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا أي حنط أنفسهم من غير قتال على فرسهم فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل كما قال تعالى ( ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ) وقوله ( ليرزقهم الله رزقاً حسناً ) أي ليخرجن عليهم من فضله ورزقه من الجنة ماتقرب به أعينهم ( وإن الله لهو خير الرازقين \* ليدخلنهم مدخلاً يرضونه ) أي الجنة كما قال تعالى ( فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ) فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة النعيم كما قال ههنا ( ليرزقهم الله رزقاً حسناً ) ثم قال ( ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم ) أي بمن يهاجر ويجهاد في سبيله وبمن يستحق ذلك ( حلیم ) أي يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه وتوكلهم عليه . فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فإنه حتى عند ربه يرزق كما قال تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) والأحاديث في هذا كثيرة كما تقدم وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه وعظيم إحسان الله إليه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا السيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث - يعني عبد الكريم - عن ابن عقبة يعني أبا عبيدة بن عقبة قال: قال شريح بن السبط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم فمر في سلمان يعني الفارسي رضى الله عنه فقال إنى سمعت رسول الله

يقول « من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من القتالين واقرأوا إن شئتم ( والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حلیم ) » وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن بشر أخبرني همام أنه سمع أبا قبيل وريعة ابن سيف العافري يقولان كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الأنصار صاحب رسول الله ﷺ فمز بجنائزتين إحداهما قتيل والأخرى متوفى فسال الناس على التثليل فقال فضالة مالي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا هذا التثليل في سبيل الله فقال والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اسمعوا كتاب الله ( والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ) حتى بلغ آخر الآية وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا ابن لميعة حدثنا سلامان بن عامر الشيباني أن عبد الرحمن بن جحدم الحولاني حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أسيب بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقيل له تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت إن الله يقول ( والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا ) الآيتين فما تبتغى أيها العبد إذا أدخلت مدخلا ترضاه ورزقت رزقا حسنا والله ما إبالي من أي حفرتيهما بعثت . ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح عن سلامان ابن عامر قال كان فضالة برودس أميراً على الأرباع فخرج بجنائزتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فذكر نحوهما تقدم وقوله ( ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ) الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون لثلاثا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون لإقتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم ( إن الله لعفو غفور )

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ \* ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿

يقول تعالى منها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء كما قال ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير \* تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ) ومعنى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف وقوله ( وأن الله سميع بصير ) أي سميع بأقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم ولما تبين أنه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا معقب لحكمه قال ( ذلك بأن الله هو الحق ) أي الإله الحق الذي لا تنبغى العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير إليه ، دليل لديه ( وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ) أي من الأصنام والأنداد والأوثان وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل لأنه لا يملك ضرا ولا نفعا وقوله ( وأن الله هو العلي الكبير ) كما قال ( وهو العلي العظيم ) وقال ( وهو الكبير المتعال ) فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتنزه عز وجل عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ \* لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ



بِأَمْرِهِ وَيُنْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ \* وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١﴾

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه وأنه يرسل الرياح فتثير سحابا فيمطر على الأرض الجزر التي لا نبات فيها وهي هامة يابسة سوداء ممحلة ( فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ) وقوله ( فتصبح الأرض مخضرة ) الفاء ههنا للتعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى ( فجعلنا النطفة علقة فجعلنا العلقة مضغة ) الآية وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل شيئين أربعين يوما ومع هذا هو معقب بالفاء وهكذا ههنا قال ( فتصبح الأرض مخضرة ) أى خضراء بعد يابسها (١) ومحولها . وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء فإله أعلم وقوله ( إن الله لطيف خبير ) أى علم بما فى أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل إلى كل منه قسطه من الماء فينبته به كما قال لقمان ( يا بني إنما إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ) وقال ( ألا يسجدوا لله الذى يخرج الحب فى السموات والأرض ) وقال تعالى ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ) وقال ( وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ) ولهذا قال أمية بن أبى الصلت أو زيد بن عمرو بن نفيل فى قصيدته

وقولا له من يثبت الحب فى الثرى \* فيصبح منه البقل يهتز رايا

ويخرج منه حبه فى رءوسه \* ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله ( له ما فى السموات وما فى الأرض ) أى ملكه جميع الأشياء وهو غنى عما سواه وكل شيء فقير إليه عبد لديه وقوله ( ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض ) أى من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال ( وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ) أى من إحسانه وفضله وامتنانه ( والفلك تجرى فى البحر بأمره ) أى بتسخيره وتسيره أى فى البحر العجاج وتلاطم الأمواج تجرى الفلك بأهلها بريح طيبة ورفق وتؤدة فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع من بلد إلى بلد وقطر إلى قطر ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك مما يحتاجون إليه ويطلبونه ويريدونه ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ) أى لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ولهذا قال ( إن الله بالناس لرءوف رحيم ) أى مع ظلمهم كما قال فى الآية الأخرى ( وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ) ، وقوله ( وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم يميتكم إن الإنسان لكفور ) كقوله ( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم يميتكم ) وقوله ( قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ) وقوله ( قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) ومعنى الكلام كيف تجعلون لله أندادا وتعبدون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف ( وهو الذى أحياكم ) أى خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا يذكر فأوجدكم ( ثم يميتكم ثم يحييكم ) أى يوم القيامة ( إن الإنسان لكفور ) أى جحود

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْزَعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ \* وَإِنْ جَدُّكَ قُلٌّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ \* اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا ، قال ابن جرير يعنى لكل أمة نبي منسكا قال : وأصل المنسك فى كلام العرب هو الوضع الذى يعتاده الإنسان ويتردد إليه إما لخير أو شر قال ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها

(١) المناسب يابسها لأنه يقال أرض يابس أى يابسة

وعكفوم عليها ، فان كان كما قال من أن المراد لكل أمة نبي جعلنا منسكا فيكون المراد بقوله فلا ينازعك في الامر أى هؤلاء المشركون وإن كان المراد لكل أمة جعلنا منسكا جملا قدرنا كما قال ( ولكل وجهة هو موليها ) ولهذا قال ههنا ( هم ناسكوه ) أى فاعلوه فالضمير ههنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق أى هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال ( وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ) أى طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذه كقوله ( ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ) . وقوله ( وإن جادلوك ققل الله أعلم بما تعملون ) كقوله ( وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أتم بريئون مما أعمل وأنا برى مما تعملون ) وقوله ( الله أعلم بما تعملون ) تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله ( هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بينى وبينكم ) ولهذا قال ( الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ) وهذه كقوله تعالى ( فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ) الآية

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

خبر تعالى عن كمال علمه بخلقه وأنه محيط بما فى السموات وما فى الارض فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك فى كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وفى السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال « أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثنا ابن لميعة حدثنى عطاء بن دينار حدثنى سعيد بن جبیر قال : قال ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ كسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقال القلم وما أكتب قال علمى فى خلقى إلى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن فى علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي ﷺ ( ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض ) وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضاً فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذى يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا يطبع باختياره وهذا يعصى باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شىء علما وهو سهل عليه يسير لديه ولهذا قال تعالى ( إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير )

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ \* وَإِذَا تَتلى عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبَتَكُمْ بِشَرِّ مَن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فما جهلوا وكفروا وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا يعنى حجة وبرهانا كقوله ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسا به عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ) ولهذا قال ههنا ( ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ) أى ولا علم لهم فيما اختلقوه واتفكوه وإنما هو أمر تلقوه عن آباءهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله ( وما للظالمين من نصير ) أى من ناصر ينصرهم من الله فيما يجل بهم من العذاب والنكال ثم قال ( وإذا تلى عليهم آياتنا بينات ) أى وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رسله الكرام حق وصدق ( يكادون يسطون بالدين يتلون عليهم آياتنا ) أى يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل

الصحيحة من القرآن ويسطون إليهم أيديهم وألستهم بالسوء (قل) أي يا محمد لهؤلاء (أفأنبشكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا) أي النار وعذابها ونكالتها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تتألون منهم إن نلتهم بزعمكم وإرادتكم . وقوله (وبش الصير) أي وبش النار مقبلا ومنزلا ومرجعا وموثلا ومقاما (إنها ساءت مستقراً ومقاماً)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

يقول تعالى منها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها (يا أيها الناس ضرب مثل) أي لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به (فاستمعوا له) أي أنصتوا وتفهموا (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) أي لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعاً قال «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا مثل خلقى ذرة أو ذبابة أو حبة» وأخرجه صاحبنا الصحيح من طريق عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة) ثم قال تعالى أيضا (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل بلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس: الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدي وغيره: الطالب العابد والمطلوب الصنم ثم قال (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها (إن الله قوي عزيز) أي هو القوى الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد) (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (عزيز) أي قد عز كل شيء فقهره وغلبه فلا يمانع ولا يقابل لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

﴿ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴾

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس لإبلاغ رسالته (إن الله سميع بصير) أي سميع لأقوال عباده بصير بهم عليهم بمن يستحق ذلك منهم كما قال (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به فلا يخفى عليه شيء من أمورهم كما قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا - إلى قوله - وأحصى كل شيء عددا) فهو سبحانه رقيب عليهم شهيد على ما يقال لهم حافظ لهم ناصر لجنابهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي

اللَّهُ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿

اختلف الأمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هي مشروع السجود فيها أم لا ؟ على قولين وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ « فضلت سورة الحج بسجدين فمن لم يسجدما فلا يقرأهما » وقوله ( وجاهدوا في الله حق جهاده ) أى بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم كما قال تعالى ( اتقوا الله حق تقاته ) وقوله ( هو اجتباكم ) أى يا هذه الأمة الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول وأكمل شرع ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) أى ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشئ يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا ، فالصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعا وفى السفر تقصر إلى اثنتين وفى الخوف يصلها بعض الأمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجالا وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبلها وكذا فى النافلة فى السفر إلى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصلها المريض جالسا فان لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات فى سائر الفرائض والواجبات ولهذا قال عليه السلام « بثت بالحيفية السمحة » وقال لمعاذ وأبى موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن « بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تنسرا » والأحاديث فى هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس فى قوله ( وما جعل عليكم فى الدين من حرج ) يعنى من ضيق وقوله ( ملة أبيكم إبراهيم ) قال ابن جرير نصب على تقدير ( ما جعل عليكم فى الدين من حرج ) أى من ضيق بل وسعه عليكم كلمة أبيكم إبراهيم ، قال ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا ملة أبيكم إبراهيم ( قلت ) وهذا المعنى فى هذه الآية كقوله ( قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديننا قبا ملة إبراهيم حنيفا ) الآية وقوله ( هو مماكم المسلمين من قبل وفى هذا ) قال الإمام عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله ( هو مماكم المسلمين من قبل ) قال الله عز وجل . وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدى ومقاتل بن حيان وقنادة وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ( هو مماكم المسلمين من قبل ) يعنى إبراهيم وذلك لقوله ( ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ) قال ابن جرير وهذا لا وجه له لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة فى القرآن مسلمين وقد قال الله تعالى ( هو مماكم المسلمين من قبل وفى هذا ) قال مجاهد : الله مماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر ( وفى هذا ) يعنى القرآن وكذا قال غيره ( قلت ) وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال ( هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ) ثم حثهم وأغرامهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ثم ذكر منتهى تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها فى سالف الدهر وقديم الزمان فى كتب الأنبياء يتلى على الأجر والرهبان فقال ( هو مماكم المسلمين من قبل ) أى من قبل هذا القرآن ( وفى هذا ) روى النسائي عند تفسير هذه الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن شعيب أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبى سلام أنه أخبره قال أخبرنى الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال « من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جحى جهنم » قال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى قال « نعم وإن صام وصلى » فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله ، وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ) من سورة البقرة ولهذا قال ( ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ) أى إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا ولا خيارا مشهودا بعد التكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة ( شهداء على الناس ) لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها فلهدا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن الرسل بلغتهم رسالتهم

والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) وذكرنا حديث نوح وأمه بما أغنى عن إعادته ، وقوله ( فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) أى قابلوها هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق الله عليكم فى أداء ما افترض وطاعة ما أوجب وترك ما حرم ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهو الإحسان إلى خلق الله بما أوجب للفقير على الغنى من إخراج جزء نزر من ماله فى السنة للضعفاء والمحاويج كاتقدم بيانه وتفصيله فى آية الزكاة من سورة التوبة وقوله ( واعتصموا بالله ) أى اعتصدوا بالله واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به ( هو مولاكم ) أى حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم ( فنعم المولى ونعم النصير ) يعنى نعم المولى ونعم الناصر من الأعداء ، قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى : ابن آدم اذكرنى إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فلا أحقك فىمن أحق ، وإذا ظلمت فأصبر واراض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك . رواه ابن أبى حاتم والله أعلم . آخر تفسير سورة الحج والله الحمد والمنة

### ( تفسير سورة المؤمنون مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ حَفِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ )

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنى يونس بن سليم قال ألقى على يونس بن يزيد الألبى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا واراض عنا وأرضنا - ثم قال - لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ثم قرأ ( قد أفلح المؤمنون ) حتى ختم العشر ، ورواه الترمذى فى تفسيره والنسائى فى الصلاة من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذى منكر لانعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ويونس لانعرفه ، وقال النسائى فى تفسيره أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر عن أبى عمران عن يزيد بن بانوس قال قلنا لعائشة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرأت ( قد أفلح المؤمنون - حتى انتهت إلى - والدين هم على صلواتهم يحافظون ) قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن كعب الأخبار ومجاهد وأبى العالية وغيرهم لما خلق الله الجنة عدن وغرسها بيده نظر إليها وقال لها تكلمى فقالت ( قد أفلح المؤمنون ) قال كعب الأخبار لما أعد لهم من الكرامة فيها وقال أبو العالية فأنزل الله ذلك فى كتابه ، وقد روى ذلك عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا فقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المنبجى حدثنا المغيرة بن مسلمة حدثنا وهيب عن الجريرى عن أبى نصره عن أبى سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمى فقالت ( قد أفلح المؤمنون ) فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوكة ، ثم قال وحدثنا بشر بن آدم وحدثنا يونس بن عبيد الله العمري حدثنا عدى بن الفضل حدثنا الجريرى عن أبى نصره عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك - قال البزار ورأيت فى موضع آخر فى هذا الحديث -

حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك . فقال لها تكلمي فقالت ( قد أفلح المؤمنون ) فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوكة » ثم قال البزار لانعلم أحداً رفعه إلا عدى بن الفضل وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت ( قد أفلح المؤمنون ) » بقية عن الحجازيين ضعيف ، وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا حماد بن عيسى العيسى عن إسماعيل السدي عن أبي صالح عن ابن عباس رفعه « لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال ( قد أفلح المؤمنون ) قال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل » وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن المثني البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبى حدثنا يعيش بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت ( قد أفلح المؤمنون ) فقال الله وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) وقوله تعالى ( قد أفلح المؤمنون ) أى قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف ( الذين هم في صلاتهم خاشعون ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( خاشعون ) خائفون ساكنون وكذا روى عن مجاهد والحسن وقاتادة والزهرى ، وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال إبراهيم النخعي ، وقال الحسن البصرى كان خشوعهم في قلوبهم فعضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح ، وقال محمد بن سيرين كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية ( قد أفلح المؤمنون \* الذين هم في صلاتهم خاشعون ) خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم ، قال محمد بن سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضاً مراسلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية ، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين كما قال النبي ﷺ في الحديث الذى رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « حُبب إليّ الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم أن رسول الله ﷺ قال يا بلال « أرحنا بالصلاة » وقال الإمام أحمد أيضاً ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية ائتني بوضوء لعلى أصلى فأستريح ، قرأنا أنكرونا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة » ، وقوله ( والذين هم عن اللغو معرضون ) أى عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصى كما قاله آخرون وملا فائدة فيه من الأقوال والأفعال كما قال تعالى ( وإذا مروا باللغو مروا كراما ) قال قتادة : أتاهم والله من أمر الله ماوقفهم عن ذلك . وقوله ( والذين هم للزكاة فاعلون ) الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التى

فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية ( وآتوا حقه يوم حصاده ) وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله ( قد أفلح من زكاهها \* وقد خاب من دساها ) وكتوله ( وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ) على أحد القولين في تفسيرها وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال فإنه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله أعلم . وقوله ( والذين هم لفروجهم حافظون \* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين \* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ) أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما هم الله عنه من زنا ولواط ، لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السراري ومن تعاطى ما أحله الله فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال ( فإنهم غير ملومين \* فمن ابتغى وراء ذلك ) أي غير الأزواج والإماء ( فأولئك هم العادون ) أي المعتدون . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلی حدثنا سعيد عن قتادة أن امرأة اتخذت مملوكها وقالت تأولت آية من كتاب الله ( أو ما ملكت أيمانهم ) فأتى بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال له ناس من أصحاب النبي ﷺ : تأولت آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فضرب العبد وجز رأسه وقال أنت بعده حرام على كل مسلم . هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير في تفسير أول سورة المائدة وهو ههنا أليق ، وإنما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها والله أعلم . وقد استدلل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة ( والذين هم لفروجهم حافظون \* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ) قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى ( فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ) وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال : حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا يجمعهم مع العاملين ويدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه : الناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتى يلغوه ، والناكح حليلة جاره » هذا حديث غريب وإسناده فيه من لا يعرف لجبالته والله أعلم . وقوله ( والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ) أي إذا أوثمتم لم يخنونوا بل يؤدونها إلى أهلها . وإذا عاهدوا أو عاقدوا أو فوا بذلك لا كصفات الناققين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوثم خان » وقوله ( والذين هم على صلواتهم يحافظون ) أي يواظبون عليها في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أي ؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم أي ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » أخرجه في الصحيحين . وفي مستدرک الحاكم قال « الصلاة في أول وقتها » وقال ابن مسعود ومسروق في قوله ( والذين هم على صلواتهم يحافظون ) يعني مواقيت الصلاة ، وكذا قال أبو الضحى وعلقمة بن قيس وسعيد بن جبير وعكرمة ، وقال قتادة على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله ﷺ « استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال ( أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ) وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة . وفوقه عرش الرحمن » ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله ( أولئك هم الوارثون ) » وقال ابن جرير عن الليث عن مجاهد ( أولئك هم الوارثون ) قال ما من عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ،

فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار ، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبني بيته الذي في النار . وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك فالؤمنون يربثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ من هذا أيضاً وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ قال : « يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وفي لفظ له قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقال هذا فكاك من النار » فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبابرة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فحلف له ، قلت وهذه الآية كقوله تعالى ( تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ) وكقوله ( وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون ) وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هي الفردوس ، وقال بعض السلف لا يسمى البستان الفردوس إلا إذا كان فيه غناب فانه أعلم

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا \* ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمإ مسنون وقال الأعمش عن النهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس ( من سلالة من طين ) قال من صفوة الماء وقال مجاهد: من سلالة أي من مني بني آدم ، وقال ابن جرير إنما سمي آدم طيناً لأنه مخلوق منه . وقال قتادة استل آدم من الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمإ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى ( ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ) وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والحبيث والطيب وبين ذلك » وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح ( ثم جعلناه نطفة ) هذا الضمير غائض على جنس الإنسان كما قال في الآية الأخرى ( وبدأ خلق الإنسان من طين \* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ) أي ضعيف كما قال ( ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين ) يعني الرحم معد لذلك مهياً له ( إلى قدر معلوم فقد رنا نعم القادرون ) أي مدة معلومة وأجل معين حتى استحکم وتقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة ولهذا قال ههنا ( ثم خلقنا النطفة علقة ) أي ثم صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة فصارت علقة حمراء على شكل العلقمة مستطيلة قال عكرمة وهي دم ( فخلقنا العلقة مضغة ) وهي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط ( فخلقنا المضغة عظما ) يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبا وعروقها . وقرأ آخرون ( فخلقنا المضغة عظما ) قال ابن عباس وهو عظم الصلب وفي الصحيح من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » ( فكسونا العظام لحماً ) أي جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه ( ثم أنشأناه خلقاً آخر ) أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة



واضطراب (فتبارك الله أحسن الخالقين) ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر يعني ابن كثير مولى بني هاشم حدثنا زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكا فنفض فيها الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) يعني فنفضنا فيه الروح ، وروى عن أبي سعيد الخدري أنه نفخ الروح قال ابن عباس (ثم أنشأناه خلقاً آخر) يعني فنفضنا فيه الروح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير ، وقال العوفي عن ابن عباس (ثم أنشأناه خلقاً آخر) يعني نقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلاً ثم نشأ صغيراً ثم احتلم ثم صار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا . وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ولا منافاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التقلبات والأحوال والله أعلم ، قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق « إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً (١) ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه أجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعتم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » أخرجه من حديث سليمان بن مهران الأعمش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي خيثمة قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتعكث أربعين يوماً ثم تنحدر في الرحم فتكون علقه . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسألته عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال يا محمد مم يخلق الإنسان ؟ فقال « يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » فقال هكذا كان يقول من قبلك . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا ؟ شقي أم سعيد أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله فيكتبان ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص » وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو هو ابن دينار بن نحوه ، ومن طريق أخرى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد عن أبي شريح الغفاري بنحوه والله أعلم : وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا أحمد بن عتبة حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول : أي رب نطفة أي رب علقه أي رب مضغة فإذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ قال فذلك يكتب في بطن أمه » أخرجه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به وقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) يعني حسين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال : قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) الآية قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا آدم ابن أبي إياس حدثنا شيبان عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الأنصاري قال أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة

(١) زاد في بعض الروايات : نطفة

من طين - إلى قوله - خلقنا آخر ) فقال معاذ ( فتبارك الله أحسن الخالقين ) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذ مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال « بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين » وفي إسناده جابر بن زيد الجعفي ضعيف جدا وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك أن هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً فالله أعلم . وقوله ( ثم إنكم بعد ذلك لميتون ) يعنى بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ( ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ) يعنى النشأة الآخرة ( ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ) يعنى يوم المعاد . وقيام الأرواح إلى الأجساد ، فيحاسب الخلائق ويوفى كل عامل عمله إن خيراً فخير وإلا فشر

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

لما ذكر تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثير ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان كما قال تعالى ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ) وهكذا في أول الم السجدة التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة في أولها خلق السموات والأرض ثم بيان خلق الإنسان من سلاله من طين وفيها أمر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد . وقوله ( سبع طرائق ) قال مجاهد يعنى السموات السبع وهذه كقوله تعالى ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ) ( ألم ترا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ) ( الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ) وهكذا قال ههنا ( ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ) أى ويعلم ما يلىح في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً ، ولا جبل إلا يعلم ما في وعده ، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والأشجار ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين )

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ \* فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَبْتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْبٍ لِلْأَكْبَابِ \* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾

يذكر تعالى نعمه على عباده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر أي بحسب الحاجة لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران ولا قليلاً فلا يكفى الزروع والثمار بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيراً لزرعها ولا تحتمل دمتها إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الأرض الجرزي يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترقه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحمر فيسقى أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لان أرضهم سبخا يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور ، وقوله ( فأسكناه في الأرض ) أى جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا في الأرض قابلية له وتشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى . وقوله ( وإنا على ذهاب به لقادون ) أى لو شئنا أن لا تمطر لعلنا ولو شئنا أذى لصرقناه عنكم إلى السبخ والبرارى والقفار لعلنا ، ولو شئنا لجلعناه أجاجا لا ينتفع به لشرب ولا لسقى لعلنا ، ولو شئنا لجلعناه لا ينزل في الأرض بل ينجر على

وجها لنعلمنا ، ولو شئنا جعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مدى لا تصاون إليه ولا تنتفعون به لعلنا ولكن بلطفه ورحمته يزل عليكم الماء من السحاب عذبا فراتا زلالا فيسكنه في الأرض ويسلكه يبايع في الأرض فيفتح العيون والأنهار ويسقي به الزروع والثمار تشربون منه ودوابكم وأنعامكم وتغتسلون منه وتطهرون منه وتتنظفون فله الحمد والمنة . وقوله ( فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب ) يعنى فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء جنات أى بساتين وحدائق ( ذات بهجة ) أى ذات منظر حسن وقوله ( من نخيل وأعناب ) أى فيها نخيل وأعناب وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ولا فرق بين الشىء بين نظيره وكذلك فى حق كل أهل إقليم عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره ، وقوله ( لسم فيها فواكه كثيرة ) أى من جميع الثمار كما قال ( ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ) وقوله ( ومنها تأكلون ) كأنه معطوف على شىء مقدر تقديره تنظرون إلى حسنه ونضجه ومنه تأكلون ، وقوله ( وشجرة تخرج من طور سيناء ) يعنى الزيتون ، والطور هو الجبل وقال بعضهم إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر فان عرى عنها سمى جبلا لا طورا والله أعلم ، وطور سيناء هو طور سينين وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التى فيها شجر الزيتون ، وقوله ( تنبت بالدهن ) قال بعضهم الباء زائدة وتقديره تنبت الدهن كما فى قول العرب ألقى فلان بيده أى يده وأما على قول من يضمن الفعل فتقديره تخرج بالدهن أو تأتى بالدهن ولهذا قال ( وصبغ ) أى أدم قاله قتادة ( للأكين ) أى فيها ما ينفع به من الدهن والاصطباغ كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الشامي عن أبى أسيد واسمه مالك ابن ربيعة الساعدي الأنصاري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة » وقال عبد بن حميد فى مسنده وتفسيره حدثنا عبد الرزاق أنا معمر بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ائتمموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة » ورواه الترمذى وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذى ولا يعرف إلا من حديثه وكان يضطرب فيه فرما ذكر فيه عمر وربما لم يذكره . قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبى حدثنا سفيان بن عيينة حدثنى الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة عاشوراء فأطعمنى من رأس بعير بارد وأطعمنا زيتا وقال هذا الزيت المبارك الذى قال الله لبيته صلى الله عليه وسلم ، وقوله ( وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ) يذكر تعالى ما جعل لخلقهم فى الأنعام من النافع وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ويأكلون من حلالها ويلبسون من أصوافها وأوبرها وأشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الأحمال الثقيل إلى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى ( وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ) وقال تعالى ( أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذلناها لهم فتنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون )

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد وانتقامه ممن أشركوا به وخالف أمره وكذب رسله ( فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ) أى ألا تخافون من الله فى إشراركم به ؟ فقال الملأ وهم السادة والأكابر منهم ( ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ) يعنون يترفع عليكم ويتعاطم

بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى إليه دونكم ( ولو شاء الله لأنزل ملائكة ) أى لو أراد أن يعث نبياً لبعث ملكاً من عنده ولم يكن بشراً ما معناه بهذا أى بعثة البشر فى آياتنا الأولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم فى الدهور الماضية ، وقوله ( إن هو إلا رجل به جنة ) أى مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحى ( فترسوا به حتى حين ) أى انتظروا به ريب النون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْمُكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ \* فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَقُلِ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى مخبراً عنه فى الآية الأخرى ( فعداربه أتى مغلوب فاتصر ) وقال ههنا ( رب انصرنى بما كذبون ) فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أى ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله ( إلا من سبق عليه القول منهم ) أى من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته والله أعلم ، وقوله ( ولا تخاطبني فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ) أى عندهم عناية إنزال المطر العظيم لاتخاذك رافة بقومك وشفقة عليهم وطمع فى تأخيرهم لعلمهم يؤمنون فأنى قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسوطه فى سورة هود بما يعنى عن إعادة ذلك ههنا وقوله ( فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ) كما قال ( وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون \* لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وإنا إلى ربنا لمنقبون ) وقد امثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى ( وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ) فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه وقال تعالى ( وقل رب أنزلى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ) وقوله ( إن فى ذلك لآيات ) أى إن فى هذا الصنيع وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين آيات أى لحجبا ودلالات واضحة على صدق الأنبياء فيما جاء وابه عن الله تعالى وأنه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شىء عليم بكل شىء وقوله ( وإن كنا لمبتلين ) أى لمتبرين للعباد بارسال المرسلين

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ \* فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* وَقَالَ السُّلَاطِمُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بَأْسٌ كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ \* وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ \* أَعْبُدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ مِنْهَا حَيَاتٍ لِمَا توعَدُونَ \* إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ \* قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَعْنَ نَدِيمِينَ \* فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَعَجَّلْنَا فِيهِمْ

غُثَاءَ فَبِعَدَّ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿

يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخرين قيل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم ، وقيل المراد بهؤلاء عمود لقوله ( فأخذتهم الصيحة بالحق ) وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشراً مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشرى وكذبوا بقاء الله في القيامة وأنكروا العاد الجنائي وقالوا ( أبعدمكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون \* هيات هيات لما توعدون ) أى بعد بعد ذلك ( إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا ) أى فيما جاءكم به من الرسالة والندارة والاختبار بالمعاد ( وما نحن له بمؤمنين \* قال رب انصرنى بما كذبون ) أى استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فأجاب دعاه ( قال عما قليل ليصبحن نادمين ) أى بمخالفتك وعنادك فيما جنتهم به ( فأخذتهم الصيحة بالحق ) أى وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوى الباردة ( تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ) وقوله ( فجعلناهم غثاء ) أى صرعى هلكى كغثاء السيل وهو الشئ الحقيقير النافه المالك الذى لا ينتفع بشئ منه ( فبعداً للقوم الظالمين ) كقوله ( وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ) أى بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ \* مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ \* ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا نَتَرًا كَلَّمْنَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولَهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَّ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى ( ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ) أى أما وخلائق ( ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ) يعنى بل يؤخذون على حسب ما قدر لهم تعالى فى كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وخلفاء بعد سلف ( ثم أرسلنا رسلا نترى ) قال ابن عباس يعنى يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ) وقوله ( كلما جاء أمة رسولا كذبوه ) يعنى جمهورهم وأكثرتهم كقوله تعالى ( يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ) وقوله ( فاتبعنا بعضهم بعضاً ) أى أهلكتناهم كقوله ( وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح ) وقوله ( وجعلناهم أحاديث ) أى أخباراً وأحاديث للناس كقوله ( فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزوق )

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ \* قَالُوا أَنُوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ \* فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ \* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هرون إلى فرعون وملائه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعها والاقبياد لأمرها لكونهما بشيرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملائه وأغرقهم فى يوم واحد أجمعين وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيته وذلك بعد أن قصم الله فرعون والقطب وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى ( ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكتنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون )

﴿ وَجَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى ، وقوله ( وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين ) قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة ، قال ابن عباس وقوله ( ذات قرار ) يقول ذات خصب ( ومعين ) يعني ماء ظاهراً وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وقال مجاهد ربوة مستوية ، وقال سعيد بن جبيرة ( ذات قرار ومعين ) استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة ( ومعين ) الماء الجاري . ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ليس الربى إلا بمصر والماء حين يسيل يكون الربى عليها القرى ولولا الربى غرقت القرى وروى عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جدا وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله ( وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين ) قال هي دمشق قاله وروى عن عبد الله بن سلام والحسن بن سعيد بن أسلم وخالد بن معدان نحو ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس ( ذات قرار ومعين ) قال : أنهار دمشق وقال ليث ابن أبي سليم عن مجاهد وآويناها إلى ربوة قال عيسى بن مريم وأمه حين أويا إلى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عمر أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول : في قول الله تعالى ( إلى ربوة ذات قرار ومعين ) قال هي الرملة من فلسطين ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف القرطبي حدثنا رواه ابن الجراح حدثنا عباد بن عباد الخواص أبو عتبة حدثنا الشيباني عن ابن وعله عن كريب السحولي عن مرة الهندي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل « إنك تموت بالربوة » فمات بالرملة وهذا حديث غريب جداً وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله ( وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين ) قال المعين الماء الجاري وهو التهر الذي قال الله تعالى ( قد جعل ربك تحتك سرياً ) وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضاً وهذا أولى ما يفسره ثم الأحاديث الصحيحة ثم الآثار

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ \* فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ \* فَذَرَهُمْ فِي عَمْرِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ \* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ \* نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصلاح من الأعمال فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصحاء فجزاهم الله عن العباد خيراً . قال الحسن البصري في قوله ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ) قال أما والله ما أكرم بأصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال اتهموا إلى الحلال منه ، وقال سعيد بن جبيرة والضحاك ( كلوا من الطيبات ) يعني الحلال ، وقال أبو إسحق السبيعي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه ، وفي الصحيح « وما من نبي إلا رعى الغنم » قالوا وأنت يا رسول الله ؟ قال « نعم وأنا صكنت أرهاها على قراريط لأهل مكة » وفي الصحيح « إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده » وفي الصحيحين « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه

وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يضر إذا لاقى » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب أن أم عبد الله بنت شداد بن أوس قال بعثت إلى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره وهو صائم وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها أني كانت لك الشاة ؟ فقالت اشتريتها من مالي ، فشرب منه فلما كان من الغد أتته أم عبد الله بنت شداد فقالت يا رسول الله بعثت إليك بلبن مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت إلى الرسول فيه ، فقال لها « بذلك أمرت الرسل أن لاتأكل إلا طيباً ولا تعمل إلا صالحاً » وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذى ومسنند الإمام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدى بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ) وقال ( يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يمد يديه إلى السماء يارب يارب فأني يستجاب لذلك » وقال الترمذى حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق . وقوله ( وإن هذه أمتكم أمة واحدة ) أى دينكم يامعشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولهذا قال ( وأنا ربكم فاتقون ) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأنبياء وأن قوله ( أمة واحدة ) منصوب على الحال وقوله ( فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً ) أى الأمم الذين بعثت إليهم الأنبياء ( كل حزب بما لديهم فرحون ) أى يفرحون بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ولهذا قال متهددا لهم ومتواعدا ( فذرهم في غمرتهم ) أى في غيهم وضلالهم ( حتى حين ) أى إلى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى ( فمهل الكافرين أمهلهم وريداً ) وقال تعالى ( ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ) وقوله ( أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ) يعنى أيظن هؤلاء الغرورون أن مانعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا ليس الأمر كإزعمون في قولهم ( نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ) لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجاً وإنظاراً وإملاءً ولهذا قال ( بل لا يشعرون ) كما قال تعالى ( فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ) الآية . وقال تعالى ( إنما نحلى لهم ليزدادوا إثماً ) وقال تعالى ( فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون \* وأملى لهم ) الآية وقال ذرني ومن خلقت وحيداً - إلى قوله - عنيداً ) وقال تعالى ( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلني إلا من آمن وعمل صالحاً ) الآية والآيات في هذا كثيرة ، قال قتادة في قوله ( أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ) قال مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا ابن آدم فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحق عن الصباح ابن محمد عن مرة الهمداني حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كاقسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » قالوا وما بوائقه يا رسول الله ؟ قال « غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يحمو السى بالسى ولكن يحمو السى بالحسن إن الخبيث لا يحمو الخبيث »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِبِئَاتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْأَخْيَارَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

يقول تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكرههم كما قال الحسن البصرى : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة وإن المنافق جمع إساءة وأمناً (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أى أيقنت أن ما كان إنما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فما يحبه ويرضاه وإن كان نهياً فهو بما يكرهه ويأباه ، وإن كان خيراً فهو حق كما قال الله (والذين هم بربهم لا يشركون) أى لا يعبدون معه غيره بل يوحدهونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه لا نظير له ولا كفاء له : وقوله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) أى يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الاعطاء وهذا من باب الاشفاق والاحتياط كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال « لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذى وابن أبى حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه ، وقال « لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم (أولئك يسارعون في الخيرات) » وقال الترمذى : وروى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبي ﷺ نحو هذا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى والحسن البصرى في تفسير هذه الآية وقد قرأ آخرون هذه الآية (والذين يأتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أى يفعلون ما يفعلون وهم خائفون . وروى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها كذلك . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا صخر بن جويرة حدثنا إسماعيل المكي حدثنا أبو خلف مولى بنى حجاج أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة رضى الله عنها فقالت مرحباً بأبى عاصم ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا ؟ فقال أخشى أن أملل فقالت : ما كنت لتعمل ؟ قال جئت لأسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ؟ قالت آية آية ؟ قال (الذين يؤتون ما آتوا) (والذين يأتون ما آتوا) فقالت أيتها أحب إليك ؟ فقلت والذى نفسى بيده لأحدهما أحب إلى من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها قالت وما هي ؟ فقلت (الذين يأتون ما آتوا) فقالت أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف . فيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف ، والمعنى على القراءة الأولى وهى قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر ، لأنه قال (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المتصدين أو المتصرين والله أعلم

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذُفَّهُمْ يَجْتَرُونَ \* لَا تَجْتَرُوا أَيُّومَ إِنكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ \* قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنكِبُونَ \* مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْتَجِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أى إلا ما تطيق حملة والقيام به وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التى كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال (ولدينا كتاب ينطق بالحق) يعنى كتاب الأعمال (وهم لا يظلمون) أى لا يخسرون من الخير شيئاً ، وأما السيات فيخفو



ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين ثم قال منكرنا على الكفار والمشركين من قريش (بل قلوبهم في غمرة) أي في  
 غفلة وضلالة من هذا أي القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها  
 عاملون) قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (ولهم أعمال) أي سيئة من دون ذلك يعني الشرك (هم لها  
 عاملون) قال لا بد أن يعملوها كذا روى عن مجاهد والحسن وغير واحد، وقال آخرون (ولهم أعمال من دون ذلك  
 هم لها عاملون) أي قد كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لاحالة لتحق عليهم كفة العذاب، وروى  
 نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوى حسن، وقد قدمنا في حديث  
 ابن مسعود «فوالله لا إله غيره إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه  
 الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» وقوله (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون) يعني حتى  
 إذا جاء مترفيهم وهم النعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه وتقمته بهم (إذا هم يجأرون) أي يصرخون ويستغيثون كما قال  
 تعالى (ذري والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحima) الآية وقال تعالى (وكم أهلكنامن قبلهم  
 من قرن فنادوا ولات حين مناص) وقوله (لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتتصرون) أي لا يجيركم أحد بما حل بكم سواء  
 جأرتكم أو سكتكم لا حميد ولا مناص ولا وزير لزم الأمر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال (قد كانت آياتي  
 تنزل عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي إذا دعيتم أبيتتم وإن طلبتم امتنعتم (ذلك بأنه إذا دعى الله وحده  
 كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) وقوله (مستكبرين به سامراً تهجرون) في تفسيره قولان  
 (أحدهما) أن مستكبرين حال منهم حين نكصهم عن الحق وإبائهم إياه استكبارا عليه واحتقارا له ولأهله فعلى  
 هذا الضمير في به فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه الحرم أي مكة ذموا لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام .  
 (والثاني) أنه ضمير للقرآن كانوا يسمرون وينذكرون القرآن بالهجر من الكلام: إنه سحر إنه شعر إنه كهانة إلى غير  
 ذلك من الأقوال الباطلة (والثالث) أنه محمد ﷺ كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة ويضربون له الأمثال  
 الباطلة من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل بل هو عبد الله ورسوله الذي أظهره  
 الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل المراد بقوله (مستكبرين به) أي بالبيت يفتخرون به ويعتقدون  
 أنهم أولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير من سننه أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا عبيد الله عن إسرائيل عن عبد  
 الأعلى أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال إنما كره السمرحين نزلت هذه الآية (مستكبرين به سامراً  
 تهجرون) فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامرا قال كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويهجرونه  
 وقد أظن ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله

﴿ أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ \* أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \*  
 أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كِرِهُونَ \* وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ  
 وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ \* أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا فَنَجِّجُكَ  
 خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ  
 الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّهِمْ لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

يقول تعالى منكرنا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا  
 الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف لآسيا آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم

كتاب ولا أتاها نذير ، فكان اللائق بهؤلاء أن يقبلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آتاء الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم . وقال قتادة (أفلم يدبروا القول) إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لوتدبره القوم وعقلوه ولكنهم أخذوا بما تشابه فهلكوا عند ذلك . ثم قال منكرا على الكافرين من قريش (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أي أنهم لا يعرفون محمداً وصدقه وأمانته وصيافته التي نشأ بها فيهم أي أفقدرون على إنكار ذلك والمباهة فيه ، ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة : أيها الملك إن الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وهكذا قال المغيرة بن شعبه لثائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفرهم لم يسلموا ، ومع هذا لم يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك . وقوله (أم يقولون به جنة) يحكى قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول القرآن أي افتراء من عنده أو أن به جنونا لا يدري ما يقول ، وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن فإنه قد أتاها من كلام الله مالا يطاق ولا يدافع وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله إن استطاعوا ولا يستطيعون أبداً لآبدين ولهذا قال (بل جاءهم بالحق وأكثروا للحق كارهون) يحتمل أن تكون هذه جملة حالية أي في حالة كراهة أكثرهم للحق ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة والله أعلم

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لقي رجلا فقال له « أسلم » فقال الرجل إنك لتدعوني إلى امر أنا له كاره فقال نبي الله ﷺ « وإن كنت كارهها » وذكر لنا أنه لقي رجلا فقال له « أسلم » فتعده ذلك وكبر عليه فقال له نبي الله ﷺ « رأيت لو كنت في طريق وعر وعت فلقيت رجلا تعرف وجهه وتعرف نسبه فدعاك إلى طريق واسع سهل أكنت تتبعه ؟ » قال نعم : قال « فوالذي نفس محمد بيده إنك لفي أوعر من ذلك الطريق لو كنت عليه وإني لأدعوك لأسهل من ذلك لو دعيت إليه » وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال له « أسلم » فتعده ذلك فقال له نبي الله ﷺ « رأيت لو كان لك فتیان أحدها إذا حدثك صدقك ، وإذا ائتمنته أدى اليك أم أحب اليك أم فتاك الذي إذا حدثك كذبك وإذا ائتمنته خانك ؟ » قال بل فتأى الذي إذا حدثني صدقي وإذا ائتمنته أدى إلى فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « كذا كم أتم عند ربكم » . وقوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) قال مجاهد وأبو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ثم قال (أهم يقسمون رحمة ربك) وقال تعالى (قل لو أتمت عملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكنم خشية الإنفاق) الآية ، وقال (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نفيرا) ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدييره لخلقته تعالى وتقدس فلا إله غيره ولا رب سواه ، ولهذا قال (بل أتيناهم بذكرهم) أي القرآن (فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله (أم تسألهم خرجا) قال الحسن أجزا ، وقال قتادة جملا (فخرج ربك خير) أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جملا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه كما قال (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله) وقال (قل ما أسألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وقال (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وقال (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) وقوله (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم \* وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون) قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان فقعده أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته ، فقال : إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم

سفر اتهموا إلى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولما يرجعون به فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال أرايتم إن أوردتكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فتبعوني؟ فقالوا نعم، قال فانطلق بهم وأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم أم ألكم على تلك الحال فجعلت لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ قالوا بلى، قال فان بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لتتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه، وقال الحافظ أبو يعلى اللوصلي حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني ممسك بحجزكم هلم عن النار هلم عن النار وتعلموني تتقاهموني فيها تتقاهم الفراش والجناب فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فرطكم على الحوض فتردون على معا وأشتاتا أعرفكم بسيماكم وأسمائكم كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال فأناشد فيكم رب العالمين أي رب قومي أي رب أمي، فيقال يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا يمشون بعدك القهقري على أعقابهم، فلا عرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يا محمديا يا محمديا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيراً له رغاء ينادي يا محمديا يا محمديا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً لها حمحمة فينادي يا محمديا يا محمديا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من آدم ينادي يا محمديا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت» وقال علي بن المديني هذا حديث حسن الإسناد إلا أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي (قلت) بل قدر روى عنه أيضاً أشعث بن إسحاق، وقال فيه يحيى بن معين: صالح ووثقه النسائي وابن حبان وقوله (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون) أي لعادلون جائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق إذا زاغ عنها وقوله (ولورحناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أزاح عنهم الضر وأفهمهم القرآن لما اتقوا له ولا استمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) \* بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لما نهوا عنه - إلى قوله - بمبعوثين) فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون، قال الضحاك عن ابن عباس: كل ما فيه (لو) فهو مما لا يكون أبداً

﴿ وَقَدْ أَخَذْنَا مِنْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْأَهُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* بَلَىٰ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ \* قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ \* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴾

يقول تعالى (وقد أخذناهم بالعذاب) أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على غيرهم وضلالهم ما استكانوا أي ما خشعوا (وما يتضرعون) أي ما دعوا كما قال تعالى (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم) الآية، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن الروزي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبي عن يزيد - يعني النحوي - عن عكرمة

عن ابن عباس أنه قال جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العليز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله ( ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا ) الآية ، وكذا رواه النسائي عن محمد بن عجيل عن علي بن الحسين عن أبيه به ، وأصله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا علي قريش حين استعصوا فقال « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله بن إبراهيم عن عمر بن كيسان حدثني وهب بن عمرو بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه فقال له رجل من الأبناء ألا أنشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ( ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يضرعون ) قال وصام وهب ثلاثا متواصلة فقبل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال أحدث لنا فأحدثنا : يعني أحدث لنا المجلس فأحدثنا زيادة عبادة : وقوله ( حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون ) أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة وانقطعتم آمالهم ورجاؤهم : ثم ذكر تعالى نعمه على عباده بأن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وهي العقول والفهوم التي يذكرون بها الأشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وأنه الفاعل المختار لما يشاء . وقوله ( قليلا ما تشكرون ) أي ما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليفة وذريته لهم في سائر أقطار الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا إلا أعاده كما بدأه ولهذا قال ( وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت الأمم ( وله اختلاف الليل والنهار ) أي وعن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا يتعاقبان لا يفتران ولا يترقان بزمان غيرها كقوله ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ) الآية . وقوله ( أفلا تعقلون ) أي أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء وعز كل شيء ، وخضع له كل شيء ، ثم قال مخبرا عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين ( بل قالوا مثل ما قال الأولون \* قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ) يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيروتهم إلى البلى ( لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، إن هذا إلا أساطير الأولين ) يعنون الاعادة محال إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله إخبارا عنهم ( أنذا كنا عظاما نحرة \* قالوا تلك إذا كرة خاسرة \* فإنما هي زجرة واحدة \* فإذا هم بالساهرة ) وقال تعالى ( أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم \* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة هو بكل خلق عليم ) الآيات

﴿ قُلْ لَّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتُهُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ \* بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يمكنون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى ( مانعدهم إلا يقربونا إلى الله زلفى ) فقال ( قل لمن الأرض ومن فيها ؟ ) أي من مالكتها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر مخلوقات ( إن كنتم تعلمون ؟

سيقولون لله ( أى فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك ( قل أفلاتنكرون ) أنه لا تنبغى العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره ( قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ ) أى من هو خالق العالم العلوى بما فيه من الكواكب النيرات والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم يعنى الذى هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذى رواه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « شأن الله أعظم من ذلك إن عرشه على ممواته هكذا » وأشار بيده مثل القبة ، وفي الحديث الآخر « ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن الكرسى بما فيه بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك الفلاة » ولهذا قال بعض السلف : إن مسافة ما بين قطرى العرش من جانب إلى جانب مسيرة خمسين ألف سنة ، وارتفاعها عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة ، وقال الضحاك عن ابن عباس : إنما سمى عرشاً لارتفاعه . وقال الأعمش عن كعب الأحبار : إن السموات والأرض في العرش كالتفنيد للعلق بين السماء والأرض ، وقال مجاهد : ما السموات والأرض في العرش إلا كحلقة في أرض فلاة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا العلاء بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن عمار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر قدره أحد : وفي رواية : إلا الله عز وجل ، وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء ولهذا قال هبنا ( ورب العرش العظيم ) أى الكبير وقال في آخر السورة ( رب العرش الكريم ) أى الحسن البهى فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال إنه من ياقوتة حمراء ، وقال ابن مسعود . إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه . وقوله ( سيقولون لله قل أفلا تتقون ) أى إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تتقون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب التفكير والاعتبار . حدثنا إسحق بن إبراهيم أنا عبيد الله بن جعفر أخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرعى غنماً فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبي ؟ قالت الله قال فمن خلقني ؟ قالت الله قال فمن خلق السموات ؟ قالت الله قال فمن خلق الأرض ؟ قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت الله قال فاني أسمع الله شأننا ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدثنا هذا الحديث ، قال عبد الله بن دينار كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث قلت في إسناد عبيد الله ابن جعفر المديني والد الإمام علي بن المديني وقد تكلموا فيه فأنه أعلم . ( قل من بيده ملكوت كل شيء ) أى بيده الملك ( مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ) أى متصرف فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا والذى نفسى بيده » وكان إذا اجتهد في اليمين قال « لا ومقلب القلوب » فهو سبحانه الخالق المالك للتصرف ( وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ) كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحداً لا يخفر في جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه لثلاث لفتات عليه ولهذا قال الله ( وهو يجير ولا يجار عليه ) أى وهو السيد العظيم الذى لا أعظم منه الذى له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه الذى لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن : وقال الله ( لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ) أى لا يسئل عما يفعل لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسئلون عن أعمالهم كما قال تعالى ( فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) وقوله ( سيقولون لله ) أى سيعترفون أن السيد العظيم الذى يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له ( قل فأتى تسحرون ) أى فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى ( بل أتيناكم بالحق ) وهو الاعلام بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ( وإنهم لكاذبون ) أى في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ) فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال ، وإنما يفعلون ذلك اتباعاً لأبائهم وأسلافهم الخياري الجهال كما قال

الله عنهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) أي لو قدر تعدد الآلهة لاشرف كل منهم بما خلق كما كان ينتظم الوجود ، والشاهد أن الوجود منتظم متنسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض في غاية الكمال (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعملو بعضهم على بعض والتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمايز وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً فأراد واحد تحريك جسم والآخر أراد سكونه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزاً ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد ، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالاً فإما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكناً لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً ، ولهذا قال تعالى (ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه (فتعالى عما يشركون) أي تقديس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ \* رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ \* ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ \* وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾

يقول تعالى أمرا نبيه محمداً ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم (رب إما تريني ما يوعدون) أي إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه « وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون » وقوله تعالى ( وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) أي لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والحزن . ثم قال تعالى مرشداً له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الإحسان إلى من يسئ إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة فقال تعالى ( ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهذا كما قال في الآية الأخرى ( ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم \* وما يلقاها إلا الذين صبروا) الآية أي وما يلهم هذه الوصية أو هذه الحصلة أو الصفة (إلا الذين صبروا) أي على أذى الناس فعاملوهم بالجميل مع إسداءهم إليهم القبيح (وما يلقاها إلا ذوحظ عظيم) أي في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أمره الله أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا يتقادون بالمعروف ، وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقوله تعالى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شيء من أمري ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والدمج وغير ذلك من الأمور ، ولهذا روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم إني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهدم ومن الفرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان

رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع « باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه . ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن إسحاق وقال الترمذي حسن غريب

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى وقيل لهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال ( رب ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا ) كما قال تعالى ( وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت - إلى قوله - والله خير بما تعملون ) وقال تعالى ( وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب - إلى قوله - مالكم من زوال ) وقال تعالى ( يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ) وقال تعالى ( ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا ومعنا فأرجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ) وقال تعالى ( ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا - إلى قوله - وإنهم لكاذبون ) وقال تعالى ( وترى الظالمين لمارأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ) وقال تعالى ( قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ) والآية بعدها . وقال تعالى ( وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا للظالمين من نصير ) فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم . وقوله ههنا ( كلا إنها كلمة هو قائلها ) كلا حرف ردع وزجر أى لا نجيبه إلى ما طاب ولا نقبل منه وقوله تعالى ( إنها كلمة هو قائلها ) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أى لا بد أن يقولها للاحالة كل محتضر ظالم ، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا أى لأنها كلمة أى سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحا ولكن يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ) قال قتادة : والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله امرأ عمل فيها يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار ، وقال محمد بن كعب القرظي ( حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت ) قال فيقول الجبار ( كلا إنها كلمة هو قائلها ) وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة : إذا قال الكافر رب ارجعون لعلني أعمل صالحا يقول الله تعالى : كلا كذبت ، وقال قتادة في قوله تعالى ( حتى إذا جاء أحدكم الموت ) قال كان العلاء بن زياد يقول : لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فيعمل بطاعة الله تعالى وقال قتادة : والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فالنظر وأمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة إلا بالله وعن محمد بن كعب القرظي نحوه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار قال : فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال : فيقال قد عمرت ما كنت معمرا ، قال فيضيق عليه قبره ويلتمن فهو كالمتهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها

وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أودهم، حية عند رأسه

وحية عند رجله يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى (ومن ورائهم) يعنى أمامهم . وقال مجاهد : البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة . وقال محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم . وقال أبو صخر : البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يبعثون وفي قوله تعالى (ومن ورائهم برزخ) تهديد لهم لولا المختصرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى (من ورائهم جهنم) وقال تعالى (ومن ورائه عذاب غليظ) وقوله تعالى (إلى يوم يبعثون) أى يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث « فلا يزال معذبا فيها » أى فى الأرض

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور ، وقام الناس من القبور ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) أى لا تنفع الانسان يومئذ ولا يرني والد لولده ولا يلوى عليه ، قال الله تعالى ( ولا يسأل حميم حميا يبصرونهم ) أى لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره وهو كان أعز الناس عليه فى الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى ( يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه ) الآية وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه - قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرا ، ومصداق ذلك فى كتاب الله قال الله تعالى فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ( رواه ابن أبى حاتم

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبيد الله بن أبى رافع عن المسور - هو ابن مخرمة - رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فاطمة بضعة منى يعظنى ما يعظها وينشطنى ما ينشطها ، وإن الانساب تنقطع يوم القيامة إلا نسبي وسبى وصهرى » وهذا الحديث له أصل فى الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال « فاطمة بضعة منى يربنى ما يربها ويؤذنى ما آذاها » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن أنس سعيد الحدرى عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا النبر « ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه ؟ بلى والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة وإنى أيها الناس فرط لكم إذا جثتم » قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم : أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدى وارتدتم القهقرى « وقد ذكرنا فى مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه رضى الله عنه أنه لما تزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال : أما والله ما أبى إلا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيامة إلا سبى ونسبى » رواه الطبرانى والبراز والهيثم بن كليب والبيهقى والحافظ الضياء فى المختارة وذكر أنه أصدقها أربعين ألفا عظاما وأكراما رضى الله عنه ، وقد روى الحافظ بن عساكر فى ترجمة أبى العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ من طريق أبى القاسم البغوى حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع حدثنا إبراهيم بن عبد السلام عن إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهرى » وروى فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « سألت ربي عز وجل أن لا أتزوج إلى أحد من أمتى ولا يتزوج



إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك » ومن حديث عمار بن سيف عن إسماعيل عن عبد الله بن عمرو ، وقوله تعالى ( فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ) أى من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس ( فأولئك هم المفلحون ) أى الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة ، وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا ( ومن خفت موازينه ) أى ثقلت سيئاته على حسناته ( فأولئك الذين خسروا أنفسهم ) أى خابوا وهلكوا وباءوا بالصفقة الخاسرة ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن الحبر حدثنا صالح المري عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال : إن لله ملكا موكلا بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً : إسنادة ضعيف فان داود بن الحبر ضعيف متروك ولهذا قال تعالى ( في جهنم خالدون ) أى ما كثون فيها دائمون مقيمون فلا يظنون ( تلهج وجوههم النار ) كما قال تعالى ( وتلهي وجوههم النار ) وقال تعالى ( لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة ابن أبي الغراء حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن أبي سغان ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن جهنم لما سبق لها أهلها تلقاهم لها ثم تلهجهم لفحة فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقوب » وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الحضرمي بن علي بن يونس القظان حدثنا عمرو بن أبي الحارث بن الحضرمي حدثنا سعيد بن سعيد القبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى ( تلهج وجوههم النار ) قال تلهجهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم ، وقوله تعالى ( وهم فيها كالخون ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود ( وهم فيها كالخون ) قال ألم تر إلى الرأس المشيط الذي قد بدا أسنانه وقلصت شفتاه . وقال الإمام أحمد رحمه الله أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « ( وهم فيها كالخون ) - قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه . وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة » ورواه الترمذي عن سويد ابن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن غريب

﴿ أَلَمْ تَكُنْ تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاذْكُرُونَهُمْ فَكَفَرْتُمْ بِهَا تَكْفُورًا ﴾ \* قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿

هذا تفرغ من الله وتوبيخ لأهل النار على ما ارتكبه من الكفر والماثم والمحارم والعظائم التي أو بقتهم في ذلك فقال تعالى ( ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ) أى قد أرسلت إليكم الرسل وأنزلت إليكم الكتب وأزلت شبهكم ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى ( لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقال ( وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ) وقال تعالى ( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير - إلى قوله - فسحقاً لأصحاب السعير ) ولهذا قالوا ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ) أى قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن نتقاد لها وتتبعها فضلنا عنها ولم نرزقها . ثم قالوا ( ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ) أى ارددنا إلى الدنيا فان عدنا إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال ( فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل \* - إلى قوله - فالحكم لله العلي الكبير ) أى لاسبيل إلى الخروج لأنكم كنتم تتركون بالله إذا وحده المؤمنون ﴿ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴾ \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ

خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \* فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ \* إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١٠٠﴾

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار . يقول ( اخشوا فيها ) أي امكثوا فيها ساغرير مهانين أذلاء ( ولا تكلمون ) أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فانه لا جواب لكم عندي قال العوفي عن ابن عباس ( اخشوا فيها ولا تكلمون ) قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان الروزي حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالك ورب مالك ، ثم يدعون ربهم فيقولون ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين \* ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ) قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم ( اخشوا فيها ولا تكلمون ) قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم قال فشبهت أصواتهم بأصوات الحير أو لها زفير وآخرها شهيق ، وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء قال : قال عبد الله بن مسعود إذا أراد الله تعالى أن لا يخرج منهم أحداً يعني من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجىء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول يا رب فيقول الله من عرف أحداً فليخرجه فيجىء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحداً فيناديه الرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما عرفك قال فعند ذلك يقولون ( ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ) فعند ذلك يقول الله تعالى ( اخشوا فيها ولا تكلمون ) فاذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد ، ثم قال تعالى مذكر آ لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعبادة المؤمنين وأوليائه فقال تعالى ( إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنة فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين \* فاتخذتموهم سخريا ) أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إلى ( حتى أنسوكم ذكري ) أي حملكم بغضهم على أن أنسيتم معاملتي وكنتم منهم تضحكون ) أي من صنيعهم وعبادتهم كما قال تعالى ( إن الدين أجمعوا كانوا من الدين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ) أي يلغزونهم استهزاء ثم أخبر تعالى عما جازى به أوليائه وعباده الصالحين فقال تعالى ( إنى جزيتهم اليوم بما صبروا ) أي على أذاكم لهم واستهزائكم بهم ( أنهم هم الفائزون ) أي جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والنجاة من النار

﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسَلِّ الْعَادِينَ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ أَلْحَقْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٠١﴾﴾

يقول تعالى منها لهم على ما أضعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أوليائه المتقون ( قال كم لبئتم في الأرض عدد سنين ) أي كم كانت إقامتكم في الدنيا ( قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم فسل العادين ) أي كم لبئتم إلا قليلاً ( أي مدة يسيرة على كل تقدير ) لو أنكم كنتم تعلمون ( أي لما آثرتم الفاني على الباقي ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيء ولا استحققتكم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة فلو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبيع بن عبد الكلاعي أنه سمعه يخطب الناس فقال : قال رسول الله ﷺ « إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبئتم في الأرض

عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم - قال - لنعم ما أجزتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني ورحمتي أمكنوا فيها خالد بن مخلد بن ؟ ثم قال يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فيقول بئس ما أجزتم في يوم أو بعض يوم ناري وسخطي أمكنوا فيها خالد بن مخلد بن « وقوله تعالى ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ) أي أظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ( وأنكم إلينا لا ترجعون ) أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى ( أبحسب الإنسان أن يترك سدى ) يعني هملاً ، وقوله ( فتعالى الله الملك الحق ) أي تقدس أن يخلق شيئاً عبثاً فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ( لا إله إلا هو رب العرش الكريم ) فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أي حسن النظر بهي الشكل كما قال تعالى ( وأنبتنا فيها من كل زوج كريم ) : قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إسحاق بن سليمان شيخ من أهل العراق أنبأنا شبيب ابن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر وشقى عبداً أخرجه الله من رحمته وحرّم جنة عرضها السموات والأرض ألم تعلموا أنه لا يؤمن من عذاب الله غداً إلا من حذر هذا اليوم وخافه وباع نافداً يباق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم من أصلاب المالكين وسيكون من بعدكم الباقيين حتى تردون إلى خير الوارثين ؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورأحاً إلى الله عز وجل قد قضى نجهه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير محمد ولا موسى قد فارق الأحاب وباشر التراب ، ووجه الحساب ، مرتين بعمله غنى عما ترك فقير إلى ما قدم . فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء موثيقه ونزول الموت بكم ، ثم جعل طرف رداً على وجهه فبكي وأبكي من حوله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لطيعة عن أبي هيرة عن حسن بن عبد الله أن رجلاً من أصحابا مر به عبد الله بن مسعود فقرأ في أذنه هذه الآية ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون \* فتعالى الله الملك الحق ) حتى ختم السورة فبرأ فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ) قال فقرأناها فنمنا وبلغنا ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا أبو المسيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أمان أمق من الفرق إذا ركبوا السفينة باسم الله الملك الحق ، وما قدره الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات يمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ، باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم »

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول تعالى متوعداً من أشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبراً أن من أشرك بالله لا برهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ) وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله ( فإنما حسابه عنده ) أي الله يحاسبه على ذلك ، ثم أخبر ( إنه لا يفلح الكافرون ) أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاة . قال قتادة : ذكر

لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل « ما تعبد ؟ » قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأيهم إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ؟ » قال : الله عز وجل . قال « فأيهم إذا كانت لك حاجة فدعوته أعطاكها ؟ » قال الله عز وجل قال « فما يملك على أن تعبد هؤلاء معه أم حسبت أن تغلب عليه » قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلمون ولا يعلمون » فقال الرجل بعد ما أسلم لقيت رجلا خصمني . هذا مرسل من هذا الوجه ، وقدرى أبو عيسى الترمذى فى جامعه مسنداً عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك . وقوله تعالى ( وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ) هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء ، فالغفر إذا أطلق معناه محو الذنب وستره عن الناس والرحمة معناها أن يسدده ويرققه فى الأقوال والأفعال . آخر تفسير سورة المؤمنون .

### ﴿ تفسير سورة النور وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى هذه السورة أنزلناه ، فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي مع ماعداها ( وفرنائها ) قال مجاهد وقتادة : أى بينا الحلال والحرام والأمر والنهى والحدود . وقال البخارى : ومن قرأ فرنائها يقول فرنائها عليكم وطى من بعدكم ( وأنزلنا فيها آيات بينات ) أى مفسرات واضحات ( لعلكم تذكرون ) ثم قال تعالى ( الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) يعنى هذه الآية الكريمة فيها حكم الزانى فى الحد ، وللعلماء فيه تفصيل ونزاع ، فإن الزانى لا يخلو إما أن يكون بكراً وهو الذى لم يتزوج ، أو محصناً وهو الذى قد وطىء فى نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل ، فأما إذا كان بكراً لم يتزوج فإن حده مائة جلدة كما فى الآية ويزاد على ذلك أن يغرب عاما عن بلده عند جمهور العلماء خلافاً لى حنيفة رحمه الله فإن عنده أن التغريب إلى رأى الإمام إن شاء غرب وإن شاء لم يغرب ، وحجة الجمهور فى ذلك ما ثبت فى الصحيحين من رواية الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهنى فى الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيفاً - يعنى أجيماً - على هذا فزنى بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن طى ابني جلدة مائة وتغريب عام وأن طى امرأة هذا : الرجم . فقال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى . الوليدة والغنم رد عليك ، وطى ابنيك مائة جلدة وتغريب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها » فغدا عليها فاعترفت فرجمها : وفى هذا دلالة على تغريب الزانى مع جلدة مائة إذا كان بكراً لم يتزوج ، فأما إذا كان محصناً وهو الذى قد وطىء فى نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فإنه يرجم كما قال الإمام مالك حدثني ابن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعينها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله . فالرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال ومن النساء ، إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف . أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك مطولا ، وهذه قطعة منه فيها مقصودنا ههنا وروى الإمام أحمد عن هشيم عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف أن عمر

ابن الخطاب خطب الناس فسمعتة يقول : ألا وإن ناسا يقولون ما الرجم في كتاب الله وإنما فيه الجلد وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ولولا أن يقول قائل أو ينكلم متكلم أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأنتبها كما نزلت . وأخرجه النسائي من حديث عبيد الله بن عبد الله به ، وقد روى الإمام أحمد أيضا عن هشيم عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر الرجم فقال إنا لانجد من الرجم بدأ فإنه حد من حدود الله تعالى ، ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائلون إن عمر زاد في كتاب الله ما ليس فيه لكتبت في ناحية من المصحف ، وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن ابن عون وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده ، ألا إنه سيكون قوم من بعدكم يكذبون بالرجم وبالشفاعة وبعباد القبر ويقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا . وروى أحمد أيضا عن يحيى القطان عن يحيى الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم » الحديث رواه الترمذي من حديث سعيد بن عمر وقال صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا أبو عيون عن محمد هو ابن سيرين قال ابن عمر نبئت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد بن ثابت كنا نقرأ : الشيخ والشيخة إذا فارجوها البتة ، قال مروان ألا كتبتها في المصحف ؟ قال ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب فقال أنا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف ؟ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال « لا أستطيع الآن » هذا وأ نحو ذلك . وقد رواه النسائي من حديث محمد بن الثني عن غندر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به ، وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة ودالة على أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به والله أعلم

وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جلدتم قبل الرجم وإنما وردت الأحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ بالاقصا على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية والرجم للسنة كما روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة فقال جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله ﷺ وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة ومسلم من حديث قتادة عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتعريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » وقوله تعالى ( ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ) أي في حكم الله أي لا ترأفوا بهما في شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية على ترك الحد وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد ( ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ) قال إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان فتقام ولا تعطل وكذا روى عن سعيد بن جبير وعطاء ابن أبي رباح وقد جاء في الحديث « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب » وفي الحديث الآخر « لحد يقيم في الأرض خير لأهلها من أن يمحطوا أربعين صباحا » وقيل المراد ( ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ) فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم وليس المراد الضرب المبرح . قال عامر الشعبي ( ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ) قال رحمة في شدة الضرب وقال عطاء ضرب ليس بالمبرح ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان يجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني تخلع ثيابه ثم تلا ( ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ) فقلت هذا في الحكم قال هذا في الحكم والجلد يعني في إقامة الحد وفي شدة الضرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا

وكيع عن نافع عن ابن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها قال نافع أراه قال وظهرها قال قلت ( ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ) قال يابني ورأيتني أخذتني بها رأفة إن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجعل جلدها في رأسها وقد أوجعت حين ضربتها ، وقوله تعالى ( إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ) أى فافعلوا ذلك وأقيموا الحدود على من زنى وشددوا عليه الضرب ولكن ليس مبرحا ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في المسند عن بعض الصحابة أنه قال : يارسول الله إنى لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال « ولك في ذلك أجر »

وقوله تعالى ( وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا بحضرة الناس فان ذلك يكون أبلغ في زجرها وأنجع في ردعها فان في ذلك تقريرا وتوبيخا وفضيحة إذا كان الناس حضورا . قال الحسن البصرى في قوله ( وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) يعنى علانية ثم قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ( وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) الطائفة الرجل فما فوقه وقال مجاهد : الطائفة الرجل الواحد إلى الألف ، وكذا قال عكرمة ولهذا قال أحمد إن الطائفة تصدق على واحد ، وقال عطاء بن أبي رباح اشان ، وبه قال إسحق بن راهويه وكذا قال سعيد بن جبير ( طائفة من المؤمنين ) قال : يعنى رجلين فصاعدا ، وقال الزهرى ثلاثة نفر فصاعدا وقال عبد الرزاق حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله ( وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) قال الطائفة أربعة نفر فصاعدا لأنه لا يكفي شهادة في الزنا إلا أربعة شهداء فصاعدا وبه قال الشافعى وقال ربيعة : خمسة ، وقال الحسن البصرى : عشرة وقال قتادة أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أى نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا بقر بن علقمة قال سمعت نصر بن علقمة يقول في قوله تعالى ( وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) قال ليس ذلك للفضيحة إنما ذلك ليدعى الله تعالى لها بالتوبة والرحمة .

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

هذا خبر من الله تعالى بأن الزانى لا يواطع أى لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك ( الزانية لا ينكحها إلا زان ) أى عاص بزناه ( أو مشرك ) لا يعتقد تحريمه قال سفيان الثورى عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه ( الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ) قال ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزنى بها إلا زان أو مشرك وهذا إسناد صحيح عنه وقد روى عنه من غير وجه أيضا ، وقد روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك . وقوله تعالى ( وحرم ذلك على المؤمنين ) أى تعاطيه والتزوج بالبغايا أو تزويج العفائف بالرجال الفجار وقال أبو داود الطيالسى حدثنا قيس عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( وحرم ذلك على المؤمنين ) قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان : حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا وتقدم ذلك فقال ( وحرم ذلك على المؤمنين ) وهذه الآية كقوله تعالى ( محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ) وقوله ( محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ) الآية ومن ههنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغى مادامت كذلك حتى تستتاب فان تاب صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى ( وحرم ذلك على المؤمنين ) وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبى حدثنا الحضرمى عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزل كانت تسافح وتشرط له أن

تفق عليه قال فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذكر له أمرها قال فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) وقال النسائي أخبرنا عمرو بن عدى حدثنا المعتز بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو: قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل ( الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) قال الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة عن عبيد الله بن الأحنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال وكانت امرأة بغية يقال لها عناق وكانت صديقة له وأنه واعد رجلا من أسارى مكة يحمله قال فجئت حتى انتهت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت إلى عرفتني فقالت: مرثد؟ فقلت مرثد فقالت مرحباً وأهلاً لهم فبت عندنا الليلة : قال فقلت يا عناق حرم الله الزنا فقالت يا أهل الحيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة فاتميت إلى غار أو كهف فدخلت فيه فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عنى قال ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهت إلى الأذخر ففككت عنه أحبله فجعلت أحمله ويعينى حتى أتيت به المدينة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا أنكح عناقا - مرتين؟ - فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد على شيئا حتى نزلت ( الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) فقال رسول الله ﷺ « يا مرثد: الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها » ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سقنهما من حديث عبيد الله بن الأحنس به ، وقال ابن حاتم حدثنا أنى حدثنا مسدد أبو الحسن حدثنا عبد الوارث عن حبيب العلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينكح الزانى المجلود إلا مثله » وهكذا أخرجه أبو داود في سننه عن مسدد وأبي معمر عن عبد الله بن عمرو كلاهما عن عبد الوارث به وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال أشهد لسمعت سالماً يقول : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، العاق لوالديه والمرأة المترجلة المشبهة بالرجال والديوث . وثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه . ومدمن الخمر ، والنان بما أعطى » ورواه النسائي عن عمرو بن طي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبد الله بن يسار به . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الأجدع عن حماد بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والذي يقر في أهله الخبث » وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة ديوث » يستشهد به لما قبله من الأحاديث وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام بن سوار حدثنا كثير بن سليم عن الضحاك بن مزاحم سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر فليتزوج الحرائر » في إسناده ضعف . وقال الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة: الديوث القنزع وهو الذى لاغيرة له ، فأما الحديث الذى رواه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سننه أخبرنا محمد بن إسماعيل بن علي عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة وغيره عن هارون بن رباب عن عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ابن عباس . عبد الكريم رفعه إلى ابن عباس وهارون لم يرفعه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ

فقال إن عندي امرأة من أحب الناس إلى وهي لا تمتع يد لاسم قال « طلقها » قال لا يصبر لي عنها قال « استمتع بها » ثم قال النسائي هذا الحديث غير ثابت وعبد الكريم ليس بالقوي وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي الخارق البصري المؤدب تابعي ضعيف الحديث وقد خالفه هارون بن رباب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل عن حماد بن سلمة عن هارون بن رباب عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسندا فذكره بهذا الإسناد فرجاله على شرط مسلم إلا أن النسائي بعد روايته له قال هذا خطأ والصواب مرسل : ورواه غير النضر على الصواب وقد زواه النسائي أيضا وأبو داود عن الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره وهذا الإسناد جيد . وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الإمام أحمد هو حديث منكر ، وقال ابن قتيبة : إنما أراد أنها سفينة لا تمتع سائلا وحكاة النسائي في سنته عن بعضهم فقال وقيل سفينة تعطى ، ورد هذا بأنه لو كان المراد لقال لا ترد يد ملتمس ، وقيل المراد إن سجينها لا ترد يد لاسم لا أن المراد أن هذا واقع منها وأنها تفعل الفاحشة فإن رسول الله ﷺ لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوتا وقد تقدم الوعيد على ذلك ، ولكن لما كانت سجينها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلاها أحد أمره رسول الله ﷺ بزراقها فلما ذكر أنه يجبها أباح له البقاء معها لأن محبته لها محققة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل والله سبحانه وتعالى أعلم ، قالوا فأما إذا حصلت توبة فانه يحل التزويج كما قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال إني كنت أم بامرأة أتت منها ما حرم الله عز وجل على فزرق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت أن تزوجها فقال أناس إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فقال ابن عباس ليس هذا في هذا انكحها لما كان من إثم فعله وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء أن هذه الآية منسوخة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قاله ذكر عنده ( الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ) قال كان يقال الأيبي من المسلمين وهكذا رواه أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضا الإمام أبو عبد الله محمد إدريس الشافعي

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للصحته وهي الحرمة البالغة بالعبثية فإذا كان القاذف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضا وليس فيه نزاع بين العلماء فإن أقام القاذف بيته على صحة ما قاله دأ عنه الجدل ولهذا قال تعالى ( ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ) فأوجب على القاذف إذا لم يقم البيته على صحة ما قال ثلاثة أحكام ( أحدها ) أن يجلد ثمانين جلدة ( الثاني ) أنه ترد شهادته أبدا ( الثالث ) أن يكون فاسقا ليس بصد لا عند الله ولا عند الناس ، ثم قال تعالى ( الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ) الآية . واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائما وإن تاب أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة ؟ وأما الجلد فقد ذهب واقضى سواء تلب أو أسر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الإمام مالك وأحمد الشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق ونص عليه سعيد بن



المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً ، وقال الإمام أبو حنيفة إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبدأ وعن ذهب إليه من السلف القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن زيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان فيحذرنه تقبل شهادته والله أعلم

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾

هذه الآية الكريمة فيها فرج للازواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعرض عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعى عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا ( والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ) فإذا قال ذلك بانته منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبدأ ويعطى مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ، ولا يدبر أعين العذاب إلا أن تلعن فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين أي فيما رماها به ( والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ) ولهذا قيل ( ويدبر أعين العذاب ) يعني الحد ( أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين \* والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ) فخصها بالغضب كما أن الغالب أن الرجل لا يتخشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها والغضب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه ، ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرب لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ) أي لخرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم ( وأن الله تواب ) أي على عباده ، وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان بالمعظنة ( حكيم ) فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه ، وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة . قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا عبيد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدأ ) قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار رضي الله عنه أهلكنا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيديكم ؟ » فقالوا يا رسول الله لا تبله فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته . فقال سعد والله يا رسول الله إني لأعلم إنها لحق وأنها من الله ولكني قد تعجبت أي لو وجدت لكاجاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضى حاجته — قال فما لبثوا إلا يسيراً — حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهبه حتى أصبح فدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عباد الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويظلم شهادته في الناس فقال هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً . وقال هلال يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله

يعلم إني لصادق . فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي ، وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تبرد وجهه يعني فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت ( والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ) الآية فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً » فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرسلوا إليها » فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما وأخبرها أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يا رسول الله لقد صدقت عليا فقالت كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عنوا بينهما » فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجذبني عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل للمرأة اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين وقيل لها عند الخامسة اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلك ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفصح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن لا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد ، وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال « إن جاءت به أصهب أريشح حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعداً جالياً خدج الساقين سابقين سابع الأيتين فهو الذي رميت به » فجاءت به أورق جعداً جالياً خدج الساقين سابقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا الأيمان لكان لي ولها شأن » قال عكرمة فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب ، ورواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به نحوه مختصراً ، ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، فمنها ما قال البخاري : حدثني محمد بن بشر حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قدف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم « البينة أوجد في ظهرك » فقال يارسول الله إذا أرى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق بلمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول « البينة وإلا حد في ظهرك » فقال هلال والذي بئسك بالحق إني لصادق وليزلن الله ما يري ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه ( والذين يرمون أزواجهم — ققرأ حتى بلغ — إن كان من الصادقين ) فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب » ثم قامت فشهدت ، فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فعضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أبصروها فان جاءت به أ كحل العينين سابقين الأيتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحاء » فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » انفرد به البخاري من هذا الوجه ، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزياتي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته برجل ففكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يردد حتى أنزل الله تعالى ( والذين يرمون أزواجهم ) ققرأ حتى فرغ من الآيتين فأرسل إليهما فدعاها فقال : « إن الله تعالى قد أنزل فيكما » فدعا الرجل فقراً عليه فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له « كل شيء أهون عليه من لعنة الله » ثم أرسله فقال « لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين » ثم دعاها فقراً عليها فشهدت أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها وقال : « ويحك كل شيء أهون من غضب الله » ثم أرسلها فقالت : غضب الله عليها إن كان من الصادقين . فقال رسول الله

عليه السلام « أما والله لأقضي بينكما قضاء فصلا » قال فولدت فما رأيت مولوداً بالمدينة أكثر منه فقال « إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا ، وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا » فجاءت به يشبه النبي قذفت به : وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير قال سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إماره ابن الزبير فما دريت ما أقول فقصت من مكاني إلى منزل ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ فقال سبحان الله إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال يارسول الله أرايت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل الله تعالى هذه الآيات في سورة النور (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ (أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) فبدأ بالرجل فوعظه وذكّره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال: والذي بعثك بالحق ما كذبت ثم نثي بالمرأة فوعظها وذكّرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب. قال فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم نثي بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ثم فرق بينهما. رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به وأخرجه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال ، كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت على غيظ ، والله لأن أصبحت صحيحا لأسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسأله فقال يارسول الله إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت على غيظ اللهم احكم ، قال فنزلت آية اللعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلى به . انفراد باخراجه مسلم فرواه من طريق عن سليمان بن مهران الأعمش به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال له سل رسول الله ﷺ أرايت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أيقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل قال فلقية عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال ما صنعت انك لم تأتني بخير ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل فقال عويمر والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سألته . فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيها . قال : فدعاهما ولاعن بينهما . قال عويمر ان انطلقت بها يارسول الله لقد كذبت عليها . قال : ففارقها قبل أن يأمره رسول الله ﷺ فصارت سنة المتلاعنين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبصروها فان جاءت به أسحم أدهج العينين عظيم الألتين فلا أراه الا قد صدق ، وإن جاءت به أحيمر كانه وحره فلا أراه إلا كاذبا » فجاءت به على الذمت المكروه . أخرجه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أرايت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل ؟ فأنزل الله تعالى فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد قضى فيك وفي امرأتك » قال فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين ، وكانت حاملا فأنكر حملها وكان ابنها يدعى اليها . ثم جرت السنة في اليراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحق بن الضيف حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي إسحق عن أبيه عن زيد بن بتيص عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر « لورايت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا ؟ » قال كنت والله فاعلا به شراء ، قال « فأنت ياعمر ؟ » قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الأعجز فإنه خبيث . قال فنزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) ثم قال لانعلم أحدا أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس

ابن إسحق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحق عن زيد بن ببيع مرسلًا قاله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحاء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعته إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك » فقال يارسول الله إن الله يعلم إنى لصادق ولينزلن الله عليك ما يرى به ظهري من الجلد فأنزل الله آية اللعان (والدين يرمون أزواجهم) إلى آخر الآية قال فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال « اشهد بالله إنك لمن الصادقين فيما رمتها به من الزنا » فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له في الخامسة « ولعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رمتها به من الزنا » ففعل ثم دعاها رسول الله ﷺ فقال « قومي فاشهدى بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا » فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة « وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا » قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكنت سكنت حتى ظنوا أنها ستعرف ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فضت على القول ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال « انظروا فإن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحاء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية » فجاءت به جعدا حمش الساقين فقال رسول الله ﷺ « لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لى ولها شأن »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ فقال تعالى ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) أى جماعة منكم يعنى ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم فى هذه اللعنة عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك فى أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم وبقى الأمر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن ، وبيان ذلك فى الأحاديث الصحيحة . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث (١) عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله تعالى ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا : ذكروا أن عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أفرغ بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت عائشة رضى الله عنها فأفرغ بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الحجاب فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فلمست صدرى فإذا عقدلى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتصت عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعير الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه ، قالت وكان النساء إذ ذاك خفايا لم يثقلن ولم يشهن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فحثت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونى (١) كذا فى الأميرة ، وفى البغوى عن عائشة .

فيرجعون إلى ، فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فتمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الله كواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى فصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته وقد كان رأي قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأنه وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقد من المدينة قاشتكت حين قدمناها شهرًا والناس يفضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يرييني في وجهي أني لا أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسلم ثم يقول «كيف تيك؟» فذلك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما تهتت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا تخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية وكنا تتأذى بالكنف أن تتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأما ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن عبد المطلب<sup>(١)</sup> فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تس مسطح فقلت لها بشما قلت تسين رجلا شهد بدرا؟ فقالت أي هتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت وماذا قال؟ قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضى فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله ﷺ فسلم ثم قال «كيف تيك؟» فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي ، قالت وأنا حينئذ أريد أن أتقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلت أبوي فقلت لأبي يا أمته لماذا يتحدث الناس به؟ فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلنا كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكرهن عليها . قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بها فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ، قالت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال أسامة يا رسول الله أهلك ولا نعم إلا خيرا . وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدق الخبر . قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال «أي بريرة هل رأيت من شيء يرييك من عائشه» فقالت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا قط أنعمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن محبين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر «يا معشر المسلمين من يعذرن من رجل قد بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضى الله عنه فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لا تقتله فانك منافق تجادل عن المنافق ، فتناور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت وبكيت يومئذ ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالتق كبدى قالت فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فيينا نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأنه شيء

قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال « أما بعد يا عائشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أملت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه »

قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقاله قلص دمعى حتى ما أحسن منه قطرة فقلت لأبى أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدرى ما أقول لرسول ﷺ فقلت لأبى أجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أنى بريئة لاتصدقونى ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقننى فوالله ما أجدلى ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ( فصر جميل والله المستعان على ما تصفون ) قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشى قالت وأنا والله أعلم حينئذ أنى بريئة وأن الله تعالى مبرئى براءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ، ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى أمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شاة من ثقل القول الذى أنزل عليه : قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال « أبشرى يا عائشة أما الله عز وجل فقد برك » قالت فقالت لى أمى قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتى وأنزل الله عز وجل ( إن الدين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وقرره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة فأنزل الله تعالى ( ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى — إلى قوله — ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ) فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه . وقال والله لا أنزعها منه أبداً . قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرى فقال « يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ » فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهى التى كانت تسامىنى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع . وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك . قال ابن شهاب فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الزهط أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث الزهرى وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهرى كذلك قال : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم الأنصارى عن عمرة أخبرنى أبى عن عائشة بنحو ما تقدم والله أعلم . ثم قال البخارى وقال أبو أسامة عن هشام بن عروة قال أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به . قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبناء أهلى وإيم الله ما علمت على أهلى إلا خيراً وما علمت على أهلى من سوء وأبنوم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتى قط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : يا رسول الله ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الحزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والحزرج شرفى للمسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح فعمرت فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسبين ابنك ؟ فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسبين ابنك ؟ ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فاتهرتها فقالت والله ما أسبه إلا فىك فقلت فى أى شأنى ؟ قالت فقبرت لى الحديث فقلت وقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فرجعت إلى بيتى كأن الذى خرجت له لا أجد منه قليلاً ولا كثيراً ووعت وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفلى وأبا بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان ماجاء بك يابنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وإذا هو لم يبلغ منها مثل الذي بلغ مني فقالت يابنية خفي عليك الشأن فإنه والله لقل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدتها ، وقيل فيها فقلت وقد علم به أبي ؟ قالت نعم قلت ورسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأمي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه رضى الله عنه فقال أقسمت عليك يابنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت ، ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عنى خادمتي فقالت يارسل الله لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، واتهرها بعض أصحابه فقال اصدق رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصانع على تبر الذهب الأحمر ، وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له ، فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف أئى قط . قالت عائشة رضى الله عنها فقتل شهيدا في سبيل الله قالت وأصبح أبواى عندي فلم يزالا حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفتي أبواى عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءاً أو ظلمت فتوبى إلى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده » قالت وقد جاءت امرأة من الأنصار فهي جالسة بالباب فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى أبي فقلت له أحب رسول الله ﷺ قال فماذا أقول ؟ فالتفت إلى أمي فقلت أحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماذا أقول ؟ فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ثم قلت : أما بعد فوالله إن قلت لكم إنى لم أفعل والله عز وجل يشهد إنى لصادقة ماذا بنافعي عنكم لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم ، وإن قلت لكم إنى قد فعلت والله يعلم أنى لم أفعل لتقولن قديبات به على نفسها وإنى والله ما أجدلى ولكم مثلاً . والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبابوسف حين قال ( فصر جميل والله المستعان على ما تصفون ) وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه وإنى لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول « أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك » قالت وكنت أشد ما كنت غضباً فقال لى أبواى قومي اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمداً ولكن أحمد الله الذى أنزل براءتى لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما أختها حمزة بنت جحش فهلكت فيمن هلك ، وكان الذى يتكلم به مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي بن سلول وهو الذى كان يستوشيه ويجمعه وهو الذى تولى كبره منهم هو وحمزة ، قالت فحلف أبو بكر أن لا يفتح مسطحاً بنافعا أبداً فأنزل الله تعالى ( ولا يأتل أولو الفضل منكم ) يعنى أبا بكر ( والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين ) يعنى مسطحاً إلى قوله ( ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ) فقال أبو بكر بلى والله ياربنا إنا لنحب أن تغفر لنا . وعادله بما كان يصنع . هكذا رواه البخارى من هذا الوجه معلقاً بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة أحد الأئمة الثقات . وقد رواه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة مطولاً به مثله أو نحوه . ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة ببعضه وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل عذرى من السماء جاءنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بذلك فقلت : بحمد الله لا بحمدك . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدى عن محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضاً عن عائشة قالت : لما نزل عذرى قام رسول الله ﷺ . فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدم ورواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذى هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمزة بنت جحش . فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في السانيد والصحاح والسنن وغيرها . وقد روى من حديث أمها أم رومان رضى الله

عنها فقال الإمام أحد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة إذ دخلت عليها امرأة من الأنصار فقالت : فعل الله بابنها وفعل ، فقالت عائشة ولم ؟ قالت إنه كان فيمن حدث الحديث قالت وأى الحديث قالت كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وبلغ أبابكر ؟ قالت نعم فخرت عائشة رضى الله مغشياً عليها فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض قالت فقمت فدفرتها قالت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال « فما شأن هذه ؟ » فقلت يارسول الله أخذتها حمى بنافض قال « فلعله في حديث تحدث به » قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله لئن حلفت لكم لاتصدقوني ولئن اعتذرت اليكم لاتعذروني فثلى ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال ( فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ) قالت فخرج رسول الله ﷺ وأنزل الله عندها فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فدخل فقال يا عائشة « إن الله تعالى قد أنزل عندك » فقالت بحمد الله لا بحمدك فقال لها أبو بكر تقولين هذا لرسول الله ﷺ قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر فحلف أن لا يسهل فأنزل الله ( ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ) إلى آخر الآية فقال أبو بكر بلى فوصله . تفرد به البخارى دون مسلم من طريق حصين ، وقدرناه البخارى عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين به وفي لفظ أبي عوانة حدثتني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي ﷺ قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سئلت أم رومان ويسوقه ففعل بعضهم كتب سئلت بألف اعتقد الراوي أنها سألت فظنه متصلاً قال الخطيب وقد رواه البخارى كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم . ورواه بعضهم عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود عن أم رومان فأنزل الله أعلم ، فقوله تعالى ( إن الدين جاءوا بالإفك ) أى الكذب والبهت والافتراء ( عصية ) أى جماعة منكم ( لا تحسبوه شرا لكم ) أى يا آل أبي بكر ( بل هو خير لكم ) أى فى الدنيا والآخرة لسان صدق فى الدنيا ورفعة منازل فى الآخرة وإظهار شرف لهم باعتهاء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حيث أنزل الله براءتها فى القرآن العظيم ( الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضى الله عنه وعنها وهى فى سياق الموت قال لها أبشرى فإنك زوجة رسول الله ﷺ وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك ونزلت براءتك من السماء . وقال ابن جرير فى تفسيره حدثني محمد بن عثمان الواسطى حدثنا جعفر ابن عون عن العلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : فباخرت عائشة وزينب رضى الله عنهما فقالت زينب أنا التى نزل تزويجى من السماء وقالت عائشة أنا التى نزل عذرى فى كتاب الله حين حملنى صفوان بن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها ؟ قالت : قلت حسى الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين وقوله تعالى ( لكل امرئ منكم ما اكتسب من الإثم ) أى لكل من تكلم فى هذه القضية ورعى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب ( والذى تولى كبره منهم ) قيل ابتداء به وقيل الذى كان يجمعه ويستوشيه وبذيعه ويشيعه ( له عذاب عظيم ) أى على ذلك ، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبى ابن سلول قبجه الله تعالى ولعنه وهو الذى تقدم النص عليه فى الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد ، وقيل بل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع فى صحيح البخارى ما قيد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذى قال له رسول الله ﷺ « هاجهم وجبريل معك » وقال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضى الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقى له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا ؟ يعنى يدخل عليك وفى رواية قيل لها أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله ( والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ) ؟ قالت وأى عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب



العظيم ثم قالت إنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ وفي رواية أنه أنشدها عند ما دخل عليها شعرا يمتدحها به فقال  
حصان رزان ما تزن بربيه \* وتصبح غرنى من لحوم العوائل  
فقال أما أنت فلست كذلك ، وفي رواية : لكنك لست كذلك وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا  
سلة بن علقمة حدثنا داود عن عامر عن عائشة أنها قالت ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به إلا رجوت  
له الجنة قوله لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

هجوت محمدا فأجبت عنه \* وعند الله في ذاك الجزاء  
فان أبى ووالده وعرضى \* لعرض محمد منكم وقاء  
أنتمته ولست له بكفاء ؟ \* فشركا لخير كما الفداء  
لسانى صارم لا عيب فيه \* ويجرى لا تكدره الدلاء

فقل يا أم المؤمنين أليس هذا لعوا ؟ قالت لا إنما اللعوا ما قيل عند النساء ، قيل أليس الله يقول ( والذى تولى  
كبره منهم له عذاب عظيم ) قالت أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف ؟ تعنى الضربة التى ضربه إياها صفوان بن العطل  
السلى حين بلغه عنه أنه يتكلم فى ذلك فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ \* لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ  
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ قَالُوا لَكِنَّا عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين فى قصة عائشة رضى الله عنها حين أفاض بعضهم فى ذلك الكلام السوء وما ذكر  
من شأن الافك فقال تعالى ( لولا ) يعنى هلا ( إذ سمعتموه ) أى ذلك الكلام الذى رमित به أم المؤمنين رضى الله  
عنها ( ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ) أى قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم فان كان لا يليق بهم فأم المؤمنين  
أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأخرى . وقد قيل إنها نزلت فى أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى وامراته رضى  
الله عنهما كما قال الإمام محمد بن إسحق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بنى النجار أن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى  
قالت له امرأته أم أيوب يا أبى أيوب أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضى الله عنها ؟ قال نعم وذلك الكذب أكنت  
فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك ، قال فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل  
من قال فى الفاحشة ما قال من أهل الافك ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا  
ما قالوا ، ثم قال تعالى ( لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بالآية التى قال أبو أيوب وصاحبته ، وقال محمد بن عمر الواقدى  
حدثنى ابن أبى حبيب عن داود بن الحصين عن أبى سفيان عن أفلح مولى أبى أيوب أن أم أيوب قالت لأبى أيوب :  
ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ، قالت لا والله قال فعائشة  
والله خير منك : فلما نزل القرآن وذكر أهل الافك قال الله عز وجل ( لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات  
بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ) يعنى أبى أيوب حين قال لأم أيوب ما قال ويقال إنما قالها أبى بن كعب ، وقوله  
تعالى ( ظن المؤمنون ) الخ أى هلا ظنوا الخير فان أم المؤمنين أهله وأولى به . هذا ما يتعلق بالباطن ، وقوله ( وقالوا ) أى  
بالستهم هذا إفك مبين ) أى كذب ظاهر على أم المؤمنين رضى الله عنها فان الذى وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم  
المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن العطل فى وقت الظهيرة والجيش بكامله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين  
أظهم ولو كان هذا الأمر فيه ريب لم يكن هكذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد بل كان هذا يكون  
لو قدر خفية مستورا ، فتعين أن ماجاء به أهل الافك بما رواه أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة  
الفاحشة الفاجرة ، والصفقة الحاسرة ، قال الله تعالى ( لولا ) أى هلا ( جاءوا عليه ) أى على ما قالوه ( بأربعة شهداء )

يشهدون على صحة ما جاءوا به ( فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ) أى فى حكم الله كاذبون فاجرون ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿

يقول تعالى ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة ) أيها الخاضعون فى شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنا بترككم إليه فى الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة ( لمسكم فيما أفضتم فيه ) من قضية الافك ( عذاب عظيم ) وهذا فىمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كسطح وحسان وحملة بنت جحش أخت زينب بنت جحش ، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبى بن سلول وأضرابه فليس أولئك مرادين فى هذه الآية لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه ، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجع عليه : ثم قال تعالى ( إذ تلقونه بألسنتكم ) قال مجاهد وسعيد بن جبیر أى يرويه بعضهم عن بعض يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكر بعضهم كذا ، وقرأ آخرون ( إذ تلقونه بألسنتكم ) وفى صحيح البخارى عن عائشة أنها كانت تقرأها كذلك وتقول هو من ولق اللسان يعنى الكذب الذى يستمر صاحبه عليه ، تقول العرب : ولق فلان فى السير إذا استمر فيه والقراءة الأولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن نافع عن ابن عمر عن عائشة أنها كانت تقرأ ( إذ تلقونه ) وتقول هى ولق القول قال ابن أبى مليكة : هى أعلم به من غيرها ، وقوله تعالى ( وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ) أى تقولون ما لا تعلمون ، ثم قال تعالى ( وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ) أى تقولون ما تقولون فى شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً ولم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيناً فكيف وهى زوجة النبي الأمى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فعظيم عند الله أن يقال فى زوجة نبيه ورسوله ما قيل ، فان الله سبحانه وتعالى يفار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشاً وكلاً ، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا فى سيدة نساء الأنبياء وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق فى الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ( وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ) وفى الصحيحين « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما تبلغ بهوى بها فى النار أبعد مما بين السماء والأرض » وفى رواية « لا يلقى لها بالاً »

﴿ وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿

هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير أى إذا ذكر ما لا يليق من القول فى شأن الخيرة فأولى ينبغى الظن بهم خيراً ، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم إن علق بنفسه شئ من ذلك وسوسة أو خيالا فلا ينبغى أن يتكلم به فان رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل » أخرجاه فى الصحيحين ، وقال الله تعالى ( ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ) أى ما ينبغى لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ( سبحانك هذا بهتان عظيم ) أى سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله ، ثم قال تعالى ( يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ) أى ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً أى فيما يستقبل ولهذا قال ( إن كنتم مؤمنين ) أى إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم فأما من كان متصفاً بالكفر فله حكم آخر ، ثم قال تعالى ( ويبين الله لكم الآيات ) أى يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدرية ( والله عليم حكيم ) أى عليم بما يصلح عباده حكيم فى شرعه وقدره

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيء فقام بذمته شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذمعه فقد قال تعالى ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ) أى يختارون ظهور الكلام عنهم بالقيح ( لهم عذاب أليم في الدنيا ) أى بالحد ، وفي الآخرة بالعذاب ( والله يعلم وأتم لا تعلمون ) أى فردوا الأمور إليه ترشدوا وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون بن موسى الرضى حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان عن النبي ﷺ قال « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته

﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول الله تعالى ( ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ) أى لولا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى رءوف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب إليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذى أقيم عليهم ثم قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ) يعنى طرائقه ومسالكه وما يأمر به ( ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ) هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ( خطوات الشيطان ) عمله وقال عكرمة نزعانه وقال قتادة كل معصية فهى من خطوات الشيطان ، وقال أبو مجلز : السدور فى المعاصى من خطوات الشيطان ، وقال مسروق سأل رجل ابن مسعود فقال : إني حرمت أن أكل طعاماً وسماه فقال هذا من نزغات الشيطان كفر عن يمينك وكل ، وقال الشعبي فى رجل نذر ذبج ولده هذا من نزغات الشيطان وأفتاه أن يذبح كبشاً وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حسان بن عبد الله المصرى حدثنا السرى بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبى رافع قال غضبت على امرأتى فقالت هى يوماً يهودية ويوما نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك ، فأثبت عبد الله بن عمر فقال : إنما هذه من نزغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهى يومئذ أفتت امرأة بالمدينة وأثبت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك . ثم قال تعالى ( ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ) أى لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويذكر النفوس من شركها وفجورها وذنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً ( ولكن الله يذكى من يشاء ) أى من خلقه ويضل من يشاء ويرديه فى مهالك الضلال والنسى ، وقوله ( والله سميع ) أى سميع لأقوال عباده ( عليم ) بمن يستحق منهم الهدى والضلال

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يقول تعالى ( ولا يأتل ) من الألية وهى الحلف أى لا يحلف ( أولو الفضل منكم ) أى الطول والصدقة والإحسان ( والسعة ) أى الجدة ( أن يؤتوا أولى القربى والمسكين والمهاجرين فى سبيل الله ) أى لا تحلفوا أن لاتصلوا قراياتكم

المساكين والمهاجرين . وهذا في غاية الترفق والعطف على صلاة الأرحام ولهذا قال تعالى ( وليعفوا وليصْفحوا ) أي عما تقدم منهم من الاساءة والأذى ؟ وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقهم مع ظلمهم لأنفسهم ، وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا يرفع مسطح بن أثانة بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبة ونسيبه وهو مسطح بن أثانة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها . وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف ، له الفضل والأيدى على الأقارب والأجانب فلما نزلت هذه الآية إلى قوله ( ألا تحبون أن يغفر الله لكم ) الآية فإن الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال : والله لا أنفعه بنافعة أبداً . فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات العافلات خرج مخرج الغالب المؤمنات فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن ، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما أنهن كهنى والله أعلم وقوله تعالى ( لعنوا في الدنيا والآخرة ) الآية كقوله ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) الآية . وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في الآية ( إن الذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات ) قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك ، قالت فينا رسول الله ﷺ جالس عندي إذ أوحى إليه قالت وكان إذا أوحى إليه أخذته كهيئة السبات وإنه أوحى إليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح على وجهه وقال « يا عائشة أبحري » قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقراً ( إن الذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات - حتى بلغ - أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ) هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها وإن كان الحكم يعمها غيرها ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله أعلم وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيط : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ( إن الذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات ) الآية يعني أزواج النبي ﷺ رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي ﷺ ثم نزل بعد ذلك ( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم ) فأزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم

أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ( إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ) الآية قال في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ ( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ) الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أو لئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور. فقوله وهي مبهمة أي عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا أيضاً اليوم في السلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت أمماً في ذلك . وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح وبعض العموم مارواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن ابن أخي وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمر أبو خالد الطائي المحرمي حدثني أبي ح وحديثنا أبو شعيب الحراني حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب حدثني موسى ابن أيعين عن ليث عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة » وقوله تعالى ( يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنهم يعني المشركين إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجحد فيجحدون فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتبون الله حديثاً وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمهم الله فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ثم يدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة الكوفي حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأسدي حدثنا سفيان بن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو الفقيمي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : « أتندرون مم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال « من مجادلة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول بلى فيقول لا أجزى على شاهد إلا من نفسى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطق فتنتطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقاً فعنك كنت أناضل » وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الأشجعي عن سفيان الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحداً روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الأشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال : وقال قتادة : ابن آدم : والله إن عليك لشهوداً غير متهمة من بدتك فراقبهم واتق الله في سررك وعلانيتك فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن ليفعل ولا قوة إلا بالله . وقوله تعالى ( يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ) قال ابن عباس ( دينهم ) أي حسابهم وكل مافي القرآن دينهم أي حسابهم ، وكذا قال غير واحد ، ثم إن قراءة الجمهور بنصب الحق على أنه صفة لدينهم ، وقرأ مجاهد بالرفع على أنه نعت للجلالة ، وقرأها بعض السلف في مصحف أبي بن كعب : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، وقوله ( ويعلمون أن الله هو الحق المبين ) أي وعده ووعيدته وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه

﴿ الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّهُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

قال ابن عباس : الحبيثات من القول للخبيثين من الرجال والحبيثون من الرجال للحبيثات من القول . والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول - قال - ونزلت في عائشة وأهل الافك وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصرى وحبيب بن أبى ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس فما نسبة أهل النفاق إلى عائشة من كلامهم أولى به وهى أولى بالبراءة والنزاهة منهم ولهذا قال تعالى ( أولئك مبرءون مما يقولون ) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الحبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والحبيثون من الرجال للحبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أى ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهى طيبة لأنه أطيّب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لاشرعاولا قدرا ولهذا قال تعالى ( أولئك مبرءون مما يقولون ) أى هم هداة عما يقوله أهل الافك والعدوان ( لهم مغفرة ) أى بسبب ما قيل فيهم من الكذب ( ورزق كريم ) أى عند الله فى جنات النعيم ، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة . قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن الحكم بإسناده إلى يحيى بن الجزار قال : جاء أسير بن جابر إلى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عقبة تكلم اليوم بكلام أعجبني فقال عبد الله إن الرجل المؤمن يكون فى قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل فى صدره ما يستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل عنده يتلها فيضمها إليه وإن الرجل الفاجر يكون فى قلبه الكلمة الخبيثة تتجلجل فى صدره ما تستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذى عنده يتلها فيضمها إليها ثم قرأ عبد الله ( الحبيثات للخبيثين والحبيثون للحبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ) الآية ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد فى المسند مرفوعاً « مثل هذا الذى يسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشر ما سمع كمثل رجل جاء إلى صاحب غنم فقال اجزر لى شاة فقال اذهب فخذ بأذن أيها شئت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم » وفى الحديث الآخر « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَأَّلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ \* فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك فى استئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأمنوا أى يستأذنوا قبل الدخول ويسألوا بعده ، وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات فان أذن له وإلا انصرف كما ثبت فى الصحيح أن أباموسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء بعد ذلك قال ما أرجحك ؟ قال إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف » فقال عمر لتأتيني على هذا بيينة وإلا أوجعتك ضرباً ، فذهب إلى ملا من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا لا يشهد لك إلا

أصغرنا فقام معه أبو سعيد الخدرى فأخبر عمر بذلك فقال ألهانى عنه الصفق بالأسواق . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمر عن ثابت عن أنس أو غيره أن النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادَةَ فقال « السلام عليك ورحمة الله » فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي ﷺ فاتبعه سعد فقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ما سلمت تسليمة إلا وهى بأذنى ، ولقد رددت عليك ولم أسمك وأردت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله البيت فقرب إليه زيباً فأكل نبي الله فلما فرغ قال « أكل طعامكم الأبرار . وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون » وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي عمرو الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عبادَةَ قال : زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال « السلام عليكم ورحمة » فرد سعد رداً خفياً قال قيس : فقلت ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة الله » فرد سعد رداً خفياً ثم قال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة الله » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد فقال يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام . قال فانصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بغسل فاعتسل ثم ناوله خميصة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتعل بها ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادَةَ » قال ثم أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام فلما أراد الانصراف قرب إليه سعد لحماراً قد وطئ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اركب » فأبيت فقال « إما أن تركب وإما أن تنصرف » قال فانصرفت وقد روى هذا من وجوه أخر فهو حديث جيد قوى والله أعلم . ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما رواه أبو داود . حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بشر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول « السلام عليكم ، السلام عليكم » وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور ، انفرد به أبو داود . وقال أبو داود أيضاً حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير حينئذ قال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص عن الأعمش عن طلحة عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان : سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « هكذا عنك - أو هكذا - فإنما الاستئذان من النظر » وقد رواه أبو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود من حديثه ، وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن امرأً اطبع عليك بغير إذن فخذته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح » وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدقت الباب فقال « من ذا ؟ » فقلت أنا قال « أنا أنا » كأنه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه بأنا فلا يحصل بها القصد من الاستئذان الذي هو الاستئناس بالمأمور به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس : الاستئناس الاستئذان ، وكذا قال غير واحد ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية ( لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا ) قال إنما هي خطأ من الكتاب حتى تستأذنوا وتسلموا وهكذا رواه هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن إياس عن سعيد عن ابن عباس بمثله ، وزاد وكان ابن عباس يقرأ ( حتى تستأذنوا وتسلموا ) وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه

وهذا غريب جدا عن ابن عباس وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها  
وتستأذنون ، وهذا أيضاً رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن  
جرير أخبرني عمرو بن أبي سفیان أن عمرو بن أبي صفوان أخبره أن كلدة بن الحنبل أخبره أن صفوان بن أمية بعثه  
في الفتح بلباً وجدابة وضغاييس والنبي ﷺ بأعلى الوادي قال فدخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن .  
فقال ﷺ « ارجع فقل السلام عليكم أَدْخِلْ » وذلك بعد ما أسلم صفوان ، ورواه أبو داود والترمذي  
والنسائي من حديث ابن جرير به وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وروى أبو داود حدثنا  
أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن ربي قال أتى رجل من بني عامر استأذن على رسول  
الله ﷺ وهو في بيته فقال أُلج أُلج ؟ فقال النبي ﷺ لحامده « اخرج إلى هذا فاعلمه الاستئذان فقل له : قل السلام  
عليك أَدْخِلْ » فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أَدْخِلْ فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل وقال  
هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلاً استأذن على النبي  
ﷺ فقال أُلج أُلج أو أُلج ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة « قومي إلى هذا فعلمه فإنه لا  
يحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أَدْخِلْ » فسمعا الرجل فقال : السلام عليكم أَدْخِلْ فقال  
« ادخل » وقال الترمذي حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان  
عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « السلام قبل الكلام » ثم قال الترمذي  
عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان في إسناده نكارة وضعف ، وقال هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن  
عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أَدْخِلْ ؟ قالت ادخل بسلام  
فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل . ولابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا  
أبو نعيم الأحول حدثني خالد بن إلياس حدثني جدتي أم إلياس قالت : كنت في أربع نسوة نستأذن على عائشة فقلن ندخل ؟  
فقلت لا ، قلن لصاحبتكن تستأذن فقالت السلام عليكم أَدْخِلْ ؟ قالت ادخلوا ثم قالت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا  
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنون وتسلموا على أهلها) الآية . وقال هشيم أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس  
عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، وقال أشعث عن عدى بن ثابت ان امرأة من الأنصار  
قالت يا رسول الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد وإني لا يزال يدخل  
على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال : قال فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا) الآية وقال ابن جرير سمعت  
عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ثلاث آيات جحدن الناس . قال الله تعالى (إن أكرمكم  
عند الله أنماكم) قال ويقولون إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتا قال والأدب كله قد جحدته الناس قال قلت أستأذن  
على أخواتي أيتام في حجرى متى في بيت واحد ؟ قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فأني فقال تعجب أن تراها عريانة ؟  
قلت لا قال فاستأذن قال فراجعته أيضاً فقال : أحب أن تطيع الله ؟ قال قلت نعم قال فاستأذن . قال ابن جرير وأخبرني  
ابن طاوس عن أبيه قال : ما من امرأة أكره إلى أن أرى عورتها من ذات محرم قال : وكان يشدد في ذلك ، وقال  
ابن جرير عن الزهري سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمى انه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على  
أمهاتكم ، وقال ابن جرير قلت لعطاء أيستأذن الرجل على امرأته قال لا وهذا محمول على عدم الوجوب  
وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله ولا يحتاجها به لاحتمال أن تكون على هيئة لا تعجب أن يراها عليها . وقال  
أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن حازم عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن  
يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت كانت عبد الله  
إذا جاء من حاجة فاتى إلى الباب تنحج ويترك كراهة أن يهجم منا على أمي يكرهه ، إسناده صحيح  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الله بن عمير حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي هبيرة  
قال كان عبد الله إذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته ، وقال مجاهد حتى تستأنسوا قال تنحنحوا أو تنحنخوا



وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحى أو يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً - وفي رواية - ليلا يتخونهم ، وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهراً فأناخ بظاهرها وقال « انتظروا حتى ندخل عشاء - يعني آخر النهار - حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن واصل بن السائب حدثني أبو ثور بن ابن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس ؟ قال « يتكلم الرجل بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة ويتنحى فيؤذن أهل البيت » هذا حديث غريب ، وقال قتادة في قوله ( حتى تستأنسوا ) هو الاستئذان ثلاثاً فمن لم يؤذن له منهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحى ، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم : وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالمنع . وقال مقاتل بن حيان في قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ) كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول حيت صباحا وحيت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فخير الله ذلك كله في ستر وعفة وجهه نقياً نزهاً من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ) الآية وهذا الذي قاله مقاتل : حسن ولهذا قال تعالى ( ذلكم خير لكم ) يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت ( لعلكم تذكرون ) وقوله تعالى ( فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ) وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه فإن شاء أذن وإن شاء لم يأذن ( وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ) أى إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده ( فارجعوا هو أزكى لكم ) أى رجوعكم أزكى لكم وأظهر ( والله بما تعملون علم ) وقال قتادة قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها أن أستأذن على بعض اخواني فيقول لى ارجع فأرجع وأنا مغتبط<sup>(١)</sup> ( وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون علم ) وقال سعيد بن جبير في الآية أى لا تقفوا على أبواب الناس وقوله تعالى ( ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ) الآية هذه الآية الكريمة أحسن من التي قبلها وذلك أنها تقتضى جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير إذن كالبيت المد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى . قال ابن جرير قال ابن عباس ( لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ) ثم نسخ واستثنى فقال تعالى ( ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم وكذا روى عن عكرمة والحسن البصرى وقال آخرون : هي بيوت التجار كالحانات ومنازل الأسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة الأول أظهر والله أعلم ، وقال مالك عن زيد ابن أسلم هي بيوت الشعر

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سرماً كما رواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك عن عمرو بن جرير عن جده جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصرى . وكذا رواه الإمام أحمد عن هشيم بن يوسف بن عيينة به ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديثه أيضاً وقال الترمذى حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال « أطرق بصرى » بمعنى النظر إلى الأرض ، والصرف أهم فانه قد يكون إلى الأرض وإلى جهة أخرى والله أعلم وقال أبو داود حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى حدثنا شريك عن أبي ربيعة الأيادى

(١) في النسخة السكية : متغبط .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل « يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليس لك الآخرة » ورواه الترمذى من حديث شريك وقال غريب لانعرفه إلا من حديثه ، وفي الصحيح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا كم والجلوس على الطرقات » قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أيتم فأعطوا الطريق حقه » قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقال أبو القاسم البغوى حدثنا طلوت بن عباد حدثنا فضيل بن حسين سمعت أبا أمامة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « اكفوا إلى بستان كفل لكم الجنة ، إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا أوتى من فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف وعضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم » وفي صحيح البخارى « من يكفل لى ما بين لحيه وما بين رجليه أكفل له الجنة » وقال عبدالرزاق أنا ما معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال كل ماعصى الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ) ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب كما قال بعض السلف : النظر سهم سم إلى القلب . ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالى ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ) وحفظ الفرج تارة يكون بمنع من الزنا كما قال تعالى ( والذين هم لفروجهم حافظون ) الآية وتارة يكون بحفظه من النظر إليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك » ( ذلك أزكى لهم ) أى أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته ، ويروى في قلبه . وروى الإمام أحمد حدثنا عتاب . حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم ينظر إلى عاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجدها حلاوتها » وروى هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضى الله عنهم ولكن في أسانيدها ضعف إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح فيه ، وفي الطبرانى من طريق عبد الله بن زيد عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا « لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم » وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن زهير التستري قال : قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضري القرى حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا هريم بن سفيان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركه مخافتي أبدلته إيمانا يجده حلاوتها في قلبه » وقوله تعالى ( إن الله خبير بما يصنعون ) كما قال تعالى ( يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » رواه البخارى تعليقا ومسلم مسندا من وجه آخر بنحو ما ذكر وقد قال كثير من السلف إنهم كانوا ينهاون أن يجد الرجل نظره إلى الأمر وقد شد كثير من أمه الصوفية في ذلك وحرمة طائفه من أهل العلم لما فيه من الافتتان وشدت آخرون في ذلك كثيرا جدا وقال ابن الدنيا حدثنا أبو سعيد المدني حدثنا عمر بن سهل للمازنى حدثني عمر بن محمد بن صهبان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الدباب من خشية الله » عز وجل

﴿ وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِسْرَائِيلَ أَوْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ حَافِظِينَ ﴾

بُعُوتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ  
غَيْرِ أَوْلِيِّ الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطُّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ  
مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّةَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لمن عن صفة نساء الجاهلية وفعال  
الشركات وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن  
أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزوات فيبدو ما في أرجلهن من الخلل وتبدو  
صدورهن وذواتهن فقالت أسماء ما أصبح هذا فأنزل الله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) الآية فقوله تعالى  
(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) أي عماحرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، ولهذا ذهب كثير من العلماء  
إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً، واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود  
والترمذي من حديث الزهري عن نهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وميمونة قالت فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ  
«احتجبا منه» فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أو عميان  
أنتما؟ ألسنا تبصرانه» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن  
إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون  
بجراهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من وراءه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت. وقوله  
(ويحفظن فروجهن) قال سعيد بن جبير: عن الفواحش وقال قتادة وسفيان عمار لا يحل لمن وقال مقاتل عن الزنا،  
وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية (ويحفظن فروجهن)  
أن لا يراها أحد، وقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن  
إخفاؤه: قال ابن مسعود كالداء والثياب يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المتعة التي تجل ثيابها وما يبدو من  
أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه ونظيره في زى النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن  
إخفاؤه وقال بقول ابن مسعود، الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم، وقال الأعمش عن سعيد بن  
جبير عن ابن عباس (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) قال وجهها وكفيها والحاتم. وروى عن ابن عمر وعطاء وعكرمة  
وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك وهذا محتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي  
نهين عن إبدائها كما قال أبو إسحق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال في قوله (ولا يبدين زينتهن) الزينة القرط  
والدمالج والخلخال والقلادة، وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال: الزينة زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج: الحاتم والسوار  
وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب وقال الزهري لا يبدو لهؤلاء الدين ممي الله ممن لا تحل له إلا الأسورة  
والأخمة والأفرطة من غير حسر وأما عامة الناس فلا يبدو منها إلا الحواتم، وقال مالك عن الزهري (الإماظهر منها)  
الحاتم والخلخال. ومحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند  
الجمهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل  
الحراني قالا: حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر  
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح  
أن يرى منها إلا هذا» وأشار إلى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل. خالد بن دريك لم  
يسمع من عائشة رضي الله عنها والله أعلم وقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) يعني المقانع يعمل لها صفات

ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وتراثبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن كما قال تعالى ( يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ) وقال في هذه الآية الكريمة ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطي به الرأس وهي التي تسميها الناس القناع . قال سعيد بن جبير ( وليضربن ) وليشددن ( بخمرها على جيوبهن ) يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء ، وقال البخاري حدثنا أحمد بن شبيب حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) شققن مروطهن فاختمرن بها . وقال أيضاً حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : لما نزلت هذه الآية ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثني الزبجي بن خالد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت فذكرنا نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها إن لنساء قريش لفضلاً وإن الله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) اتقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرهل فاعتجرت به تصديقا وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان . ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به ، وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أن قررة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت رحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) شققن أكتف مروطهن فاختمرن بها . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به ، وقوله تعالى ( ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن ) أي أزواجهن ( أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن ) كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزيتتها ولكن من غير تبرج وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى بن يعقوب عن ابن هارون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ( ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ) حتى فرغ منها وقال لم يذكر العم ولا الحال لأنهما ينتعان لأبائهما ولا تضع خمارها عند العم والحال ، فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره . وقوله ( أو نسائهن ) يعني تظهر بزيتتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الامة لثلاث تصنفن لرجالهن وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الامة أشد فانهن لا يمتنعن من ذلك مانع فأما المسلمة فانها تعلم أن ذلك حرام فتتجزر عنه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تبشر المرأة المرأة تتعتها لزوجها كأنه ينظر إليها » أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن العازي عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة : أما بعد فإنه بلغني أن نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها . وقال مجاهد في قوله ( أو نسائهن ) قال نساؤهن المسلمات ليس الشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة أن تتكشف بين يدي مشركة ، وروى عبد الله في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أو نسائهن قال هن المسلمات لا تبديه لليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم ، وروى سعيد حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة لأن الله تعالى يقول ( أو نسائهن ) فليست من نسائهن ، وعن مكحول وعبادة بن نسي أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة ، فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا

ضمرة قال : قال ابن عطاء عن أبيه قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ بيت المقدس كان قوايل نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا إن صح فمحمول على حال الضرورة أو أن ذلك من باب الامتنان ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم . وقوله تعالى ( أو ما ملكت أيمانهن ) قال ابن جرير يعنى من نساء المشركين فيجوز لها أن تظهر زينتها لها ، وإن كانت مشركة لأنها أمتها وإليه ذهب سعيد بن المسيب ، وقال الأكترون بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذى رواه أبو داود حدثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جميع سالم بن دينار عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب إذا تفتت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ماتلقى قال « إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلارك » . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة خديج الحمصى مولى معاوية أن عبد الله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة وأنه قد كان النبي ﷺ وهبه لابنته فاطمة فربته ثم أعتقه ثم قد كان بعد ذلك كله برز مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضى الله عنه . وروى الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن نهران عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان لاحدا كن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه » ورواه أبو داود عن مسدد عن سفيان به وقوله تعالى ( أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ) يعنى كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء وهم مع ذلك في عقولهم وله وحب ، ولاهمة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن قال ابن عباس هو الغفل الذى لا شهوة له . وقال مجاهد هو الأبله ، وقال عكرمة هو الخنث الذى لا يقوم ذكره ، وكذلك قال غير واحد من السلف ، وفى الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن عثنا كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينعت امرأة يقول إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم » فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطعم . وروى الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة أنها قالت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها عثنت وعندها عبد الله بن أبي أمية يعنى أخاها والخنث يقول : يا عبد الله إن فتح الله عليك الطائف غدا فعليك بانه غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثان قال فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأم سلمة « لا يدخلن هذا عليك » أخرجاه فى الصحيحين من حديث هشام ابن عروة وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعثنت وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نساءه وهو ينعت امرأة ، فقال إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثان فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا » فحجبه ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به عن أم سلمة وقوله تعالى ( أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ) يعنى لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن فى المشية وحركاتهن وسكناتهن فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فأما إن كان مراهقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشهوة والحسنة فلا يمكن من الدخول على النساء ، وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إياكم والدخول على النساء » قيل يا رسول الله أفرأيت الجن ؟ قال « الحمالموت » وقوله تعالى ( ولا يضرين بأرجلهن ) الآية كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت تمشى فى الطريق وفى رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه فنبى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفى دخل فى هذا النهى لقوله تعالى ( ولا يضرين بأرجلهن ) إلى آخره ومن ذلك أنها نهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها فقد قال أبو عيسى الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا

يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا » ، وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح رواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به . وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لقيته امرأة شم منهار مع الطيب ولذيلها عصا فقال يا أمية الجبار حثت من للمسجد ؟ قالت نعم . قال لها : بطيبت قالت نعم . قال إني سمعت حبي أبا القاسم عليه السلام يقول « لا قبل لله صلاة امرأة طيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغسل غسلها من الجنابة » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به . وروى الترمذي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لانورها » ومن ذلك أيضاً أنه ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج . قال أبو داود حدثنا الثعلبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن ابن أبي العيثان عن شداد بن أبي عمرو بن حماس عن أبيه عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد ، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء « استأخرن فانه ليس لكن أن تحتضن الطريق ، عليكن بحافات الطريق » وكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به وقوله تعالى ( وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) أى افعلوا ما أمركم به من هذا الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو المستعان

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَا تَبَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَنْكِرُوا فِيهَا لِيَسْئَلَكُمُ عَلَى الْبِنَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ كُرْهِيهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

اشتملت هذه الآيات الكريمات البينة على حمل من الأحكام المحكمة والأوامر البرمة فقوله تعالى ( وأنكحوا الأيماي منكم ) إلى آخره هذا أمر بالتزويج . وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » وفي رواية « حتى بالسقط » الأيماي جميع أيم ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما حكاه الجوهري عن أهل اللغة ، يقال رجل أيم وامرأة أيم . وقوله تعالى ( إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ) الآية قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبتهم الله في التزويج وأمر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه النبي فقال ( إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الأزرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد — يعني ابن عبد العزيز — قال بلغني أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من النبي قال تعالى ( إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ) وعن ابن مسعود : التمسوا النبي

في النكاح . يقول الله تعالى ( إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ) رواه ابن جرير وذكر البخوي عن عمر نحوه . وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والكااتب يريد الأداء والغايزي في سبيل الله » رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه بتلك المرأة وجعل صداقها عليه أن يعلمها مامعه من القرآن . والمهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله ، وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث « تزوجوا فقراء يغنكم الله » فلا أصل له ولم أره بإسناد قوى ولا ضعيف إلى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الأحاديث التي أوردناها والله الحمد والمنة ، وقوله تعالى ( وليستغفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ) هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجاً بالتعفف عن الحرام كما قال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » الحديث ، وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله ( ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات - إلى قوله - وأن تصبروا خير لكم ) أي صبركم عن تزوج الإماء خير لكم لأن الولد ينجي رقيقاً ( والله غفور رحيم ) قال عكرمة في قوله ( وليستغفف الذين لا يجدون نكاحاً ) قال هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فليستغف في ملكوت السموات والأرض حتى يغنيه الله وقوله تعالى ( والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاوتهم إن علمتم فيهم خيراً ) هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكاتبهم بشرط أن يكون للمبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه ، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب لا أمر تحتم وإيجاب بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه ، قال الثوري عن جابر عن الشعبي إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه ، وكذا روى ابن وهب عن إسحاق بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح إن يشأ كاتبه وإن يشأ لم يكاتبه وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري ، وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلى ما طلب أخذاً بظاهر هذا الأمر . وقال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أوجب على إذا علمت له مالا أن أ كاتبه ، قال ما أراه إلا واجباً ، وقال عمرو بن دينار قلت لعطاء أتأثره عن أحد ، قال : لا ، ثم أخبرني أن موسى بن أنس أخبره أن سيرين سألت أنس المكاتب وكان كثير المال فأبى فأنطلق إلى عمر رضي الله عنه فقال كاتبه فأبى فضربه بالدرية وبتأمر عمر رضي الله عنه ( فكاوتهم إن علمتم فيهم خيراً ) فكاوته هكذا ذكره البخاري معلقاً ، ورواه عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء : أوجب على إذا علمت له مالا أن أ كاتبه ؟ قال ما أراه إلا واجباً . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبته إسناد صحيح ، وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جوير عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قول الشافعي وذهب في الجديد إلى أنه لا يجب لقوله عليه السلام « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس » وقال ابن وهب قال مالك : الأمر عندنا أنه ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك ولم أسمع أحداً من الأئمة أكره أحداً على أن يكاتب عبده . قال مالك وإنما ذلك أمر من الله تعالى وإذن منه للناس وليس بواجب ، وكذا قال الثوري وأبو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية ، وقوله تعالى ( إن علمتم فيهم خيراً ) قال بعضهم أمانة وقال بعضهم صداقاً ، وقال بعضهم مالا ، وقال بعضهم حيلة وكسباً ، وروى أبو داود في الراسيل عن يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فكاوتهم إن علمتم فيهم خيراً ) قال « إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلاً على الناس » : وقوله تعالى ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) اختلف القسرون فيه فقال بعضهم معناه اطرحوهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع ، وقيل الثلث ، وقيل النصف ، وقيل جزء من الكتابة من غير حد ،

وقال آخرون بل المراد من قوله (وآتوم من مال الله الذي آتاكم) هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكاة وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ومقاتل بن حيان واختاره ابن جرير وقال إبراهيم النخعي في قوله (وآتوم من مال الله الذي آتاكم) قال حث الناس عليه مولاة وغيره ، وكذا قال بريدة بن الحصيب الأسلمي وقتادة ، وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب ، وقد تقدم في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة حق على الله عونهم » فذكر منهم المكاتب يريد الأداء والقول الأول أشهر ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية فجاه بنجمه حين حل فقال يا أبا أمية اذهب فاستعن به في مكاتبك فقال يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نجم ؟ قال أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ ( فكتبوم إن علمتم فيهم خيرا وآتوم من مال الله الذي آتاكم ) قال عكرمة فكان أول نجم أدى في الإسلام ، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون بن الفيرة عن عمنسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبا لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع إليه صدقته ، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وآتوم من مال الله الذي آتاكم) قال ضعوا عنهم من مكاتبهم ، وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي بزة وعبد الكريم ابن مالك الجزري والسدي ، وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته ، وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان المقرئ أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء ابن السائب أن عبد الله بن جندب أخبره عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ربيع الكتابة » وهذا حديث غريب ورفعه منكر والأشبه أنه موقوف على علي رضي الله عنه كما رواه أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله وقوله تعالى (ولا تكروها فتياتكم على البغاء) الآية كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة في ذلك غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول فإنه كان له إماء فكان يكرههن على البغاء طلبا للخراجين ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم .

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نزلت (ولا تكروها فتياتكم على البغاء) الآية ، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في أمة لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مسيكة كان يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأني فأنزل الله هذه الآية (ولا تكروها فتياتكم على البغاء) - إلى قوله - ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الأعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية يقال لها مسيكة وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله (ولا تكروها فتياتكم على البغاء) - إلى قوله - ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) صرح الأعمش بالسماع من أبي سفيان بن طلحة ابن نافع فدل على بطلان قول من قال لم يسمع منه إنما هو صحيفة حكاه البزار ، وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت أولادا من الزنا فقال لها مالك لاتزنين قالت والله لا أزني فأنزل الله عز وجل (ولا تكروها فتياتكم على البغاء) ، وروى البزار أيضا حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحق عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نزلت (ولا تكروها فتياتكم على البغاء) إن أردن تحصنا - إلى قوله - ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم)



وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن أبي أسيراً وكانت لعبد الله بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الأسير يريد بها على نفسها وكانت مسلمة وكانت تمتنع منه لاسلامها وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده، فقال تبارك وتعالى ( ولا تسكروا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا ) . وقال السدي أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وكانت له جارية تدعى معاذة وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له فأقبلت الجارية إلى أبي بكر رضى الله عنه فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره بهبضها فصاح عبد الله بن أبي من يعذرتنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا فأنزل الله فيهم هذا ، وقال مقاتله بن حيان بلغني والله أعلم أن هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما إحداهما اسمها مسيكة وكانت للانصار ، وكانت أم مسيكة لعبد الله بن أبي وكانت معاذة وأروى بتلك اللزلة فأتت مسيكة وأمها النبي صلى الله عليه وسلم فذكرتا ذلك له فأنزل الله في ذلك ( ولا تسكروا فتياتكم على البغاء ) يعنى الزنا ، وقوله تعالى ( إن أردن تحصنا ) هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، وقوله تعالى ( لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ) أى من خراجهن ومهورهن وأولادهن وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان الكاهن ، وفي رواية « مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث ، وممن الكلب خبيث » وقوله تعالى ( ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ) أى لمن كما تقدم في الحديث عن جابر . وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فإن فعلتم فإن الله لمن غفور رحيم وإعمن على من أكرههن وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والأعمش وقناة : وقال أبو عبيد حدثني إسحق الأزرق عن عوف عن الحسن في هذه الآية ( فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ) قال لمن والله لمن والله : وعن الزهري قال غفور لمن ما أكرهن عليه وعن زيد بن أسلم قال غفور رحيم للسكرهات ، حكاه ابن المنذر في تفسيره بأسانيد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قال في قراءة عبد الله بن مسعود ( فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ) لمن وإعمن على من أكرههن ، وفي الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ولما فصل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبينها قال تعالى ( ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ) يعنى القرآن فيه آيات واضحات مفسرات ( ومثلاً من الدين خلوا من قبلكم ) أى خبرا عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى ( فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ) أى زاجراً عن ارتكاب المآثم والمحارم ( وموعظة للمتقين ) أى لمن اتقى الله وخافه . قال على بن أبي طالب رضى الله عنه في صفة القرآن : فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله

﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ كُلُّ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ( الله نور السموات والأرض ) يقول هادى أهل السموات والأرض . قال ابن جرير قال مجاهد وابن عباس في قوله ( الله نور السموات والأرض ) يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهب بن راشد عن فرقة عن أنس بن مالك قال : إن الله يقول نورى هدى واختار هذا القول ابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالصة عن أبي ابن كعب في قوله تعالى ( الله نور السموات والأرض مثل نوره ) قال هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن

في صدره فضرب الله مثله فقال ( الله نور السموات والأرض ) فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به ، قال فكان أبي بن كعب يقرؤها ( مثل نور من آمن به ) فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن عباس أنه قرأها كذلك ( مثل نور من آمن بالله ) وقرأ بعضهم ( الله منور السموات والأرض ) وعن الضحاك ( الله نور السموات والأرض ) وقال السدي في قوله ( الله نور السموات والأرض ) فبنوره أضاءت السموات والأرض وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف « اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يجعلني غيبك أو ينزل بي سخطك لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله » وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهم ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن » الحديث ، وعن ابن مسعود قال إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله تعالى ( مثل نوره ) في هذا الضمير قولان ( أحدهما ) أنه عائد إلى الله عز وجل أي مثل هداه في قلب المؤمن قاله ابن عباس ( كشكاة ) والثاني ( أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كشكاة ، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى ( أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ) فشبه قلب المؤمن في صفاته في نفسه بالتعديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف ، فقوله ( كشكاة ) قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد : هو موضع الفتيلة من القنديل هذا هو الشهور ولهذا قال بعده ( فيها مصباح ) وهو الزبالة التي تضيء . وقال العوفي عن ابن عباس قوله ( الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء ؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى ( الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة ) والمشكاة كوة في البيت ، قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا ثم سماها أنواعا شتى ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد : هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفذ لها وعن مجاهد المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الأول أولى وهو أن المشكاة هو موضع الفتيلة من القنديل ولهذا قال ( فيها مصباح ) وهو النور الذي في الزبالة ، قال أبي بن كعب المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره وقال السدي هو السراج ( المصباح في زجاجة ) أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية ، وقال أبي بن كعب وغير واحد وهي نظير قلب المؤمن ( الزجاجة كأنها كوكب دري ) قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در ، وقرأ آخرون دري ودرى بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدرء وهو الدفع ، وذلك أن النجم إذا رمى به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال ، والعرب تسمى ما لا يعرف من الكواكب درارى ، قال أبي بن كعب : كوكب مضى ، وقال قتادة مضى ميين ضخم ( يوقد من شجرة مباركة ) أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة ( زيتونة ) بدل أو عطف بيان ( لاشرقية ولا غربية ) أي ليست في شرق بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ولا في غربها فيقلص عنها النور قبل الغروب بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار إلى آخره فيجىء زيتها صافيا معتدلا مشرقا ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن سالك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ( زيتونة لا شرقية ولا غربية ) قال هي شجرة بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يوارها شيء وهو أجود لزيتهما وقال يحيى بن سعيد القطن عن عمران بن جرير عن عكرمة في قوله تعالى ( لاشرقية ولا غربية ) قال هي بصرحاء وذلك أصفى لزيتهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة وسألته رجل عن قوله تعالى ( زيتونة لا شرقية ولا غربية ) قال تلك زيتونة بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها فإذا غربت غربت عليها فذلك أصفى ما يكون من الزيت وقال مجاهد في قوله تعالى ( لاشرقية ولا غربية ) قال ليست بشرقية لا تصيبها

الشمس إذا غربت ولا غربية لاتصيها الشمس إذا طلعت ولكنها شرقية وغربية تصيها إذا طلعت وإذا غربت .  
وعن سعيد بن جبير في قوله ( زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ) قال هو أجمود الزيت قال إذا طلعت  
الشمس أصابتها من صوب الشرق فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيها بالعداء والعشى فتلك  
لا تعد شرقية ولا غربية . وقال السدي قوله ( زيتونة لاشرقية ولا غربية ) يقول ليست بشرقية يحوزها الشرق ولا  
غربية يحوزها المغرب دون الشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيها الشمس النهار كله . وقيل المراد بقوله  
تعالى ( لاشرقية ولا غربية ) أنها في وسط الشجر ليست بادية للمشرق ولا للمغرب ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع  
ابن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله تعالى ( زيتونة لاشرقية ولا غربية ) قال هي خضراء ناعمة لاتصيها  
الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت قال فكذلك هذا المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من القاتن  
وقد يتلى بها فيثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ، إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن ابتلى صبر ، وإن أعطى  
شكر فهو في سائر الناس كالرجل الحى يمشى في قبور الأموات ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد  
قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله ( زيتونة لاشرقية ولا غربية ) قال هي وسط الشجر  
لاتصيها الشمس شرقا ولا غربا ، وقال عطية العوفي ( لاشرقية ولا غربية ) قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى  
ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تعرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا  
عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله  
تعالى ( لاشرقية ولا غربية ) ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية ، وقال  
محمد بن كعب القرظي ( لاشرقية ولا غربية ) قال هي القبلية ، وقال زيد بن أسلم ( لاشرقية ولا غربية ) قال الشام وقال  
الحسن البصرى لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره ، وقال  
الضحالك عن ابن ( تود من شجرة مباركة ) قال رجل صالح ( زيتونة لاشرقية ولا غربية ) قال لا يهودى ولا نصرانى ،  
وأولى هذه الأقوال القول الأول وهو أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تفرعه  
من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصنى لزيتها وألطف كما قال عير واحد ممن تقدم ولهذا قال تعالى ( يكاد زيتها يضيء  
ولو لم تمسسه نار ) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى لضوء إشراق الزيت ، وقوله تعالى ( نور على نور ) قال العوفي عن  
ابن عباس يعنى بذلك إيمان العبد وعمله ، وقال مجاهد والسدي يعنى نور النار ونور الزيت ، وقال ابن كعب ( نور  
على نور ) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى نور  
يوم القيامة إلى الجنة وقال ثمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأبحار فقال حدثني عن قول الله تعالى ( يكاد  
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ) قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت  
أن يضيء . وقال السدي في قوله تعالى ( نور على نور ) قال نور النار ونور الزيت حين اجتماع أضاء ولا يضيء واحد بغير  
صاحبه كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماع فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه . وقوله تعالى ( يهدي الله لنوره  
من يشاء ) أى يرشد الله إلى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو  
حدثنا إبراهيم بن محمد الفزارى حدثنا الأوزاعى حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب  
من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » طريق أخرى عنه قال البرار  
حدثنا أيوب عن سويد عن يحيى بن أبي عمرو السيبانى عن أبيه عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
« إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم نوراً من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل » ورواه البرار  
عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه . وقوله تعالى ( ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ) لما  
ذكر تعالى هذا مثلاً لنور هداية في قلب المؤمن ختم الآية بقوله ( ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم )

أى هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال . قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهو وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجة فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق ، عرف ثم أنكرو وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها السم والقيح فأى المدين غلبت على الأخرى غلبت عليه » إسناده جيد ولم يخرجوه

﴿ فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاج الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالتعديل مثلاً ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوت التي يعبد فيها ويوحّد فقال تعالى ( في بيوت أذن الله أن ترفع ) أى أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها . كما قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة ( في بيوت أذن الله أن ترفع ) قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان ابن أبي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المنسرين . وقال قتادة هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها . وقد ذكر لنا أن كعباً كان يقول : مكتوب في التوراة إن بيوتى في الأرض للمساجد وإنه من توطأ فأحسن وضوءه ثم زارنى في بيتى أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر رواه عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره : وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطيبها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت في ذلك جزءاً على حدة والله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكرها هنا طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » أخرجه في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله بيتاً في الجنة » وللنسائي عن عمرو بن عبسة مثله والأحاديث في هذا كثيرة جداً وعن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب . رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي ، ولأحمد وأبي داود عن مرة بن جندب نحوه وقال البخارى قال عمر : ابن للناس ما يكتنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس ، وروى ابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم » وفي إسناده ضعف . وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أمرت بتشديد المساجد » قال ابن عباس أزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذى وعن بريدة أن رجلاً أنشد في المسجد فقال من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له » رواه مسلم . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتاع وعن تناشد الأشعار في المساجد . رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حسن . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد

فقولوا لأربع الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا لاردها الله عليك » رواه الترمذى وقال حسن غريب ، وقدرى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال : خصال لا تنبغي في المسجد : لا يتخذ طريقاً ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم فيه ولا يضرب فيه حد ولا يقتص فيه أحد ولا يتخذ سوقا ، وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جنبوا المساجد صيانتكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيفوكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع » ورواه ابن ماجه أيضا وفي إسنادهما ضعف ، أما أنه لا يتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء الرووفيه إلا الحاجة إذا وجد مندوحة عنه ، وفي الأثر إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا يصل في فيه ، وأما أنه لا يشهر فيه السلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل فلما يخشى من إصابة بعض الناس بكثرة المصلين فيه ، ولهذا أمر رسول الله ﷺ إذا مر رجل بسهام أن يقبض على نصالها لئلا يؤذى أحدا كما ثبت ذلك في الصحيح وأما النهي عن المرور باللحم التي فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلوث ، وأما أنه لا يضرب فيه حد ولا يقتص منه فلما يخشى من إيجاد النجاسة فيه من المضروب أو المقطوع ، وأما أنه لا يتخذ سوقا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فإنه إنما بنى لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد « إن المساجد لم تبين لهذا إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها » ثم أمر بسجل من ماء فأهريق على بوله وفي الحديث الثاني « جنبوا مساجدكم صيانتكم » وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالحققة وهي اللرة وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدا « ومجانينكم » يعنى لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدى إلى اللعب فيها ولما يخشى من تعديهم المسجد ونحو ذلك « وبيعكم وشراءكم » كما تقدم « وخصوماتكم » يعنى التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء على أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأفضية في المسجد بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والألفاظ التي لاتناسبه ، ولهذا قال بعده « ورفع أصواتكم » وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الجعد بن عبد الرحمن قال : حدثني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد الكندى قال : كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتني بهذين فحشته بهما فقال من أتيا ؟ أو من أين أتيا ؟ قالوا من أهل الطائف . قال لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي : حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال ، أتدرى أين أنت ؟ وهذا أيضا صحيح وقوله « وإقامة حدودكم وسل سيفوكم » تقديما وقوله « واتخذوا على أبوابها المطاهر » يعنى المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريبا من مسجد رسول الله ﷺ آبار<sup>(١)</sup> يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضئون وغير ذلك . وقوله « وجمروها في الجمع » يعنى بجمروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ ، وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة . إسناده حسن لا بأس به والله أعلم وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا » وذلك أنه إذا تهاوضا فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرج به إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة . فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة . وعند الدارقطنى مرفوعا « لا صلاة لرجل المسجد إلا في المسجد » وفي السنن « بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة » ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى وأن يقول كما ثبت في صحيح البخارى<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول

(١) في النسخة المكية : أباريق (٢) هو في ابن داود .

الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد يقول « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم . وروى مسلم بسنده عن أبي حميد أو أبي أسيد قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك » ورواه النسائي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل : اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » ورواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن حسين عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وإسناده ليس بمتصل لأن فاطمة بنت حسين الصغرى لم تدرك فاطمة الكبرى فهذا الذى ذكرناه مع ما تركناه من الأحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى ( في بيوت أذن الله أن ترفع ) وقوله ( ويذكر فيها اسمه ) أى اسم الله كقوله ( يا بى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ) وقوله ( وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ) وقوله ( وأن الساجد لله ) الآية . وقوله تعالى ( ويذكر فيها اسمه ) قال ابن عباس يعنى يتلى كتابه ، وقوله تعالى ( يسبح له فيها بالغدو والآصال ) أى في البكرات والعشيات . والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعنى بالغدو صلاة الغداة ويعنى بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما وأن يذكرهما عباده . وكذا قال الحسن والضحاك ( يسبح له فيها بالغدو والآصال ) يعنى الصلاة ، ومن قرأ من القراء ( يسبح له فيها بالغدو والآصال ) بفتح الباء من ( يسبح ) على أنه مسمى لما يسبح فاعله وقف على قوله ( والآصال ) وقفاتا وابتدأ بقوله ( رجال لاتلهمم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) وكأنه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة \* ومختبط بما تطيح الطوائع

كأنه قال : من يبكيه قال هذا يبكيه ، وكأنه قيل من يسبح له فيها ، قال رجال . وأما على قراءة من قرأ ( يسبح ) بكسر الباء فجعله فعلا وفاعله ( رجال ) فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل لأنه تمام الكلام فقوله تعالى ( رجال ) فيه إشعار بهمهمم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التى بها صاروا عمارا للمساجد التى هى بيوت الله فى أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتزنيه كما قال تعالى ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ) الآية وأما النساء فصلاتهن فى بيوتهن أفضل لهن لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها ، وصلاتها فى محضها أفضل من صلاتها فى بيتها »

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني عمرو عن أبي السمح عن السائب مولى أم سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » وقال أحمد أيضا : حدثنا هرون أخبرني عبد الله بن وهب حدثنا داود بن قيس عن عبد الله بن سويد الأنصارى عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدى أنها جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني أحب الصلاة معك . قال « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك ، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك ، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدي » قال فأمرت فبني لها مسجد فى أقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى ، لم يخرجوه . هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذى أحداً من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كائنت فى الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إمام الله مساجد الله » رواه البخارى ومسلم ، ولأحمد وأبى داود « ويوتن خير لمن » وفي رواية « وليخرجن وهن تفلت » أى لاربح لمن . وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً » وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس ، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت : لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل . وقوله تعالى ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ) الآية وقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ) الآية يقول تعالى لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذيها وربحها عن ذكر ربهم الذى هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذى عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لأن ما عندهم ينفذ وما عند الله باق ، ولهذا قال تعالى ( لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ) أى يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم ، قال هشيم عن شيان قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوماً من أهل السوق حيث نودى للصلاة المكتوبة تركوا يبايعاتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرمانى عن سالم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عبد الله بن بكير الصنعانى حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله بن بجير حدثنا أبو عبد ربه قال : قال أبو الدرداء رضى الله عنى قمت على هذا المخرج أبايع عليه أربع كل يوم ثلثمائة دينار أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد أما إني لا أقول إن ذلك ليس بحلال ولكنى أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) وقال عمرو بن دينار الأعور كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فمرنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) ثم قال هم هؤلاء ، وكذا قال سعيد ابن أبى الحسن والضحاك لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها . وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشترون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة ، وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس ( لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) يقول عن الصلاة المكتوبة ، وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس وقال السدى عن الصلا في جماعة . وقال مقاتل بن حيان لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مواقيتها وما استخفهم الله فيها ، وقوله تعالى ( يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ) أى يوم القيامة الذى تتقلب فيه القلوب والأبصار أى من شدة الفزع وعظمة الأهوال كقوله ( وأنذرهم يوم الآزقة ) الآية وقوله ( إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ) وقال تعالى ( ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً \* إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً \* إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً \* فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا \* وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ) وقوله تعالى ههنا ( ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ) أى هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ( ويزيدهم من فضله ) أى يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم كما قال تعالى ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة ) الآية وقال تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) الآية وقال ( من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً ) الآية وقال ( والله يضاعف لمن يشاء ) وقال ههنا ( والله يرزق من يشاء بغير حساب ) وعن ابن مسعود أنه جرى بلبن فمرضه على جلسائه واحداً واحداً فكلهم لم يشربه لأنه كان صائماً فتناوله ابن مسعود فشربه لأنه كان مفطراً ثم تلا قوله ( يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ) رواه النسائى

وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عنه . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقم الذين لاتبهيم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الخلائق » وروى الطبراني من حديث بقة عن إسماعيل بن عبد الله الكندي عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله ( ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله ) قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَمَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّنَّانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُمْ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كظلماتٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعى الكفار كما ضرب للمناقين في أول البقرة مثلين ناريا ومائيا وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائيا وناريا ، وقد تكلمنا على كل منها في موضعه بما أغنى عن إعادته وله الحمد والمنة . فأما الأول من هذين الثلثين فهو للكفار البطالة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الأمر على شيء فثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض من بعد كأنه بحر طام ، والقية جمع قاع كجار وجيرة ، والقاع أيضا واحد القيعان كما يقال جار وجيران وهي الأرض المستوية المنتعمة المنبسطة وفيه يكون السراب ، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار وأما الآل فإنما يكون أول النهار يرى كأنه ماء بين السماء والأرض فاذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماء قصده ليشرب منه فلما انتهى إليه ( لم يجده شيئا ) فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوفس على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قبل إما لعدم الإخلاص أو لعدم سلوك الشرع كما قال تعالى ( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ) وقال ههنا ( ووجد الله عنده فوفاه حسابا والله سريع الحساب ) وهكذا روى عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقنادة وغير واحد . وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد عزير بن الله . فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون ؟ فيقولون يا رب عطشنا فاسقنا فيقال ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سرب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتهاقون فيها ، وهذا المثال مثال لذوى الجهل للركب فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطاطم الأغشام القلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فثلهم كما قال تعالى ( أو كظلمات في بحر لجي ) قال قنادة ( لجي ) هو العميق ( ينشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ) أى لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط القلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب ؟ قال معهم ، قيل قالى أين يذهبون ، قال لا أدري وقال . العوف عن ابن عباس رضى الله عنهما ( ينشاه موج ) الآية يعنى بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ) الآية وكقوله ( أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ) الآية وقال ابن كعب في قوله تعالى ( ظلمات بعضها فوق بعض ) فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار ، وقال السدى والربيع بن أنس نحو ذلك أيضا ، وقوله تعالى ( ومن لم يجعل الله له نورا فما له نورا ) أى من لم يهده الله فهو هالك



جاهل حائل بائر كافر كقولہ ( من يضل الله فلا هادي له ) وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين ( يهدي الله لنوره من يشاء ) فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورا وعن أيماننا نورا وعن شمائلنا نورا وأن يعظم لنا نورا

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَمَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

يغير تعالى أنه يسبح له من في السموات والأرض أي من الملائكة والأناسي والجان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ) الآية : وقوله تعالى ( والطير صافات ) أي في حال طيرانها تسبح ربه وتعبده بتسبيح أطمها وأرشدتها إليه وهو يعلم ما هي فاعلة ولهذا قال تعالى ( كل قد علم صلاته وتسبيحه ) أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل . ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ولهذا قال تعالى ( والله عليم بما يفعلون ) ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض فهو الحاكم المتصرف الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا معقب لحكمه ( وإلى الله المصير ) أي يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء ( ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ) الآية فهو الخالق المالك أله الحكم في الدنيا والآخرة وله الحمد في الأولى والآخرة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ \* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشأها وهي ضعيفة وهو الاجزاء ( ثم يؤلف بينه ) أي يجمعه بعد تفرقه ( ثم يجعله ركاما ) أي متراكما أي يركب بعضه بعضاً ( فتري الودق ) أي المطر ( يخرج من خلاله ) أي من خلاله وكذا قرأها ابن عباس والضحاك ، قال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله الميثرة فتقم الأرض قسا ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله ، وقوله ( وينزل من السماء من جبال فيها من برد ) قال بعض النحاة ( من ) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبويض والثالثة لبيان الجنس وهذا إنما يجيء على قول من ذهب من المفسرين إلى أن قوله ( من جبال فيها من برد ) معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد ، وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فإن من الثانية عند هذا لابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الأولى والله أعلم ، وقوله تعالى ( فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ) يحتمل أن يكون المراد بقوله ( فيصيب به ) أي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله ( فيصيب به من يشاء ) رحمة لهم ( ويصرفه عن من يشاء ) أي يؤخر عنهم الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ( فيصيب به ) أي بالبرد تقمة على من يشاء لما فيه من شر ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم ويصرفه عن من يشاء رحمة بهم ، وقوله ( يكاد سنا برفه يذهب بالأبصار ) أي يكاد ضوء برفه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته وتراءته . وقوله تعالى ( يقلب الله الليل والنهار ) أي يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرا ويقصر الذي كان طويلا والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ( إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ) أي للدلالة على عظمته تعالى كما قال تعالى ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الأبصار ) وما بعدها من الآيات الكريمة

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

﴿ عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد ( فمنهم من يمشي على بطنه ) كالحية وما شاكلها ( ومنهم من يمشي على رجلين ) كالإنسان والطيور ( ومنهم من يمشي على أربع ) كالأنعام وسائر الحيوانات ولهذا قال ( يخلق الله ما يشاء ) أى بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال ( إن الله على كل شيء قدير )

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم والحكم والأمثال البينة المحكمة كثيراً جداً وأنه يرشد إلى تفهمها وتعقلها أولى الأبواب والبصائر والنهى ولهذا قال ( والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم )

﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوثِرَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ \* وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ \* أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ أُنذِرُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوثِرَكَ لَهُمُ الظَّالِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوثِرَكَ لَهُمُ اللَّهُ لِحُوقِ \* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُوثِرَكَ لَهُمُ الْفَازِزُونَ ﴾

يخبر تعالى عن صفات الناققين الذين يظهرون خلاف ما يبيطون يقولون قولاً بالستهم ( آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ) أى يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون مالا يفعلون ولهذا قال تعالى ( وما أوثرك بالمومنين ) وقوله تعالى ( وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ) الآية أى إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا فى أنفسهم عن اتباعه وهذه كقولته تعالى ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك - إلى قوله - رأيت الناققين يصدون عنك صدوداً ) وفى الطبرانى من حديث روح بن عطاء عن أبى ميمونة عن الحسن عن سمرة مرفوعاً « من دعى إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحق له » وقوله تعالى ( وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ) أى وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنى قوله ( مذعنين ) وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلى غير الحق وأحب أن يتحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم ليروج باطله ثم . فاذنانه أو لا لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق بل لأنه موافق لهواه ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه إلى غيره ولهذا قال تعالى ( أفى قلوبهم مرض ) الآية يعنى لا يخرج أمرهم عن أن يكون فى القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك فى الدين أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم فى الحكم ، وأيا ما كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات ، وقوله تعالى ( بل أولئك هم الظالمون ) أى بل هم الظالمون الفاجرون ، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محق أذعن وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيقضى له بالحق ، وإذا أراد أن يظلم فدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأعرض وقال أنطلق إلى فلان فأنزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان بينه وبين أخيه شيء فدعى

إلى حكم من حكام المسلمين فأبى أن يجيب فهو ظالم لاحق له « وهذا حديث غريب وهو مرسل ، ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ورسوله الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال ( إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ) أى سمعنا وطاعة . ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من الرهوب فقال تعالى ( وأولئك هم المفلحون ) وقال قتادة في هذه الآية ( أن يقولوا سمعنا وأطعنا ) ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقيبا بدريا أحد ثقباء الأنصار أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا لك ؟ قال بلى قال فان عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل ، وأن لاتنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعضية الله بواحا فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله . وقال قتادة : ذكر لنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله ، ولا خير إلا في جماعة والنصيحة لله ورسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة ، قال وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاء الله أمر المسلمين . رواه ابن أبي حاتم والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله أكثر من أن تحصر في هذا المكان وقوله ( ومن يطع الله ورسوله ) قال قتادة : يطع الله ورسوله فيما أمره به وترك ما نهى عنه ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل . وقوله ( فأولئك هم الفاتحون ) يعنى الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلى الله عليه وسلم لئن أمرتهم بالخروج في النزول ليخرجن ، قال الله تعالى ( قل لا تقسموا ) أى لا تحلفوا ، وقوله ( طاعة معروفة ) قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أى قد علم طاعتكم إنما هى قول لافعل معه وكما حلفتكم كذبتهم كما قال تعالى ( يحلفون لكم لترضوا عنهم ) الآية . وقال تعالى ( اتخذوا أيمانهم جنة ) الآية ، فهم من سجيبتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى ( ألم تر إلى الذين ناقضوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معهم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون \* لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ) وقيل المعنى في قوله ( طاعة معروفة ) أى ليكن أمركم طاعة معروفة أى بالمعروف من غير حلف ولا أقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكونوا أنتم مثلهم ( إن الله خبير بما تعملون ) أى هو خير بكم وعن يطيع ممن يعصى ، فالحلف واظهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج على الخلق فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس بل هو خير بضائر عبادته وإن أظهروا خلافها ثم قال تعالى ( قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) أى اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله . وقوله تعالى ( فإن تولوا ) أى تولوا عنه وتركوا ما جاءكم به ( فإنما عليه ما حمل ) أى إبلاغ الرسالة وآداء الأمانة ( وعليكم ما حملتم ) أى بقبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه ( وإن تطيعوه تهتدوا ) وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم ( صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ) الآية وقوله تعالى ( وما على الرسول إلا البلاغ المبين ) كقوله تعالى ( فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ) وقوله ( فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر ) قال وهب بن منبه ، أوحى الله إلى نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له شعيا

أن قم في بني إسرائيل فاني سأطلق لسانك بوحي ققام فقال : يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقضى شأناً ويدبر أمراً هو منفذه إنه يريد أن يحول الريف إلى الفلاة والآجام إلى الغيطان والأنهار في الصحارى والنعمة في الفقراء والملك في الرعاة ويريد أن يبعث أمياً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق لو يمر على السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمضى على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه بشيراً ونذيراً لا يقول الخنى أفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، وأسدده بكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعمو والمعروف خلقه ، والحق شريعته والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخلة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فثاماً من الناس عظيماً من المهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدون مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد. وليبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة : فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخير والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها . وأخذ الجزيرة من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو القوقس . وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه . ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعد موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب ومهداها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها . وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة رضى الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للنبي الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخالفهما من بلاد حوران وما والها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة . ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ققام بالأمر بعده قياماً تاماً لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله . وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس . وكسر كسرى وأهان غاية المهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالها في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ، ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هناك الأندلس وقبرص : وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجبى الحجاج من المشرق والمغرب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح

أن رسول الله ﷺ قال « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » فهأنحن  
نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذى يرضيه عنا  
قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا ابن أبى عمير حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة  
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يزال أمر الناس ماضيا ما أولهم اثنا عشر رجلا » ثم تكلم  
النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عنى فسألت أبى ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال قال « كلهم من  
قريش » ورواه البخارى من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به ، وفى رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم معاذ  
ابن مالك وذكر معه أحاديث أخر وفى هذا الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلا وليسوا هم  
بأئمة الشيعة الاثني عشر فان كثيرا من أولئك لم يكن لهم من الأمر شيء ، فأما هؤلاء فانهم يكونون من قريش يكونون  
فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم فى الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم فى الأمة  
متتابعاً ومتفرقاً ، وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ثم كانت بعدهم  
فترة ثم وجد منهم من شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من بقى فى الوقت الذى يعلمه الله تعالى . ومنهم المهدي الذى اسمه  
يطابق اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وقد روى الإمام  
أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
رسول الله ﷺ قال « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً » وقال الربيع بن أنس عن أبى  
العالية فى قوله ( وعد الله الدين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الدين من قبلهم  
وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ) الآية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
بمكة نحو من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سرّاً ، وهم خائفون لا يؤمرون  
بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يمسون فى السلاح ويصبحون  
فى السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله ثم إن رجلاً من الصحابة قال يا رسول الله أبرد الدهر نحن خائفون هكذا ؟  
أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس  
الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة » وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب  
فآمنوا ووضعوا السلاح . ثم إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين فى إمارة أبى بكر وعمر  
وعثمان حتى وقعوا فيها وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فآخذوا الحجة والشرط وغيروا فغيرهم وقال بعض  
السلف خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حق فى كتاب الله ثم تلا هذه الآية ، وقال البراء بن عازب نزلت هذه  
الآية ونحن فى خوف شديد ، وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى ( واذكروا إذا أتم قليل مستضعفون فى الأرض  
— إلى قوله — لعلكم تشكرون ) وقوله تعالى ( كما استخلف الذين من قبلهم ) كما قال تعالى عن موسى عليه السلام  
أنه قال لقومه ( عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض ) الآية وقال تعالى ( ونريد أن نمن على الذين  
استضعفوا فى الأرض ) الآيتين . وقوله ( وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ) الآية كما قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لعدي بن حاتم حين وفد عليه « أتعرف الحيرة ؟ » قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال « فوالذى  
نفسى بيده ليؤمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظئينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد ، ولتفتحن  
كنوز كسرى بن هرمز » قلت كسرى بن هرمز ؟ قال « نعم كسرى بن هرمز ، وليبدلن المال حتى لا يقبله أحد » قال  
عدي بن حاتم فهذه الظئينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى  
ابن هرمز ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها . وقال الإمام أحمد حدثنا  
عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبى سلمة عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله  
ﷺ « بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين فى الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة

للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب « وقوله تعالى ( يعبدونني لا يشركون بي شيئا ) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا  
 همام حدثنا قتادة عن أنس أن معاذ بن جبل حدثه قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ليس بيني  
 وبينه إلا آخرة الرحل قال « يا معاذ » قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال : ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل »  
 قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل » قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال « هل  
 تدري ما حق الله على العباد ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » قال ثم  
 سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل » قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال « فهل تدري ما حق العباد على الله إذا  
 فعلوا ذلك ؟ قال قلت لله ورسوله أعلم قال « فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم » أخرجاه في الصحيحين من حديث  
 قتادة وقوله تعالى ( ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) أي فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن  
 أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما ، فالصحابة رضی الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل  
 وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغرب وأيدهم تأييدا عظيما وحكموا في سائر العباد  
 والبلاد ، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه  
 عن رسول الله ﷺ أنه قال « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم  
 القيامة - وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - حتى يقاتلوا الدجال - وفي رواية - حتى ينزل  
 عيسى بن مريم وهم ظاهرون » وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ  
 فِي الْأَرْضِ وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا فِي السَّمَاءِ مُنَادِينَ ﴾

يقول تعالى أمرآ عباده المؤمنين باقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى  
 المخلوقين ضفائهم وقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين لرسول الله ﷺ أي سالكين وراعه فيما به أمرهم ، وترك  
 ما عنه زجرهم ، لعل الله يرحمهم بذلك ، ولا شك أن من فعل هذا أن الله سيرحمهم كما قال تعالى في الآية الأخرى ( أولئك  
 سيرحمهم الله ) . وقوله تعالى ( لا تحسبن ) أي لا تظنن يا محمد أن ( الذين كفروا ) أي خالفوك وكذبوك ( معجزين  
 في الأرض ) أي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى ( وما أوهام ) أي في  
 الدار الآخرة ( النار ولبس المسير ) أي بشس المال مآل الكافرين ، وبشس القرار وبشس المهاد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
 مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ  
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
 لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ  
 ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض وما تقدم في أول السورة فهو استئذان

الأجانب بعضهم على بعض ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال (الأول) من قبل صلاة الغداة لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى في وقت القبولة لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله (ومن بعد صلاة العشاء) لأنه وقت النوم فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال لما يخشى من أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال ولهذا قال (ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أى إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم فى تمكينكم إياهم ولا عليهم إن رأوا شيئا فى غير تلك الأحوال لأنه قد أذن لهم فى الهجوم ولأنهم طوافون عليكم أى فى الخدمة وغير ذلك . ويقتصر فى الطوافين مالا يقتصر فى غيرهم ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى الهرة «إنها ليست بنجسة إنها من الطوافين عليكم أو الطوافات» . ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء وكان عمل الناس بها قليلا جدا أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخر الآية ، والآية التى فى سورة النساء (وإذا حضر القسمة أولو القربى) الآية ، والآية التى فى الحجرات (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفى لفظ له أيضا من حديث إسمايل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخر الآية . وروى أبو داود حدثنا ابن الصلاح وابن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه أخبرنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإنى لأمر جاريتى هذه تستأذن على قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به ، وقال الثورى عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال : لم تنسخ قلت فإن الناس لا يعملون بها فقال : الله المستعان وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان فى ثلاث عورات التى أمر الله بها فى القرآن فقال ابن عباس : إن الله يستيرجب الستر ، كان الناس ليس لهم سطور على أبوابهم ولا حجال فى بيوتهم فرجما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمة فى حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا فى تلك العورات التى سمى الله . ثم جاء الله بعد بالستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذى أمروا به . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه أبو داود عن القعنبى عن الدروردي عن عمرو بن أبي عمر به : وقال السدى كان اناس من الصحابة رضى الله عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم فى هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمرؤا الملوكن والعلمان أن لا يدخلوا عليهم فى تلك الساعات إلا بإذن ، وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم أن رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد صنعا للنبي ﷺ طعاما فجعل الناس يدخلون بغير إذن : فقالت أسماء يارسول الله ما أقبح هذا إنه يدخل على المرأة وزوجها وهما فى ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأنزل الله فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخرها ومما يدل على أنها محكمة لم تنسخ قوله (كذلك بين الله لكم الآيات والله حكيم عليم) ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) . يعنى إذا بلغ الأطفال الذين إنما كانوا يستأذنون فى العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعنى بالنسبة إلى أجانهم وإلى الأحوال التى يكون الرجل على امرأته ، وإن لم يكن فى الأحوال الثلاث .

قال الأوزاعى عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رابعيا فانه يستأذن فى العورات الثلاث على أبويه ، فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال فى قوله (كما استأذن الذين من قبلهم) يعنى كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه ، وقوله (واقواعد من النساء) قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقناة

هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد (اللاتي لا يرجون نكاحاً) أى لم يبق لهن تشوف إلى الزوج (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) أى ليس عليها من الحجر في التستر كما على غيرها من النساء قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد الروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (وقل للمؤمنات يفضن من أبصارهن) الآية ففسخ واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً الآية . قال ابن مسعود في قوله (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) قال الجلباب أو الرداء وكذلك روى عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهرى والأوزاعي وغيرهم ، وقال أبو صالح تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار وقال سعيد بن جبير وغيره في قراءة عبد الله بن مسعود (أن يضعن من ثيابهن) وهو الجلباب من فوق الخمار فلا بأس أن يضعن عند غريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار ضفيق . وقال سعيد بن جبير في الآية (غير متبرجات بزينة) يقول لا يتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من الزينة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبد الله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار بن ميمون حدثنا طلحة بن عاصم عن أم المصاعن (١) أنها قالت دخلت على عائشة رضی الله عنها فقلت يا أم المؤمنين ما تقولين في الحجاب والنفاض والصباغ والقرطين والحلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق فقالت : يا معشر النساء قصتن كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات ، أى لا يجل لكن أن يروا منك محرماً . وقال السدي كان شريك لي يقال له مسلم ، وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان فجاء يوماً إلى السوق وأثر الحناء في يده فسألته عن ذلك فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال إن شئت أدخلتك عليها فقلت نعم فأدخلني عليها فإذا هي امرأة جليلة فقلت لها إن مسلماً حدثني أنه خضب رأسك فقالت نعم يا بني إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت . وقوله (وأن يستعففن خير لهن) أى وترك وضعن لثيابهن ، وإن كان جائزاً خير وأفضل لهن والله مبيح علم

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يَمَانُكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

اختلف المفسرون رحمهم الله في المعنى الذي رفع لأجله الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض ههنا فقال عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقال إنها نزلت في الجهاد وجعلوا هذه الآية ههنا كالتى في سورة الفتح وتلك في الجهاد لاحالة أى أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه - إلى قوله - أن لا يجدوا ما ينفقون) وقيل المراد ههنا أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمى لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره إلى ذلك ولا مع الأعرج لأنه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جلسه والمريض لا يستوفى من الطعام كغيره فكرهوا أن يؤاكلوهم لتلا يظلمهم فأنزل الله هذه الآية رخصة في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم ، وقال الضحاك كانوا

(١) لم نر هذا الاسم في كتب أسماء الرواة وفي النسخة الأميرية أم الضاء



قبل البعثة يتخرجون من الأكل مع هؤلاء تقديراً وتميزاً ولئلا يتفضلوا عليهم فأنزل الله هذه الآية . وقال عبد الرزاق  
أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ( ليس على الأعمى حرج ) الآية قال كان الرجل يذهب بالأعمى  
أو بالأعرج أو بالمريض إلى بيت أبيه أو أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمى يتخرجون من  
ذلك يقولون إنما يذهبون بنا إلى بيوت عشيرتهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم ، وقال السدى كان الرجل يدخل بيت أبيه أو  
أخيه أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى ( ليس على الأعمى حرج )  
الآية وقوله تعالى ( ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ) إنما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ وليسوا به  
ما بعده في الحكم وتضمن هذا بيوت الأبناء لأنه لم ينص عليهم ولهذا استدل بهذا من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة  
مال أبيه ، وقد جاء في المسند والسنة من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أنت ومالك لأبيك »  
وقوله ( أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم - إلى قوله - أو مملكتكم مفاتيح ) هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة  
الأقارب بعضهم على بعض كما هو مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما ، وأما قوله ( أو مملكتكم  
مفاتيح ) فقال سعيد بن جبيرة والسدى : هو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام  
بالمعروف وقال الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان المسلمون يذهبون في النفي مع رسول الله  
ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمائمهم ويقولون قد أحللتنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه فكانوا يقولون إنه لا يحل  
لنا أن نأكل منهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء فأنزل الله ( أو مملكتكم مفاتيح ) وقوله  
( أو صديقكم ) أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الأكل منها إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليهم ولا  
يكرهون ذلك ، وقال قتادة إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه وقوله ( ليس عليكم جناح أن  
تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية وذلك لما أنزل الله ( يا أيها الذين آمنوا  
لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) قال المسلمون إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل  
من الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله ( ليس على الأعمى حرج - إلى  
قوله - أو صديقكم ) وكانوا أيضاً يأفنون ويتخرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله  
لهم في ذلك فقال ( ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ) وقال قتادة : كان هذا الحى من بني كنانة يرى أحدهم  
أن مخزاة عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتى إن كان الرجل ليسوق اللود الحفل وهو جائع حتى يجد من يؤاكله  
ويشاربه فأنزل الله ( ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ) فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده  
ومع الجماعة وإن كان الأكل مع الجماعة أبرك وأفضل كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد  
ابن مسلم عن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نأكل ولا نشبع . قال  
« لعلكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه » ورواه أبو داود وابن ماجه  
من حديث الوليد بن مسلم به ، وقد روى ابن ماجه أيضاً من حديث عمرو بن دينار القهرمانى عن سالم عن أبيه عن عمر  
عن رسول الله ﷺ أنه قال « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة » وقوله ( فإذا دخلتم بيوتاً فسلوا  
على أنفسكم ) قال سعيد بن جبيرة والحسن البصرى وقاتة والزهري يعنى فليسلم بعضكم على بعض ، وقال ابن جريج  
أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيت  
إلا يوجهه قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال ابن جريج  
قلت لعطاء أو أجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم ؟ قال لا ولا أوتر وجوبه عن أحد ولكن هو أحب إلى  
وما أذعه إلا ناسياً . وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد قتل السلام على رسول الله ، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم  
وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد قتل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى الثوري عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد  
إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد قتل بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقال

قناة : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك . وحدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثني حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن أنس قال : أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال قال « يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيك من أمي تكثر حسناتك ، وإذا دخلت - يعني بيتك - فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك . يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة » . وقوله ( تحية من عند الله مباركة طيبة ) قال محمد بن إسحق حدثني داود بن الحصين عن غكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول : ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله سمعت الله يقول ( فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ) فالتشهد في الصلاة : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ثم يدعو لنفسه ويسلم . وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن إسحق . والندى في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ يخالف هذا والله أعلم وقوله ( كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ) لما ذكر تعالى ما في هذه السور الكريمة من الأحكام المحكمة والشرائع اللقنة المبرمة نبه تعالى عباده على أنه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويعقلوها لعلهم يعقلون

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنِ الَّذِينَ يُسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

وهذا أيضاً أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإن من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ولهذا قال ( فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم ) الآية . وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسدد قالا حدثنا بشر هو ابن الفضل عن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم الأولى بأحق من الآخرة » وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حديث حسن

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَلِّفُونَ عَنِّ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فهام الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبية صلى الله عليه وسلم قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير . وقال قتادة : أمر الله أن يهاب نبية صلى الله عليه وسلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود : وقال مقاتل في قوله ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ) يقول لا تسموه إذا دعوتهم باسمهم ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ) قال أمرهم الله أن يشرفوه

هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ) إلى آخر الآية وقوله ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون - إلى قوله - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون \* ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ) الآية فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعندده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته . والقول الثاني في ذلك أن المعنى في ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ) أى لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره فإن دعاءه مستجاب فاحذروا أن يدعوا عليكم قهلاً كما حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصرى وعطية العوفى والله أعلم . وقوله ( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا ) قال مقاتل ابن حيان هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة ويعنى بالحديث الخطبة فيلوذون ببعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بأذن من النبي ﷺ في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل لأن الرجل منهم كان إذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بطلت جمعته وقال السدى : كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذب بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراه ، وقال قتادة في قوله ( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا ) يعنى لوأذا عن نبي الله وعن كتابه . وقال سفيان ( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا ) قال من الصف ، وقال مجاهد في الآية ( لوأذا ) خلافاً . وقوله ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) أى عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنياً وظاهراً ( أن تصيبهم فتنه ) أى في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ( أو يصيبهم عذاب أليم ) أى في الدنيا بقتل أو حبس أو حبس أو نحو ذلك كما روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفرائش وهذه الدواب اللأى يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمن فيها - قال - فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتتفحمون فيها » أخرجه من حديث عبد الرزاق

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال ( قد يعلم ما أنتم عليه ) وقد للتحقيق كما قال قبلها ( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا ) وقال تعالى ( قد يعلم الله المعوقين منكم ) الآية وقال تعالى ( قد سمع الله قول التي تجادلك ) الآية وقال ( قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) وقال ( قد نرى تقلب وجهك في السماء ) الآية فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بقدر كقول المؤذن تحقياً وثبوتاً : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة . فقوله تعالى ( قد يعلم ما أنتم عليه ) أى هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة كما قال تعالى ( وتوكل على العزيز الرحيم - إلى قوله - إنه هو السميع العليم ) وقوله ( وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ) وقال تعالى ( أئن هو قائم على كل نفس بما كسبت ) أى هو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر ، وقال

تعالى ( ألا حين يستعشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ) وقال تعالى ( سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ) الآية وقال تعالى ( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين ) وقال ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً . وقوله ( ويوم يرجعون إليه ) أى ويوم يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة ( فينبئهم بما عملوا ) أى يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقيق وصغير وكبير كما قال تعالى ( نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ) وقال ( ووضع الكتب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ) ولهذا قال ههنا ( ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ) والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام . آخر تفسير سورة التور والله الحمد والمنة .

### ﴿ تفسير سورة الفرقان مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ

يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرًا \* تَقْدِيرًا ﴾

يقول تعالى حامدا لنفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى ( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيباً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ) الآية وقال ههنا ( تبارك ) وهو تفاعل من البركة المستقرة الثابتة الدائمة ( الذي نزل الفرقان ) نزل فعل من التسكر والتسكر كقوله ( والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ) لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن نزل منجماً مفزلاً آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة ( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به قؤادك ورتلتناه تزيلاً ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ) ولهذا سماه ههنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والحق والرشاد والحلال والحرام وقوله ( على عبده ) هذه صفة مدح وثناء لأنه أضافه إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي ليلة الإسراء فقال ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ) وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ) وكذلك وصفه عند أنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ) وقوله ( ليكون للعالمين نذيراً ) أى إنما خصه بهذا الكتاب الفصل العظيم المبين المحكم الذي ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) الذي جعله فرقاناً عظيماً ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال <sup>عليه السلام</sup> « بعثت إلى الأحمر والأسود » وقال « إني أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي » قد كرمهن : أنه « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » كما قال تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الآية أى الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون وهو الذي يحيي ويميت ، وهكذا قال ههنا ) الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ) ونزه نفسه عن الولد وعن الشريك . ثم أخبر أنه ( خلق كل شيء قديره تقديراً ) أى كل شيء مما سواه مخلوق مربوب وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه وكل شيء تحت قهره وتدييره وتسخيره وتقديره

﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ

مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾

يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء المالك لأزمة الأمور التي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا معه من الأصنام مالا يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا كيف يملكون لعابديهم؟ (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل الذي هو يحيي ويميت ، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم ( ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلعج البصر) وقوله (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) ( إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعا لدينا محضرون) فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة إلا له لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذي لا أول له ولا والد ولا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ لِإِبْرَاهِيمَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُكْتَبَتْهَا فِيهِ تُمَلَّىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن سخافة عقول الجاهلة من الكفار في قولهم عن القرآن ( إن هذا إلا إفك ) أي كذب (اقتراه) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ( وأعانه عليه قوم آخرون ) أي واستعان على جمعه بقوم آخرين فقال الله تعالى ( فقد جاءوا ظلما وزورا ) أي فقد افتروا هم قولا باطلا وهم يعلمون أنه باطل ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه ( وقالوا أساطير الأولين اكتبها ) يعنون كتب الأوائل أي استسخنها ( فهي تملئ عليه ) أي تقرأ عليه ( بكرة وأصيلا ) أي في أول النهار وآخره وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم كل أحد يعلم بطلانه فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني شيئا من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحووا من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة حتى إنهم كانوا يسمونه في صغره ، وإلى أن بعث الأمين ، لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها وحاروا فيما يقدفونه به فتارة من إفكهم يقول ساجر وتارة يقولون شاعر وتارة يقولون مجنون وتارة يقولون كذاب، وقال الله تعالى ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) وقال تعالى في جواب ما عاندوا ههنا واقتروا ( قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ) الآية أي أنزل القرآن للشمع على أخبار الأولين والآخرين اخبارا حقا صدقا مطابقا للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا ( الذي يعلم السر ) أي الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر ، وقوله تعالى ( إنه كان غفورا رحيمًا ) دعاء لهم إلى التوبة والانابة وإخبارهم بأن رحمته واسعة وأن حلمه عظيم ، مع أن من تاب إليه تاب عليه، فهؤلاء مع كذبهم واقتراهم وفجورهم وبهتانهم وكفرهم وعنادهم وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا يدعوهم إلى التوبة والاقبال عما هم فيه إلى الإسلام والهدى كما قال تعالى ( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم \* أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ) وقال تعالى ( إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ) قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْسُخُ مِنْهُ نَذِيرًا \*

أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا \* أَنْظِرْ  
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا \* تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ  
جَدَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُجُورًا \* بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ  
سَعِيرًا \* إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا \* وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّبِينَ دَعَوْا  
هُنَالِكَ ثُبُورًا \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿

يُخبر تعالى عن نعت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وإنما تعللوا بقولهم (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) يعنون كأنما كله ويحتاج إليه كما يحتاج إليه (ويمشى في الأسواق) أي يتردد فيها وإيها طلبا للتكسب والتجارة (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) يقولون هلا أنزل إليه ملك من عند الله فيكون له شاهداً على صدق ما يدعيه وهذا كما قال فرعون (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا (أوليتني إليه كنز) أي علم كنز ينفق منه (أو تكون له جنة يأكل منها) أي تسير معه حيث سار، وهذا كله سهل يسير على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) قال الله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا) أي جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف تكذيبهم واقتراءهم في ذلك ولهذا قال (فضلوا) عن طريق الهدى (فلا يستطيعون سبيلاً) وذلك أن كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فانه ضال حيثما توجه لأن الحق واحد ومنهجه متحد يصدق بعضه بعضاً ثم قال تعالى مخبراً نبيه أنه إن شاء آتاه خيراً مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) الآية، قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصر كبيراً كان أو صغيراً قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيشمة قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم نعطه نبياً قبلك، ولا نعطي أحداً من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال «اجمعوها لي في الآخرة» فأنزل الله عز وجل في ذلك (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) الآية وقوله (بل كذبوا بالساعة) أي إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيباً وعناداً لا أنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً بل تكذيبهم يوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال (وأعتدنا) أي أروصدنا (لمن كذب بالساعة سعيراً) أي عذاباً ألياً حاراً لا يطاق في نار جهنم قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير (السعير) واد من قبح جهنم وقوله (إذا رأتهم) أي جهنم (من مكان بعيد) يعني في مقام المحشر. قال السدي من مسيرة مائة عام (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) أي حنقا عليهم كما قال تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ) أي يكاد يفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله، وروى ابن أبي حاتم حدثنا إدريس بن حاتم بن الأخنف الواسطي أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي عن أصعب بن زيد عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك بإسناده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يقل على ما قل أو ادعى إلى غير والديه أو اتقى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية - فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً « قيل يا رسول الله وهل لها من عينين؟ قال أما سمعت الله يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد) « الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خدش عن محمد بن يزيد الواسطي به وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال خرجنا مع عبد الله يعني ابن مسعود ومعنا الربيع بن خيثم فرأوا على حداد قيام عبد الله ينظر إلى

حديدة في النار ، وينظر الربيع بن خيثم اليها فهايل الربيع ليسقط ثم عبد الله على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية ( إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ) فصعق يعني الربيع وحملوه إلى أهل بيته فرابطه عبد الله إلى الظهر فلم يبق رضي الله عنه ، وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن العبد ليجر إلى النار فتشبه إليه شهقة البغلة إلى الشعر ثم تزفر زفرة لا يبق أحد إلاخاف ، هكذا رواه ابن أبي حاتم بإسناده مختصرا ، وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد ابن إبراهيم الدورقي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد بإسناده إلى ابن عباس قال : إن الرجل ليجر إلى النار فتزوي وتنقبض بعضها إلى بعض فيقول لها الرحمن مالك ؟ قالت إنه يستجير مني فيقول أرسلوا عبيدي وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك ؟ فيقول أن تسعني رحمتك ، فيقول أرسلوا عبيدي وإن الرجل ليجر إلى النار فتشبه اليه النار شهقة البغلة إلى الشعر وتزفر زفرة لا يبق أحد إلاخاف وهذا إسناد صحيح : وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله ( سمعوا لها تغيظا وزفيرا ) قال إن جهنم لتزفر زفرة لا يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه ترتد فرائصه حتى إن إبراهيم عليه السلام ليخثو على ركبتيه ويقول : رب لا أسألك اليوم إلا نفسي . وقوله ( وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين ) قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال : مثل الزج في الرمح أي من ضيقه . وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن قول الله ( وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين ) قال « والذي نفسي بيده إنهم ليستكروهن في النار كما يستكروه الودد في الحائط » وقوله ( مقرنين ) قال أبو صالح يعني مكتمين ( دعوا هنالك ثبورا ) أي بالويل والحسرة والحية ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) الآية . روى الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادى يابوراه وينادون يابورهم حتى يقفوا على النار فيقول يابوراه ويقولون يابورهم فيقال لهم لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا » لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان به ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) الآية أي لاتدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا ، وقال الضحاك الثبور : الهلاك والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والحسار والدمار كما قال موسى لفرعون ( وإني لأظنك يافرعون مشبورا ) أي هالكا قال عبد الله بن الزبير

إذ أجارى الشيطان في سنن العبي ومن مال ميله مشبور

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلًا ﴾

يقول تعالى : يا محمد هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم فتلقاهم بوجه عبوس وتغيظ وزفير ويلقون في أما كينها الضيق مقرنين لا يستطيعون حرا ولا استنصارا ولا فكا كما سماهم فيه أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاء ومصيرا على ما أطاعوه في الدنيا وجعل ما لهم اليها ( لهم فيها ما يشاءون ) من نلاد من ما كل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبدا دائما سرمدا بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا يبغون عنها حولا وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم ولهذا قال ( كان على ربك وعدا مستولا ) أي لا بد أن يقع وأن يكون كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض علماء

المرية أن معنى قوله ( وعدا مسئولا ) أى وعدا واجبا . وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ( كان على ربك وعدا مسئولا ) يقول فسألوا الذى وعدهم وتجزوه ، وقال محمد بن كعب القرظى فى قوله ( كان على ربك وعدا مسئولا ) إن الملائكة تسأل لهم ذلك ( ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ) . وقال أبو حازم إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا عملنا لك بالذى أمرتنا فأجز لنا ما وعدتنا فذلك قوله ( وعدا مسئولا ) وهذا المقام فى هذه السورة من ذكر النار ثم التنبيه على حال أهل الجنة كما ذكر تعالى فى سورة الصافات حال أهل الجنة وما فيها من النضرة والخبور ثم قال ( أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم \* إنا جعلناها فتنة للظالمين \* إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم \* طلعها كأنه رؤوس الشياطين \* فإنهم لا يكلون منها فالثون منها البطون \* ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم \* ثم إن مرجعهم لىلى الجحيم إنهم ألفوا آباءهم ضالين \* فهم على آثارهم يهرعون ) .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا \* قَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عما يقع يوم القيامة من تفريع الكفار فى عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم فقال ( ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ) قال مجاهد هو عيسى والوزير والملائكة ( فيقول أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء ) الآية أى فيقول تبارك وتعالى للمعبودين أأنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دونى أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى ( وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلمين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ) الآية ولهذا قال تعالى مخبرا عما يجيب به للعبدون يوم القيامة ( قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) قرأ الأكترون بفتح النون من قوله ( تتخذ من دونك من أولياء ) أى ليس للخالق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك لأنهم ولا هم فحن مادعوناهم إلى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى ( ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك ) الآية وقرأ آخرون ( ما كان ينبغى لنا أن نتخذ<sup>(١)</sup> من دونك من أولياء ) أى ما ينبغى لأحد أن يعبدنا فإننا عبيد لك فقراء إليك وهى قريبة المعنى من الأولى ( ولكن متعتهم وآباءهم ) أى طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أى نسوا ما أنزلته اليهم على السنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك ( وكانوا قوما بورا ) قال ابن عباس أى هلكى ، وقال الحسن البصرى ومالك عن الزهرى أى لا خير فيهم . وقال ابن الزبير حين أسلم :

يارسول اللئيك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الله ومن مىله مشبور

قال الله تعالى ( فقد كذبوكم بما تقولون ) أى فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يقربونكم إلى الله زلفى كقوله تعالى ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) وقوله ( فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ) أى لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم ( ومن يظلم منكم ) أى يشرك بالله ( نذقه عذابا كبيرا )

(١) أى بضم النون وفتح الحاء .



﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين أنهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذية به ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالمهم ومنصبهم فان الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والأقوال الفاضلة والأعمال الكاملة والحوارق الباهرة والأدلة الظاهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاءوا به من الله ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ) وقوله ( وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ) الآية وقوله تعالى ( وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ) أى اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع من يعصى ولهذا قال ( أتصبرون وكان ربك بصيرا ) أى بمن يستحق أن يوحى إليه كما قال تعالى ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك ، وقال محمد بن إسحق في قوله ( وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ) قال: يقول الله لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفون لعلت ولكنى قد أردت أن أبتلى العباد بهم وأبتليكم بهم وفى صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى إني مبتليكم ومبتلى بك » وفى المسند عن رسول الله ﷺ « لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة » وفى الصحيح أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا \* يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا \* وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا \* أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْقَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تعنت الكفار في كفرهم ، وعنادهم في قولهم ( لولا أنزل علينا الملائكة ) أى بالرسالة كما تنزل على الأنبياء كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى ( قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ) ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا ( لولا أنزل علينا الملائكة ) فإنهم عيانا فيخبرونا أن محمدا رسول الله كقولهم ( أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ) وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ولهذا قالوا ( أو نرى ربنا ) ولهذا قال الله تعالى ( لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ) وقد قال تعالى ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى ) الآية وقوله تعالى ( يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ) أى هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرؤهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار ، والغضب من الجبار فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : أخرجى أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، أخرجى إلى صوم وعقيم وظل من محموم فتأبى الخروج وتفرق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى ( ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ) الآية وقال تعالى ( ولو ترى إذ الظالمون في سحرة الموت والملائكة باسطوا أيديهم ) أى بالضرب ( أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ) ولهذا قال في هذه الآية الكريمة ( يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ) وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فانهم يبشرون بالخيرات ، وحصول السرور . قال الله تعالى ( إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ) وفى الحديث الصحيح عن البراء بن عازب : ان

الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب إن كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان . وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم عند قوله تعالى ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ) وقال آخرون : بل المراد بقوله ( يوم يرون الملائكة لا بشرى ) يعني يوم القيامة ، قاله مجاهد والضحاك وغيرها ، ولا منافاة بين هذا وما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين يوم المات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتبخر الكافرين بالحية والخسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين ( ويقولون حجرا محجورا ) أى وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح اليوم . وأصل الحجر المنع ومنه يقال حجر القاضى على فلان إذا منعه التصرف إما لفسه أو سفه أو ضرر أو نحو ذلك ، ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لأنه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه وإنما يطاف من ورائه ومنه يقال للعقل حجر لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يلدق والغرض أن الضمير في قوله ( ويقولون ) عائد على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقنادة وعطية العوفى وعطاء الخراسانى وخفيف وغير واحد واختاره ابن جرير

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا موسى يعنى ابن قيس عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى فى الآيه ( ويقولون حجراً محجوراً ) قال حراماً محرماً أن يبشر بما يبشر به المتقون ، وقد حكى ابن جرير عن ابن جريج أنه قال ذلك من كلام المشركين ( يوم يرون الملائكة ) أى يتعوزون من الملائكة ، وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقول ( حجراً محجوراً ) وهذا القول وإن كان له مأخذ ووجه ولكنه بالنسبة إلى السياق بعيد لا سيما وقد نص الجمهور على خلافه ، ولكن قد روى ابن أبى نجيح عن مجاهد أنه قال فى قوله ( حجراً محجوراً ) أى عوداً معاداً فيحتمل أنه أراد ما ذكره ابن جريج ولكن فى رواية ابن أبى حاتم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنه قال ( حجراً محجوراً ) عوداً معاداً الملائكة تقول ذلك فإله أعلم . وقوله تعالى ( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ) الآية هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التى ظنوا أنها منجاة لهم شيء ، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعى إما الإخلاص فيها وإما التابعة لشرع الله . فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل ، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ ولهذا قال تعالى ( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ) قال مجاهد والثورى ( وقدمنا ) أى عمدنا وكذا قال السدى وبعضهم يقول أتينا عليه . وقوله تعالى ( فجعلناه هباء منثوراً ) قال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن الحارث عن على بن رضى الله عنه فى قوله ( هباء منثوراً ) قال شعاع الشمس إذا دخل الكوة ، وكذا روى من غير هذا الوجه عن على ، وروى مثله عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدى والضحاك وغيرهم ، وكذا قال الحسن البصرى هو الشعاع فى كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ( هباء منثوراً ) قال هو الماء المهرق ، وقال أبو الأحوص عن أبى إسحق عن الحارث عن على ( هباء منثوراً ) قال الهباء وهج الدواب ، وروى مثله عن ابن عباس أيضاً والضحاك وقاله عبد الرحمن بن زبدين أسلم وقال قنادة فى قوله ( هباء منثوراً ) قال أمارأيت بيس الشجر إذا ذرته الريح ؟ فهو ذلك الورق ، وقال عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن أبى سريع الطائى عن عبيد بن يعلى قال وإن الهباء الرماد إذا ذرته الريح وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء ، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذى لا يجوز ولا يظلم أحداً إذا إنهم لاشيء بالكلية ، وشبهت فى ذلك بالشئ التافه الحقيق المتفرق الذى لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية كما قال تعالى ( مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ) الآية وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى - إلى قوله تعالى - لا تقدرن على شيء مما كسبوا ) وقال تعالى ( والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ) وتقدم الكلام على تفسير ذلك والله الحمد والمنة . وقوله تعالى ( أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ) أى يوم القيامة ( لا يستوى

أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وذلك أن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات والرفقات الآمنات فهم في مقام أمين حسن النظر طيب التمام (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) وأهل النار يصيرون إلى الدرجات السافلات والحشرات المتتابعات وأنواع العذاب والعقوبات (إنها ساءت مستقرا ومقاما) أي بشئ المنزل منظرا وبشئ القليل مقاما ولهذا قال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي بما عملوه من الأعمال المتقبلة نالوا ما نالوا وصاروا إلى ما صاروا إليه بخلاف أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد يقتضى دخول الجنة لهم والنجاة من النار فنبه تعالى بحال السعداء على حال الأشقياء وأنه لا خير عندهم بالكلية فقال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال الضحاك عن ابن عباس: إنما هي ساعة فيقول أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ويقيم أعداء الله مع الشياطين مقرنين. وقال سعيد بن جبير: يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقيم أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال الله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال عكرمة إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهلهم للقبولة فينصرف أهل النار إلى النار، وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قبولتهم في الجنة وأطعموا كبد حوت فأشبعهم كلهم وذلك قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال سفيان عن ميسرة عن النهال عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: لا ينتصف النهار حتى يقيم هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقرأ (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم): وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال قالوا في الغرف من الجنة وكان حسابهم إذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى (فأما من أتى كتابه يمينه فسوف يحاسبه حسابا يسيرا) \* وينقلب إلى أهله مسرورا) وقال قتادة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) مأوى ومنزلا وقال قتادة وحدث صفوان بن محرز أنه قال: يجاء برجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا إلى الحمرة والبياض فيحاسب فإذا عبد لم يعمل خيرا قط فيؤمر به إلى النار والآخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يارب ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به فيقول الله: صدق عبدى فأرسلوه فيؤمر به إلى الجنة ثم يتركان ما شاء الله، ثم يدعى صاحب النار فاذا هو مثل الجملة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شرمقيل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت؟ فيقول رب خير مقيم فيقال له عد. رواها ابن أبي حاتم كلها، وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس وأنهم يتقلبون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)

﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمِّمِ وَتُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا \* الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا \* وَيَوْمَ يَمُضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَلْحَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يُوبِلَتْنِي لَيِّنَتِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالتمام وهو ظلل النور العظيم الذي يهر الأَبصار ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخالق في مقام الحشر ثم يحىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء. قال مجاهد وهذا كما قال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة نزيلا) قال ابن عباس

رضى الله عنهما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والإنس والبهائم والطيور وجميع الخلق  
فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والإنس وبجميع الخلق  
ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والإنس وجميع الخلق وهم أكثر من  
أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن  
جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق ، ثم كذلك كل سماء على ذلك  
التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والإنس ومن  
جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والإنس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا  
عز وجل في ظلل من النعام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والإنس ، وجميع الخلق  
لهم قرون كأكب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ما بين أخص قدم أحدهم  
إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حوزته (١) مسيرة خمسمائة عام  
وما بين حوزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام. وما فوق ذلك مسيرة  
خمسمائة عام وجهنن محسه ، هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني  
الحجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه  
السماء إذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الأنس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض  
فيقول أهل الأرض جاء ربنا ؟ فيقولون لمجيء وهو آت ثم تنشق السماء الثانية ثم سماء على قدر ذلك من التضعيف  
إلى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والإنس . قال فتنزل  
الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه  
مسيرة سبعين سنة . قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه (٢) يقول سبحانه الملك  
القدوس وعلو رؤسهم شيء مبسوط كأنه القنا والعرش فوق ذلك ثم وقف فمداره على طي بن زيد بن جدعان وفيه  
ضعف في سياقاته غالباً وفيها نكارة شديدة ، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا والله أعلم ، وقد قال  
الله تعالى ( فيومئذ وقعت الواقعة \* وانشقت السماء فهي يومئذ واهية \* والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك  
فوقهم يومئذ ثمانية ) قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون : سبحانه اللهم ومحمدك لك الحمد على حلمك  
بعد علمك . وأربعة منهم يقولون : سبحانه اللهم ومحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه وقال أبو بكر  
ابن عبد الله إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم من فوقهم شخصت إليه أبصارهم ورجفت كلامهم في أجوافهم  
وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم . قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا المعتز بن  
سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال : يهبط الله عز وجل حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف  
حجاب منها النور والظلمة فيضرب الماء في تلك الظلمة صوتاً تتخلع له القلوب وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو من كلامه  
ولعله من الزاملتين والله أعلم

وقوله تعالى ( الملك يومئذ الحق للرحمن ) الآية كما قال تعالى ( لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ) وفي الصحيح  
أن الله تعالى يطوى السموات يمينه ويأخذ الأرضين بيده الأخرى ثم يقول : أنا الملك أنا الديان أين ملوك الأرض ؟  
أين الجبارون أين المتكبرون ؟ وقوله ( وكان يوماً على الكافرين عسيراً ) أي شديداً صعباً لأنه يوم عدل وقضاء  
فضل كما قال تعالى ( فذلك يومئذ يوم عسير \* على الكافرين غير يسير ) فهذا حال الكافرين في هذا اليوم ، وأما  
المؤمنون فكما قال تعالى ( لا يحزنهم الفزع الأكبر ) الآية . وروى الإمام أحمد حدثنا حسين بن موسى حدثنا ابن لميعة  
حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قيل يا رسول الله ( يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) ما أطول  
هذا اليوم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه

(١) في النسخة المكية أربيته (٢) في نسخة يديه .

من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا» وقوله تعالى ( ويوم بعض الظالم على يديه ) الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرية فيه وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة وأسفاً وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم كما قال تعالى ( يوم تقلب وجوههم في النار ) الآيتين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، وبعض على يديه قائلاً ( يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً \* ياويلنا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ) يعنى من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة ، وسواء في ذلك أمية ابن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرها ( لقد أضلني عن الذكر ) وهو القرآن ( بعد إذ نجاني ) أى بعد بلوغه إلى قال الله تعالى ( وكان الشيطان للإنسان خذولاً ) أى يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنِّي قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ) الآية فكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغظ والكلام في غيره حتى لا يسمعونه . فهذا من هجرانه وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره ، من هجرانه ففسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء ، أن يخلصنا مما يسخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آتاء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب وقوله تعالى ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ) أى كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضية لأن الله جعل لكل نبي عدواً من المجرمين يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم كما قال تعالى ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ) الآيتين ولهذا قال تعالى ههنا ( وكفى بربك هادياً ونصيراً ) أى لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقته واتبه فان الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة وإنما قال ( هادياً ونصيراً ) لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لتلاهم يهدى أحد به ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن فلهدنا قال ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ) الآية

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا \* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا \* الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيه حيث قالوا ( لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ) أى هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزيور وغيرها من الكتب الإلهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين به كقوله ( وقرآنا فرقاه ) الآية ولهذا قال ( لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ) قال قتادة: بيناه تبيناً . وقال ابن زيد وفسرناه تفسيراً ( ولا يأتونك بمثل ) أى بحجة وشبهة ( إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ) أى ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق

في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالهم ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ( ولا يأتونك بمثل ) أي بما يلبسون به عيب القرآن والرسول ( إلا جثناك بالحق ) الآية أي إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحا ومساء وليلة ونهارا سفرا وحضرا ، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كانزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا التمام أطل وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ، ففي اللأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجا بحسب الوقائع والحوادث وروى النسائي بإسناده عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال الله تعالى ( ولا يأتونك بمثل إلا جثناك بالحق وأحسن تفسيرا ) وقال تعالى ( وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا )

ثم قال تعالى مخبرا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات ( الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ) وفي الصحيح عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال « إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا \* قُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَدْمِيرًا \* وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ - أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا \* وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا \* وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا \* وَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ لِنُشُورٍ ﴾

يقول تعالى متوعدا من كذب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من مشركي قومه ومن خالفة ومخذرم من عقابه وأليم عذابه مما أحله بالأمم الماضية الكذابين لرسوله فبدأ بذكر موسى وأنه بعثه وجعل معه أخاه هارون وزيراً أي نبياً موازراً ومؤيداً وناصراً فكذبها فرعون وجنوده ( فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ) وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحاً عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل ، إذ لا فرق بين رسول ورسول ، ولو فرض أن الله تعالى بعث إليهم كل رسول فأنهم كانوا يكذبون ، ولهذا قال تعالى ( وقوم نوح لما كذبوا الرسل ) ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل ويحذرهم تقمه ( فما آمن معه إلا قليلا ) ولهذا أغرقهم الله جميعاً ولم يبق منهم أحداً ولم يترك من بني آدم على وجه الأرض سوى أصحاب السفينة فقط ( وجعلناهم للناس آية ) أي عبرة يعتبرون بها كما قال تعالى ( إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية \* لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ) أي وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في ليج البحار لتذكروا نعمة الله عليكم من إنجائكم من الغرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره . وقوله تعالى ( وعادا وثمود وأصحاب الرس ) قد تقدم الكلام على قصتهما في غير ما سورة كسورة الأعراف بما أغنى عن الإعادة ، وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود وقال ابن جريج : قال عكرمة أصحاب الرس بليج وهم أصحاب يس ، وقال قتادة : فليج من قرى الحامة وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله ( وأصحاب الرس ) قال بئر بأذربيجان وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها ، وقال ابن إسحق عن محمد بن كعب

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك العبد الأسود ، ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاما وشرابا ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيدلى إليه طعامه وشرابه ثم يردا كما كانت ، قال فكان ذلك ماشاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم إنه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم إنه ذهب إلى الحفيرة موضعها التي كانت فيه فالتسه فلم يجده وكان قد بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال فكان نبينهم يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل فيقولون له لاندري حتى قبض الله النبي وهب الأسود من نومته بعد ذلك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة » وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحق عن محمد بن كعب مرسل وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه إدراجا والله أعلم : وقال ابن جرير لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرأس الذين ذكروا في القرآن لأن الله أخبر عنهم أنه أهلكتهم وهؤلاء آمنوا بنبيهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آباءهم والله أعلم ، واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج فأنه أعلم . وقوله تعالى ( وقرونا بين ذلك كثيرا ) أى وإنما أضعاف من ذكر أهلكتهم كثيرة ولهذا قال ( وكلا ضربنا له الأمثال ) أى بيناهم الحجج ووضحنا لهم الأدلة كما قال قتادة وأزحنا الأعذار عنهم ( وكلا تبرنا تتييرا ) أى أهلكتنا إهلا كما كقولته تعالى ( وكم أهلكتنا من القرون من بعدنوح ) والقرن هو الأمة من الناس كقوله ( ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ) وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وثلاثين وقيل أربعين وقيل غير ذلك والأظهر أن القرن هو الأمة للتعاصرون في الزمن الواحد وإذا ذهبوا و خلفهم جيل فهو قرن آخر كما ثبت في الصحيحين « خير القرون قرني ثم الدين يلونهم ثم الدين يلونهم » الحديث ( ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ) يعنى قرية قوم لوط وهى سدوم التى أهلكتها الله بالقلب وبالطمر من الحجارة التى من سجل كما قال تعالى ( وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ) وقال ( وإنكم لتمرون عليهم مصبحين \* وبالليل أفلا تعقلون ) وقال تعالى ( وإنما لبسيل مقيم ) وقال ( وإنهما لبإمام مبين ) ولهذا قال ( أفلم يكونوا يرونها ) أى فاعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله ( بل كانوا لا يرجون نشورا ) يعنى المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورا أى معادا يوم القيامة

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهْدَىٰ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا \* إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءِالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَصْلَ سَبِيلًا \* أَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُم إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَل هُمْ أَصْلًا سَبِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه كما قال تعالى ( وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً ) الآية يعنونه بالعب والنقص ، وقال ههنا ( وإذا رآوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذى بعث الله رسولا ؟ ) أى على سبيل التنقص والازدراء فبجهم الله كما قال ( ولقد استهزئ به برسل من قبلك ) الآية . وقوله تعالى ( إن كاد ليضلنا عن آلهتنا ) يعنون أنه كاد يثنهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها . قال الله تعالى متوعدا لهم ومتهددا ( وسوف يعلمون حين يرون العذاب ) الآية . ثم قال تعالى لنبيه منها أن من

كتب الله عليه الشقاوة والضلال فانه لا يهديه أحد إلا الله عز وجل (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي مهما استحسنت من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه كما قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء) الآية ولهذا قال ههنا (أفأنت تكون عليه وكيلاً) قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فاذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول . ثم قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) الآية أي هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فان تلك تفعل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يفعلوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحججة عليهم وإرسال الرسل اليهم

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاءَ كِنْفًا لَّمْ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾

من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) قال ابن عباس وابن عمر وأبو العالية وأبو مالك ومسروق ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والضحاك والحسن وقتادة : هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكناً) أي دائماً لا يزول كما قال تعالى (قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) الآيات . وقوله تعالى (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) أي لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف أن الضد لا يعرف إلا بضده ، وقال قتادة والسدي دليلاً تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه كله . وقوله تعالى (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) أي الظل وقيل الشمس (يسيراً) أي سهلاً قال ابن عباس سريعا وقال مجاهد خفياً وقال السدي قبضاً خفياً حتى لا يبق في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس ما فوقه ، وقال أيوب بن موسى في الآية (قبضاً يسيراً) قليلاً قليلاً ، وقوله (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) أي يلبس الوجود وينشاه كما قال تعالى (والليل إذا يغشى) (والنوم سباتاً) أي قاطعاً للحركة لراحة الأبدان فان الأعضاء والجوارح تسكن من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعاش فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً (وجعل النهار نشوراً) أي ينتشر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم كما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) الآية

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا \* لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَهُ كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات أي بمجيء السحاب بعدها والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشراً ومنها ما يكون قبل ذلك تقم الأرض ومنها ما يلقح السحاب ليمطر ولهذا قال تعالى (وأنزّلنا من السماء ماء طهوراً) أي آلة يتطهر بها كالسحور والوجور وما جرى مجراها . فهذا أصح ما يقال في ذلك ، وأما من قال إنه فعول بمعنى فاعل أو إنه مبنى للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي بإسناده إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبي العالية في يوم مطير وطرق البصرة قدرة فصلى فقلت له فقال (وأنزّلنا من السماء ماء طهوراً) قال طهره ماء السماء وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن السيب في هذه الآية قال : أنزله الله طهوراً لا ينجسه شيء . وعن أبي سعيد قال : قيل يا رسول الله أتوضأ من بثر بضاعة وهي بثر يلقى فيها اللبن ولحوم الكلاب ؟ فقال « إن الماء طهور لا ينجسه شيء » رواه الشافعي وأحمد وصححه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي . وروى ابن أبي حاتم بإسناده



حدثنا أبي حدثنا أبو الأشعث حدثنا معتمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال : كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ومنه ما يسقيه النعم من البحر فيذبه الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات فأما النبات فما كان من السماء ، وروي عن عكرمة قال ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشباً أو في البحر لؤلؤة ، وقال غيره : في البر وفي البحر در ، وقوله تعالى ( لنحيي به بلدة ميتاً ) أى أرضاً قد طال انتظارها للغيث فهي هادمة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الحياء عاشت واكتست رباها أنواع الأزهار والألوان كما قال تعالى ( فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ) الآية ( ونسقيه ما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ) أى وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة لشربهم وزرعهم وثمارهم كما قال تعالى ( وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ) الآية وقال تعالى ( فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ) الآية : وقوله تعالى ( ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا ) أى أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقا والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة ، قال ابن عباس وابن مسعود رضی الله عنهم ليس عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الآية ( ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ) أى ليدذكروا باحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات . أو ليدكر من منع المطر إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فيقلع عما هو فيه . وقال عمر مولى عقبة : كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل إني أحب أن أعلم أمر السحاب » قال : فقال له جبريل يا نبي الله هذا ملك السحاب فسله فقال تأتينا صكك مختمة : أسق بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل وقوله تعالى ( فأبى أكثر الناس إلا كفورا ) قال عكرمة يعنى الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذى قاله عكرمة كما صحح في الحديث الخرج في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوما على أثر سماء أصابهم من الليل « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب »

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾

يقول تعالى ( ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ) يدعوهم إلى الله عز وجل ولكننا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع أهل الأرض وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن ( لأنذرهم به ومن بلغ ) ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) ( لتذذر أم القرى ومن حولها ) ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ) وفي الصحيحين « بعثت إلى الأحمر والأسود » وفيهما « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » ولهذا قال تعالى ( فلا تطع الكافرين وجاهدهم به ) يعنى بالقرآن قاله ابن عباس ( جهادا كبيرا ) كما قال تعالى ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ) الآية وقوله تعالى ( وهو الذى خلق البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ) أى خلق المائين الحلو والملح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال : قاله ابن جرير واختاره ابن جرير ، وهذا المعنى لاشك فيه فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات ، والله سبحانه وتعالى إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليذكروه ، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارا وعيونا

في كل أرض بحسب حاجتهم وكفائتهم لأنفسهم وأراضيهم وقوله تعالى ( وهذا ملح أجاج ) أى ملح مر زعاق لا يستساغ وذلك كالبحار العروقة في الشارق والغارب : البحر المحيط وما يتصل به من الرقاق وبحر القانم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الحزر وما شاكلها وشابها من البحار الساكنة التي لا تجرى ، ولكن توج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح ، ومنها ما فيه مد وجزر ، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الأولى ، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص ، فأجرى الله سبحانه وتعالى - وهو ذو القدرة التامة - العادة بذلك ، فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مألحة لكلا يحصل بسببها ثن الهواء فيفسد الوجود بذلك ، ولكلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان ، ولما كان ماؤها ملحا كان هواؤها صحيحا وميتها طيبة ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر أتوضأ به ؟ فقال « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد وقوله تعالى ( وجعل بينها برزخاً وحجراً ) أى بين العذب والمالح ( برزخاً ) أى حاجزاً وهو اليبس من الأرض ( وحجراً محجوراً ) أى مانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر كقوله تعالى ( مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان ) وقوله تعالى ( أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون ) وقوله تعالى ( وهو الذي خلق من الماء بشراً ) الآية أى خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الحلقة ذكراً وأنثى كما يشاء ( فجعله نسباً وصهراً ) فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهراً ثم يصير له أصهار وأختان وقربات ، وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال تعالى ( وكان ربك قديراً )

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مِن شَاءِ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا \* الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تملك له ضراً ولا نفعاً بلا دليل قادم إلى ذلك ولا حجة أدتهم إليه بل بمجرد الأراء ، والتشهى والأهواء ، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال تعالى ( وكان الكافر على ربه ظهيراً ) أى عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله هم الغالبون كما قال تعالى ( واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ) أى آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصراً ، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ، ويدبون عن حوزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة لله ورسوله وللمؤمنين في الدنيا والآخرة قال مجاهد ( وكان الكافر على ربه ظهيراً ) قال يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه ، وقال سعيد بن جبير ( وكان الكافر على ربه ظهيراً ) يقول عوناً للشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، وقال زيد بن أسلم ( وكان الكافر على ربه ظهيراً ) قال موالياً ، ثم قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ( وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ) أى بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، مبشراً بالجنة لمن أطاع الله ونذيراً بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله ( قل ما أسألكم عليه من أجر ) أى على هذا البلاغ وهذا الإنذار من

أجرة أطلبها من أموالكم وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم) (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) أى طريقا ومسلكا ومنهجا يقتدى فيها بما جئت به ، ثم قال تعالى (وتوكل على الحي الذى لا يموت) أى فى أمورك كلها كن متوكلا على الله الحي الذى لا يموت أبدا الذى هو (الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) الدائم الباقي السرمدي الأبدى الحي القيوم رب كل شىء ومليكه اجعله ذخرك وملجأك ، وهو الذى يتوكل عليه ويفزع إليه فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن على بن فضال قال قرأت على معقل يعنى ابن عبيد الله عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال ، لقي سلمان النبي ﷺ فى بعض فجاج المدينة فسجد له فقال «لا تسجد لى يا سلمان واسجد للحي الذى لا يموت» وهذا مرسل حسن . وقوله تعالى (وسبح بحمده) أى اقرن بين حمده وتسيبته ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «سبحانك اللهم ربنا وبحمديك» أى أخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وقال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وقال تعالى (قل هو الرحمن آمنابه وعليه توكلنا) وقوله تعالى (وكنى به بذنوب عباده خيرا) أى بعلمه التام الذى لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة . وقوله تعالى (الذى خلق السموات والأرض) الآية أى هو الحي الذى لا يموت وهو خالق كل شىء ورب ومليكه الذى خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع فى ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع فى سفولها وكثافتها (فى ستة أيام ثم استوى على العرش) أى يدبر الأمر ويقضى الحق وهو خير الفاصلين وقوله (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيرا) أى استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه واقتد به ، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم على الإطلاق فى الدنيا والآخرة الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فما قاله فهو الحق وما أخبره به فهو الصدق ، وهو الإمام المحكم الذى إذا تنازع الناس فى شىء وجب رد نزاعهم إليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان قال الله تعالى (فإن تنازعتم فى شىء) الآية وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله) وقال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الأوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (فاسأل به خيرا) قال مجاهد فى قوله (فاسأل به خيرا) قال ما أخبرتك من شىء فهو كما أخبرتك . وكذا قال ابن جريج وقال ثمر بن عذبة فى قوله (فاسأل به خيرا) هذا القرآن خير به . ثم قال تعالى منسكرا على المشركين الذين يسجدون لتعريف الله من الأصنام والأنداد (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن وكان يذكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن كما أنسكروا ذلك يوم الحديدية حين قال النبي ﷺ للكتاب «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب : باسمك اللهم ، ولهذا أنزل الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أى هو الله وهو الرحمن . وقال فى هذه الآية (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى لا نعرفه ولا نقر به (أنسجد لما تأمرنا) أى لمجرد قولك (وزادهم نفورا) فأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذى هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالإلحية ويسجدون له ، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أن هذه السجدة التى فى الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها كما هو مقرر فى موضعه والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

يقول تعالى مجدا نفسه ومعظما على جميل ما خلق فى السماوات من البروج وهى الكواكب العظام فى قول مجاهد

وسعيد بن جبير وأبي صالح والحسن وقتادة . وقيل هي قصور في السماء للحرس ، يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد ابن كعب وإبراهيم النخعي وسليمان بن مهران الأعمش ، وهو رواية عن أبي صالح أيضا والقول الأول أظهر . اللهم إلا أن يكون السكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى ( ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح ) الآية ولهذا قال تعالى ( تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً ) وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى ( وجعلنا سراجا وهاجاً ) ( وقرأ منيرا ) أي مشرقاً مضيئاً بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى ( وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ) وقال مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه ( ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ) ثم قال تعالى ( وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً ) أي يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفتران إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى ( وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ) الآية وقال ( يمشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ) الآية وقال ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ) الآية . وقوله تعالى ( لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ) أي جعلهما يتعاقبان توفيقاً لعبادة عباده له عز وجل فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل ، وقد جاء في الحديث الصحيح « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى فقيل له صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه فقال إنه بقي علي من وردى شيء فأحببت أن أتبه أوقال أقضيه وتلاهذه الآية ( وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ) . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقال مجاهد وقتادة خلفه أي مختلفين أي هذا بسواده وهذا بضيائه

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \* وَالَّذِينَ يَدَّبُّوْنَ  
لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا \* إِنَّهَا سَاءَتْ  
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾

هذه صفات عباد الله المؤمنين ( الذين يمشون على الأرض هونا ) أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالى ( ولا تمش في الأرض مرحاً ) الآية فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر ، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صلبه وكأنما الأرض تطوى له ، وقد ذكره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع حتى روى عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رويداً فقال ما بالك أنت مريض ؟ قال لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة . وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأتتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا » وقال عبدالله بن المبارك عن معمر بن عمرو بن المختار عن الحسن البصري في قوله ( وعباد الرحمن ) الآية قال : إن المؤمنين قوم ذل ذلك منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض ، وإنهم والله لأصحاء ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة . فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاضم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة ، ولكن أبكاهم الخوف من النار ، إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه . وقوله تعالى ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يقابلوه عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا

خيراً كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلماً وكما قال تعالى ( وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ) الآية . وروى الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي خالد الوالبي عن النعمان بن مقرن المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن ملكاً يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما إن ملكاً يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به ، وإذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به » إسناده حسن ولم يخرجوه وقال مجاهد ( قالوا سلاماً ) يعنى قالوا سلاماً ، وقال سعيد بن جبير ردوا معروفاً من القول ، وقال الحسن البصرى قالوا سلام عليكم إن جهل عابهم حلوا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر أن ليلهم خير ليل فقال تعالى ( والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ) أى فى طاعته وعبادته كما قال تعالى ( كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ) وقوله ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) الآية وقال تعالى ( أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ) الآية ولهذا قال تعالى ( والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ) أى ملازماً دائماً كما قال الشاعر :

إن يعذب يكن غراماً وإن يع ط جزيلاً فانه لا يبالي

ولهذا قال الحسن فى قوله ( إن عذابها كان غراماً ) كل شيء يصيب ابن آدم ويوزل عنه فليس بغرام وإنما الغرام اللازم مادامت الأرض والسموات وكذا قال سليمان التيمي ، وقال محمد بن كعب ( إن عذابها كان غراماً ) يعنى ما نعموا فى الدنيا إن الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه فأغرمهم فأدخلهم النار ( إنها ساءت مستقراً ومقاماً ) أى بشئ المنزل منظر أو بشئ المقييل مقاماً ، وقال ابن أبي حاتم عند قوله ( إنها ساءت مستقراً ومقاماً ) حدثنا أبو حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال : إذا طرح الرجل فى النار هوى فيها فإذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تتحف قال فيسقى كأساً من سم الأسود والعقارب قال فيتميز الجلد على حدة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة . وقال أيضاً حدثنا أبو حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال إن فى النار لجباباً فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم فإذا قذف بهم فى النار خرجت إليهم من أوطانها فأخذت بشفاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم إلى أقدامهم فإذا وجدت حر النار رجعت

وقال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سلام يعنى ابن مسكين عن أبي طلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن عبدأ فى جهنم لينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل جبريل ذهب فأتى بعبدى هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل ائتنى به فانه فى مكان كذا وكذا فيجىء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ فيقول يا رب شر مكان وشر مقيل فيقول الله عز وجل : ردوا عبدى . فيقول يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردنى فيها فيقول الله عز وجل دعوا عبدى » وقوله تعالى ( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ) الآية أى ليسوا بمبذرين فى إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليتهم فيقتصرون فى حقهم فلا يكفونهم بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا ( وكان بين ذلك قواماً ) كما قال تعالى ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ) الآية وقال الإمام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي تميم الغساني عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فقه الرجل قصده فى معيشته » ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز العبدى حدثنا إبراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « ما عال من اقتصد » لم يخرجوه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون حدثنا سعد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال - يعنى العبدى - عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « ما أحسن القصد فى الغنى وما أحسن القصد فى الفقر

وما أحسن القصد في العبادة « ثم قال لا نعرفه يروى إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وقال الحسن البصري : ليس في النفقة في سبيل الله سرف ، وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف . وقيل غيره السرف النفقة في معصية الله عز وجل

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا \* يُضَعَّفَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر ؟ قال « أن تجعل لله أنداداً وهو خلقك » قال ثم أي ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال ثم أي ؟ قال « أن تزاني حليلة جارك » قال عبد الله وأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السرى عن أبي معاوية به ، وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش ومنصور زاد البخاري وواصل ثلاثهم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود به فإنه أعلم ، ولفظهما عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ، الحديث . طريق غريب وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي حدثنا عامر بن مدرك حدثنا السرى يعني ابن إسماعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال : قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الأرض وقعدت أسفل منه ووجهي حياض ركبتيه واغتصمت خلوته وقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله أي الذنب أكبر ؟ قال « أن تدعو الله نداً وهو خلقك » . قلت ثم مه ؟ قال « أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك » قلت ثم مه ؟ قال « أن تزاني حليلة جارك » ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله) الآية وقال النسائي حدثنا قتبية بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « ألا إنما هي أربع » فما أنا بأشع عليهم منذ سمعتهم من رسول الله ﷺ ؛ « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا » وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن المديني رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الأنصاري سمعت أبا طيبة الكلاعي سمعت المقداد بن الأسود رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « ما تقولون في الزنا ؟ » قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره » قال « فما تقولون في السرقة ؟ » قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام قال « لأن يسرق الرجل من عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره » وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقر بن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له » وقال ابن جرير أخرني يعلى عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يحدث أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فزلت (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية ونزلت (قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو بن أبي فاخنة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل « إن الله ينهاك أن تعبد الخلق وتدع الخالق ، وينهاك أن تقتل ولدك وتعذو كلبك ، وينهاك أن تزني بحليلة جارك » قال سفيان وهو قوله (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية . وقوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) روى عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أثاماً : واد في جهنم ، وقال عكرمة (يلق أثاماً) أودية في جهنم يعذب فيها

الزناة . وكذا روى عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وقال قتادة ( يلق أئاماً ) نكالا : كنا نحدث أنه وادفي جهنم وقد ذكر لنا أن لقمان كان يقول : يا بني ، إياك والزنا فإن أوله مخافة وآخره ندامة . وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره عن أبي أمامة الباهلي موقوفاً ومرفوعاً أن غيا وأئاماً بئران في قعر جهنم . أجازنا الله منهما بمنه وكرمه . وقال السدي ( يلق أئاماً ) جزاء وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسرهم بما بعده مبدل منه وهو قوله تعالى (يضاعف له العذاب يوم القيامة) أي يكرر عليه ويغلظ (ويخلد فيه مهاناً) أي حقيراً ذليلاً . وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) أي جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القيحة ما ذكر (إلا من تاب) أي في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه ، وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة فتحمّل على من لم يتب لأن هذه مقيدة بالتوبة ثم قد قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) الآية . قد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة توبة القاتل كما ذكر مقرراً من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته وغير ذلك من الأحاديث ، وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) في معنى قوله (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قولان أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحوطهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات ، وروى عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية :

بدلن بعد حره خريفاً وبعد طول النفس الوجيفا

يعني تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها ، وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قيحة ثم يبدله الله بها خيراً . وقال سعيد بن جبير أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات ، وقال الحسن البصري أبدلهم الله بالعمل السوء بالعمل الصالح ، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً ، وأبدلهم بالسجور إحصاناً ، وبالكفر إسلاماً ، وهذا قول أبي العالية وقاتدة وجماعة آخرين (والقول الثاني) إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذلك إلا لأنه كلما تذكر ماضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وإن وجدته مكتوباً عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار الروية عن السلف رضى الله عنهم<sup>(١)</sup> فعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة ، يؤتى برجل فيقول نحووا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له : عملت يوم كذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا ، كذا وكذا ، فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً فيقال : فان لك بكل سيئة حسنة فيقول يارب عملت أشياء لأأراها ههنا » قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، انفرد بإخراجه مسلم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان أعطني صحيفتك فيعطيه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محاسبها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات فإذا أراد أحدكم أن ينام فليكبّر ثلاثاً وثلاثين تكبيرة ويحمد أربعاً وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة فتلك مائة » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وطارم قالا حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو يزيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفته فيقرأ أعلاها فإذاسيئاته فإذا كاديسوء ظنه نظر في أسفلها فإذا حسناته ثم ينظر في أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنات ، وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلمان بن موسى الزهري أبو داود حدثنا أبو العنيس عن أبيه عن أبي هريرة قال : ليأتين الله عز وجل بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات ، قيل من هم يا أبا هريرة ؟ قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات . وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبد الله

(١) قوله فمن أبي ذر الخ في بعض النسخ زيادة السند بما لفظه . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن العرو بن سويد عن أبي ذر الخ اه

ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا أبو حمزة عن أبي الصيف - قلت وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال : يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين، قلت لم سموا أصحاب اليمين ؟ قال لأنهم قدموا بالسيئات والحسنات فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرأوا سيئاتهم حرفاً حرفاً وقالوا ياربنا هذه سيئاتنا فأين حسناتنا ، فعند ذلك عفا الله السيئات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا : (هاؤم اقرأوا كتابيه ) فهم أكثر أهل الجنة ، وقال على ابن الحسين زين العابدين (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال في الآخرة وقال مكحول يفرها لهم فيجعلها حسنات رواها ابن أبي حاتم ، وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب مثله . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو جابر أنه سمع مكحولاً يحدث قال : جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطفها يمينه لوقسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أأسلت ؟» قال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم «فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات» فقال يا رسول الله وغدرأتى وفجرأتى ؟ فقال «وغدرأتك وفجرأتك» فولى الرجل يكبر ويهلك : وروى الطبراني من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة ؟ فقال «أأسلت ؟» فقال نعم ، قال «فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها» قال وغدرأتى وفجرأتى؟ قال «نعم» فما زال يكبر حتى توارى ، ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الرهاوي عن ياسين الزيات عن أبي سلمة الحمصي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن فضيل مرفوعاً ، وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشماس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءني امرأة فقالت هل لي من توبة ؟ إني زينت وولدت وقتلته ، فقلت : لا ولا نعمت العين ولا كرامة ، فقامت وهي تدعو بالحسرة ، ثم صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بشما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية ؟» (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - إلا من تاب ) الآية فقراؤها عليها فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً ، هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف والله أعلم ، وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه وعنده فخرت تدعو بالحسرة وتقول يا حسرتنا أخلق هذا الحسن للنار ؟ وعنده أنه لما رجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً وتوبة مما عملت ، وأعتقت جارية كانت معها وابنتها وتابت إلى الله عز وجل ، ثم قال تعالى مخبراً عن عموم رحمته بعباده وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلاً أو حقيراً كبيراً أو صغيراً فقال تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أي فإن الله يقبل توبته كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية وقال تعالى (ألم تعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الآية وقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية أي لمن تاب إليه

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبِئَاتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّةً قَرَّةً وَأَعْيُنًا وَاجْمَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

وهذه أيضاً من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو والباطل ، وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والغناء ، وقال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك



والربيع بن أنس وغيرهم : هو أعياد الشركين . وقال عمرو بن قيس : هي المجالس السوء والحنا . وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » وقيل المراد بقوله تعالى ( لا يشهدون الزور ) أي شهادة الزور وهي الكذب متعمدا على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال « الشرك بالله وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس فقال « ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . والأظهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور أي لا يحضرونه ولهذا قال تعالى ( وإذا مروا باللغو مروا كراما ) أي لا يحضرون الزور وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء . ولهذا قال ( مروا كراما ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو الحسن العجلي عن محمد بن مسلم أخبرني إبراهيم بن ميسر أن ابن مسعود مر بلهو فلم يقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أصبح ابن مسعود وأمسي كريماً » وحدثنا الحسين بن محمد بن سلمة النحوي ثنا جبان أنا عبد الله أنا محمد بن مسلم أخبرني ميسرة قال بلغني أن ابن مسعود مر بلهو معرضا فلم يقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أصبح ابن مسعود وأمسي كريماً » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة ( وإذا مروا باللغو مروا كراما ) وقوله تعالى ( والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ) وهذه أيضا من صفات المؤمنين ( الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ) بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبتغي مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما قال تعالى ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون \* وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ) فقوله ( لم يخروا عليها صما وعميانا ) أي بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى . قال مجاهد قوله ( لم يخروا عليها صما وعميانا ) قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوها شيئا ، وقال الحسن البصري رضى الله عنه : كم من رجل يقرؤها ويخروا عليها أصم أعمى . وقال قتادة قوله تعالى ( والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ) يقول لم يسمعوا عن الحق ولم يعملوا فيه فهم والله قوم عقلوا عن الحق وانتفعوا بما سمعوا من كتابه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبد الله بن حمران ثنا ابن جعون قال سألت الشعبي قلت الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما سجدوا يسجد معهم ؟ قال قتلا هذه الآية : يعني أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر أمر السجود ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح بين وقوله تعالى ( والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ) يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطعه ويعبده وحده لا شريك له قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة قال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين . وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله لا والله لا شيء . أقر لعين المسلم من أن يرى ولدا أو ولد ولد أو أخا أو حميما مطيعا لله عز وجل قال ابن جرير في قوله ( هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ) قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني يسألون الله تعالى لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام وقال الإمام أحمد حدثنا معمر بن بشير حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير ابن نفيير عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب المقداد فجعلت أعجب لأنه ما قال إلا خيرا ، ثم أقبل إليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتعنى محضرا غيبه الله عنه لا يدري لو شهدته كيف يكون فيه ، والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام أكلهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ لقد بعث الله النبي

صلى الله عليه وسلم على أشرف حال بعث عليها نبيا من الأنبياء في فترة جاهلية ، ما يرون أن ديننا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وأنها التي قال الله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، وقوله تعالى (واجعلنا للمتقين إماما) قال ابن عباس والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير. وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداما متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا ، وأحسن مكابا ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية »

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا \* خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* قُلْ مَا يَعْبَثُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة ، والأقوال والأفعال الجليلة ، قال بعد ذلك كله ( أولئك ) أى المتصفون بهذه ( يجزون ) يوم القيامة ( الغرفة ) وهى الجنة ، قال أبو جعفر الباقر وسعيد ابن جبير والضحاك والسدي سميت بذلك لارتقاعها ( بما صبروا ) أى على القيام بذلك ( ويلقون فيها ) أى فى الجنة ( تحية وسلاما ) أى يتدرون فيها بالتحية والإكرام . ويلقون التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وقوله تعالى ( خالدين فيها ) أى مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا يموتون ولا يزولون عنها ولا يغيغون عنها حولا كما قال تعالى ( وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض ) الآية . وقوله تعالى ( حسنت مستقراً ومقاما ) أى حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا . ثم قال تعالى ( قل ما يعبا بكم ربى ) أى لا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه ، فانه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويسجوه بكرة وأصيلا . قال مجاهد وعمرو بن شعيب ( ما يعبا بكم ربى ) يقول ما يفعل بكم ربى ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله ( قل ما يعبا بكم ربى ) الآية يقول لولا إيمانكم ، وأخبر تعالى الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخفهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحب إليهم الإيمان كما حبه إلى المؤمنين ، وقوله تعالى ( فقد كذبتم ) أيها الكافرون ( فسوف يكون لزاما ) أى فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعنى مفتضيا لعذابكم وهلاككم ودماركم فى الدنيا والآخرة ، ويدخل فى ذلك يوم بدر كافسره بذلك عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومحمد بن كعب القرظى ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصرى ( فسوف يكون لزاما ) أى يوم القيامة ، ولا منافاة بينهما. آخر تفسير سورة الفرقان وقه الحمد والمنة .

### ﴿ تفسير سورة الشعراء وهى مكية ﴾

﴿ وقع فى تفسير مالك المروى عنه تسميتها سورة الجامعة ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ طَسَمَ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* لَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنِ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ \* قَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* أُولَئِكَ يَرَوْنَ ﴾

إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَبْتَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة . وقوله تعالى ( تلك آيات الكتاب المبين ) أي هذه آيات القرآن المبين أي البين الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد . وقوله تعالى ( لعلك باخع ) أي مهلك ( نفسك ) أي مما تحرص وتحزن عليهم ( ألا يكونوا مؤمنين ) وهذه تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى ( فلأتذهب نفسك عليهم حسرات ) كقوله ( فلعلك باخع نفسك على آتارهم ) الآية . قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم ( لعلك باخع نفسك ) أي قاتل نفسك قال الشاعر :

ألا أهدأ الباخع الحزن نفسه      شيء نحته عن يديه التقادر

ثم قال تعالى ( إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ) أي لو نشأ لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا ولكن لا نفعل ذلك لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري . وقال تعالى ( ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا \* أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) وقال تعالى ( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ) الآية فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم ثم قال تعالى ( وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ) أي كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) وقال تعالى ( يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ) وقال تعالى ( ثم أرسلنا رسلكم تترى كلما جاء أمة رسولا كذبوه ) الآية ولهذا قال تعالى ههنا ( فقد كذبوا فسيأتيهم أبناء ما كانوا به يستهزئون ) أي فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فسيعلمون نأ هذا التكذيب بعد حين ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه وجلالة قدره وشأنه الذين اجترأوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذي خلق الأرض وأثبت فيها من كل زوج كريم من زروع وثمار وحيوان . قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي : الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم ( إن في ذلك لآية ) أي دلالة على قدرة الخالق للأشياء الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسوله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهييه . وقوله ( وإن ربك لهو العزيز ) أي الذي عز كل شيء وقهره وغلبه ( الرحيم ) أي خلقه فلا يجعل على من عصاه بل يؤجله وينظره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر . قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن إسحاق : العزيز في قهته واتصاره بمن خالف أمره وعبد غيره ، وقال سعيد بن جبير : الرحيم بمن تاب إليه وأناب

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ \* وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبْنَا بَنَاتِنَا لِنَانَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ \* فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ \* قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ مُعْمِرِكَ سِنِينَ \* وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ \* فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي

مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكليهما موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الأيمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ، وأمره بالذهاب إلى فرعون ومملكه ، ولهذا قال تعالى ( أن أئت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون \* قال رب إنى أخاف أن يكذبون \* ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل إلى هارون \* ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ) هذه أعدار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه ( قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى - إلى قوله - قد أوتيت سؤلوك يا موسى ) وقوله تعالى ( ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ) أى بسبب قتل القبطى الذى كان سبب خروجه من بلاد مصر ( قال كلا ) أى قال الله له لا تخف من شيء من ذلك كقوله ( سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا - أى برهاننا - فلا يصالون إليكما بآياتنا أننا ومن اتبعكما العاللون ) ( فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ) كقوله ( إننى معكما أسمع وأرى ) أى إننى معكما بحفظى وكلاءتى ونصرى وتأييدى ( فأتيا فرعون ققولا إنا رسول رب العالمين ) كقوله فى الآية الأخرى ( إنا رسول ربك ) أى كل منا أرسل إليك ( أن أرسل معنا بنى إسرائيل ) أى أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك فإنهم عباد الله المؤمنون وحزبه المخلصون وهم معك فى العذاب المهين ؛ فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنالك بالكيفية ونظر إليه بعين الازدراء والغمص فقال ( ألم نربك فينا وليدا ) الآية أى أما أنت الذى ربينا فى بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك ولهذا قال ( وأنت من الكافرين ) أى الجاحدين . قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير ( قال فعلتها إذا ) أى فى تلك الحال ( وأنا من الضالين ) أى قبل أن يوحى إلى وينعم الله على بالرسالة والنبوة . قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ( وأنا من الضالين ) أى الجاهلين ، قال ابن جرير وهو كذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ( ففرت منكم لما خفتكم ) الآية أى انفصل الحال الأول وجاء أمر آخر فقد أرسلنى الله إليك فان أظعته سلت وإن خالفته عطبت ، ثم قال موسى ( وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل ) أى وما أحسنت إلى وريئتى مقابل ما أسأت إلى بنى إسرائيل فجعلتهم عبدا وخدماً تصرفهم فى أعمالك ومشاق رعييتك ، أفينى إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم أى ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة إلى ما فعلت بهم

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ \* قَالَ لَنْ حَوَلَهُ أَلَّا تَسْتَمِعُونَ \* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ \* قَالَ إِنْ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ \* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده فى قوله ( وما رب العالمين ) وذلك أنه كان يقول لقومه ( ما علمت لكم من إله غيرى ) ( فاستخف قومه فأطاعوه ) وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون ، فلما قال له موسى إنى رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذى تزعم أنه رب العالمين غيرى ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدى هذه الآية كقوله تعالى ( قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فانه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا له بالكيفية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين ( قال رب السموات والأرض وما بينهما ) أى خالق جميع ذلك ومالكه والمنتصر فيه وإله لا شريك له هو الذى خلق الأشياء كلها العالم العلوى وما فيه من الكواكب

الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفلى وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطيور ، وما يحتوي عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون ( إن كنتم موقنين ) أى إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة ، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملته ورؤساء دولته قائلاً لهم على سبيل التهمك والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله ( ألا تستمعون ؟ ) أى ألا تعجبون من هذا فى زعمه أن لكم الهاغبرى ؟ فقال لهم موسى ( ربكم ورب آبائكم الأولين ) أى خالقكم وخالق آبائكم الأولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه ( قال ) أى فرعون لقومه ( إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ) أى ليس له عقل فى دعواه أن ثم رباغبرى ( قال ) أى موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة فأجاب موسى بقوله ( رب الشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ) أى هو الذى جعل الشرق مشرقاً وتطلع منه الكواكب ، والمغرب مغرباً تقرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذى سخرها فيه وقدرها فان كان هذا الذى يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر وليجعل الشرق مغرباً والمغرب مشرقاً كما قال تعالى عن ( الذى حاج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من الشرق فانت بها من المغرب ) الآية . ولهذا لما غلب فرعون واتقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ فى موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه :

﴿ قَالَ لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين \* قال أولو جنتك بشيء مبين \* قال فأت به إن كنت من الصادقين \* فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين \* ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين \* قال للملأ حوله إن هذا لسحرة عليهم \* يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون \* قالوا أزرجه وأخاه وأبعث فى المدائن حاشرين \* يأتوك بكل سحار عليهم ﴾

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه نظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال ( لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين ) فعند ذلك قال موسى ( أولو جنتك بشيء مبين ؟ ) أى يبرهان قاطع واضح ( قال فأت به إن كنت من الصادقين \* فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ) أى ظاهر واضح فى غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج ( ونزع يده ) أى من جيبه ( فاذا هي بيضاء للناظرين ) أى تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته إلى التكذيب والعناد فقال للملأ حوله ( إن هذا الساحر علم ) أى فاضل بارع فى السحر ، فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لامن قبيل المعجزة ، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال ( يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ) الآية أى أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا على فيه ماذا أصنع به ؟ ( قالوا أزرجه وأخاه وأبعث فى المدائن حاشرين \* يأتوك بكل سحار عليهم ) أى أخرجه وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل سحار علم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به فتغلبه أنت وتكون لك النصر والتأييد ، فأجابهم إلى ذلك . وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم فى ذلك ليجمع الناس فى صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس فى النهار جهرة

﴿ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ \* وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنا نَدْبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ \* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَعْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنكُمْ إِذَا

لَيْنَ الْمُتَّقِينَ \* قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ \* فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿

ذكر الله تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الأعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة : وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وهذا شأن الكفر والإيمان متواجها وتقابلا إلا غلبه الإيمان ( بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ) ( وقل جاء الحق وزهق الباطل ) الآية ولهذا لما جاء السحرة وقد جمعوه من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخيلا في ذلك ، وكان السحرة جمعا كثيرا ؟ وجمعا غفيرا ، قيل كانوا اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا ، وقيل سبعة عشر ألفا ، وقيل تسعة عشر ألفا ، وقيل بضعة وثلاثين ألفا ، وقيل ثمانين ألفا ، وقيل غير ذلك والله أعلم بعديهم . قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤسائهم وهم بسابور وعاذور وحطط ومصني ، واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ) ولم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم ( فلما جاء السحرة ) أي إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطاقا وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته . فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا أي هذا الذي جمعتنا من أجله فقالوا ( أئمن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين \* قال نعم وإنكم إذا لمن القرين ) أي وأخص مما تطلبون أجعلكم من القرين عندي وجلسائي ، فعادوا إلى مقام المناظرة ( قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى \* قال بل ألقوا ) وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى ( ألقوا ما أنتم ملقون \* فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ) وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئا هذا بثواب فلان ، وقد ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنهم ( سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ) وقال في سورة طه ( فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى - إلى قوله - ولا يفلح الساحر حيث أتى ) وقال ههنا ( فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ) أي تخطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتله فلم تدع منه شيئا ، قال الله تعالى ( فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - إلى قوله - رب موسى وهارون ) فكان هذا أمرا عظيما جدا وبرهانا قاطعا للعدو وحجة دامغة ، وذلك أن الدين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالعجزة الباهرة ، فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحاجر يثا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهدهم ويتوعددهم ويقول ( إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ) وقال ( إن هذا لمرمك مكرتموه في المدينة ) الآية

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* لَا قَطْعَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأُرجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبِكُمْ أَجْمِينَ \* قَالُوا لَاضْيِرُ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿

تهديهم فلم ينفع ذلك فيهم وتوعددهم فما زادهم إلا إيمانا وتسليما . وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر إلا أن يكون الله قد أيده به وجعله له حجة ودلالة

على صدق ما جاء به من ربه ، ولهذا لما قال لهم فرعون ( آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ ) أى كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ولا تفتنوا على في ذلك فان أذنت لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم فإني أنا الحاكم المطاع ( إنه لكبيركم الهدي علمكم السحر ) وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الهدي أفادهم صناعة السحر ؟ هذا لا يقوله عاقل . ثم توعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب فقالوا ( لاضير ) أى لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به ( إنا إلى ربنا منقلبون ) أى المرجع إلى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا ( إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ) أى ما قارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ( إن كنا أول المؤمنين ) أى بسبب أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان . فقتلهم كلهم .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبِعُونَ \* فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْأَمَدِ آتَيْنِ خَشِيرِينَ \* إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ \* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ \* وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ \* فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج بني إسرائيل ليلا من مصر وأن يعضى بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل . خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حلياً كثيراً ، وكان خروجه بهم فيها ذكره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر ، وذکر مجاهد رحمه الله أنه كسف القمر تلك الليلة فإله أعلم . وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه ، فاحتمل تابوته معهم ويقال إنه هو الذى حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحتملوه معهم . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله قال : حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعاهدنا » فاتاه الأعرابي فقال له رسول الله ﷺ « ما حاجتك ؟ » قال ناقة برحلتها وأعزى تحتها أهلى ، فقال « أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟ » فقال له أصحابه وما عجوز بني إسرائيل يارسول الله ؟ قال « إن موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق فقال لبني إسرائيل ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل نحن نحدثك أن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى فأيكم يدرى أين قبر يوسف ؟ قالوا ما يعلمه إلا عجوز من بني إسرائيل ، فأرسل إليها فقال لها دليني على قبر يوسف ، فقالت والله لأفعل حتى تعطيني حكمتي ، فقال لها وما حكمتك ؟ قالت حكمتي أن أكون معك في الجنة ، فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها حكمتها - قال - فانطلقت معهم إلى بحيرة - مستنقع ماء - فقالت لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوه قالت احفروا فلما حفروا واستخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار » وهذا حديث غريب جدا والأقرب أنه موقوف والله أعلم : فلما أصبحوا وليس في ناديم داع ولا محيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل لما يريد الله به من الدمار ، فأرسل سريعا في بلاده حاشرين أى من يحشر الجند ويجمعه كالقباء والحجاب ونادى فيهم ( إن هؤلاء ) يعنى بني إسرائيل ( لشردمة قليلون ) أى لطائفة قليلة ( وإنا لغلظون ) أى كل وقت يصل منهم إلينا ما يغيظنا ( وإنا لجمع حاذرون ) أى نحن كل وقت نخدر من غائلتهم وقرأ طائفة من السلف ( وإنا لجمع حذرون ) أى مستعدون بالسلاح ، وإني أريد أن أستأصل شأنتهم وأبيد

خضراء هم فجوزى في نفسه وجنده بما أراد لهم ، قال الله تعالى ( فأخرجناهم من جنات وعيون \* وكنوز ومقام كريم )  
 أي فخرجوا من هذا النعم إلى الجحيم وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك  
 والجاه الوافر في الدنيا ( كذلك وأورثناها بني إسرائيل ) كما قال تعالى ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق  
 الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ) الآية وقال تعالى ( ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة  
 ونجعلهم الوارثين ) الآيتين .

( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ \* فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي  
 سَيَهْدِينِ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ \* وَأَزَلَفْنَا  
 لَهُمُ الْآخِرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
 مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ )

ذكر غير واحد من المفسرين أن فرعون خرج في محفل عظيم وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية  
 في زمانه أولى الحل والعقد والدول من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، فأما ما ذكره غير واحد من  
 الإسرائيليات من أنه خرج في ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دهم ففيه نظر . وقال كعب  
 الأبحار فيهم ثمانمائة ألف حصان أدم وفي ذلك نظر ، والظاهر أن ذلك من مجازفات بني إسرائيل والله سبحانه وتعالى  
 أعلم ، والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم إذ لافائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم ( فأتبعوهم مشرقين )  
 أي وصلوا إليهم عند شروق الشمس وهو طولوعها ( فلما تراءى الجمعان ) أي رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك  
 ( قال أصحاب موسى إنا لمدركون ) وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر  
 وقد أدركهم فرعون بجنوده فلماذا قالوا ( إنا لمدركون \* قال كلا إن معي ربي سيهدين ) أي لا يصل اليكم شيء مما تحذرون  
 فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ، وكان هرون عليه السلام في  
 المقدمة ومعه يوشع بن نون ومؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين  
 أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام يابني الله ههنا  
 أمرك ربك أن تسير ؟ فيقول نعم فاقترب فرعون وجنوده ولم يبق إلا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام  
 أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال انفلق باذن الله . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح  
 حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : يا من  
 كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والسكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجا فأوحى الله إليه ( أن اضرب بعصاك  
 البحر ) وقال قتادة أوحى الله تلك الليلة إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فاسمعه وأطع فبات البحر تلك الليلة وله  
 اضطراب ولا يدري من أي جانب يضربه موسى فلما انتهى إليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يابني الله أين أمرك ربك  
 عز وجل ؟ قال أمرني أن أضرب البحر قال فاضربه ، وقال محمد بن إسحاق أوحى الله - فما ذكر لي - إلى البحر أن إذا  
 ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضا فرقا من الله تعالى وانتظارا لما أمره  
 الله ، وأوحى الله إلى موسى ( أن اضرب بعصاك البحر ) فضربه بها ففيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق ، وذكر غير  
 واحد أنه جاءه فكناه فقال انفلق على أبا خالد باذن الله . قال الله تعالى ( فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ) أي كالجبل  
 الكبير ، قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم . وقال عطاء الخراساني : هو الفج بين الجبلين  
 وقال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقا لكل سبط طريق ، وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ،



وقام الماء على حيله كالحيطان وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته فسار يسا كوجه الأرض قال الله تعالى ( فاضرب لهم طريقا في البحر يسا لا تخاف دركا ولا تخشى ) وقال في هذه القصة ( وأزلنا الآخرين ثم ) أي هناك قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ( وأزلنا ) أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنينام اليه ( وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ) أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك ، وزوي ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى بني إسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت ، وقال لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلى ستائة ألف من أقبط فأنطلق موسى حتى انتهى إلى البحر فقال له : انفرق فقال له البحر قد استكبرت يا موسى وهل انفرقت لأحد من ولد آدم فأنفرق لك ؟ قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يا بني الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه يعني البحر فأقحم فرسه فسبح به فخرج فقال أين أمرت يا بني الله قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج فقال أين أمرت يا بني الله ؟ قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت : قال فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يترأون فلما خرج أصحاب موسى وتنام أصحاب فرعون التي البحر عليهم فأغرقهم ، وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فارتى سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله ، ثم قال تعالى ( إن في ذلك لآية ) أي في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة ( وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك له العزيز الرحيم ) تقدم تفسيره .

﴿ وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ \* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَظْمِينَ \* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام إمام الخفاء . أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يتلو على أمته ليعتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل أي من صغره إلى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل ( فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ) أي ماهذه التماثيل التي أنتم لها عا كفون ؟ ( قالوا نعبد أصناما فنظلل لها عظام كفتين ) أي مقامين على عبادتها ودعائها ( قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ) يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإعماروا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فنند ذلك قال لهم إبراهيم ( أفرايتم ما كنتم تعبدون \* أنتم وآباؤكم الأقدمون \* فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ) أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير فلتنخلص إلى بالمساء فإني عدوها لا أبالي بها ولا أفكر فيها ، وهذا كما قال تعالى محمدا عن نوح عليه السلام ( فأجمعوا أمركم وشركاءكم ) الآية وقال هود عليه السلام ( إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكنيدوني جميعا ثم لا تنظرون \* إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ) وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم فقال ( وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ) الآية . وقال تعالى ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم - إلى قوله - حتى تؤمنوا بالله وحده ) وقال تعالى ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون \* إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين \* وجعلها كلمة ) يعني لا إله إلا الله

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

يعني لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء (الذي خلقني فهو يهدين) أي هو الخالق الذي قدر قدراً وهدى الخلائق إليه فكل يجري على ما قدر له وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء (والذي هو يطعمني ويسقيني) أي هو خالق ورازق بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية فساق للزن وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد وأنزل للماء عذبا زلالا يسقيه مما خلق أنعاما وأناس كثيرا . وقوله (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقته ولكن أضافه إلى نفسه أدبا كما قال تعالى أمرا للمصلى أن يقول . (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة فأسند الانعام والهداية إلى الله تعالى والغضب حذف فاعله أدبا وأسند الضلال إلى العبد كما قالت الجن (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) وكذا قال إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه (والذي يميتني ثم يحيين) أي هو الذي يحي ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه فإنه هو الذي يبيد ويعيد (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو ومن يغفر الذنوب إلا الله وهو الفعال لما يشاء

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ \* وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ \* وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ \* وَأَغْفِرْ لِي لِأَنِّي لَأَبِي إِتَّعْتُ \* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتبه ربه حكما . قال ابن عباس وهو العلم ، وقال عكرمة هو اللب ، وقال مجاهد هو القرآن ، وقال السدي هو النبوة . وقوله (وألحقني بالصالحين) أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار « اللهم في الرفيق الأعلى » قلها ثلاثا . وفي الحديث في الدعاء « اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبديلين » وقوله (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي واجعل لي ذكرا جميلا بعدى أذكر به ويقتدى بي في الخير كما قال تعالى (وتركنا عليه في الآخرين) سلام على إبراهيم . كذلك نجزي المحسنين) قال مجاهد وقتادة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) يعني الثناء الحسن . قال مجاهد كقوله تعالى (وآتيناه في الدنيا حسنة) الآية وكقوله (وآتيناه أجره في الدنيا) الآية ، قال ليث بن أبي سليم كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة . وقوله تعالى (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجليل بعدى وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم . وقوله (واغفر لأبي) الآية كقوله (ربنا اغفر لي ولوالدي) وهذا مما رجح عنه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - إلى قوله - إن إبراهيم لأواه حليم) وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه - إلى قوله - وما أملك لك من الله من شيء) وقوله (ولا تخزني يوم يبعثون) أي أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم . وقال البخاري عند هذه الآية: قال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلقى إبراهيم يوم القيامة أباه عليه الغبرة والقررة » وفي رواية أخرى حدثنا إسماعيل حدثنا أخي عن ابن أبي ذئب

عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلقى إبراهيم أباه فيقول يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يعثون فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين » هكذا رواه عند هذه الآية . وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردا به ولفظه « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه فالיום لا أعصيك ، فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يعثون فأى خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا إبراهيم انظر تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » ورواه عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير وقوله ( ولا تخزني يوم يعثون ) أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقتره وقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني ، قال لكني اليوم لا أعصيك واحدة ، قال يا رب وعدتني أن لا تخزني يوم يعثون فان أخزيت أباه فقد أخزيت الأبعد . قال يا إبراهيم إني حرمتها على الكافرين فأخذ منه . قال يا إبراهيم أين أبوك ؟ قال أنت أخذته مني ، قال انظر أسفل منك فنظر فإذا ذبيح يتمرغ في تننه فأخذ بقوائمه فألقى في النار » وهذا إسناد غريب وفيه نكارة والذبيح هو الذكر من الضباع كأنه حول آذر إلى صورة ذبيح متلطخ بعذرتة فيلقى في النار كذلك . وقد رواه البزار بإسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه غرابه . ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد العافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ بنحوه وقوله : ( يوم لا ينفع مال ولا بنون ) أى لا يقى المرء من عذاب الله ماله ولو اقتدى بلاء الأرض ذهابا ( ولا بنون ) أى ولو اقتدى بمن على الأرض جميعا ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال ( إلا من أتى الله بقلب سليم ) أى سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين : القلب سليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وقال ابن عباس ( إلا من أتى الله بقلب سليم ) القلب سليم أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وقال مجاهد والحسن وغيرهما ( بقلب سليم ) يعنى من الشرك ، وقال سعيد بن المسيب : القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والنافق مريض قال الله تعالى ( في قلوبهم مرض ) قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب السالم من البدعة اللطمان إلى السنة

﴿ وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ \* وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ \* وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ \* فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ \* قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ \* تَأْتِيهِمْ كُفَا لَيْفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِذْ نَسُواكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ \* فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ \* فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

( وأزلت الجنة ) أى قربت وأدنت من أهلها مزخرفة مزينة لناظرها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعملوا لها في الدنيا ( وبرزت الجحيم للغاوين ) أى أظهرت وكشف عنها وبدت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لأهلها تقريرا وتوبيخا ( أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ) أى ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تعنى عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها فانكم وإياها اليوم حسب جهنم أتم لها واردون ، وقوله ( فكفبوا فيها هم والغاوون ) قال مجاهد يعنى فدهوروا فيها.

وقال غيره كبروا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد أنه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعواهم إلى الشرك (وجنود إبليس أجمعون) أي ألقوا فيها عن آخرهم (قالوا وهم فيها مختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين \* إذ نسويكم برب العالمين) أي يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أتم مغنون عنا نصيباً من النار ، ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة (تالله إن كنا لفي ضلال مبين \* إذ نسويكم برب العالمين) أي نجعل أمركم مطاعاً كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين (وما أضلنا إلا المجرمون) أي مادعانا إلى ذلك إلا المجرمون (فالتا من شافعين) قال بعضهم يعني من اللائكة كما يقولون (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وكذا قالوا (فما لنا من شافعين \* ولا صديق حميم) أي قريب : قال قتادة يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) وذلك أنهم يتمنون أنهم يردون إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون والله تعالى يعلم أنهم لو وردوا إلى دار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ، وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة ص ثم قال تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) ثم قال تعالى (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي إن في عجاية إبراهيم لقومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد آية أي لدلالة واضحة جلية على أن لا إله إلا الله (وما كان أكثرهم مؤمنين \* وإن ربك له العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد فبعثه الله ناهياً عن ذلك ومحدراً من ويل عقابه فكذبه قومه فاستمروا على ما هم عليه من الفعالة الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ، ووزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فهذا قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين \* إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) أي ألا تخافون الله في عبادتكم غيره (إني لَكُمْ رسول أمين) أي إني رسول من الله إليكم أمين فيما بعثني الله به أبلغكم رسالات ربي ولا أريد فيها ولا أقص منها (فاتقوا الله وأطيعوا وما أسألكم عليه من أجر) الآية أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أذكر ثواب ذلك عند الله (فاتقوا الله وأطيعوا) فقد وضع لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني الله به واتمنى عليه

﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ \* قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ \* وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقولون لا تؤمن لك ولا تتبعك وتتأسى في ذلك بهؤلاء الأردالين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أراذلنا ولهذا (قالوا أنتم لَكُمْ واتبعك الأذلون \* قال وما علمي بما كانوا يعملون) أي وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمي التقيب عنهم والبحث والفحص إنما على أن أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون \* وما أنا بطارد للمؤمنين) كأنهم سألوأمنة أن يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك وقال (وما أنا بطارد للمؤمنين \* إن أنا إلا نذير مبين) أي إنما بعثت نذيراً فمن أطاعني واتبعتني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريفاً أو وضعياً ، أو جليلاً أو حقيراً

﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ \* فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ \* إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَةٍ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٠﴾

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) أي لئن لم تنته من دعوتك إيانا إلى دينك (لتكونن من المرجومين) أي لئرجنك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال (رب إن قومي كذبون \* فافتح بيني وبينهم فتحاً) الآية كما قال في الآية الأخرى (فدع ربه أي مغلوب فاتصر) إلى آخر الآية . وقال ههنا (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون \* ثم أغرقنا بعد الباقين) والمشحون هو المملوء بالأمتعة والأزواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي أنجيننا نوحاً ومن اتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين \* وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ \* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ \* وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ \* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ \* وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام انه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت متاخمة بلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال في سورة الأعراف (واذ كروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول الشديد والأرزاق الدارة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله هوداً إليهم رجلاً منهم رسولا وبشيراً ونذيراً فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم قيمته وعذابه في مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه إلى أن قال (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) اختلف المفسرون في الريع بما حاصله أنه المكان المرتفع عند جوارث الطرق المشهورة بينون هناك بنياناً محكماً هائلاً باهراً ولهذا قال (أتبنون بكل ريع آية) أي معلماً بناء مشهوراً (تعبثون) أي وإنما تفعلون ذلك عبثاً لالاحتياج إليه بل مجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ولهذا أنكروا عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لأنه تضييع للزمان وإتاعب للأبدان في غير فائدة واشتغال بما لا يمدى في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا قال (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) قال مجاهد ، والمصانع البروج البشيدة والبنيان الخلد ، وفي رواية عنه بروج الحمام ، وقال قتادة هي مأخذ الماء . قال قتادة وقرأ بعض الكوفيين (وتتخذون مصانع كأنكم خالدون) وفي القراءة المشهورة (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أي لكي تقيموا فيها أبداً وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كما زال عمن كان قبلكم ، وروى ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أني حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبد الله بن عتبة أن أبا الدرداء رضى الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في القوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون ، ألا تستحيون ، تجمعون مالا تملكون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون ، ويبنون فيوتقون ، ويأملون فيطيلون فأصبح أهلهم غروراً ، وأصبح جمعهم بوراً ، وأصبحت مساكنهم قبوراً ، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً وركاباً فمن يشتري مني ميراث عاد يدرهمين ؟ . وقوله (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) أي يصفهم بالقوة والغلظة

والجبروت (فاتقوا الله وأطيعون) أى اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ، ثم شرع يذكركم نعم الله عليهم فقال (واتقوا  
الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون \* إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى إن كذبتم وخالفتم ،  
فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فنانفع فيهم

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظتَ أم لم تكُن من الواعظين \* إن هذا إلا خلق الأولين \* وما نحن  
بمعدنين \* فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين \* وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾

يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأندرهم ورغهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه ( قالوا  
سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا ترجع عما نحن عليه ( وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ، وما نحن  
لك بمؤمنين) وهكذا الأمر فان الله تعالى قال ( إن الدين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقال  
تعالى ( إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية وقولهم ( إن هذا إلا خلق الأولين) قرأ بعضهم ( إن هذا  
إلا خلق الأولين) بفتح الحاء وتسكين اللام ، قال ابن مسعود والعبوفى عن عبد الله بن عباس وعلقمة ومجاهد يعنون  
ما هذا الذى جئت به إلا أخلاق الأولين كما قال المشركون من قريش ( وقالوا أساطير الأولين اكتبها فى تلى عليه بكرة  
وأصيلا) وقال ( وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون \* فقد جاءوا ظلماً وزوراً \*  
وقالوا أساطير الأولين) وقال ( وقيل للذين كفروا ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) وقرأ آخرون ( إن هذا إلا خلق  
الأولين) بضم الحاء واللام يعنون دينهم ومآمهم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون  
لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا وموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا ( وما نحن بمعدنين) ، قال على  
ابن أبى طلحة عن ابن عباس ( إن هذا إلا خلق الأولين) يقول دين الأولين . وقاله عكرمة وعطاء الخراسانى وقناة  
وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله تعالى ( فكذبوه فأهلكناهم) أى استمروا على تكذيب نبي  
الله هود ومخالفته وعناده فأهلكهم الله وقد بين سبب إهلاكه إياهم فى غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحاً  
صرصراً عاتية أى ريحاً شديدة المهبوب ذات برد شديد جداً فكان سبب إهلاكهم من جنسهم فإنهم كانوا أعق شئ  
وأجبره فسلط الله عليهم ما هو أعق منهم وأشد قوة كما قال تعالى ( ألم تركيب فعل ربك بعاد \* إرم ذات العماد) وهم  
عاد الأولى كما قال تعالى ( وأنه أهلك عادا الأولى) وهم من نسل إرم بن سام بن نوح ( ذات العماد) الذين كانوا يسكنون  
العمد ، ومن زعم أن إرم مدينة فإتما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا  
قال ( التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى لم يخلق مثل هذه القبيلة فى قوتهم وشدهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة  
لقال التى لم يبن مثلها فى البلاد وقال تعالى ( فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم  
يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجدون) وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح  
إلا مقدار أنف الثور ، عتت على الخزنة فأذن الله لها فى ذلك فسلكت فحسبت بلادهم فحسبت كل شئ لهم كما قال  
تعالى ( تدمر كل شئ بأمر ربها) الآية وقال تعالى ( وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية - إلى قوله - حسوما - أى  
كاملة - فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى بقوا أبداناً بلا رءوس وذلك أن الريح كانت تأتى الرجل منهم  
فتقتله وترفعه فى الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدهخ دماغه وتنكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد كانوا  
تحصنوا فى الجبال والكهوف والغارات وحفروا لهم فى الأرض إلى أنصافهم فلم يعن عنهم ذلك من أمر الله شيئاً ( إن أجل الله  
إذا جاء لا يؤخر) ولهذا قال تعالى ( فكذبوه فأهلكناهم) الآية

﴿ كذبت ثمود المرسلين \* إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون \* إني لكم رسول أمين \* فاتقوا الله

وَأَطِيعُونَ \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾

وهذا إخبار من الله عزوجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام أنه بعثه إلى قومه ثمود وكانوا عربا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة ، وقد قدمنا في سورة الأعراف الأحاديث المروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام فوصل إلى تبوك ثم عاد إلى المدينة ليتأهب لذلك . وكانوا بعد عاد وقبل الحليل عليه السلام . فدعاهم نبهم صالح إلى الله عزوجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغى بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عزوجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال

﴿ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ \* فِي جَنَّتِ وَعُمَيُونَ \* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ \* وَتَنْجَاتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتَا فَرِهِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ \* الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

يقول لهم واعظاهم ومخبرهم نعم الله أن تحل بهم ومدكرا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة وجعلهم في أمن من المخدورات . وأثبت لهم من الجنات . وفجر لهم من العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والعمرات ولهذا قال ( ونخل طلعا هضيم ) قال العوفي عن ابن عباس أنبع وبلغ فهو هضيم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( ونخل طلعا هضيم ) يقول معشبة وقال إسماعيل بن أبي خالد عن عمرو بن عمرو بن أبي عمرو — وقد أدرك الصحابة — عن ابن عباس في قوله ( ونخل طلعا هضيم ) قال إذا رطب واسترخى رواه ابن أبي حاتم ثم قال : وروى عن أبي صالح نحو هذا وقال أبو إسحاق عن أبي العلاء ( ونخل طلعا هضيم ) قال هو المذنب من الرطب وقال مجاهد : هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر . وقال ابن جريج سمعت عبد الكريم أنبأنا أمية سمعت مجاهدا يقول ( ونخل طلعا هضيم ) قال : حين يطلع تقبض عليه فتمضمه فهو من الرطب الهضيم ومن اليباس الهشيم تقبض عليه فتهشمه . وقال عكرمة وقتادة : الهضيم الرطب اللين . وقال الضحاك : إذا كثرت حمل الثمرة وركب بعضها بعضا فهو هضيم وقال مرة هو الطلع حين يشرق ويخضر . وقال الحسن البصري هو الذي لانوى له ، وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فتري الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضيم

وقوله ( وتنجتون من الجبال بيوتا فارهين ) قال ابن عباس وغير واحد يعني حاذقين . وفي رواية عنه شهرين أشرين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فانهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرا وبطرا وعبثا من غير حاجة إلى سكنها وكانوا حاذقين متقين لنحتها وتقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال ( فاتقوا الله وأطيعوا ) أي أقبلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتعبدوه وتوحدوه وتسبحوه بكره وأصيلا ( ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) يعني رؤساءهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ \* مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ \* وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِمِينَ \* فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن ثمود في جوابهم لنبهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة ربهم عز وجل أنهم ( قالوا إنما أنت من المسحورين ) قال مجاهد وقتادة يعنون من المسحورين ، وروى أبو صالح عن ابن عباس ( من المسحورين )

يعني من الخلقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر :

فإن تسألنا فيم نحن فانتا \* عصافير من هذا الأنام المسحر

يعني الذين لهم سحر والسحر هو الرمة ، والأظهر في هذا قول مجاهد وقناة أنهم يقولون إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك ، ثم قالوا ( ما أنت إلا بشر مثلنا ) يعني فكيف أوحى إليك دوننا كما قالوا في الآية الأخرى ( أنزل عليه الذكر من بيننا ؟ بل هو كذاب أشر \* سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ) ثم إنهم اقترحوا عليه آية بأنهم بها يعلموا صدقة بما جاءهم به من ربهم ، وقد اجتمع ملؤم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء - وأشاروا إلى صخرة عندهم - من صفتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لأن أجبهم إلى ما سألوا ليؤمنن به ولتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم وكفر أكثرهم ( قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ) يعني ترد ماءكم يوماً ويوما تردونه أتمم ( ولاعسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ) فحذرهم تقمة الله إن أصابوها بسوء ، فكثرت الناقة بين أظهرهم حين آمن بالله وترد الماء وتأكل الورق والرعي ويتنعمون بلبنها يحلبون منها ما يكفهم شرباً ورياً ؛ فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم بماثوا على قتلها وعقرها ( فعقروها فأصبحوا نادمين فآخذهم العذاب ) وهو أن أرضهم زلزلت زلزلاً شديداً وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من عالجها وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحسبون وأصبحوا في ديارهم حائمين ( إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين \* وإن ربك هو العزيز الرحيم )

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليهما السلام ، وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكتها الله بها وجعل مكانها بحيرة متنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد العور متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك ؛ فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له ؛ وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث ولهذا قال تعالى

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ \* وَتَذَرُونَ مَأْخَلَكُمْ لَكُمْ رِبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ \* قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ \* قَالَ إِنِّي لَمَمْلُوكٌ مِنَ الْقَالِينَ \* رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعُكُونَ \* فَنجَّيناهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْبِينَ \* ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ \* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ \* إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له إلا أن قالوا ( لئن لم تنته بالوط ) أي عما حثنا به ( لتكون من المخرجين ) أي تنفيك من بين أظهرنا كما قال تعالى ( فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون ) فلما رأى أنهم لا يرتدعون



عمام فيه وأنهم مستمررون على ضلالتهم تبرأ منهم وقال (إني نعمتكم من القالين) أي الغضين لا أحبه إلا أرضي به  
وإني بريء منكم ثم دعا الله عليهم فقال (رب نجني وأهلي مما يعملون) قال الله تعالى (فنجينا وأهله أجمعين) أي كلهم  
(إلا عجوزاً في الغارين) وهي امرأته وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها وذلك كما أخبر الله تعالى  
عنهم في سورة الأعراف وهود وكذا في الحجر حين أمره الله أن يسرى بأهله إلا امرأته وأنهم لا يلتفتوا إذا سمعوا  
الصيحة حين تنزل على قومه فصرخوا لأمر الله واستمروا وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم وأمطر عليهم  
حجارة من سجيل منضود ولهذا قال تعالى (ثم دمرنا الآخرين) \* وأمطرنا عليهم مطراً - إلى قوله - وإن ربك  
لهو العزيز الرحيم

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وإنما لم يقل ههنا  
أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة وهي شجرة وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها فلهذا لما قال: كذب  
أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب وإنما قال (إذ قال لهم شعيب) فقطع نسب الأخوة بينهم  
للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسبا. ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل  
مدين فزعم أن شعيبا عليه السلام بعثه الله إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم. وقد روى إسحق بن بشر الكاهلي  
- وهو ضعيف - حدثني ابن السدي عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خفيف عن عكرمة قال: ما بعث الله نبيا مرتين  
إلا شعيبا مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة، وروى  
أبو القاسم البغوي عن هدية عن همام عن قتادة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) قوم شعيب وقوله (وأصحاب الأيكة)  
قوم شعيب، وقاله إسحق بن بشر. وقال غير جوير أصحاب الأيكة ومدين هما واحد والله أعلم. وقد روى الحافظ  
ابن عساكر في ترجمة شعيب من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعيد  
عن سعيد بن أبي هلال عن زبيدة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن قوم  
مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيبا النبي عليه السلام» وهذا غريب وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون  
موقوفا، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء الكيال والميزان كما  
في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ \* وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ \* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ  
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ ﴾

يأمرهم عليه السلام بإيفاء الكيال والميزان ونهاهم عن التطفيف فيما قال (أوفوا الكيل ولا تكونوا من  
المخسرين) أي إذا دفعتم للناس فكموا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصا وتأخذوه إذا كان لكم تاما وإيا  
ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون (وزنوا بالقسط المستقيم) والقسط هو الميزان وقيل هو القبان. قال  
بعضهم هو معرب من الرومية. قال مجاهد القسط المستقيم هو العدل بالرومية، وقال قتادة القسط العدل، وقوله  
(ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم أموالهم (ولا تعتوا في الأرض مفسدين) يعني قطع الطريق كما قال في  
في الآية الأخرى (ولا تعبدوا بكل صراط توعدون) وقوله (واتقوا الذي خلقكم والجيل الأولين) يخوفهم بأس الله

الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل كما قال موسى عليه السلام (ربكم ورب آباءكم الأولين) قال ابن عباس ومجاهد والسدي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والجملة الأولين) يقول خلق الأولين . وقرأ ابن زيد (ولقد أصل منكم جيلا كثيرا)

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ \* وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به عمود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا (إنما أنت من المسحورين) يعنون من المسحورين كما تقدم (وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين) أي تتعمد الكذب فيما تقوله لأن الله أرسلك إلينا (فأسقط علينا كسفا من السماء) قال الضحاك : جانبنا من السماء ، وقال قتادة قطعنا من السماء وقال السدي عذابا من السماء . وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ) إلى أن قالوا ( أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ) وقوله (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية ، وهكذا قال هؤلاء الكفار الجهمية (فأسقط علينا كسفا من السماء) الآية (قال ربني أعلم بما تعملون) يقول الله أعلم بكم فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألوها جزاء وفاقا ولهذا قال تعالى (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وهذا من جنس ما سألوه من إسقاط الكسف عليهم ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يمكنهم منه شيء ، ثم أقبلت اليهم سحابة أظلمت فجعوا ينطلقون إليها يستظلون بظلمتها من الحر ، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولهبها ووهجا عظيما ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهدت أرواحهم ولهذا قال تعالى (إنه كان عذاب يوم عظيم) . وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق في الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولئعودن في ملتنا) فأرجفوا نبي الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة ، وفي سورة هود قال (فأخذتهم الصيحة) وذلك لأنهم استهزؤا بنبي الله في قولهم (أصلناك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن تفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال (فأخذتهم الصيحة) الآية ، وههنا قالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) الآية على وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) قال قتادة: قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شيء ، ثم إن الله تعالى أنشأ لهم سحابة فانطلق إليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومه فأتوها جميعا فاستظلوا تحتها فأجبت عليهم نارا ، وهكذا روى عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقاتدة وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، بعث الله اليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في القلى ، وقال محمد بن كعب القرظي : إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت كاليوم فلا أطيب ولا أبرد من هذا، هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فأتوا جميعا ثم تلا محمد بن كعب (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وقال محمد بن جرير: حدثني الحارث حدثني الحسن حدثني سعيد بن

زيد أخو حماد بن زيد حدثنا حاتم بن أبي صغيرة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية ( فأخذهم عذاب يوم الظلة ) الآية قال بعث الله عليهم رعدة وحرًا شديدًا فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس فوجدوا لها برداً ولثة فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحمها أرسل الله عليهم ناراً . قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ( إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم ) أي العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ( وإنه ) أي القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله ( وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث ) الآية ( لتزيل رب العالمين ) أي أنزله الله عليك وأوحاه إليك ( نزل به الروح الأمين ) وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهرى وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه . قال الزهرى وهذه كقوله ( قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه ) وقال مجاهد : من كلمه الروح الأمين لاتأكله الأرض ( على قلبك لتكون من المنذرين ) أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى ( على قلبك ) يا محمد سالماً من الدنس والزيادة والنقص ( لتكون من المنذرين ) أي لتنذر به بأس الله وتقمته على من خالفه وكذبه وتبشر به المؤمنين للتبعين له وقوله تعالى ( بلسان عربي مبين ) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بينا واضحاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقبلاً للحجة دليلاً إلى الحجة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر العتكي حدثنا عباد بن عباد المهلبى عن موسى بن محمد عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن إذ قال لهم « كيف ترون بواسقها » قالوا ما أحسنها وأشد تراكمها قال « فكيف ترون قواعدها ؟ » قالوا ما أحسنها وأشد تمكنا قال « فكيف ترون جريها » قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال « فكيف ترون رحاها استدارت » قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال « فكيف ترون برقها أوميض أم خفق أم يشق شقا ؟ » قالوا بل يشق شقا قال « الحياء الحياء إن شاء الله » قال فقال رجل يارسول الله بأبي وأمي ما أفصحك ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال « حق لى وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول ( بلسان عربي مبين ) » وقال سفیان الثوري . لم ينزل وحى إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن دخل الجنة تكلم بالعربية رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ \* أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ \* وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ

بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ \* قَفَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيباً في ملكه بالبشارة بأحمد ( وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ) والزبر ههنا هي الكتب وهي جمع زبور وكذلك الزبور وهو كتاب داود ، وقال الله تعالى ( وكل شيء فعلموه في الزبر ) أي مكتوب عليهم في صحف الملائكة ثم قال تعالى ( أؤلوم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ) أي أوليس يكفهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بنى إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن

منهم كعبد الله بن سلام و سلمان الفارسي عن آدم بن منبه ومن شا كلهم قال الله تعالى (ان الذين يتبعون ثرستون النبي  
الأمي) الآية ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن أنه لو نزل على رجل من الأعاجم من لا يدري  
من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب بيانه وفضاحته لا يؤمنون به ولهذا قال (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه  
عليهم ما كانوا به مؤمنين) كما أخبر عنهم في الآية الأخرى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما  
سكرت أبصارنا) الآية؛ وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى) الآية وقال تعالى (إن الذين حقت  
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ \* لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً  
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ \* أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ \* أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ  
مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ \* وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ \* ذِكْرَىٰ  
وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

يقول تعالى كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد أي أدخلناه في قلوب المجرمين (لا يؤمنون به) أي  
بالحق (حتى يروا العذاب الأليم) أي حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولم اللعنة ولهم سوء الدار (فأتيتهم بغتة) أي  
عذاب الله بغتة (وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرين) أي يمتنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظرنا قليلا  
ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى (وأندر الناس يوم يأتيهم العذاب - إلى قوله - ما لكم من زوال)  
فكل ظالم وفاجر وكافر إذ شاهد عقوبته ندم ندما شديدا؛ هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله (ربنا إنك آتيت  
فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا - إلى قوله - قال قد أحيت دعوتك) فأثرت هذه الدعوة في فرعون  
فما آمن حتى رأى العذاب الأليم (حتى إذا أدركه العرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل - إلى  
قوله - وكنت من المفسدين) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيات وقوله تعالى (أفبعذابنا  
يستعجلون) إنكار عليهم وتهديد لهم فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذبا واستبعادا: اتتنا بعذاب الله، كما قال تعالى  
(ويستعجلونك بالعذاب) الآيات ثم قال (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا  
يتمتعون) أي لو أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهة من الدهر وحينئذ من الزمان وإن طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء  
يحدث عنهم ما كانوا فيه من النعم (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يود أحدهم لو يعمر  
ألف سنة وما هو بمزحجه من العذاب أن يعمر) وقال تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى) ولهذا قال تعالى (ما أغنى  
عنهم ما كانوا يتمتعون)

وفي الحديث الصحيح «يؤتى بالكافر فيعمس في النار خمسة ثم يقال له هل رأيت خيرا قط؟ هل رأيت نعيما قط؟  
فيقول لا والله يارب، ويؤتى بأشيد الناس بؤسا كان في الدنيا فيصبع في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط؟  
فيقول لا والله يارب» أي ما كان شيئا كان. ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب

ثم قال تعالى مخبراً عن عذابه في خلقه أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعدار إليهم، والانتذار لهم وبعثة الرسل  
إليهم، وقيام الحجج عليهم ولهذا قال تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) ذكرى وما كنا ظالمين) كما قال  
تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو  
عليهم آياتنا - إلى قوله - وأهلها ظالمون)

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ \* وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ \* وَمَا يَسْتَظِيمُونَ \* إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين اللطيف من الله ( وما تنزلت به الشياطين ) ثم ذكر أنه يتمتع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدي وبرهان عظيم فيبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة . ولهذا قال تعالى ( وما ينبغي لهم ) وقوله تعالى ( وما يستطيعون ) أي ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ) ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة إنزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه لئلا يشبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه ، وتأنيده لكتابه ولرسوله ، ولهذا قال تعالى ( إنهم عن السمع لمعزولون ) كما قال تعالى مخبرا عن الجن ( وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا \* وأنا كنا نعد منها ما عدا للسمع فمن يسمع الآن يجد له شهبا رسدا \* - إلى قوله - أم أراد بهم رسدا ) ( ٣٤٩ )

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَسْكَونَ مِنَ الْمُعْذِبِينَ \* وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ \* وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ \* وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* الَّذِي يَرْزُقُكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ \* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول تعالى أمرا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرا أن من أشرك به عذبه . ثم قال تعالى أمرا لرسوله ﷺ أن يندر عشيرته الأقربين أي الأدينين إليه : وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا بإيمانه بربه عز وجل ، وأمره أن يلبس جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين . ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتنزأ منه ولهذا قال تعالى ( فان عصوك ققل إنى برىء مما تعملون ) وهذه النذارة الخاصة لا تنافى العامة بل هى فرد من أجزائها كما قال تعالى ( لتندر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ) وقال تعالى ( لتندر أم القرى ومن حولها ) وقال تعالى ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ) وقال تعالى ( لتبشرا به التقيين وتندر به قوما لدا ) وقال تعالى ( لأنذركم به ومن بلغ ) كما قال تعالى ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) وفي صحيح مسلم « والذي نفسى بيده لا يسمع فى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار » وقد وردت أحاديث كثيرة فى نزول هذه الآية الكريمة فلندكرها ( الحديث الأول ) قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن كيمز عن الاحمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل ( وأنذر عشيرتلك الأقربين ) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فضعده عليه ثم نادى « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى لؤي ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا نعم . قال « فأنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأزل الله ( تبأ يدا أبى لهب وثب ) ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن الأحمش به ( الحديث الثانى ) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما نزلت ( وأنذر عشيرتلك الأقربين ) قام رسول الله ﷺ فقال « يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب

لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم » انقرد بإخراجه مسلم ﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ( وأنذر عشيرتک الأقربين ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ففهم وخص فقال « يا معشر قريش أتقنوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى هاشم أتقنوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى عبد المطلب أتقنوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أتقنوا نفسك من النار ، فأبى والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً ما يلها يلاها » ورواه مسلم والترمذى من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال الترمذى غريب من هذا الوجه ، ورواه النسائى من حديث موسى بن طلحة مرسلًا ولم يذكر فيه أباً هريرة ، والموصول هو الصحيح ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعنى بن إسحق عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، يا صفية عمه رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فأبى لا أغنى عنكما من الله شيئاً ، سلانى من مالي ما شئتما » تفرد به من هذا الوجه . وتفرد به أيضاً معاوية عن زائدة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ، ورواه أيضاً عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعاً . وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « يا بنى قصى يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أنا النذير والموت المغير . والساعة الموعده » . ﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد التيمى عن أبى عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت ( وأنذر عشيرتک الأقربين ) سعد رسول الله ﷺ رضىة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادى « يا بنى عبد المناف إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه » ورواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن طرخان التيمى عن أبى عثمان عبد الرحمن بن سهل النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو الهلالى به . ﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدى عن على رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ( وأنذر عشيرتک الأقربين ) جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم « من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون معى فى الجنة ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » فقال رجل لم يسمه شريك يا رسول الله أنت كنت بحرى من يقوم بهذا ، قال ثم قال لآخر ثلاثاً قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال على أنا ﴿ طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ماجد عن على رضى الله عنه قال . جمع رسول الله ﷺ - أو دعا رسول الله ﷺ - بنى عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال « يا بنى عبد المطلب إنى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيسكم يابى على أن يكون أخى وصاحي » قال فلم يقم إليه أحد ، قال فقممت إليه وكنت أصغر القوم قال : فقال « اجلس » ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لى « اجلس » حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدي ﴿ طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق ﴾ بزيادات أخر ﴿ قال الحافظ أبو بكر البيهقي فى دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يوسف بن بكر عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكنى اسمه عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ( وأنذر عشيرتک الأقربين ) \* واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ) قال رسول الله ﷺ « عرفت أنى إن بادرت بها قومى رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءنى جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك » قال على رضى

الله عنه فدعاني فقال يا علي « إن الله تعالى قد أمرني أنذر عشيرتي الأقرين فعرفت أني إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره  
فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك : فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من  
طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو  
ينقصون رجلاً فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب الكافر الحبيث فقدمت اليهم تلك الجفنة فأخذ منها  
رسول الله ﷺ جذبة فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى  
إلا آثار أصابعهم . والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ « استقم يا علي » فجثت بذلك  
العقب فشربوها منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أن يكلمهم بده أبو لهب إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم فتنفروا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ « يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فان هذا  
الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكل القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع  
بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ « استقم يا علي »  
فجثت بذلك العقب فشربوها منه حتى نهلوا جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ  
أن يكلمهم بده أبو لهب بالكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم : فتنفروا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما  
كان الغد : قال رسول الله ﷺ « يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فان هذا  
الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكل القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا  
حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك العقب حتى نهلوا عنه ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال  
رسول الله ﷺ « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم  
بخير الدنيا والآخرة » قال أحمد بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن  
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث :

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحق عن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن  
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قد ذكر مثله وزاد بعد قوله « إني جئتكم  
بخير الدنيا والآخرة : وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأبيكم يوازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا ؟ »  
قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت - وإني لأحدثهم سنأ وأرخصهم عينا وأعظمهم بطنا وأخمشهم ساقا - أنا يا بني الله  
أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال « إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » ثم قام القوم يضحكون  
ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع . تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم أبي مريم وهو  
متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المهدي وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله (طريق أخرى) قال ابن  
أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن  
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال : قال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية ( وأنذر عشيرتلك الأقرين ) قال لي  
رسول الله ﷺ « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا » قال ففعلت ثم قال لي « ادع بني هاشم » قال فدعوتهم  
وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها ، قال فلما أتوا بالقصة  
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال « كلوا » فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزد ودوامها  
إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالاناء فشربوها حتى روي ، قال وفضل فضل ، فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا ما رأينا كالسيوم في السحر . فسكت رسول الله ﷺ ثم قال « اصنع لي رجل شاة  
بصاع من طعام » فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوها قال فبدروه فقالوا مثل مقالهم الأولى فسكت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ثم قال « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوها بدرهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم الكلام فقال « أَيْكُمْ يَقْضَى عَنِّي دِينِي وَيَكُونُ خَلِيقَتِي فِي أَهْلِي ؟ » قَالَ فَسَكَتُوا وَسَكَتَ الْعَبَّاسُ خَشْيَةً أَنْ يَحِيطَ ذَلِكَ بِمَا لَهُ قَالَ وَسَكَتَ أَنَا لَسُنَّ الْعَبَّاسِ . ثُمَّ قَالَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَسَكَتَ الْعَبَّاسُ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ قُلْتَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَسْوَءُ هَيْئَةٍ وَإِنِّي لَأَعْمَشُ الْعَيْنَيْنِ ضَخْمِ الْبَطْنِ خَمْشِ السَّاقَيْنِ ، فَهَذِهِ طَرِيقٌ مُتَعَدَّةٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَعْنَى سُؤَالِهِ ﷺ لِأَعْمَامِهِ وَأَوْلَادِهِمْ أَنْ يَقْضُوا عَنْهُ دِينَهُ وَيَخْلَفُوهُ فِي أَهْلِهِ يَعْنِي أَنْ يَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ حُشِيَ إِذَا قَامَ بِأَعْبَاءِ الْإِنْدَارِ أَنْ يَقْتُلَ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ) فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمِنَ وَكَانَ أَوْلَا يَحْرُسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ( وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ) وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي بَنِي هَاشِمٍ إِذْ ذَلِكَ أَشَدَّ إِيمَانًا وَإِيْقَانًا وَتَصَدِيقًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِهَذَا بَدَرَهُمْ إِلَى التَّرَامِ مَا طَلَبَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ دَعَاؤُهُ النَّاسَ جَهْرَةً عَلَى الصَّفَا وَإِنْدَارَهُ لِبَطُونِ قُرَيْشٍ عَمُومًا وَخُصُوصًا حَتَّى سَمِيَ مِنْ مَمِيٍّ مِنْ أَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ وَبَنَاتِهِ لِنَبِيِّهِ بِالْأَذْنَى عَلَى الْأَطَى أَيْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الدَّمَشْقِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بْنِ مِمْرَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَوْقَةَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ الدَّمَشْقِيِّ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْدُثُ النَّاسَ وَيُفْتِيهِمْ وَوَلَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ جُلُوسٌ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ يَتَحَدَّثُونَ فَقِيلَ لَهُ مَا بَالُ النَّاسِ يَرْغَبُونَ فَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَأَهْلُ بَيْتِكَ جُلُوسٌ لَاهِنِينَ ؟ فَقَالَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « أَرْهَدُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا الْأَنْبِيَاءُ وَأَشَدُّهُمْ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَبُونَ » وَذَلِكَ فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - قُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ) أَيْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّهُ مُؤَيَّدُكَ وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ وَمُظْفَرُكَ وَمَعْلَى كَلِمَتِكَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) أَيْ هُوَ مَعْنَى بَرَكَاتِكَ قَالَ تَعَالَى ( فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) يَعْنِي إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ يَرَى قِيَامَهُ وَرُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ ، وَقَالَ الْحَسَنُ ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) إِذَا صَلَيْتَ وَحَدَّكَ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) أَيْ مِنْ فِرَاشِكَ أَوْ مَجْلِسِكَ . وَقَالَ قَتَادَةُ ( الَّذِي يَرَاكَ ) قَائِمًا وَجَالِسًا وَعَلَى حَالَاتِكَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ( وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قَالَ قَتَادَةُ ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قَالَ فِي الصَّلَاةِ يَرَاكَ وَحَدَّكَ وَيَرَاكَ فِي الْجَمْعِ . وَهَذَا قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَعِظَاءُ الْخُرَّاسَانِيِّ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَقَالَ مُجَاهِدٌ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَى مِنْ أَمَامِهِ . وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ « سِوَا صَفْوَتِكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي » وَرَوَى الْبَزَارُ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ آيَةِ يَعْنِي تَقَلِّبُهُ مِنْ صُلْبِنِي إِلَى صُلْبِنِي حَتَّى أَخْرَجَهُ نَبِيًّا وَقَوْلُهُ تَعَالَى ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) أَيْ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ الْعَلِيمُ بِحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى ( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُونَ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ) آيَةُ .

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانَ \* نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ \* يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ \* وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به ربي من الجان فزعه الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم واقترائهم ونبه أن ما جاء به إمامهم من عند الله وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم



وإنما ينزلون على من يشاء كلهم ويشابههم من الكهان الكذبة . ولهذا قال الله تعالى ( هل أنبئكم ) أى أخبركم ( على من  
تنزل الشياطين \* تنزل على كل أفك أئيم ) أى كذوب في قوله وهو الأفك ( أئيم ) وهو الفاجر في أفعاله . فهذا هو  
الذى تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراه من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة ( يلقون  
السمع ) أى يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم  
من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما صح بذلك  
الحديث ، كما رواه البخارى من حديث الزهرى أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت  
عائشة رضی الله عنها : سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال « إنهم ليسوا بشيء » قالوا يارسول الله فانهم يحدثون بالشيء  
يكون حقاً ، فقال النبي ﷺ « تلك الكلمة من الحق يخطئها الجن فيقرقروا في أذن وليه كقرقرة السجاج  
فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة » . وروى البخارى أيضاً حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت  
عكرمة يقول سمعت أباه يقول : إن النبي ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا  
لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير ، فيسمعها  
مسترقوا السمع ، ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض - وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع  
الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر والكاهن ، وربما أدركه الشهاب  
قبل أن يلقها وربما ألغها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا  
وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » تفرد به البخارى . وروى مسلم من حديث الزهرى عن  
على بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قريباً من هذا وسيأتى عند قوله تعالى في سبأ ( حتى إذا فزع  
عن قلوبهم ) الآية . وقال البخارى وقال الليث حدثني خاله بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الأسود أخبره  
عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الملائكة تجتهد في العنان - والعنان الغمام - بالأمر  
في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة » ورواه البخارى  
في موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبي الأسود محمد بن  
عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه وقوله تعالى ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس  
يعنى الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن ، وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وقال  
عكرمة كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فقام من الناس ولهذا فقام من الناس فأنزل الله تعالى ( والشعراء يتبعهم  
الغاؤون ) وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهاد عن يحنس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد  
قال : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
« خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - ، لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلى شعراً » وقوله تعالى  
( ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغو يخوضون وقال الضحاك عن ابن  
عباس في كل فن من الكلام ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصرى قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها  
مرة في شتية فلان ومرة في مديحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوماً يباطل ويهم قوماً يباطل . وقوله تعالى  
( وأنهم يقولون مالا يفعلون ) قال العوفي عن ابن عباس كان رجلان على عهد رسول الله أحدهما من الأنصار والآخر  
من قوم آخرين وإنهما تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله تعالى ( والشعراء يتبعهم  
الغاؤون \* ألم تر أنهم في كل واد يهيمون \* وأنهم يقولون مالا يفعلون ) . وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس  
أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنه هو الواقع في نفس الأمر . فإن الشعراء يتبعجون  
بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم ، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف  
الشاعر في شعره بما يوجب حداً هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون مالا يفعلون ؟ على قولين . وقد

ذكر محمد بن إسحق ومحمد بن سعد في الطبقات والزيبر بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل آتى الحسناء أن خليلها \* بميسان يسقى في زجاج وحتم \* إذا شئت غنتني دهاقين قرية  
ورقاصة تحنو على كل مبسم \* فان كنت ندماني فبالأ كبراستني \* ولا تسقني بالأصغر المثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه \* تناذمنا بالجوسق التهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أي والله إنه ليسوءني ذلك ومن لقيه فليخبره أي قد عزلته ، وكتب إليه عمر ( بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم \* غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ) ﴿ أما بعد ﴾ فقد بلغني قولك

لعل أمير المؤمنين يسوءه \* تناذمنا بالجوسق التهدم

وايم الله إنه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني . فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبدا . وقد قلت ما قلت فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون مالا يفعلون ولكنه ذمه عمر رضي الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ، ولهذا جاء في الحديث « لأن يمتلي جوف أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلي شعراً » والمراد من هذا أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ) وقال تعالى ( إنه لقول رسول كريم \* وما هو بقول شاعر قليل ما توأمون \* ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون \* تنزيل من رب العالمين ) وهكذا قال ههنا ( وإنه لتنزيل رب العالمين \* نزل به الروح الأمين \* على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين ) إلى أن قال ( وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ) إلى أن قال ( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفك أثم \* يلقون السمع وأكثرهم كاذبون \* والشعراء يتبعهم الغاؤون \* ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟ وأنهم يقولون مالا يفعلون ) وقوله ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) قال محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الدارزي قال لما نزلت ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكون قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي ﷺ ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) قال « أتم » ( وذكروا الله كثيراً ) قال « أتم » ( واتصروا من بعد ما ظلموا ) قال « أتم » رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحق وقد روى ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي كثير عن يزيد بن عبد الله عن أبي الحسن مولى بني نوفل أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول الله ﷺ حين أنزلت هذه الآية ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) يبكيان فقال رسول الله ﷺ وهو يقرؤها عليهما ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) حتى بلغ ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) قال « أتم » وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : لما نزلت ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) إلى قوله ( وأنهم يقولون مالا يفعلون ) قال عبد الله بن رواحة يارسول الله قد علم الله أي منهم فأنزل الله تعالى ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار ؟ وفي ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأتاب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيء . فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتنح الإسلام

وأهله في مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبد الله بن الزبيري حين أسلم .

يارسول اللّيك إن لسانى \* راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن النعى \* و من مال ميله مشبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه وأكثرهم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجوّه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه ، وهكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال « نعم » قال : معاوية تجعله كاتباً بين يديك قال « نعم » قال وتؤمّرتى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال « نعم » وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ) قيل معناه ذكروا الله كثيراً في كلامهم وقيل في شعرهم وكلامها صحيح مكفر لما سبق وقوله تعالى ( واتصروا من بعد ما ظلموا ) قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم - أوقال - هاجهم وجبريل معك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل » وقوله تعالى ( وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) كقوله تعالى ( يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ) الآية ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يا أيكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى ( وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) يعنى من الشعراء وغيرهم ، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا إياس بن أبي تيمعة قال حضرت الحسن ومر عليه بجنابة نصرانى فقال ( وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) وقال عبد الله ابن أبي رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره ( وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) . وقال ابن وهب أخبرني ابن سريج الاسكندراني عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتوون عليها أو يصطلون إذا بركبنا قد أقبلوا ققاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم - قال - وصاحب لنا قائم يصلى حتى مر بهذه الآية ( وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخرّبون البيت . وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم . ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطى حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها قالت : كتب أبي في وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظنى به ورجائى فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ( وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين .

( تفسير سورة النمل وهى مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ \* هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ )

يَعْمَهُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ \* وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿١٠٠﴾

قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقوله تعالى ( تلك آيات ) أى هذه آيات ( القرآن وكتاب مبين ) أى بين واضح ( هدى وبشرى للمؤمنين ) أى إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها والجنة والنار كما قال تعالى ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر ) الآية وقال تعالى ( لتبشر به اللاتقين وتندر به قومالدا ) ولهذا قال تعالى ههنا ( إن الدين لا يؤمنون بالآخرة ) أى يكذبون بها ويستبعدون وقوعها ( زينا لهم أعمالهم فهم يعمهُون ) أى حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم فى غيرهم فهم يتبهون فى ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى ( وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) الآية ( أولئك الذين لهم سوء العذاب ) أى فى الدنيا والآخرة ( وهم فى الآخرة هم الأخسرون ) أى ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل الحشر وقوله تعالى ( وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ) أى ( وإنك ) يا محمد ( لتلقى ) أى لتأخذ ( القرآن من لدن حكيم عليم ) أى من عند حكيم عليم أى حكيم فى أمره ونهيه عليم بالأمور جليلها وحقيرها ، فخبره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا )

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سنا تبيكم منها بخبر أو آتاكم بشهاب قبس لعلكم تصطون ﴾ فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين \* يموسىٰ إنه أنا الله العزيز الحكيم \* وألقى عصاك فلما رءاها تهتز كأنها جان ولىٰ مديرا ولم يعقب يموسىٰ لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون \* إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى عفور رحيم \* وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيت إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فسقين \* فلما جاءتهم آيتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين \* وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عفة المفسدين ﴿١٠١﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكرا له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكلمه ونجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة وابتعثه إلى فرعون وملئه فجدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والالتقاد له . فقال تعالى ( إذ قال موسى لأهله ) أى اذكر حين سار موسى بأهله فأضل الطريق وذلك فى ليل وظلام فآنس من جانب الطور ناراً أى رأى ناراً تأجج وتضطرم فقال ( لأهله إنى آنست ناراً سنا تبيكم منها بخبر ) أى عن الطريق ( أو آتاكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطون ) أى تستدفنون به وكان كما قال . فانهرجع منها بخبر عظيم ، واقتبس منها نوراً عظيماً ولهذا قال تعالى ( فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ) أى فلما أتاها ورأى منظرها هائلها عظيماً حيث انتهى إليها والنار تضطرم فى شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقداً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً يتوهج ، وفى رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعجباً بما رأى ( فنودى أن بورك من فى النار )

قال ابن عباس تقدس ( ومن حولها ) أى من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والسعودى عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » زاد السعودى « وحجابه النور والنار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ثم قرأ أبو عبيدة ( أن بورك من في النار ومن حولها ) وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة ، وقوله تعالى ( وسبحان الله رب العالمين ) أى الذى يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلى العظيم المبين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الأرض والسماوات بل هو الأحد الصمد اللززم عن مائة المحدثات

وقوله تعالى ( يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ) أعلمه أن الذى يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذى عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم فى أقواله وأفعاله ، ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء ، فلما لقي موسى تلك العصا من يده انقلبت فى الحال حية عظيمة هائلة فى غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى ( فلما رآها تهتز كأنها جان ) والجان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثرت اضطراباً : وفى الحديث نهى عن قتل جنان البيوت فلما عاين موسى ذلك (ولى مدبراً ولم يعقب ) أى لم يلتفت من شدة فرقه (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون ) أى لا تخف مما ترى فإني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجيهاً . وقوله تعالى ( إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم ) هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سوء ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى ( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ) وقال تعالى ( ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ) الآية والآيات فى هذا كثيرة جداً . وقوله تعالى ( وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ) هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده فى جيب درعه فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف : وقوله تعالى ( فى تسع آيات ) أى هاتان اثنتان من تسع آيات أو يدك بهن وأجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه ( إنهم كانوا قوماً فاسقين ) وهذه هى الآيات التسع التى قال الله تعالى ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ) كما تقدم تقرير ذلك هنالك ، وقوله تعالى ( فلما جاءهم آياتنا مبصرة ) أى بينة واضحة ظاهرة ( قالوا هذا سحر مبين ) وأرادوا معارضته بسحرم فقلبوا واتقبلوا صاغرين ( ووجدوا بها ) أى فى ظاهر أمرهم ( واستيقنوا أنفسهم ) أى علموا فى أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ( ظلماً وعلواً ) أى ظلماً من أنفسهم سحياً ملعوناً وعلواً أى استكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى ( فانظر كيف كان عاقبة الفاسقين ) أى انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم فى اهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم فى صيحة واحدة ونحوى الخطاب يقول احذروا أيها الكذوبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى فان محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده فى نفسه وشماله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ للوائق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَلْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ \* وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ \* وَخَشِيَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا آتَوْنَاهُ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا

أَنْتَلُّ أَدْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَنَبَسِمُ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ  
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي  
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والواهب الجليلة والصفات  
الجليلة وما جمع لها بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى  
( ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ) قال ابن أبي جاتم ذكر عن  
إبراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال : كتب عمر بن عبدالعزيز : إن الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله  
عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل . قال الله تعالى ( ولقد آتينا داود  
وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ) فأبى نعمة أفضل مما أوتى داود وسليمان عليهما السلام  
وقوله تعالى ( وورث سليمان داود ) أى فى الملك والنبوة وليس المراد وراثته المال إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده  
من بين سائر أولاد داود فإنه قد كان لداود مائة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة فإن الأنبياء  
لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فى قوله « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة »  
وقال ( يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ) أى أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام  
والتمكين العظيم حتى إنه سخر له الإنس والجن والطيور ، وكان يعرف لغة الطير والحوان أيضاً وهذا شيء لم  
يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهلة والرعاى أن الحوانات كانت تنطق  
كنطق بنى آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن  
لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهايم ويعرف ما تقول وليس الأمر كما زعموا ولا كما  
قالوا بل لم تنزل البهايم والطيور وسائر مخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والنوال . ولكن  
الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور فى الهواء وما تنطق به الحوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال  
تعالى ( علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ) أى مما يحتاج إليه الملك ( إن هذا لهو الفضل البين ) أى الظاهر البين لله  
علينا ، قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن عمرو عن المطلب عن أبي هريرة  
رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام فى غير شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب  
فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع - قال - فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم  
وسط الدار فقالت لمن فى البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لفتضحن بذاود فجاء داود عليه السلام فإذا  
الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت؟ فقال الذى لا يهاب الملوك ولا يتمتع من الحجاب فقال داود أنت إذا وألله  
ملك اللوت مرحباً بأمر الله فترمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال  
سليمان عليه السلام للطير أظلى داود فظلت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال لها سليمان اقضى جناحا جناحا»  
قال أبو هريرة يا رسول الله كيف فعلت الطير؟ فقضى رسول الله ﷺ يده وغلبت عليه يومئذ المضحية .  
قال أبو الفرج ابن الجوزى : المضحية هى النور الحمراء . وقوله تعالى ( وحشر لسليمان جنوده من الجن  
والإنس والطيور فهم يوزعون ) أى وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطيور يعنى ركب فيهم فى أهبة وعظمة  
كبيرة فى الإنس وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم فى المنزلة والطيور ومنزلتها فوق رأسه ، فان كان حر أظلمته  
منه بأجنحتها . وقوله ( فهم يوزعون ) أى يكف أولهم على آخرهم لكلا يتقدم أحد عن منزله التى هى مرتبة له ، قال  
مجاهد جل على كل صنف وزعة يردون أولها على آخرها لكلا يتقدموا فى المسير كما يفعل الملوك اليوم . وقوله

(حق إذا أتوا على وادي النمل) أي حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أورد ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذهب . أي خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه) أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي منطلق الطير والحيوان وعلى والديّ بالاسلام لك ، والإيمان بك (وأن أعمل صالحاً ترضاه) أي عملاً تحبه وترضاه (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك ، ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالنباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها . وعن نوف البكالي أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذباب ، هكذا رأيت مضبوطاً بالياء المثناة من تحت وإنما هو بالياء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم . والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جداً . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هرون أن أبا مسعر عن زيد العمى عن أبي الصديق التاجي قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فأذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنا خلقنا من خلقك ولاغنى بنا عن سقياك وإلا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقد ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قرصت نبيا من الأنبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقته ، فأوحى الله إليه ، أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟ فهلا نملة واحدة ؟ »

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مَبِينٍ ﴾

قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندساً يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فاذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) حدث يوماً عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع ابن الأزرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم ، قال ولم ؟ قال إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء في تخوم الأرض ، وإن الصبي ليضع له الحبة في الفخ ويخثو على الفخ تراباً فيجىء الهدهد ليأخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس ، لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبته ثم قال له ويحك إنه إذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحذر ، فقال له نافع : والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبداً وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله البرزقي من أهل برزة من غوطة دمشق وكان من الصالحين يصوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عوره فامتنع عليه فألح عليه شهوراً فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة وسألاه عن واديهما فأريتهما إياه فأخرجا مجامر وأوقدا فيها بخوراً كثيراً حتى يجمع الوادي بالدخان ، فأخذنا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما فلا يلتفتان إلى شيء منها ، حتى أقبلت حية نحو الدرعا وعينها تتوقدان مثل الديار ، فاستبشرا

بها عظيماً وقال الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا الجامر وأخذنا الحية فأدخلها في عينها ميلاً فاحتلها به ، فسألتهما أن يكحلاني فأيا فألححت عليهما وقلت لا بد من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكحلا عيني الواحدة اليمنى فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض تحتي مثل المرأة أنظر ماتحتها كما ترى المرأة ثم قال لي : سر معنا قليلاً فسرت معهما وهما يحدثان حتى إذا بعدت عن القرية أخذاني فكتفاني وأدخل أحدهما يده في عيني ففقتأها ورمى بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقى مكتوفاً حتى مر بي نفر ففك وثاقى ، فهذا ما كان من خبر عيني وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو والنسائي حدثنا عباد بن ميسرة النخعي عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام عنبر . وقال محمد بن إسحق : كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيها يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد ( فقال مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائبين ) أخطأه بصرى من الطير أم غاب فلم يحضره ؟ وقوله ( لأعذبه عذاباً شديداً ) قال الأعمش عن النهال بن عمرو وعن سعيد بن عباس يعني تنف ريشه ، وقال عبد الله ابن شداد تنف ريشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف إنه تنف ريشه وتركه ملقى يأكله الدور والنمل . وقوله ( أو لأذبحنه ) يعني قتله ( أو ليأتيه سلطان ميين ) بعذر بن واضح ، وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك ، فقال هل استثنى ؟ قالوا نعم قال ( لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيه سلطان ميين ) قال نجوت إذا . قال مجاهد إنما دفع الله عنه يره بأمه

﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بَنِيَّ يَقِينٍ \* إني وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ \* وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى ( فمكت ) الهدهد ( غير بعيد ) أى غاب زماناً يسيراً ثم جاء فقال لسليمان ( أحطت بما لم تحط به ) أى اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ( وجئتك من سبأ بنياً يقين ) أى بخير صدق حق يقين ، وسبأهم حمير وهم ملوك اليمن ، ثم قال ( إني وجدت امرأة تملكهم ) قال الحسن البصرى وهى بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وقال قتادة : كانت أمها جنية وكان مؤخر قدمها مثل حافر الدابة من بيت مملكة ، وقال زهير بن محمد : هى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية ؛ وقال ابن جرير بلقيس بنت ذى شريح وأمها بلنعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت كل مائة ألف مقاتل ، وقال الأعمش عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل مائة ألف مقاتل ، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى ( إني وجدت امرأة تملكهم ) كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ، وهذا القول هو أقرب على أنه كبير على ملكة اليمن والله أعلم وقوله ( وأوتيت من كل شىء ) أى من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن ( ولها عرش عظيم ) يعنى سرير يجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر والآلىء . قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد ؛ طولها ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً ؛ وقال محمد بن إسحق : كان من ذهب مفضص بالياقوت والزبرجد والؤلؤ وكان إنما يخدمها النساء ولها ستائة امرأة تلى الخدمة ، قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير فى قصر عظيم مشيد رفيع البناء



محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتعرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساءً ولهذا قال ( وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل ) أى عن طريق الحق ( فهم لا يهتدون ) وقوله ( ألا يسجدوا لله ) معناه ( وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله ) أى لا يعرفون سبيل الحق التى هى إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ) وقرأ بعض القراء ( ألا يا اسجدوا لله ) جعلها ألا الاستفتاحية وبالنداء ، وحذف المنادى تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله ، وقوله ( الذى يخرج الغيب فى السموات والأرض ) قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة فى السماء والأرض ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقناة وغير واحد . وقال سعيد بن السيب: الغيب الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق . المطر من السماء والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام المدهد الذى جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجرى فى تخوم الأرض وداخلها وقوله ( ويعلم ما تخفون وما تعلنون ) أى يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال ، وهذا كقوله تعالى ( سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالهار ) وقوله ( الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ) أى هو الدعو الله وهو الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم : الذى ليس فى الخلوقات أعظم منه . ولما كان المدهد داعياً إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والمدهد والصر ، وإسناده صحيح .

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى أُنُفَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي وَأَتُونِي مَسْلُومِينَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن قتل سليمان للمدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم ( قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ) أى أصدقت فى إخبارك هذا ( أم كنت من الكاذبين ) فى مقالتك لتخلص من الوعيد الذى أوعدتك ؟ ( اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها . وأعطاه ذلك الهدد فحمله . قيل فى جناحه كما هى عادة الطير ، وقيل بنقاره ، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلووة التى كانت تختلئ فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها ثم تولى ناحية أدباً ورياسة فتجربت مما رأت وهالما ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه ( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم \* ألا تعالوا على أتونى مسلمين ) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكاتها ثم قالت لهم ( يا أيها اللأئى ألقى إلى كتاب كريم ) تعنى بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون طائر ذهب به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدباً وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأته عليهم ( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم \* ألا تعالوا على أتونى مسلمين ) فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام ، وأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب فى غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فانه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها . قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام . وقد روى ابن أبى حاتم فى ذلك حديثاً فى تفسيره حيث قال : حدثنا أبى حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلى الحياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبى أمية عن

ابن بريدة عن أبيه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال « إني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعبد سليمان بن داود » قلت يا نبي الله أي آية ؟ قال « سأعلكها قبل أن أخرج من المسجد » قال فاتتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت نسي ثم التفت إلى وقال « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » هذا حديث غريب وإسناده ضعيف . وقال ميمون بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية . فكتب ( بسم الله الرحمن الرحيم ) . وقوله ( أن لا تلوأطى ) قال قتادة يقول لا تجبروا على ( وأتوني مسلمين ) وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا على وأتوني مسلمين . قال ابن عباس موحدس ، وقال غيره مخلصين ، وقال سفيان بن عيينة : طائعين .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونُ \* قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ \* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها وما قد نزل بها ولهذا قالت ( يا أيها الملا أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون ) أى حتى تحضرون وتشيرون ( قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ) أى منوا إليها بعد دم وعدادهم وقوتهم ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا : ( والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ) أى نحن ليس لنا عاقبة ولا بنا بأس إن شئت أن تقصديه وتحاربه فما لنا عاقبة عنه . وبعد هذا فالأمر إليك مرى فينا رأيك نمتله ونطيعه . قال الحسن البصرى رحمه الله : فوضوا أمرهم إلى علة تضطرب ثديها ، فلما قالوا لها ما قالوا كانت هى أحزم رأياً منهم وأعلم بأمر سليمان . وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والإنس والطير . وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمراً عجيباً بديعاً فقالت لهم إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلى وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا . ولهذا قالت ( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ) . قال ابن عباس أى إذا دخلوا بلداً عنوة أفسدوه أى خربوه ( وجعلوا أعزة أهلها أذلة ) أى وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر . قال ابن عباس قالت بلقيس ( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ) قال الرب عز وجل ( وكذلك يفعلون ) ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسألة والمخادعة والمصانعة فقالت ( وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ) أى سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلهذه قبل ذلك منا ويكف عنا ، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه فى كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا : قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها فى إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقفاً من الناس . وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ \* أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر وآلىء وغير ذلك وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب : قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جوارى فى زى العلمان وغلمان فى زى الجوارى فقالت إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فيزهم بذلك . وويل بل جعلت الجارية

تسئل باطن يدها قبل ظاهرها والعلام بالعكس ، وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكفهن إلى مرافقهن ، والعلمان من مرافقهم إلى كفوهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم . وذكر بعضهم أنها أرسلت إليه بقدر ليلاءه ماء رواء لامن السماء ولا من الأرض : فأجرى الخيل حتى عرقت ثم ملأه من ذلك ، وبخرزة وسلك ليحمله فيها ففعل ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالسكينة ولا اعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكراً عليهم (آمدونين بمال ؟) أى أنصاعوننى بمال لأترككم على شرككم وملككم ؟ (فما آتاني الله خير مما آتاكم) أى الذى أعطانى الله من الملك والمال والجنود خير مما أتم فيه (بل أتم بهديكم بفرحون) أى أتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : أمر سليمان الشياطين فمواهاه ألف قصر من ذهب وفضة ، فلما رأته رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا ، وفي هذا جواز تهيو الملوك وإظهارهم الزينة للرسول والقصاد (ارجع إليهم) أى بهديتهم (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بقتالهم (ولنخرجهم منها أذلة) أى ولنخرجهم من بلدتهم أذلة (وهم صاغرون) أى مهانون مدحورون . فلما رجعت إليها رسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هى وقومها وأقبلت تسير اليه فى جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ناوية متابعتة فى الإسلام ، ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم اليه فرح بذلك وسره

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ \* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت : قد والله عرفت ما هذا ملك وما لنا به من طاقة وما نضع بكابرتة شيئاً ، وبعثت اليه إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما أمرك وما تدعوننا اليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه . وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل فى سبعة آيات بعضها فى بعض ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيتك ثم شخصت إلى سليمان فى اثني عشر ألف قيل من ملوك الجن تحت يدي كل قيل ألوف كثيرة فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) وقال قتادة لما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه . وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر . وكان مسترا بالديباج والحريز ، وكانت عليه تسعة مغاليق فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد (قبل أن يأتوني مسلمين) فتحرم على أموالهم بإسلامهم (قال عفرية من الجن) قال مجاهد أى مارد من الجن ، قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن ، وكذا قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان وكذا قال أيضاً وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد مقعدك ، وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس (وإني عليه لقوي أمين) قال ابن عباس أى قوى على حمله أمين على

ما فيه من الجوهر ، فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ، ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعد ، ولتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه ، هذا وقد حجته بالأغلاق والأقفال والحفظة . فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان ، وكذا روى محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء . وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم . وقال قتادة كان مؤمنا من الإنس واسمه آصف ، وكذا قال أبو صالح والضحاك وقاتدة إنه كان من الإنس زاد قتادة من بني إسرائيل . وقال مجاهد كان اسمه أسطوم ، وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا ، وقال زهير بن محمد هو رجل من الإنس يقال له ذوالنور . وزعم عبدالله بن لهيعة أنه الحضر وهو غريب جدا . وقوله ( أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك ، وقال وهب بن منبه : امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى . قال مجاهد قال إذا الجلال والاكرام . وقال الزهري قال : يا إلهنا وإله كل شيء إلهما واحداً لإله إلا أنت ائتني بعرشها . قال ثعلب بين يديه . قال مجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن إسحق وزهير بن محمد وغيرهم : لما دعا الله تعالى وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بييت المقدس غاب السرير وغاص في الأرض ثم نبع من بين يدي سليمان

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذي جاءه من عباد البحر فلما عين سليمان وملؤه ذلك ورآه مستقراً عنده ( قال هذا من فضل ربي ) أي هذا من نعم الله على ( ليولوني ) أي ليختبرني ( أ أشكر أم أ كفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ) كقوله ( من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ) وكقوله ( ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يهدون ) وقوله ( ومن كفر فإن ربي غني كريم ) أي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم أي كريم في نفسه وإن لم يعبد أحد فان عظيماً ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى ( إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ) وفي صحيح مسلم « يقول الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي إنهم أجمعين أحصيا لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »

﴿ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \* فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا أَلْعَلِمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ \* قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لما جرى سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال ( نكروا لها عرشها تنظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ) قال ابن عباس نزع منه فصوصه ومراقفه ، وقال مجاهد أمر به فغير ما كان فيه أحمر جعل أصفر وما كان أصفر جعل أحمر . وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شيء عن حاله . وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفلها أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا ( فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ) أي عرض عليها عرشها وقد غير ونكر

وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل ، ولما لب ودهاء وحزم ، فلم تقدم على أنه هو لبعده مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأته من آثاره وصفاته وإن غير وبدل ونكر فقالت ( كأنه هو ) أى يشبهه ويقاربه . وهذا غاية في الدكاء والحزم . وقوله ( وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ) قال مجاهد يقوله سليمان ، وقوله تعالى ( وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ) هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله أى قال سليمان ( أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ) وهى كانت قد صدتها أى منعها من عبادة الله وحده ( ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ) وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد وحسن وقاله ابن جرير أيضاً ، ثم قال ابن جرير ويحتمل أن يكون فى قوله ( وصدها ) ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تقديره ومنعها ( ما كانت تعبد من دون الله ) أى صدتها عن عبادة غير الله ( إنها كانت من قوم كافرين ) ﴿ قلت ﴾ ويؤيد قول مجاهد أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتى . وقوله ( قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها ) وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير أى من زجاج وأجرى تحته الماء فالذى لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشى وبينه . واختلفوا فى السبب الذى دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه فقيل انه لما عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ولكن فى ساقها هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة . فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظى وغيره . فلما دخلت وكشفت عن ساقها رأى أحسن الناس ساقاً وأحسنهم قدماً . ولكن رأى على رجلها شعراً لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له موسى فقالت لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئاً غير موسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة . وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى والسدى وابن جريج وغيرهم . وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلى الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها لا تشك أنه ماء تخوضه فقيل لها إنه صرح مجرد من قوارير ، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها فى عبادة الشمس من دون الله ، وقال الحسن البصرى : لما رأته العلجة الصرخ عرفت والله أن قد رأيت ملكاً أعظم من ملكها ، وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضاً ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريرته فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس ثم قال لها ادخلى الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها ( فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها ) لا تشك أنه ماء تخوضه قيل لها ( إنه صرح مجرد من قوارير ) . فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله عز وجل وحده وعاتبها فى عبادتها الشمس من دون الله فقالت يقول الزنادقة فوقع سليمان ساجداً إعظاما لما قالت وسجد معه الناس فسقط فى يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت ؟ قالت أنسيت ما قلت ؟ فقالت ( رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) فأسلمت وحسن إسلامها . وقد روى الإمام أبو بكر بن أبى شيبة فى هذا أثراً غريباً عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن على عن زائدة حدثنى عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن فى الأزرد قال حدثنا ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام يجلس على سريرته ثم توضع كراسى حوله فيجلس عليها الإنس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تآنى الريح فترفعهم ثم تظلمهم الطير ثم يغدون قدر ما يشتهى الراكب أن ينزل شهراً ورواحها شهراً ، قال فبينما هو ذات يوم فى مسير له إذ تفقد الطير ففقد الهدهد فقال ( مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين \* لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه أو نياتيني بسطان ميين ) قال وكان عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه فى الأرض فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض قال عطاء وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد ( فمكث غير بعيد - فقرأ حتى انتهى إلى قوله - سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين \* اذهب بكتابى هذا ) وكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى بلقيس ( أن لاتعلوا

على واثتوني مسلمين) فلما ألقى الهدهد الكتاب إليها ألقى في روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وأن لاتعلوا على واثتوني مسلمين قالوا نحن أولوا قوة قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاءت الهدية سليمان قال آمدوني بما ارجع اليهم فلما نظر إلى الغبار أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبأ ومن معها حين نظر إلى الغبار كما بيننا وبين الحيرة ، قال عطاء ومجاهد حينئذ في الأزد . قال سليمان أيكم يأتييني بعرشها ؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلى الغبار مسيرة شهرين ( قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ) قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الأمراء ثم يقوم . فقال ( أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ) قال سليمان أريد أعجل من ذلك ، فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد إلى السرير ، قال فلما رأى سليمان عرشها قال ( هذا من فضل ربي ) الآية ( قال نكروا لها عرشها ) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو . قال فسألته حين جاءت عن أمرين قالت لسليمان أريد ماء ليس من أرض ولا سماء . وكان سليمان إذا سئل عن شيء سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين قال : فقالت الشياطين هذاهين أجرا الحيل ثم خذ عرقها ثم املا منه الآنية . قال فأمر بالحيل فأجريت ثم أخذ عرقها فملا منه الآنية ، قال وسألت عن لون الله عز وجل . قال فوثب سليمان عن سريره فخرساجداً فقال يارب لقد سألتني عن أمر إنه ليتعاطف في قلبي أن أذكره لك ، فقال ارجع فقد كفيتكهم قال فرجع إلى سريره قال ما سألت عنه ؟ قالت ما سألتك إلا عن الماء فقال لجنوده ما سألت عنه ؟ فقالوا ما سألتك إلا عن الماء ، قال ونسوه كلهم . قال وقالت الشياطين إن سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم تنفك من عبوديته ، قال فجعوا صرحاً مجرداً من قوارير فيه السمك قال فقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها فاذا هي شعراء . فقال سليمان هذا قبيح فما يذهب ؟ قالوا يذهب موسى فقال أئر موسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة . قال فهو أول من جعلت له النورة ، ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث ﴿ قلت ﴾ بل هو منكسر غريب جداً ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب ساعهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة . أصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن فرعون لعنه الله أنه قال لوزيره هامان ( ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ) الآية . والصرح قصر في الجن على البناء ، والمرد المبني بناء محكما أملس ( من قوارير ) أي زجاج ، وتمريد البناء تمليسه ، وما رد : حصن بدومة الجندل . والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصر أعظما منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، وأسلمت لله عز وجل وقالت ( رب إني ظلمت نفسي ) أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ( وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء بقدره تقديرآ .

﴿ وَتَقَدَّرْنَا إِلَىٰ مَوْدِ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عَابَدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ  
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ  
اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ ﴿

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ( فإذا هم فريقان يختصمون ) قال مجاهد : مؤمن وكافر كقوله تعالى ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ) ( قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ) أى لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته ولهذا قال ( لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبعين معك ) أى ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا ، وذلك أنهم لشقائمهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاءموا بهم وهذا كما قال الله تعالى إخبارا عن قوم فرعون ( فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ) الآية وقال تعالى ( وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك \* قل كل من عند الله ) أى بقضائه وقدره ، وقال تعالى مخبرا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون ( قالوا إنا تطيرنا بكم لننظرنكم أتنتهوا للرحمن وللمسكين منا عذاب ألم قالوا طائركم معكم ) الآية وقال هؤلاء ( اطيرنا بك وبعين معك قال طائركم عند الله ) أى الله يجازيكم على ذلك ( بل أنتم قوم تفتنون ) قال قتادة تبتلون بالطاعة والمعصية. والظاهر أن المراد بقوله ( تفتنون ) أى تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ \* قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَنَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يخبر تعالى عن طغاة ثمود وروءوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهو ما يقتل صالح أيضا بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه إنهم ما علموا بشيء من أمره وإنهم لصادقون فيما أخبرهم به من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى ( وكان في المدينة ) أى مدينة ثمود ( تسعة رهط ) أى تسعة نفر ( يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم قال العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أى الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم فحبهم الله ولعنهم وقد فعل ذلك وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة دعي وديم وهريما وهريم وداب وصواب ورياب ومسطح وقدار بن سالف عاقر الناقة أى الذى باشر ذلك بيده ، قال الله تعالى ( فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ) وقال تعالى ( إذ انبث أشقاها ) وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر بن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء - هو ابن أبي رباح - يقول ( وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) قال كانوا يقرضون الدراهم يعنى أنهم كانوا يأخذون منها وكانهم كانوا يتعاملون بها عددا كما كان العرب يتعاملون . وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض ، وفي الحديث الذى رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الافساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك . وقوله تعالى ( قالوا تقاتموا بالله لنبيته وأهله ) أى تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام من قبله ليلا غيلة ، فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تقاتموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقال قتادة تواتموا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينا هم معانق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدبهم ، قال

العوفي عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا: حين عقروها لئيتن صالحا وأهله فنقتلهم ثم تقول لأولياء صالح ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم قدمهم الله أجمعين. وقال محمد بن إسحق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة هلم فنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الللائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدين قد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا ، وإن كان كاذبا فأتهم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة قال لهم صالح ( تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ) قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلى فيه فخرجوا إلى كهف أى غار هناك ليلا فقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من المصطب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدرى قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم : فعذب الله هؤلاء ههنا وههنا وأبغى الله صالحا ومن معه ثم قرأ ( ومكروا مكرا ومكرونا مكرا وهم لا يشعرون \* فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين \* تلك بيوتهم خاوية ) أى فارغة ليس فيها أحد ( بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون \* وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون )

﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ \* أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ \* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ \* فَانجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنْهَا مِنَ الْغَابِرِينَ \* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال ( أتأتون الفاحشة وأتم تبصرون ) أى يرى بعضكم بعضا وتأتون في ناديكم المنكر ( أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ) أى لا تعرفون شيئا لا طبعيا ولا شرعا كما قال في الآية الأخرى ( أتأتون الذكور من العالمين وتندرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ) ( فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتك إنهم أناس يتطهرون ) أى يتخرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، قال الله تعالى ( فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرنا من الغابرين ) أى من الهالكين مع قومها لأنها كانت ردة لهم على دينهم وعلى طريقهم في رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيغان لوط ليأتوا إليهم لأنها كانت تفعل الفواحش تكريما لنبى الله ﷺ لا كرامة لها وقوله تعالى ( وأمطرنا عليهم مطرا ) أى حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين يبعيد ولهذا قال ( فساء مطر المنذرين ) أى الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الانذار فخالقوا الرسول وكذبوه وهو يا إخراجه من بينهم

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ \* أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَمْ نَعْلَمْ مَعِ اللَّهِ



بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول ( الحمد لله ) أى على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما انصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى ، وأنت يسلم على عباده الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبيأؤه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى ، هم الأنبياء قال وهو كقوله ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ) : وقال الثوري والسدي هم أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضاً ولا منافاة فانهم إذا كانوا من عباده الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأخرى . والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذلك لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر ، أن يحمده على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار . وقد قال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنم حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ( وسلام على عباده الذين اصطفى ) قال هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنيبه رضى الله عنهم وقوله تعالى ( آله خير أم ما يشركون ) استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى . ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى ( أمن خلق السموات ) أى خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفاتها . وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة . وخلق الأرض في استفالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار ، والفيافي والقفار ، والزرع والأشجار ، والثمار والبحار ، والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك . وقوله تعالى ( وأنزل لكم من السماء ماء ) أى جعله رزقاً للعباد ( فأنتنبتوا حدائق ) أى بساتين ( ذات بهجة ) أى منظر حسن وشكل بهي ( ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ) أى لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها . وإنما يقدر على ذلك الخالق الرزاق المستقل بذلك للتفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى في الآية الأخرى ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ) ( ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجيبنا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ) أى هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره بما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة ، من هو المنفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى ( أإله مع الله ) أى أإله مع الله يعبد ، وقد تبين لكم ولكل ذى لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرزاق . ومن المفسرين من يقول معنى قوله ( أإله مع الله ) فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو المنفرد به فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ كما قال تعالى ( أفئن يخلق كمن لا يخلق ) الآية . وقوله تعالى هنا ( أمن خلق السموات والأرض ) ( أمن ) في هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك . وقد قال الله تعالى ( آله خير أم ما يشركون ) ثم قال في الآية الأخرى ( بل هم قوم يعدلون ) أى أى يجعلون لله عدلاً ونظيراً . وهكذا قال تعالى ( أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ) أى أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ؟ ولهذا قال تعالى ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ) ( أفئن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ) وقال تعالى ( أمن هو قانت على كل نفس بما كسبت ) أى أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيقه كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله ؟ ولهذا قال ( وجعلوا لله شركاء قل سمواهم ) وهكذا هذه الآيات الكريمة كلها .

﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ نَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلًا أَكْثَرُهمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى (أمن جعل الأرض قراراً) أي قارصاً كنه ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فانها لو كانت كذلك لماطاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الأخرى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) (وجعل خلالها أنهاراً) أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقها في خلالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه (وجعل لها رواسي) أي جبالاً شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بهم (وجعل بين البحرين حاجزاً) أي جعل بين ليه العذبة والمالحة حاجزاً أي مانعاً يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فان الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالاً يسقى الحيوان والنبات والثمار منها . والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاباً لئلا يفسد الهواء يريحها كما قال تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) ولهذا قال تعالى (أإله مع الله؟) أي فعل هذا أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح (بل أكثرهم لا يعلمون) أي في عبادتهم غيره .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ نَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند التوازل كما قال تعالى (وإذ أمسك الضمير في البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال تعالى (ثم إذ أمسك الضمير فإليه تجأرون) وهكذا قال ههنا (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر الضرورين سواه . قال الإمام أحمد أنبأنا عفان أنبأنا وهيب أنبأنا خالد الحذاء عن أبي تيمية الهجيمي عن رجل من بلهجم قال: قلت يارسول الله إلام تدعو؟ قال «أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن أضلت بأرض قفر فدعوته ردغليك ، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك» قال: قلت أوصني ، قال «لا تسبن أحداً ولا تزهدن في المعروف ، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسطة إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى ، وانزري إلى نصف الساق فان أبيت فإلى الكعبين . وإياك وإسبال الأزار فان إسبال الأزار من الخيلة وإن الله لا يحب الخيلة» وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد . حدثنا عبيدة الهجيمي عن أبيه عن أبي تيمية الهجيمي عن جابر بن سليم الهجيمي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محتب بشملة وقد وقع هديه على قدميه فقلت: أيكم رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه ، فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني قال «لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسطة ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فانه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك وإسبال الأزار فان إسبال الأزار من الخيلة وإن الله لا يحب الخيلة ، ولا تسبن أحداً» قال فأسببت بعده أحداً ولاشاة ولا بعيراً . وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقاً وعندهما طرف صالح منه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشام حدثنا عبيدة ابن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيد الله بن أبي صالح قال : دخل على طاوس يعودني فقلت له : ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال وهب بن منبه قرأت في الكتاب الأول إن الله تعالى يقول : يعزني إنه من اعتصم بي فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن فإني أجعل له من بين ذلك مخرجاً

ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء فأكله إلى نفسه وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكرى على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فانها أقرب قفلة لاخيرة لي فيها ، فقال بل هي أقرب فسلكناها فاتتهنا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي أمسك رأس البغل حتى أنزل فنزل وتشمرو جمع عليه ثيابه وسل سكيننا معه وقصدني ففررت من بين يديه وتبعني فناشدته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وإنما أريد قتلك فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال : عجل قممت أصلي فأرتج على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيرا وهو يقول هيه افرغ فأجرى الله على لساني قوله تعالى ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ) فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما . وذكر في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلبية قالت : هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة فوق جواد جيد بصاحبه وكان من ذوى اليسار ومن الصلحاء فقال للجواد مالك وبلك إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم فقال له الجواد ومالي لا أقصر وأنت تسكل العلوقة إلى السواس فيظلمونني ولا يطعمونني إلا القليل ؟ فقال لك على عهد الله أني لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حجرى فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حجره ، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم أمره فقال : ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها . واحتال ليحصله في بلده فبعث إليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته في الإسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره فلما اكتشفاه ليأخذه رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم إنه إنما خدعني بك فاكفنيهما بما شئت . قال فخرج سبعان فأخذاهما ورجع الرجل سالما . وقوله تعالى ( ويجعلكم خلفاء الأرض ) أى يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى ( إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ) وقال تعالى ( وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضهم فوق بعض درجات ) وقال تعالى ( وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ) أى قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية ( ويجعلكم خلفاء الأرض ) أى أمة بعد أمة وجيل بعد جيل وقوما بعد قوم ولو شاء لأوجدكم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء خلقتهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكأن تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة وينذرهم في الأرض ويجعلهم قرونا بعد قرون وأما بعد أمم حتى يتقضى الأجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدم غدا ثم يقيم القيامة ويوفى كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ) أى يقدر على ذلك أو إله مع الله بعد هذا وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ؟ ( قليلا ما تذكرون ) أى ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى ( أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ) أى بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية كما قال تعالى ( وعلامات  
والنجم هم يهتدون ) وقال تعالى ( وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ) الآية ( ومن يرسل  
الرياح بشرا بين يدي رحمته ) أى بين يدي السحاب الذى فيه مطر يعيث الله به عباده المجددين الأزلين القنطين ( أله مع  
الله ؟ تعالى الله عما يشركون )

﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُن مَّعَ اللَّهِ قُلُوبُ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أى هو الذى قدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى فى الآية الأخرى ( إن بطش ربك لشديد \* إنه هو  
يبدئ ويعيد ) وقال تعالى ( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) ( ومن يرزقكم من السماء والأرض ) أى بما  
ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض كما قال تعالى ( والسماء ذات الرجوع \* والأرض ذات الصدع ) وقال  
تعالى ( يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ) فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء  
مباركا فيسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزهار وغير ذلك من ألوان شتى ( كلوا  
وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ) ولهذا قال تعالى ( أله مع الله ) أى فعل هذا وعلى القول  
الآخر بعد هذا ( قل هاتوا برهانكم ) على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ( إن كنتم صادقين ) فى ذلك  
وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه  
إنه لا يفلح الكافر )

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ \* بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمُ  
فِي آخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض  
الغيب إلا الله . وقوله تعالى ( إلا الله ) استثناء منقطع أى لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فانه المنفرد بذلك وحده  
لا شريك له كما قال تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ) الآية وقال تعالى ( إن الله عنده علم الساعة وينزل  
الغيث ) إلى آخر السورة ، والآيات فى هذا كثيرة ، وقوله تعالى ( وما يشعرون أيان يبعثون ) أى وما يشعر الخلائق  
الساكنون فى السموات والأرض بوقت الساعة كما قال تعالى ( ثقلت فى السموات والأرض لاتأتينكم إلا بغتة ) أى ثقلت  
عليها على أهل السموات والأرض . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازى عن  
داود بن أبى هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أنه يعلم — يعنى النبى صلى الله  
عليه وسلم — ما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول ( قل لا يعلم من فى السموات والأرض  
الغيب إلا الله ) وقال قتادة إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها  
رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . وإن أناساً  
جهلة بأمر الله قد أخذوا من هذه النجوم كهانة ، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم  
كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر  
والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم ، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب ، وقضى  
الله تعالى أنه لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . رواه ابن أبى حاتم عنه بحرفه

وهو كلام جليل متين صحيح وقوله (بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها) أى انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون (بل أدرك علمهم) أى تساوى علمهم فى ذلك كما فى الصحيح لمسلم أن رسول الله ﷺ قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة « ما السئول عنها بأعلم من السائل » أى تساوى فى العجز عن درك ذلك علم السئول والسائل ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (بل ادرك علمهم فى الآخرة) أى غاب ، وقال قتادة (بل ادرك علمهم فى الآخرة) يعنى بجهلهم برهيم ، يقول لم ينفذ لهم علم فى الآخرة . هذا قول ، وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس (بل ادرك علمهم فى الآخرة) حين لم ينفع العلم ، وبه قال عطاء الخراسانى والسدى أن علمهم إنما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ) وقال سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقرأ ( بل أدرك علمهم ) قال اضمحل علمهم فى الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى ( بل هم فى شك منها ) عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى ( وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ) أى الكافرون منكم وهكذا قال ههنا ( بل هم فى شك منها ) أى شاكون فى وجودها ووقوعها ( بل هم منها عمون ) أى فى عمية وجهل كبير فى أمرها وشأنها

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُنَا أَعْمَاءُ لَمْ نُخْرَجُونَ \* لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّآبَاءُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ \* وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن منكرى البعث من المشركين أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاما ورفاتا وترابا ثم قال (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) أى ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً ، وقوله (إن هذا إلا أساطير الأولين) يعنون ما هذا الوعد باعادة الأبدان (إلا أساطير الأولين) أى أخذه قوم عن قبلهم من كتب يتلقاه بعض عن بعض وليس له حقيقة ، قال الله تعالى مجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد (قل) يا محمد لهؤلاء (سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى الكذابين بالرسول وبما جاءهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نعمة الله وعدابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ، ثم قال تعالى مسلماً لئيبه ﷺ (ولا تحزن عليهم) أى الكذابين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) أى فى كيدك ورد ما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده فى المشرق والمغرب

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فى سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟) قال الله تعالى مجيباً لهم (قل) يا محمد (عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) قال ابن عباس أن يكون قرب أو أن يقرب لكم بعض الذى تستعجلون ، وهكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراسانى وقاتادة

والسدى وهذا هو المراد بقوله تعالى (ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا) وقال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لحيطه بالكافرين) وإنما دخلت اللام في قوله (ردف لكم) لأنه ضمن معنى عجل لكم كما قال مجاهد في رواية عنه (عسى أن يكون ردف لكم) عجل لكم ثم قال الله تعالى (وإن ربك لندو فضل على الناس) أى في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكرون على ذلك إلا القليل منهم (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى يعلم الضائر والسرائر كما يعلم الظواهر (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به (يعلم السر وأخفى) (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه فقال تعالى (وما من غائبة) قال ابن عباس يعنى وما من شيء (في السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) وهذه كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن الله على سير)

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقِصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ \* وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ \* إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ \* فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ \* إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ أَلْمُوتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ \* وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يَوْمِنُ بِنَايَتِنَا فَهَمْ مُسْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بنى إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كاختلافهم فى عيسى وتباينهم فيه فالهود أقرروا النصرى غلوا فاجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله وأنبياؤه ورسله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) وقوله (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) أى هدى لقلوب المؤمنين به ورحمتهم فى العمليات . ثم قال تعالى (إن ربك يقضى بينهم) أى يوم القيامة (بحكمه وهو العزيز) أى فى انتقامه (العليم) بأفعال عباده وأقوالهم (فتوكل على الله) أى فى جميع أمورك وبلغ رسالة ربك (إنك على الحق البين) أى أنت على الحق البين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، ولهذا قال تعالى (إنك لا تسمع الموتى) أى لا تسمعهم شيئا ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفى آذانهم وقر الكفر ولهذا قال تعالى (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين \* وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم \* إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى إنما يستجيب لك من هو صم بصير السمع والبصر النافع فى القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على السنة الرسل عليهم السلام

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سياتى تفصيله إن شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن على رضى الله عنه تكلمهم كلاما أى تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراسانى تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويروى هذا عن على واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم . وقال ابن عباس فى رواية تجرحهم ، وعنه رواية قال. كلاً تفعل يعنى هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم ، وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر والله المستعان . قال الإمام أحمد حدثنا سفیان عن

قرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن  
تتذاكر أمر الساعة فقال « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة  
وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب وخسف  
بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم  
حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن قرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن  
حذيفة مرفوعاً ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه  
موقوفاً قاله أعلم ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجريير بن حازم ، فأما طلحة فقال  
أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل حدثني عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة ، وأما جريير فقال عن  
عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود . وحديث طلحة أتم وأحسن قال ذكر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الدابة فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرقة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني  
مكة - ثم تكمن زمناً طويلاً ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية »  
يعني مكة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام  
لم يرعهم إلا وهي ترغوبين الركن والقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعا ، وبقيت عصابة  
من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى وولت  
في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان  
الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تتطلق ويشارك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن  
من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حتى وحتى إن الكافر ليقول يا مؤمن اقضني حتى » ورواه ابن جرير  
من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً والله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً ، وأن ذلك في زمان عيسى  
ابن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن إسناده لا يصح (حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا  
محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد :  
سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ،  
وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً » (حديث آخر) روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن  
ابن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع  
الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن  
زيد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : الدجال والدخان ودابة  
الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم » . (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حرمة  
ابن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الجارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة والدجال  
وخويصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به . (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد  
عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تخرج دابة الأرض ومعها عصا  
موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتحطم أنف الكافر بالعصا ويحلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان  
يسرف المؤمن من الكافر » ورواه الإمام أحمد عن بهز وعفان وزيد بن هرون ثلاثهم عن حماد بن سلمة به ، وقال  
« فتحطم أنف الكافر بالخاتم ويحلى وجه المؤمن بالعصا حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن  
ويقول هذا يا كافر » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر)  
قال ابن ماجه حدثنا أبو عسان محمد بن عمرو حدثنا أبو عملة حدثنا خالد بن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : ذهب في

رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة من هذا الموضع » فإذا فتر في شبر قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنين فأرانا عصاً له فإذا هو بعصا هذه كذا وكذا . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال : هي دابة ذات زغب لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا فضيل ابن مرزوق عن عطية قال : قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها ، وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح قال : سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بجباد والله لو كنت معهم أولو شئت بعصا الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها . قيل فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان قيل . ثم ماذا قال ثم لأعلم ، وعن عبد الله بن عمر أنه قال . تخرج الدابة ليلة جمع . رواه ابن أبي حاتم وفي إسناده ابن اليمان . وعن وهب بن منبه أنه حكى من كلام عزيز عليه السلام أنه قال : وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها ، وتضع الحبالى قبل التمام ، ويعود الماء العذب أجاجاً ويتعادي الأخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم . وتكلم الأرض التي تلتها ، وفي ذلك الزمان يرجو الناس مالا يلبثون ، ويتبعون فيم لا ينالون ، ويعملون فيما لا يأكلون رواه ابن أبي حاتم عنه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن أبي مريم أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن الدابة فيها من كل لون ما بين قرنها فرسخ للراكب ، وقال ابن عباس هي مثل الحربة الضخمة ، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب ولها لحية ، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلثها رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن جريج عن ابن الزبير إنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وعنقها عنق نعام ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج معها عصاموسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكبت في وجهه بعصا موسى نكبة يضاء ففشوا تلك النكبة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكبت في وجهه نكبة سوداء بخاتم سليمان ففشوا تلك النكبة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق بكم ذابوا من بكم ذابوا كافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على ما دنتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة ؟ ويا فلان أنت من أهل النار . فذلك قول الله تعالى ( وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون )

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسوله إلى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تمهيداً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً فقال تعالى ( ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ) أى من كل قوم وقرن فوجاً أى جماعة ( ممن يكذب بآياتنا ) كما قال تعالى ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ) وقال تعالى ( وإذا النفوس زوجت ) وقوله تعالى ( فهم يوزعون ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يدفعون وقال قتادة : وزعة : تردأولهم على آخرهم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون ( حتى إذا جاءوا ) ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المسألة ( قال أكذبتم بآياتي



ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ) أى فيستولون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم ( فلا صدق ولا صلى \* ولكن كذب وتولى ) فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى ( هذا يوم لا ينطقون \* ولا يؤذن لهم فيعتذرون ) الآية وهكذا قال ههنا ( ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ) أى بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا فى الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية . ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذى تجب طاعته والالتقاد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذى لا محيد عنه فقال تعالى ( ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ) أى فى ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب فى نهارهم ( والنهار مبصر ) أى منيرا مشرقا فبسبب ذلك يتصرفون فى المعاشى والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شئونهم التى يحتاجون إليها ( إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون )

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ \* وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرٌّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ \* وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع فى الصور وهو كما جاء فى الحديث قرن ينفخ فيه . وفى حديث الصور إن إسرائيل هو الذى ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها وذلك فى آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض ( إلا من شاء الله ) وهم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم يرزقون قال الإمام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى حدثنا أبى حدثنا شعبه عن النعمان ابن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذى تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال سبحان الله؟ أولا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يخرّب البيت ويكون ويكون - ثم قال - قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فهل يملكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبّد جبل لدخلته عليه حتى قبضه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أضعى لينا ورفع لينا - قال - وأول من يسمعه رجل يلوّط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - مطرا كأنه الطل - أو قال الظل، شعبة الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوا منهم منسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النار يقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق » وقوله ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أضعى لينا ورفع لينا . اللبث هو صفحة العنق أى أمال عنقه ليستتمه من السماء جيدا فهذه نفخة الفزع ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع

الخالق ولهذا قال تعالى ( وكل أتوه داخرين ) قرى بلد وبغيره على الفعل وكل بمعنى واحد وداخرين أى صاخرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيون بحمده ) وقال تعالى ( ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ) وفي حديث الصور أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ إسرافيل فيه بعد ما تثبت الأجساد في قبورها وأما كنها فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلة فيقول الله عز وجل : وعزى وجلالى لترجعن كل روح إلى جسدها . فتجىء الأرواح إلى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللدغ ثم يقومون ينفذون التراب من قبورهم قال الله تعالى ( يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ) وقوله تعالى ( وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر السحاب ) أى تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهى تمرمر السحاب أى تزول عن أما كنها كما قال تعالى ( يوم تمور السماء مورا \* وتسير الجبال سيرا ) وقال تعالى ( ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا \* فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ) وقال تعالى ( ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ) وقوله تعالى ( صنع الله الذى أتقن كل شئ ) أى يفعل ذلك بقدرته العظيمة ( الذى أتقن كل شئ ) أى أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع ( إنه خير بما يفعلون ) أى هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء . ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال ( من جاء بالحسنة فله خير منها ) قال قتادة بالإخلاص وقال زين العابدين هى لإله إلا الله وقد بين تعالى فى الموضع الآخر أن له عشر أمثالها ( وهم من فزع يومئذ آمنون ) كما قال فى الآية الأخرى ( لا يحزنهم الفزع الأكبر ) وقال تعالى ( أفمن يلقى فى النار خير أم من أتى آمنا يوم القيامة ) وقال تعالى ( وهم فى الغرفات آمنون ) وقوله تعالى ( ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ) أى من لقي الله مسيئا لا حسنة له أو قدر جحت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى ( هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ) وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد ابن كعب وريد بن أسلم والزهرى والسدى والضحاك والحسن وقاتدة وابن زيد فى قوله ( ومن جاء بالسيئة ) يعنى بالشرك .

﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أُعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَاهُ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ \* وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله وأمرا له أن يقول ( إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها وله كل شئ ) كما قال تعالى ( قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ) وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى ( فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) ؛ وقوله تعالى ( الذى حرّمها ) أى الذى إنما صارت حراما شرعا وقدرنا بتحريمه لها كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ، لا يعصده شوكه ولا ينفرس صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها » الحديث بتمامه . وقد ثبت فى الصحاح والحسان والسائيد من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين فى موضعه من كتاب الأحكام والله الحمد والمنة . وقوله تعالى : ( وله كل شئ ) من باب عطف العام على الخاص أى هو رب هذه البلدة ورب كل شئ . ومليكه لا إله إلا هو ( وأمرت أن أكون من المسلمين ) أى الموحدين المخلصين للنقادين لأمره الطيعين له . وقوله ( وأن أتلو القرآن ) أى على الناس

أبلغهم إياه كقوله تعالى ( ذلك تلاوه عليك من الآيات والله كالحكيم ) وكقوله تعالى ( تتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق ) الآية أي أنا مبلغ ومنذر ( فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ) أي إلى أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا من عهدهم وحساب أممهم على الله تعالى كقوله تعالى ( فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ) وقال ( إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ) ( وقال الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها ) أي لله الحمد الذي لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والانداز إليه ، ولهذا قال تعالى ( سيركم آياته فتعرفونها ) كما قال تعالى ( سزيمهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) وقوله تعالى ( وما ربك بغافل عما تعملون ) أي بل هو شهيد على كل شيء . قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى الثقفي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس لا يغترون أحدكم بالله فان الله لو كان غافلا شيئاً لأغفل البعوضة والجرذلة والذرة » وقال أيضا حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر ابن علي قال أني أخبرني عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان الله مغفلاً شيئاً لأغفل ما تعق الرياح من أثر قدمي ابن آدم ، وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان ينشد هذين البيتين إمالة وإما لغيره إذا ما خلوت الدهري يوماً فلا تقل \* خلوت ولكل قل على رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة \* ولا أن ما يخفي عليه يغيب آخر تفسير سورة النمل والله الحمد والمنة

### ( تفسير سورة القصص وهي مكية )

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن أبيه عن أبي إسحاق عن معدي كرب قال أتينا عبداً فسالناه أن يقرأ علينا طسم الساتين فقال ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت قال : فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا رضي الله عنه .

### ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( طسم \* تلك آيات الكتاب المبين \* تتلوا عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون \* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين \* ونريد أن نمنن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين \* ونسكن لهم في الأرض ونرى فرعوناً وهمن وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون )

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة ، وقوله ( تلك ) أي هذه ( آيات الكتاب المبين ) أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن . وقوله ( تتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق ) الآية كما قال تعالى ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) أي نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى ( إن فرعون علا في الأرض ) أي تكبر وتجر وطغى ( وجعل أهلها شيعاً ) أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى ( يستضعف طائفة منهم ) يعني بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم ، هذا وقد سلب عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أحسن الأعمال ، ويكدم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحى نساءهم إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه . وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها

ما جرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصانها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانة فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فأحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ولن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى ( ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض - إلى قوله - يحذرون ) وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون - إلى قوله - يعرشون ) وقال تعالى ( كذلك وأورثناها بني إسرائيل ) أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدرى ولا يئلب بل نفذ حكمه وجرى قلبه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إمامنشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك وغذاؤه من طعامك وأنت تربيته وتبدله وتتفاده وتحفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات الملا هو القاهر الغالب العظيم القوى العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۖ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط أن يفنى بني إسرائيل فيلون هم ما كانوا يولونه من الأعمال الشاقة فقالوا لفرعون إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون ، ونساؤهم لا يمكن أن تمنن بما تقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك فأمر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما ، فولد هرون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان ، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدرن على النساء فمن رأيتها قد حملت أحصوا اسمها ، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط فان ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن ، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الدباحون بأيديهم الشفار المرهفة قتلوه ومضوا قبهم الله تعالى . فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تظن لها الدايات ، ولكن لما وضعته ذكرأ ضاقت به ذرعاً وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته حباً زائداً وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً ، قال الله تعالى ( وألقيت عليك محبة مني ) فلما ضاقت به ذرعاً ألهمت في سرها وألقت في خلدتها ونفت في روعها كما قال تعالى ( وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رددوه إليك وجاعلوه من المرسلين ) وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد بمن تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجوارى فاحتملته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتنن عليها فيفتحه دونها ، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأباه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بلعها ولهذا قال ( فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ) الآية قال محمد بن إسحق وغيره اللام هنا لام العاقبة لالام التعليل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي

ما قالوه ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فانه تبقى اللام للتعليل لأن معناه أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدوا لهم وحرنا فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه ولهذا قال تعالى (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) وقدرى عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أنه كتب كتابا إلى قوم من القدرية في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحرنا قال الله تعالى (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقلتم أتم لو شاء فرعون أن يكون لموسى وليا وناصرأ والله تعالى يقول (ليكون لهم عدوا وحرنا) وقوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك) الآية يعنى أن فرعون لما رآه بمقتله خوفا من أن يكون من بنى إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحميه إلى فرعون فقالت (قرة عين لى ولك) فقال فرعون أمالك فنعم وأمالى فلا ، فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه وقد تقدم في حديث الفتون في سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعا عند النسائى وغيره . وقوله (عسى أن ينفعنا) وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه . وقوله (أو تتخذنه ولدا) أى أرادت أن تتخذنه ولدا وتتبناه وذلك أنه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أى لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطمة

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قُرْغَانًا كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾  
 وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَصَرَّفْنَا فِي الْأَمْرِ مِمَّا نَشَاءُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ  
 أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغا أى من كل شىء من أمور الدنيا إلا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصرى وقتادة وغيرهم (إن كادت لتبدي به) أى إن كادت من شدة وجددها وحرمتها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قال الله تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) وقالت لأخته قصيه (أى أمرت ابنتها وكانت كبيرة تعنى ما يقال لها فقالت لها (قصيه) أى اتبعى أثره وخذى خبره وتطلبي شأنه من نواحى البلد فخرجت لذلك (فبصرت به عن جنب) . قال ابن عباس عن جانب ، وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعيد

وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقت منه عرضوا عليه المراضع التى فى دارهم فلم يقبل منها ثديا وأبى أن يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رأته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها . قال الله تعالى (وحرمتنا عليه المراضع من قبل) أى تحريما قدر ياوذلك لكرامته عند الله وصيائه له أن يرتضع غير ثدى أمه ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه لرضعه وهى آمنة بعد ما كانت خائفة فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه (قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) قال ابن عباس فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا فى أمرها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى سرور الملك ورجاء منفعتهم فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسنن إليها وأعطتها عطاء

جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق نديها ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت : إن لي بعلأ وأولاداً ولا أقدر على اللقاه عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلاة والكساوى والإحسان الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عز وجه ورزق دار . ولهذا جاء في الحديث « مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعة الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم ليلة أو نحوه والله أعلم فسبحان من بيده الأمر ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً ، ولهذا قال تعالى ( فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ) أى به ( ولا تحزن ) أى عليه ( ولتعلم أن وعد الله حق ) أى فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً . وقوله تعالى ( ولكن أكثرهم لا يعلمون ) أى حكم الله في أفعاله وعواقبها المحموده التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فرمى يقع الأمر كرمها إلى النفوس وعاقبته محموده في نفس الأمر كما قال تعالى ( وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ) وقال تعالى ( فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً )

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنصَفَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ وَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالِ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾

لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى آناه الله حكماً وعلماً قال مجاهد يعني النبوة ( وكذلك نجزي المحسنين ) ثم ذكر تعالى سبب وصوله إلى ما كان تعالى قدره له من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين فقال تعالى ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ) قال ابن جرير عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء . وقال ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة ( فوجد فيها رجلين يقتتلان ) أى يتضاربان ويتنازعان ( هذا من شيعته ) أى إسرائيلي ( وهذا من عدوه ) أى قبطي ، قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحق ، فاستغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام فوجد موسى فرصة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبطي ( فوكره موسى فقضى عليه ) قال مجاهد فوكره أى طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكره بعصا كانت معه فقضى عليه أى كان فيها حنفة فمات ( قال ) موسى ( هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ) \* قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم \* قال رب بما أنعمت عليّ ( أى بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة ( فلن أكون ظهيراً ) أى معيناً ( للمجرمين ) أى الكافرين بك . المخالفين لأمرك

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنَوَىٰ بِمُشِينٍ \* فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أُتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام لما قتل ذلك القبطي أنه أصبح ( في المدينة خائفا ) أي من معرفة ما فعل ( يترقب ) أي يتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر فمر في بعض الطرق فاذا ذلك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر فلما مر عليه موسى استصرخه على الآخر فقال له موسى ( إنك لغوي مبين ) أي ظاهر الغواية كثير الشر ثم عزم موسى على البطش بذلك القبطي فاعتقد الاسرائيلي لحوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصدها ممعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه ( يا موسى ) أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده فعمل فرعون بذلك فاشتد حقه وعزم على قتل موسى فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْمَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

قال تعالى ( وجاء رجل ) وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى فقال له يا موسى ( إن الملأ يأتمرون بك ) أي يتشاورون فيك ( ليقتلوك فاخرج ) أي من البلد ( إنى لك من الناصحين )

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ \* وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ \* فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

لما أخبره ذلك الرجل بما تأملا عليه فرعون ودولته في أمره خرج من مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل كان في رفاهة ونعمة ورياسة ( فخرج منها خائفا يترقب ) أي يتلفت ( قال رب نجني من القوم الظالمين ) أي من فرعون وملكه فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث إليه ملكا على فرس فأرشده إلى الطريق فأبته أعلم ( ولما توجه تلقاء مدين ) أي أخذ طريقا سالكا مهيعا فرح بذلك ( قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ) أي الطريق الأقوم ففعل الله به ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة فجعله هاديا مهديا ( ولما ورد ماء مدين ) أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان لها بئر يردده رعاء الشاء ( وجد عليه أمة من الناس يسقون ) أي جماعة يسقون ( ووجد من دونهم امرأتين تذودان ) أي تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما ( قال ما خطبكما ؟ ) أي ما خبركما لا تردان مع هؤلاء ؟ ( قائلتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ) أي لا يحصل لنا سقى إلا بعد فراغ هؤلاء ( وأبونا شيخ كبير ) أي فهذا الحال الملجء لنا إلى ما ترى قاله الله تعالى ( فسقى لهما ) قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطبق رقعها إلا عشرة رجال فاذا هو بامرأتين تذودان قال ما خطبكما ؟ فحدثناه فأبى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم ، إسناد صحيح . وقوله تعالى ( ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ) قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام . إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا

ثما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل تثرى من داخل جوفه وإنه محتاج إلى شق تمره . وقوله ( إلى الظل ) قال ابن عباس وابن مسعود والسدي جلس تحت شجرة ، وقال ابن جرير : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي حدثنا أبي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حثت على حمل ليلتين حتى صحبت مدين فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى فإذا هي شجرة خضراء ترف فأهوى إليها جملي وكان جائعا فأخذها جملي فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت ، وفي رواية عن ابن مسعود أنه ذهب إلى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سيأتي إن شاء الله فآله أعلم ، وقال السدي كانت الشجرة من شجر السمرة ، وقال عطاء بن السائب لما قال موسى ( رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ) أجمع المرأة

( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا بَتِ اسْتَغْجِرُهُ إِنْ خَيْرَ مَنِ اسْتَغْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ \* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي نَسِيتُ جِجَاقَ فَنَانٍ أَتَمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُنَّ بِكَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَدِئِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ )

لما رجعت المرأتان سريعا بالغنم إلى أبيهما أنكرا حالهما بسبب عجزهما سريعا فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى ( فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ) أي تمشي الحرأثر كما روى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه قال : جاءت مسترة بكم درعها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر رضى الله عنه جاءت تمشي على استحياء قائمة بشوئها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولاجة خراجة . هذا إسناد صحيح ، قال الجوهرى : السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة ومن التوق الشديدة . ( قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت لنا ) وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلبا مطلقا لثلاث يوم ربية بل قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت لنا يعني ليثيك ويكافئك على سقيك لنعننا ( فلما جاءه وقص عليه القصة ) أي ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده ( قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) يقول طب نفسا وقرعينا فقد خرجت من مملكتهم فلاحكم لهم في بلادنا ، ولهذا قال ( نجوت من القوم الظالمين ) وقد اختلفت المفسرون في هذا الرجل من هو ؟ على أقوال أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء ، وقد قاله الحسن البصرى وغير واحد ، ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز الأزدي حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه أن شعيباهو الذي قص عليه موسى القصة قال ( لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد الغزى أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى هديت » وقال آخرون بل كان ابن أخى شعيب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه ( وما قوم لوط منكم ببعيد ) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن ، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليها السلام مدة طويلة تزيد على أربع مائة سنة كما ذكره غير واحد . وما قيل إن شعيبا عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال ثم من القوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه



لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ههنا ، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده كما سنذكره قريباً إن شاء الله ، ثم من الوجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم . قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ثيرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال الذي استأجر موسى يثري صاحب مدين رواه ابن جرير به ثم قال الصواب إن هذا لا يدرك إلا بخبر ولا خبر تجب به الحجة في ذلك وقوله تعالى ( قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ) أي قالت إحدى ابنتي هذا الرجل قيل هي التي ذهبت وراء موسى عليه السلام قالت لأبيها ( يا أبت استأجره ) أي لرعية هذه الغنم قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن إسحاق وغير واحد لما قالت ( إن خير من استأجرت القوي الأمين ) قال لها أبوها وما علمك بذلك ؟ قالت له إنه رفع الصخرة التي لا يطبق حملها إلا عشرة رجال وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي كوني من ورائي فاذا اختلف على الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه . وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود قال . أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين تفرس في عمر صاحب ويوسف حين قال أكرمي مثواه وصاحبة موسى حين قالت : ( يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ) قال ( إنني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ) أي طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى غنمه ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين ، قال شعيب الجبائي وها صفوريا وليا وقال محمد بن إسحاق صفوريا وشرفا ويقال ليا وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما إذا قال بعتك أحد هذين العبدین بمائة فقال : اشترت ، أنه يصح والله أعلم ، وقوله ( على أن تأجرني ثمانى حجج فإن آتممت عشراً فمن عندك ) أي على أن ترعى غنمي ثمانى سنين فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك وإلا ففي الثمان كفاية ( وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ) أي لا أشاقتك ولا أوأذيك ولا أماريك وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الأوزاعي فيما إذا قال بعتك هذا بعشرة قدماً أو بعشرين نسيئة أنه يصح ويختار المشتري بأيهما أخذه صح ، وحمل الحديث المروي في سنن أبي داود « من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا » على هذا المذهب ، وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذه المذهب نظرياً هذا موضع بسطه لطوله . والله أعلم . ثم قد استدل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في كتابه السنن حيث قال باب استئجار الأجير على طعام بطنه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن المنفي حدثنا بقة بن الوليد عن مسلمة ابن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال « إن موسى آجر نفسه ثمانى سنين أو عشر سنين على عفة فرجه وطعام بطنه » وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لأن مسلمة بن علي وهو الحشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قد روى من وجه آخر وفيه نظر أيضاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لميعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه » وقوله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام ( قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما أقول وكيل ) يقول إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين فإن آتممت عشراً فمن عندي فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال ( أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي ) أي فلا حرج علي مع أن الكامل وإن كان مباحاً لكنه فاضل من جهة أخرى بدليل من خارج كما قال تعالى ( فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحزرة بن عمرو الأسلمي رضى الله عنه وكان كثير الصيام وسأله عن الصوم في السفر فقال « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » مع أن فعل الصيام راجح من دليل آخر ، هذا وقد دل الدليل على أن موسى عليه السلام إنما فعل أكل الأجلين

وأتمهما وقال البخارى حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد  
ابن جبير قال : قال سألتني يهودى من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى ؟ فقلت لا أدري حتى أقدم على جبر العرب فأسأله  
فقدمت على ابن عباس رضى الله عنه فسألته فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل . هكذا رواه  
حكيم بن جبير وغيره عن سعيد بن جبير ، ووقع في حديث الفتنون من رواية القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير أن الذى  
سأله رجل من أهل النصرانية والأول أشبه والله أعلم . وقد روى من حديث ابن عباس مرفوعا قال ابن جرير حدثنا  
أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة  
عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سألت جبريل أى الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما »  
ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن الحميدى عن سفيان وهو ابن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب وكان من أسناني  
أوأصغر منى فذكره . وفي إسناده قلب وإبراهيم هذا ليس بمعروف . ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشى عن سفيان  
ابن عيينة عن إبراهيم بن أبان عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره ثم قال لانعرفه  
مرفوعا عن ابن عباس إلا من هذا الوجه . ثم قال ابن أبى حاتم قرئ على يونس بن عبد الأعلى أن أبانا ابن وهب  
أبنا سمرو بن الحارث عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن يوسف بن تيرح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سئل أى الأجلين قضى موسى ؟ قال « لا علم لى » فسأل رسول الله ﷺ جبريل فقال جبريل : لا علم لى ، فسأل جبريل  
ملكا فوجه فقال : لا علم لى ، فسأل ذلك الملك ربه عز وجل عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد صلى الله عليه وسلم  
فقال الرب عز وجل : قضى أبرهما وأبقاهما أو قال أزكاهما . وهذا مرسل وقد جاء مرسلا من وجه آخر وقال سنيد  
حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : قال مجاهد إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أى الأجلين قضى موسى ؟ فقال  
سوف أسأل إسرائيل فسأله فقال سوف أسأل الرب عز وجل فسأله فقال أبرهما وأوقاهما ﴿ طريق أخرى مرسله  
أيضا ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أى الأجلين قضى موسى قال « أوقاهما وأتمهما » فهذه طرق متعاضدة ثم قدروى هذا مرفوعا من رواية  
أبى ذر رضى الله عنه . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحق بن إدريس  
حدثنا عويد بن أبى عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه  
وسلم سئل أى الأجلين قضى موسى ؟ قال - « أوقاهما وأبرهما - قال - وان سئلت أى المرأتين تزوج قتل الصغرى منهما »  
ثم قال البزار لانعلم يروى عن أبى ذر إلا بهذا الاسناد . وقد رواه ابن أبى حاتم من حديث عويد بن أبى عمران وهو  
ضعيف ثم قدروى أيضا نحوه من حديث عتبة بن النذر بزيادة غريبة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر بن الخطاب  
السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن حلى بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة  
ابن النذر يقول إن رسول الله ﷺ سئل أى الأجلين قضى موسى قال « أبرهما وأوقاهما » ثم قال النبي صلى الله  
عليه وسلم « إن موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته أن تسأل أباهما ان يعطيها من غنمه  
ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالب لون قال فما مرت شاة إلا ضرب موسى جنبها بعصاه  
فولدت قوالب ألوان كلها وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كمشة تفوت الكف  
ولا تقول » وقال رسول الله ﷺ « إذا فتحتم الشام فإنكم ستجدون بقايا منها وهى السامرية » هكذا  
أورده البزار ، وقد رواه ابن أبى حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني  
عبد الله بن لهيعة ح وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي  
عن حلى بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن النذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه فلما وفى الأجل

- قيل يارسول الله أى الأجلين؟ - قال أبرهما وأوفاهما ، فلما أراد فراق شبيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيهما من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه من قالب لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى عليه السلام إلى عصاه فسمهاها من طرفها ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أورها فسقاها ووقف موسى بازاء الحوض فلم تصدر منها شاة إلا وضرب جنبها شاة شاة قال فأتأمت وألبنت ووضعت كلها قوالب ألوات إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش قال يحيى ولا ضبون وقال صفوان ولا صوب قال أبو زرعة الصواب طنوب ولا عزوز ولا ثعول ولا كميشة نفوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو اقتتحم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهى السامرية » وحدثنا أبو زرعة أنبأنا صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما الفشوش؟ قال التى تفش بلبنها واسعة الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قال فما الثعول؟ قال التى ليس لها ضرع إلا كهيئة حلمتين قلت فما الكميشة؟ قال التى نفوت الكف كميشة الضرع صغير لا يدركه الكف . مدار هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصرى وفى حفظه سوء وأخشى أن يكون رفعه خطأ والله أعلم . وينبغى أن يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا ثعول ولا كميشة لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفاً عليه ما يقارب بعضه بإسناد جيد فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبى حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذى كان بينهما قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها فعمد موسى فرفع حبلا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة فولدن كلهن بلقا إلا شاة واحدا فذهب بأولادهن كلهن ذلك العام

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾

قد تقدم فى تفسير الآية قبلها أن موسى عليه السلام قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكلهما وأقامهما وقد يستفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى ( فلما قضى موسى الأجل ) أى الأكل منهما والله أعلم ، وقال ابن أبى نجیح عن مجاهد قضى عشر سنين وبعدها عشرا آخر ، وهذا القول لم أره لغيره وقد حكاه عنه ابن أبى حاتم وابن جرير فأنه أعلم ، وقوله ( وسار بأهله ) قالوا كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم فى خفية من فرعون وقومه فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التى وهبها له صهره فسلك بهم فى ليلة مظلمة باردة فنزل منزلاً فجعل كلما أورى زنده لا يضىء شيئاً فتعجب من ذلك ، فبينما هو كذلك ( آنس من جانب الطور نارا ) أى رأى نارا تضىء على بعد ( فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا ) أى حتى أذهب إليها ( لعلى آتيكم منها بخبر ) وذلك لأنه قد أضل الطريق ( أو جذوة من النار ) أى قطعة منها ( لعلكم تصطلون ) أى تستدفئون بها من البرد قال الله تعالى ( فلما أتاه نودى من شاطئ الوادى الأيمن ) أى من جانب الوادى مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى ( وما كنت

بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي فوق باهتا في أمرها فناداه ربه ( من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام سمرة خضراء ترف إنساده مقارب ، وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا يتهم عن وهب بن منبه قال : شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول إنها من العوسج وقال قتادة هي من العوسج وعصاه من العوسج ، وقوله تعالى ( أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ) أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه . وقوله ( وأن ألق عصاك ) أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى ( وما تلك يمينك يا موسى ؟ قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ) والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها ( ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى ) فعرف وتحقق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشئ كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه : وقال ههنا ( فلما رآها تهتز ) أي تضطرب ( كأنها جان ولي مدبرا ) أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها وقوامها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعها تنحدر في فيها تتقعقع كأنها حادرة في واد فعند ذلك ( ولي مدبرا ولم يعقب ) أي ولم يكن يلتفت لأن طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له ( يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين ) رجع فوقف في مقامه الأول ثم قال الله تعالى ( اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ) أي إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فانها تخرج تتلأ كأنها قطعة قر في لمعان البرق ، ولهذا قال ( من غير سوء ) أي من غير برص وقوله تعالى ( واضمم إليك جناحك من الرهب ) قال مجاهد من الفرع وقال قتادة من الرعب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير مما حصل لك من خوفك من الحية والظاهر أن الراد أعم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهو يديه فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يجده أو يخف إن شاء الله تعالى وبه الثقة . قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الربيع بن تغلب الشيخ صالح أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم عن مجاهد قال : كان موسى عليه السلام قدم على قلبه رعبا من فرعون فكان إذا رآه قال : اللهم إني أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره فنزع الله ما كان في قلب موسى عليه السلام وجعله في قلب فرعون فكان إذا رآه بال كما يقول الحمار . وقوله تعالى ( فذانك برهانان من ربك ) يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى ، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا الحارق على يديه ولهذا قال تعالى ( إلى فرعون وملئه ) أي وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع ( إنهم كانوا قوما فاسقين ) أي خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَوْلًى فَتَكُونُ لِلرَّجُلِ الْقَدِيرِ \* أَلَمْ نَجْعَلْ لَكَ دُلَّةَ الْوَادِعِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا \* فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَوْلًى فَتَكُونُ لِلرَّجُلِ الْقَدِيرِ \* أَلَمْ نَجْعَلْ لَكَ دُلَّةَ الْوَادِعِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا \* فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾

لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون الذي إنما خرج من ديار مصر فراراً منه وخوفاً من سطوته ( قال رب إني قتلته منهم نفساً ) يعني ذلك القبطي ( فأخاف أن يقتلوني ) أي إذا رأوني ( وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ) وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة حين خير بينها وبين التمرة أو الدررة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه فحصل فيه شدة في التعبير ولهذا قال ( واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ) \* واجعل

لى وزيراً من أهلى هارون أخى اشد به أزرى وأشركه فى أمرى) أى يؤنسى فى أمرتى به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال (وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رداً) أى وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمرى يصدقنى فى أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لأن خبر الاثنين أتبع فى النفوس من خبر الواحد ولهذا قال (إنى أخاف أن يكذبون) وقال محمد بن إسحاق (رده اصدقنى) أى بين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى (سنشد عضدك بأخيك) أى سنقوى أمرك ونعزجانك بأخيك الذى سألت له أن يكون نبياً معك كما قال فى الآية الأخرى (قد أوتيت سؤلك يا موسى) وقال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) ولهذا قال بعض السلف ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام فانه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملكه ولهذا قال تعالى فى حق موسى (وكان عند الله وجهاً) وقوله تعالى (ونجعل لكما سلطاناً) أى حجة قاهرة (فلا يصلون إليكما بآياتنا) أى لا سبيل لهم إلى الوصول إلى إذا كما بسبب إبلاغكما آيات الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - إلى قوله - والله يعصمك من الناس) وقال تعالى (الذين يبلغون رسالات الله - إلى قوله - وكفى بالله ناصرًا ومعيناً ومؤيداً ولهذا أخبرهما أن العاقبة لها ولمن اتبعهما فى الدنيا والآخرة فقال تعالى (أنها ومن اتبعكما الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال تعالى (إنا لننصر رسلنا والله ينصرون فى الحياة الدنيا) إلى آخر الآية ووجه ابن جرير على أن المعنى ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما ثم يبتدىء فيقول (بآياتنا أنها ومن اتبعكما الغالبون) تقديره أنها ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا ، ولا شك أن هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الأول فلا حاجة إلى هذا والله أعلم

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولَىٰ ۗ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۗ ﴾

يخبر تعالى عن مجىء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملكه وعرضه ما آتاها الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توحيد من توحيدة واتباع أوامره فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيبهم إلى العناد والمباهة وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا (ما هذا إلا سحر مفترى) أى مفتعل مصنوع وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه فما صدع معهم ذلك . وقوله (وما سمعنا بهذا فى آباءنا الأولين) يعنون عبادة الله وحده لا شريك له، يقولون ما رأينا أحدًا من آباءنا على هذا الدين، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى فقال موسى عليه السلام مجيباً لهم (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعنى منى ومنكم ، ويفصل بينى وبينكم ولهذا قال (ومن تكون له عاقبة الدار) أى من النصر والظفر والتأييد (إنه لا يفلح الظالمون) أى الشركون بالله عز وجل

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنَ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۗ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۗ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۗ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِنَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۗ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۗ ﴾

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه واقترائه في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة لعنه الله كما قال الله تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) الآية وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ولهذا قال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) وقال تعالى إخبارا عنه (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى) فأخذ الله نكال الآخرة والأولى \* إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالى مصرحاً لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحتى إنه واجه موسى السكليم بذلك فقال (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) وقوله (فأوقدلى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى) يعنى أمر وزيره هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين يعنى يتخذ له آجرأ لبناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع العالى كما قال فى الآية الأخرى (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدعن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب) وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذى لم يرفى الديناء أعلى منه إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فى زعمه من دعوى إله غير فرعون ولهذا قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) أى فى قوله إن ثم ربا غيرى لا أنه كذبه فى أن الله تعالى أرسله لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا فانه قال (ومارب العالمين؟) وقال (لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) وقال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) وهذا قول ابن جرير. وقوله تعالى (واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلبنا لا يرجعون) أى طغوا وتجبروا وأكثروا فى الأرض الفساد واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد (فصب عليهم ربك صوت عذاب إن ربك لبالمرصاد) ولهذا قال تعالى ههنا (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى أغرقناهم فى البحر فى صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين \* وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) أى لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم فى تكذيب الرسل وتعطيل الصانع (ويوم القيامة لا ينصرون) أى فاجتمع عليهم خزى الدنيا موصولاً بذلك الآخرة كما قال تعالى (أهلكناهم فلا ناصر لهم) وقوله تعالى (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة المؤمنين من عباده التابعين لرسله كما أنهم فى الدنيا ملعونون على السنة الأنبياء وأتباعهم كذلك (ويوم القيامة هم من المبوحين) قال قتادة : وهذه الآية كقوله تعالى (وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى السكليم ، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ، من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه . وقوله تعالى (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) يعنى أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين كما قال تعالى (وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخطئة \* فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) وقال ابن جرير حدثنا ابن يشار حدثنا محمد وعبد الوهاب قالا حدثنا عوف عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال ما أهلك الله قوما بعدنا من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة بعد موسى ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الآية ورواه ابن أبى حاتم من حديث عوف بن أبى جميلة الأعرابى بنحوه وهكذا رواه أبو بكر البزار فى مسنده عن عمرو بن على الفلاس عن يحيى القطان عن عوف عن أبى نضرة عن أبى سعيد موقوفاًم رواه عن نصر بن على عن عبد الأعلى عن عوف عن أبى نضرة عن أبى سعيد رفعه إلى النبي ﷺ قال «ما أهلك الله قوما بعدنا من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى» ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى) الآية.

وقوله ( بصائر للناس وهدى ورحمة ) أى من العمى والعمى وهدى إلى الحق ورحمة أى إرشادا إلى العمل الصالح (لعلمهم يتذكرون) أى لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسببه

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ وَإِنَّا لَكُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ \* وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَأَلَّا أَنْ تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالغيوب الماضية خبرا كأن سامعه شاهد وراء لما تقدم وهو رجل أسمى لا يقرأ شيئا من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها قال تعالى ( وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ) الآية أى وما كنت حاضرا لذلك ولكن الله أوحاه إليك ، وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان من إنجاء الله وإغراق قومه ثم قال تعالى ( تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ) الآية وقال فى آخر السورة ( ذلك من أنباء القرى نقصه عليك ) وقال بعد ذكر قصة يوسف ( ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ) الآية وقال فى سورة طه ( كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ) الآية وقال ههنا بعدما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان ابتداء إيماء الله إليه وتكليمه له ( وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر ) يعنى ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربى الذى كلم الله موسى من الشجرة التى هى شرقية على شاطئ الوادى ( وما كنت من الشاهدين ) لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهانا على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين : وقوله تعالى ( وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ) أى وما كنت مقبيا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيا شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه ( ولكننا كنا مرسلين ) أى ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ) قال أبو عبد الرحمن النسائى فى التفسير من سننه أخبرنا على بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الأعمش عن على بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ) قال نودوا أن: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الأعمش ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الأعمش عن على بن مدرك عن أبي زرعة وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال ذلك من كلامه والله أعلم .

وقال مقاتل بن حيان ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ) أمتك فى أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت. وقال قتادة ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ) موسى وهذا والله أعلم أشبه بقوله تعالى ( وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر ) ثم أخبر ههنا بصيغة أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى ( وإذ نادى ربك موسى ) وقال تعالى ( إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى ) وقال تعالى ( وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ) وقوله تعالى ( ولكن رحمة من ربك ) أى ما كنت مشاهدا لشيء من ذلك ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد بإرسالك اليهم ( لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ) أى لعلهم يهتدون بما جئتهم به

من الله عز وجل ( ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ) الآية أي وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير كما قال تعالى بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن ( أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين \* أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ) وقال تعالى ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقال تعالى ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يدي لكم على فطرة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ) الآية والآيات في هذا كثيرة

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِي مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ \* قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِنُذِيرٍ هَدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول أنهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قالوا على وجه التعنت والعدا والكفر والجهل والإلحاد ( لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ) الآية يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتقيص الزروع والخمار مما يضيق على أعداء الله وكفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى إلى غير ذلك من الآيات الباهرة ، والحجج القاهرة ، التي أجراها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام حجة وبرهاناً له على فرعون وملئه وبنى إسرائيل ، ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملئه بل كفروا بموسى وأخيه هرون كما قالوا لهما ( أجتئنا للتفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ) وقال تعالى ( فكذبوهما فكانوا من المهلكين ) ولهذا قال هاهنا ( أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ) أي أولم يكفروا بالبشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة ( قالوا ساحران تظاهرا ) أي تعاونا ( وقالوا إنما بكل كافرين ) أي بكل منهما كافرين ، ولشدة التلازم والتصاحب والقاربة بين موسى وهرون دل ذكر أحدهما على الآخر كما قال الشاعر :

فما أدري إذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يليني

أي فإدري يليني الخير أو الشر . قال مجاهد : أمرت اليهود قريشا أن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الله ( أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا ) قال يعني موسى وهرون صلى الله عليهما وسلم ( تظاهرا ) أي تعاونا وتتصافوا وصدق كل منها الآخر ؟ وبهذا قال سعيد بن جبير وأبو رزين في قوله ( ساحران ) يعنون موسى وهرون وهذا قول جيد قوى والله أعلم ، وقال مسلم بن يسار عن ابن عباس ( قالوا ساحران تظاهرا ) قال يعنون موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية الحسن البصري . وقال الحسن وقتادة يعني عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا يعني بعد أن عيسى لم يجز له ذكرهنا والله أعلم . وأما من قرأ ( ساحران تظاهرا ) فقال علي بن أبي طلحة والوفى عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجندی والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدي : يعني صدق كل واحد منهما الآخر وقال ، عكرمة : يعنون التوراة والإنجيل وهورواية عن أبي زرعة واختاره ابن جرير . وقال الضحاك وقتادة . الإنجيل والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والظاهر على قراءة ( ساحران ) أنهم يعنون التوراة والقرآن لأنه قال بعده ( قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ) وكثيراً ما يقرن الله



بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى ( قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس - إلى أن قال - وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ) وقالت الجن ( إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ) وقال ورقة بن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل على موسى . وقد علم بالضرورة لذوى الألباب أن الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه ( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ) والإنجيل إنما أنزل متمما للتوراة ومجلا لبعض ما حرم على بني إسرائيل ولهذا قال تعالى ( قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين ) أى فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل قال الله تعالى ( فإن لم يستجيبوا لك ) أى فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ( فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ) أى بلا دليل ولا حجة ( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ) أى بغير حجة مأخوذة من كتاب الله ( إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) . وقوله تعالى ( ولقد وصلنا لهم القول ) قال مجاهد فصلنا لهم القول . وقال السدى بينا لهم القول وقال قتادة : يقول تعالى أخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع ( لعلمهم يتذكرون ) قال مجاهد وغيره ( وصلنا لهم ) يعنى قرئنا وهذا هو الظاهر لكن قال حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة - رفاعة هذا هو ابن قرظة القرظى ، وجعله ابن منده : رفاعة بن شموال خال صفية بنت حيى وهو الذى طلق تيممة بنت وهب التى تزوجها بعده عبد الرحمن ابن الزبير بن باطا ، كذا ذكره ابن الأثير - قال نزلت ( ولقد وصلنا لهم القول ) فى عشرة أنا أحدهم . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديثه

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا بُتِلَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ \* أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّ الَّذِينَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾

يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى ( الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ) وقال تعالى ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ) وقال تعالى ( إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تبلى عليهم يحررون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ) وقال تعالى ( ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى - إلى قوله - فاكتبنا مع الشاهدين ) قال سعيد بن جبير نزلت فى سبعين من القيسيين بعثهم النجاشى فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم ( يس والقرآن الحكيم ) حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون \* وإذا تبلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ) يعنى من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أى موحدين مخلصين لله مستجيبين له . قال الله تعالى ( أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ) أى هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثانى ولهذا قال ( بما صبروا ) أى على اتباع الحق فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس وقد ورد فى الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . رجل من أهل الكتاب آمن بنية ثم آمن بى ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها

ثم أعتقها فزوجها . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق السيلحي حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي أمامة قال : إني لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً وقال فيما قال « من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مالنا وعليه ما علينا » وقوله تعالى ( ويدرون بالحسنة السيئة ) أي لا يقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون ( ومما رزقناهم ينفقون ) أي ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات وقوله تعالى ( وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ) أي لا يخاطبون أهله ولا يعاشرونهم بل كما قال تعالى ( وإذا مروا باللغو مروا كراماً ) ( وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ) أي إذا سلفه عليهم سفيه وكلهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ؛ ولهذا قال عنهم إنهم قالوا ( لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ) أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نجها . قال محمد بن إسحاق في السيرة ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلوه وساءلوه ورجال من قريش في أنديةهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خبيك الله من ركب ، بعشك من وراءك من أهل دينك تترادون لهم لتأوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسك عنده حتى فارقت دينكم وصدقتموه فيما قال ما تعلم ركباً أحق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لأنجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً . قال ويقال إن النفر النصارى من أهل نجران فأنهم أعلم أي ذلك كان . قال ويقال والله أعلم إن فيهم نزلت هذه الآيات ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - إلى قوله - لا نبتغي الجاهلين ) قال وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة ( ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً - إلى قوله - فاكتبنا مع الشاهدين )

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إنك يا محمد ( لا تهدي من أحببت ) أي ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى ( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ) . وقال تعالى ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ) أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق النوايا وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر والله الحكمة الثامة قال الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه وهو المسيب بن حزن الخزومي رضي الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عم قل لا إله إلا الله كلة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل

وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي ) وأنزل في أبي طالب ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) أخرجه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال « يا عماء قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقمرت بها عينك لا أقولها إلا لأقربها عينك فأنزل الله تعالى ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ) وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان ، ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم عن أبي هريرة فذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة أنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى عليه ذلك وقال أي ابن أخي ملة الأشياخ وكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قيصر جاء إلى قال كتب معي قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فأتيته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ثم قال « بمن الرجل ؟ » قلت من تنوخ قال « هل لك في دين أيلك إبراهيم الخنيفية » قلت إني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع إليهم فضحك رسول الله ﷺ ونظر إلى أصحابه وقال « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقوله تعالى ( وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ) يقول تعالى مخبرا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ) أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والحاربة ويتخطفونا أيما كنا قال الله تعالى مجيبا لهم ( أو لم يمكن لهم حرما آمنا ) يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل لأن الله تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق ؟ وقوله تعالى ( يحيى إليه ثمرات كل شيء ) أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك التاجر والأمتعة ( رزقا من لدنا ) أي من عندنا ( ولكن أكثرهم لا يعلمون ) ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النساءى أنبأنا الحسن بن محمد حدثنا الحجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة قال : قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمعه منه أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال ( إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا )

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْسُكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ \* وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ وَإِنَّا لَكَا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾

يقول تعالى معرضاً بأهل مكة في قوله تعالى ( وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها ) أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيها أنعم به عليهم من الأرزاق كما قال في الآية الأخرى ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان - إلى قوله - فأخذهم العذاب وهم ظالمون ) ولهذا قال تعالى ( فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ) أي دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم وقوله تعالى ( وكنا نحن الوارثين ) أي رجعت خرابا ليس فيها أحد وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعبا يقول لعمر : إن سليمان عليه السلام قال للهامة

يعنى البومة - مالك لا تأكلين الزرع ؟ قالت لأنه أخرج آدم من الجنة بسببه ، قال فمالك لا تشرين الماء ؟ قالت لأن الله تعالى أغرق قوم نوح به ، قال فمالك لا تأوين إلى الحراب ؟ قالت لأنه ميراث الله تعالى ثم تلا ( وكنا نحن الوارثين ) ثم قال تعالى مخبراً عن عدله وأنه لا يهلك أحداً ظالماً له وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ولهذا قال ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها ) وهى مكة ( رسولاً يتلو عليهم آياتنا ) فيه دلالة على أن النبي الأمي وهو محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث من أم القرى رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجم كما قال تعالى ( لتندر أم القرى ومن حولها ) وقال تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ) وقال ( لأنذركم به ومن بلغ ) وقال ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) وتعام الدليل قوله تعالى ( وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً ) الآية فأخبر تعالى أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ) فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى لأنه مبعوث إلى أمها وأصلها التي ترجع إليها وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال « بعثت إلى الأحمر والأسود » ولهذا ختم به النبوة والرسالة فلا نبى بعده ولا رسول بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة وقيل المراد بقوله ( حتى يبعث في أمها رسولاً ) أى أصلها وعظيبتها كأمهات الرسائيق والأقاليم ، حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرها وليس يبعد

﴿ وَمَا أُرْتَبِئُ مِنْ شَيْءٍ فَبَتَّحُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيمٌ لَّيْمٌ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى ( ما عندكم ينفد وما عند الله باق ) وقال ( وما عند الله خير للأبرار ) وقال ( وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ) وقال تعالى ( بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع إليه » وقوله تعالى ( أفلا تعقلون ؟ ) أى أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة . وقوله تعالى ( أفمن وعدها وعداً حسناً فهو لئيم كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المخضرين ) يقول تعالى : أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب الذي هو سائر إليه لا محالة كمن هو كافر مكذب ببقاء الله ووعدده ووعدده فهو يمتنع في الحياة الدنيا أياماً قلائل ( ثم هو يوم القيامة من المخضرين ) قال مجاهد وقادة من المعذبين ثم قد قيل إنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل . وقيل في حمزة وطى وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر أنها عامة وهذا كقوله تعالى إخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات وذلك في الدرجات فقال ( ولولا نعمة ربي لكنت من المخضرين ) وقال تعالى ( ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون )

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ \* وَقِيلَ أَذْعُوشَرُّكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ \* وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ \* فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عما يوجب به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) يعنى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدار الدنيا من الأصنام والأنداد هل ينصرونكم أو ينتصرون ، وهذا على سبيل التقرير والتهديد كما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون). وقوله (قال الذين حق عليهم القول) يعنى الشياطين والردة والدعاة إلى الكفر (ربنا هؤلاء الذين أغويانا كما غويانا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرءوا من عبادتهم كما قال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال الخليل عليه السلام لقومه (إنما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) الآية وقال الله تعالى ( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب - إلى قوله - وما هم بخارجين من النار) ولهذا قال (وقيل ادعوا شركاءكم) أى ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم فى الدار الدنيا (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب) أى وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة . وقوله (لو أنهم كانوا يهتدون) أى فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين فى الدار الدنيا وهذا كقوله تعالى (ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً \* ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) . وقوله (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) النداء الأول عن سؤال التوحيد وهذا فيه إثبات النبوات ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يسئل العبد فى قبره . من ربك ومن نبيك ومادينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاه هاه لا أدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت لأن من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ولهذا قال تعالى (فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون) قال مجاهد فعميت عليهم الحجيج فهم لا يتساءلون بالأنساب وقوله ( فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً) أى فى الدنيا (فسمى أن يكون من المفلحين) أى يوم القيامة وعسى من الله موجبة فان هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَلْقُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿

يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له فى ذلك منازع ولا معقب قال تعالى ( وربك يخلق ما يشاء ويختار) أى ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه . وقوله ( ما كان لهم الخيرة) نبي على أصح القولين كقوله تعالى ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وقد اختار ابن جرير أن ( ما) ههنا بمعنى الذى تقديره : ويختار الذى لهم فيه خيرة ، وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح ، والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبى حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً فان المقام فى بيان انفرادة تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له فى ذلك ولهذا قال ( سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى من الأصنام والأنداد التى لا تخلق ولا تختار شيئاً ثم قال تعالى ( وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى يعلم ما تكن الضمائر ، وما تنطوى عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق ( سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن مستخف بالليل وسارب بالنهار) . وقوله

(وهو الله لا إله إلا هو) أى هو المنفرد بالإلهية فلا معبود سواه ، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه (له الحمد فى الأولى والآخرة) أى فى جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته (وله الحكيم) أى الذى لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته ( وإليه ترجعون ) أى جميعكم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله من خير وشر ولا يخفى عليه منهم خافية فى سائر الأعمال

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلًا تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمداً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولسئمته النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى (من إله غير الله يأتىكم بضياء) أى تبصرون به وتستأنسون بسببه (أفلا تسمعون؟) ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سرمداً أى دائماً مستمرا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال ولهذا قال تعالى (من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه) أى تستريحون من حركاتكم وأشغالكم (أفلا تبصرون؟) \* ومن رحمته أى بكم (جعل لكم الليل والنهار) أى خلق هذا وهذا (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار بالسفر والترحال، والحركات والأشغال ، وهذا من باب اللف والنشر . وقوله (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون الله بأنواع العبادات فى الليل والنهار ، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى ( وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ) والآيات فى هذا كثيرة .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

وهذا أيضا نداء ثان على سبيل التوبيخ والتفريع لمن عبد مع الله إلها آخر يناديهم الرب تعالى على رءوس الأشهاد فيقول (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى فى دار الدنيا . (ونزعنا من كل أمة شهيدا) قال مجاهد : يعنى رسولا (قلنا هاتوا برهانكم) أى على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء (فعلوا أن الحق لله) أى لا إله غيره فلم ينطقوا ولا يجيروا جوابا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى ذهبوا فلم ينفعوهم .

﴿ إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَهُ مِنَ السُّكُوتِ مَا إِنْ مَفَاتِحَ لَتَنُوًّا بِالْمُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ ۚ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

قال الأعمش عن النهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال (إن قارون كان من قوم موسى) قال كان ابن عمه ، وهكذا قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسماع بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام . قال ابن جريج هو قارون بن يسهب بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث ، وزعم محمد بن إسحاق بن يسار أن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام . قال ابن جريج وأكثر أهل العلم على أنه

كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى النور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البني لكثرة ماله: وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولاً ترهما على قومه . وقوله ( وآتيناها من الكنوز) أى الأموال ( ما إن مفاخه لتتوء بالعصبة أوى القوة ) أى ليثقل حملها الفثام من الناس لكثرتها . قال الأعمش عن خيشمة كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدته فإذا ركب حملت على ستين بغلا أغر محجلا وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله ( إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ) أى وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصيح والارشاد : لا تفرح بما أنت فيه يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال (إن الله لا يحب الفرحين) قال ابن عباس يعنى المرحين ، وقال مجاهد يعنى الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم ، وقوله ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ) أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التى يحصل لك بها الثواب فى الدنيا والآخرة ( ولا تنس نصيبك من الدنيا ) أى مما أباح الله فيها من المآكل والمشرب والملابس والمسكن والنكاح فان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولزورك عليك حقا فآت كل ذى حق حقه ( وأحسن كما أحسن الله إليك ) أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ( ولا تبغ الفساد فى الأرض ) أى لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الأرض وتسيء إلى خلق الله ( إن الله لا يحب المفسدين ) .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَو لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مِن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير ( قال إنما أوتيته على علم عندي ) أى أنا لا أفتر إلى ما تقولون فان الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأنى أستحقه ولحبهته لى فتقديره إنما أعطيته لعلم الله فى أن أهل له وهذا كقوله تعالى ( وإذا مس الإنسان ضررنا ثم إذا خولناه نعمتنا منا قال إنما أوتيته على علم ) أى على علم من الله فى وكقوله تعالى ( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضرر أمسته ليقولن هذا لى ) أى هذا أستحقه . وقدرى عن بعضهم أنه أراد ( إنما أوتيته على علم عندي ) أى أنه كان يعانى علم الكيمياء وهذا القول ضعيف لأن علم الكيمياء فى نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل قال الله تعالى ( يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ) وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة » وهذا ورد فى الصوريين الذين يشبهون بخلق الله فى مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعى أنه يحيل ماهية هذه الدات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال ، وجهل وضلال ، وإنما يقدرون على الصبغ فى الصور الظاهرة وهى كذب وزغل وعمويه وترويج أنه صحيح فى نفس الأمر وليس كذلك قطعا لا محالة ولم يثبت بطريق شرعى أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التى يتعاطاها هؤلاء الجهلة الفسقة الأفاكون فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدى بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهبا أو فضة أو نحو ذلك فهذا أمر لا ينكره مسلم ولا يردده مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وإنما هذا عن مشيئة رب الأرض والسموات واختياره وفعله كما روى عن حيوة بن شريح المصرى رحمه الله تعالى أنه سأله سائل فلم يكن عندهما يعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الأرض فأجالها فى كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هى ذهب أحمر . والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جدا يطول ذكرها ، وقال بعضهم إن قارون كان يعرف الاسم الأعظم فدعا الله به فتمول بسببه . والصحيح الذى الأول ولهذا قال الله تعالى رادا عليه فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال ( أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ) أى قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان

ذلك عن محبة مناله وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال ( ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ) أى لكثرة ذنوبهم . قال قتادة ( على علم عندي ) على خير عندي ، وقال السدى على علم أنى أهل لذلك . وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فإنه قال في قوله ( قال إنما أوتيته على علم عندي ) قال لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا المال وقرأ ( أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ) الآية وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه لولا أن يستحق ذلك لما أعطى

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِثَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلْسَكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها وتمنوا أن لو كان لهم مثل الذى أعطى قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لدو حظ عظيم ( أى ذو حظ وافر من الدنيا ، فلما سمع مقاتلهم أهل العلم النافع قالوا لهم ( ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ) أى جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين فى الدار الآخرة خير مما ترون . كما فى الحديث الصحيح « يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأ عين جزاء بما كانوا يعملون ) » وقوله ( ولا يلقاها إلا الصابرون ) قال السدى ولا يلقى الجنة إلا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الدين أوتوا العلم ، قال ابن جرير ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون فى الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل واخبره بذلك

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسُبُّوا اللَّهَ يَدْبُطُوا الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَسُبُّوا اللَّهَ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿

لما ذكر تعالى اختيال قارون فى زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت فى الصحيح عند البخارى من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال « بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة » ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبى هريرة عن النبي ﷺ نحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المعيرة القاص حدثنا الأعمش عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فانه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة » تفرد به أحمد وإسناده حسن ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرنى محمد بن مسلم سمعت زياد النخعي يحدث عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين فاختلف فيهما فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر فى كتاب العجائب الغربية بسنده عن نوفل بن مساحق قال رأيت شابا فى مسجد نجران فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتمامة وجهه فقال مالك تنظر إلى قفلى أعجب من جمالك وكالك . فقال إن الله ليعجب منى قال فما زال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر فأخذ بعض قرابته فى كفه وذهب به



وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فمن ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تهت موسى بحضرة الملائكة من بني إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى فتقول يا موسى إنك فعلت بي كذا وكذا فلما قالت ذلك في الملائكة موسى عليه السلام أردد من الفرق وأقبل عليها بعد ما صلى ركعتين ثم قال ، أنشدك بالله الذي فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتني بالذي حملك على ماقلت ؟ فقالت أما إذا نشدتني فإن قارون أعطاني كذا وكذا على أن أقول ذلك لك وأنا أستغفر الله وآتوب إليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله في قارون فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك . وقيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة قر في محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو فيه فدعا موسى عليه السلام وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال يا موسى أما لئن كنت فضلت على النبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لنخرجن فلتدعون على وأدعو عليك ، فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعو أو أدعو أنا ؟ فقال بل أدعونا فدعا قارون فلم يجبه ثم قال موسى أدعو ؟ قال نعم فقال موسى اللهم مرا الأرض أن تطيعني اليوم فأوحى الله إليه أني قد فعلت فقال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى ركبتهم ثم إلى مناكبهم ثم قال أقبلي بكنوزهم وأموالهم قال : فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بني لاوى فاستوت بهم الأرض ، وعن ابن عباس قال : خسف بهم إلى الأرض السابعة وقال قتادة ذكركنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة ، وقد ذكر ههنا إسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا . وقوله تعالى ( فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ) أى ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ، ولا دفعوا عنه ثمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصرا لنفسه فلما نصره من نفسه ولا من غيره

وقوله تعالى ( وأصبح الذين آمنوا مكانه بالأيس ) أى الذين لما رأوه في زينته ( قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ) فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أى ليس المال بديل على رضا الله عن صاحبه فإن الله يعطى ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كافي الحديث للرفوع عن ابن مسعود « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم ، وإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الإيمان إلا من يحب » ( لولا أن من الله علينا لحسف بنا ) أى لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لحسف بنا كما خسف به لانا وددنا أن نكون مثله ( ويكأنه لا يفلح الكافرون ) يعنون أنه كان كافرا ولا يفلح الكافرون عند الله لافى الدنيا ولا فى الآخرة وقد اختلف النحاة فى معنى قوله ههنا ويكأن فقال بعضهم معناه وبلك اعلم أن ولكن خفف قليل وبك ودل فتح أن على حذف اعلم ، وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر أنه قوى ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها فى الصحاح متصلة ويكأن ، والكتابة أمروضى اصطلاحى والمرجع إلى اللفظ العربى والله أعلم ، وقيل معناها ويكأن أى ألم تر أن قاله قتادة . وقيل معناها ويكأن ففصلها وجعل حرف وى للتعجب أو للتثنية وكان بمعنى أظن وأحتسب . قال ابن جرير وأقوى الأقوال فى هذا قول قتادة إنها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر :

سالتنى الطلاق إذ رأتنى قل مالى وقد جئتني بشكر  
ويكأن من يكن له نسب يحبب ومن يفتقر يعيش عيش ضر

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ \* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض أى ترفعاً على خلق الله وتعاضلاً عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة العلو: التجبر . وقال سعيد بن جبير العلو البغي وقال سفيان بن سعيد الثوري عن منصور عن مسلم البطين العلو في الأرض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق ، وقال ابن جريج (لا يريدون علواً في الأرض) تعظماً وتجبراً (ولافساداً) عملاً بالمعاصي . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي قال : إن الرجل ليعجبه من شركائه نعله أن يكون أجود من شركائه نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره ، فإن ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنه أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » وأما إذا أحب ذلك لجرد التجميل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنة أفمن الكبر ذلك ؟ فقال « لا ، إن الله جميل يحب الجمال » . وقال تعالى (من جاء بالحسنة) أى يوم القيامة (فله خير منها) أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة وهذا مقام الفضل ، ثم قال (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) كما قال في الآية الأخرى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) وهذا مقام الفضل والعدل

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُبْقِيَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ \* وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَاةٍ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، وخبراً له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى اقترض عليك أداءه إلى الناس (لرادك إلى معاد) أى إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى (فلنساءلن الذين أرسل إليهم ولنساءلن المرسلين) وقال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أنجبتهم) وقال (وجىء بالنبیین والشهداء) وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) يقول لرادك إلى الجنة ثم سألنا عن القرآن . قال السدي وقال أبو سعيد مثلها ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (لرادك إلى معاد) قال إلى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهري وقال الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) إلى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما وفي بعضها لرادك إلى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحييك يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وأبي قزعة وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن البصرى إى والله إن له لمعاداً فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة . وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخارى في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان المصفرى عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) قال إلى مكة وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافسى به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) أى لرادك إلى مكة كما أخرجك منها وقال محمد ابن إسحق عن مجاهد في قوله (لرادك إلى معاد) إلى مولدك بمكة . وقال ابن أبي حاتم وقد روى عن ابن عباس ويحيى ابن الجزار وسعيد بن جبير وعطية والضحاك نحو ذلك . وحدثنا أبي حدثنا بن أبي عمر قال : قال سفيان فسمعناه من

مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة قبل مغرب الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه (إن الذي فرض عليك الكتاب لرادك إلى معاد) إلى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكيا والله أعلم . وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى ( لرادك إلى معاد ) قال هذه ما كان ابن عباس يكتبها . وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله ( لرادك إلى معاد ) قال إلى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم كما فسر ابن عباس سورة ( إذا جاء نصر الله والفتح ) إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي إليه ، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب وواقفه عمر على ذلك وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم ، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله ( لرادك إلى معاد ) بالموت وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وابلغها إلى الثقلين الإنس والجن ، ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق وقوله تعالى ( قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ) أى قل لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربى أعلم بالمهتدى منكم ومنى وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ولن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى مذكراً لئيبه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم ( ولم كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب ) أى أما كنت تظن قبل انزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ( ولكن رحمة من ربك ) أى إنما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة ( فلا تكونن ظهيراً ) أى معيناً ( للكافرين ) ولكن فارقهم وناذهم وخالفهم ( ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ) أى لا تتأثر لخالفهم لك وصدتم الناس عن طريقك لا تلوى على ذلك ولا تباله فإن الله معك كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ولهذا قال ( وادع إلى ربك ) أى إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ( ولا تكونن من المشركين ) وقوله ( ولا تدع مع الله الهاً آخر لا إله إلا هو ) أى لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغى الإلهية إلا لعظمته . وقوله ( كل شيء هالك إلا وجهه ) إخبار بأنه الدائم الباقي الحى القيوم الذى يموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى ( كل من عليها فان \* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) فعبر بالوجه عن الدات وهكذا قوله ههنا ( كل شيء هالك إلا وجهه ) أى إلا إياه وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد \* ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* » وقال مجاهد والثوري في قوله ( كل شيء هالك إلا وجهه ) أى إلا ما أريد به وجهه ، وحكام البخارى في صحيحه كالمقرر له ، قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه \* رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الأول فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة ، والقول الأول مقتضاه أن كل الدوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فانه الأول الآخر الذى هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمر بن سليم الباهلي حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الحربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين : فيقول أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول ( كل شيء هالك إلا وجهه ) وقوله ( له الحكم ) أى الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ( وإليه ترجعون ) أى يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر . آخر تفسير سورة القصص والله الحمد والمنة

## ( تفسير سورة العنكبوت وهي مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( آلم \* أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمْنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ \* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله تعالى ( أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ) استفهام انكار ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا يبد أن يبتلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد له في البلاء » وهذه الآية كقوله ( أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ) ولهذا قال ههنا ( ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) أى الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . وهذا جمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله ( إلا لنعلم ) إلا لنرى وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود

وقوله تعالى ( أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون ) أى لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فان من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أعظم من هذا وأطم ولهذا قال ( أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ) أى يفوتونا ( ساء ما يحكمون ) أى بشس ما يظنون

( مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ )

يقول تعالى ( من كان يرجو لقاء الله أى في الدار الآخرة وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل فان الله سيحقق له رجاؤه ويوفيه عمله كاملا موفرا فان ذلك كائن لا محالة لأنه مبيع الدماء بصير بكل الكائنات ولهذا قال تعالى ( من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ) وقوله تعالى ( ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ) كقوله تعالى ( من عمل صالحا فلنفسه ) أى من عمل صالحا فإنما يعود نفع عمله على نفسه فان الله تعالى غنى عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا ولهذا قال تعالى ( ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين ) قال الحسن البصرى : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف . ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم ومع بره وإحسانه بهم يجازى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويجزى على السيئة بمثلها أو يفنو ويصفح كما قال تعالى ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدهن أجرها عظيما ) وقال ههنا ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون )

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتَ بِنَبِيِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿

يقول تعالى أمراً عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فان الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان ، فالوالد بالانفاق والوالدة بالاشفاق ، ولهذا قال تعالى ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً \* إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ) ومع هذه الوصية بالرفقة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما للتقدم قال ( وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ) أى وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين فإياك وإياهما فلا تطعهما في ذلك فان مرجعكم إلى يوم القيامة فأجزبك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فان المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أى حبا دينياً ولهذا قال تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ) وقال الترمذى عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن المنثري حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر قصته وقال : قالت أم سعد أليس الله قد أمرك بالبر ؟ والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهما فنزلت ( ووصينا الإنسان بوالديه حسناً \* وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ) الآية وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضاً وقال الترمذى حسن صحيح

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّنَ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من الكذابين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الإسلام ، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ) قال ابن عباس يعنى فتنته أن يرتد عن دينه إذا أؤذى في الله وكذا قال غيره من علماء السلف ، وهذه الآية كقوله تعالى ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه - إلى قوله - ذلك هو الضلال البعيد ) ثم قال عز وجل ( ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ) أى ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغانم ليقولن هؤلاء لكم إنا كنا معكم أى إخوانكم في الدين كما قال تعالى ( الذين يترصبون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقال تعالى ( نفسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين ) وقال تعالى مخبراً عنهم ههنا ( ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ) ثم قال الله تعالى ( أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ) أى أو ليس الله بأعلم بما فى قلوبهم وما تكنه ضمائرهم وان أظهروا لكم الموافقة ؟ وقوله تعالى ( وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ) أى وليختبرن الله الناس بالسرائر والسرائر ليميز هؤلاء من هؤلاء من يطيع الله فى السراء والسرائر ، ومن إنما يطيعه

في حظ نفسه كما قال تعالى ( ولنبؤنكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبؤ أخباركم ) وقال تعالى بعد وقعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان ( ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أتمم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) الآية

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْمَلُ مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيْسَ أَلْفٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى : ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا ( ولنحمل خطاياكم ) أي وآثامكم إن كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل : افعل هذا وخطيئتك في رقبتي ، قال الله تعالى تكذبا لهم ( وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ) أي فيما قالوه إنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد قال الله تعالى ( وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ) وقال تعالى ( ولا يسئل حميم حميا يبصرونهم ) وقوله تعالى ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزار آخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا كما قال تعالى ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) الآية وفي الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا » وفي الصحيح « ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » وقوله تعالى ( وليستأن يوم القيامة عما كانوا يفترون ) أي يكذبون ويختلقون من البهتان ، وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا فقال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن حفص بن أبي العالية حدثني سليمان بن حبيب الحاربي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به ثم قال « إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول : وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ثم ينادى مناد فيقول أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل ثم يأمر المنادى فينادى من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهل يقبلون حتى يجتمعوا قياما بين يدي الرحمن فيقول الرحمن اقضوا عن عبدى فيقولون كيف تقضى عنه ؟ فيقول خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة وقد بقي من أصحاب الظلمات فيقول اقضوا عن عبدى فيقولون لم يبق له حسنة فيقول خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه » ثم نزع النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليستأن يوم القيامة عما كانوا يفترون ) وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه « إن الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا وأخذ من عرض هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا لم يبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا أبو بشر الخدء عن أبي حمزة الثمالي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معاذ إن المؤمن يسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه فلا ألقينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك » .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾  
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة

يدعوم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فراراً عن الحق وإعراضاً عنه وتكديباً له وما آمن معه منهم إلا قليل ولهذا قال تعالى ( قلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ) أي بعد هذه المدة الطويلة ما نجح فيهم البلاغ والاندثار فأنت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويده الأمر وإليه ترجع الأمور ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ) الآية واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويدل عدوك ويكتبهم ويجعلهم أسفل السافلين . قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مازك عن ابن عباس قال : بعث نوح وهو لأربعين سنة وولبت في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا ، وقال قتادة يقال إن عمره كله ألف سنة إلا خمسين عاماً ولبت فيهم قبل أن يدعوم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة وولبت بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين عاماً وهذا قول غريب ، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً . وقال عون بن أبي شداد إن الله تعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا أيضاً غريب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقول ابن عباس : أقرب والله أعلم وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال : قال ابن عمر : كم لبث نوح في قومه ؟ قال قلت لألف سنة إلا خمسين عاماً قال فإن الناس لم يزلوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا ، وقوله تعالى ( فأنجيناها وأصحاب السفينة ) أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً في سورة هود ، وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته ، وقوله تعالى ( وجعلناها آية للعالمين ) أي وجعلنا تلك السفينة باقية إماميتها كما قال قتادة إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمة على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان كما قال تعالى ( وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون \* وخلقنا لهم من مثله ما يركبون - إلى قوله - ومتاعاً إلى حين ) وقال تعالى ( إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية \* لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن وإعية ) وقال ههنا ( فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ) وهذا من باب التدرج من الشخص إلى الجنس كما قوله تعالى ( ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ) أي وجعلنا نوعها رجوماً فإن التي يرمى بها ليست هي زينة للسماء وقال تعالى ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين \* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ) ولهذا نظائر كثيرة وقال ابن جرير : لو قيل إن الضمير في قوله ( وجعلناها ) عائد إلى العقوبة لكان وجهاً والله أعلم .

﴿ وَإِذْ يَرْاهِمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليه إبراهيم إمام الحنفاء أنه دعا قومه إلى عبادة الله وخدمته لا شريك له والإخلاص له في التقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له ، وتوجيهه في الشكر فإنه المشكور على النعم لا مسدى لها غيره فقال لقومه ( اعبدوا الله واتقوه ) أي اخلصوا له العبادة والخوف ( ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) أي إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة ، ثم أخبر تعالى أن الأصنام التي يعبدونها لا تضر ولا تنفع وإنما اختلقتم آتم لها أسماء فسميتوها آلهة وإنما هي مخلوقة مثلكم ، هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي ، وروى الواجب عن ابن عباس وتصنعون إفكاً أي تنحتونها أصناماً وبه قال مجاهد في رواية ، وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله . وهي لا تملك لكم رزقاً ( فابتغوا عند الله الرزق ) وهذا بلغ في الحصر

كقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) ولهذا قال (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) أي لا عند غيره فان غيره لا يملك شيئا (واعبدوه واشكروا له) أي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم (إليه ترجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله ، وقوله تعالى (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يعني إتمام الرسل أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) قال يعزى نبيه ﷺ وهذا من قتادة يقتضى أنه قد انقطع الكلام الأول واعترض بهذا إلى قوله (فما كان جواب قومه) وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضا. والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام يحتج عليهم لإثبات المعاد لقوله بعدها كله (فما كان جواب قومه) والله أعلم

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى مخبرا عن الخليل عليه السلام أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا ثم وجدوا وصاروا أناسا سامعين مبصرين فالذي بدأ هذا قادر على إعادته فانه سهل عليه يسير لديه ، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء : السموات وما فيها من الكواكب النيرة الثواب والسيارات ، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال ، وأودية وبرارى وقفار ، وأشجار وأنهار ، وثمار وبحار ، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار ، الذى يقول للشيء كن فيكون ولهذا قال (أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) كقوله تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ثم قال تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي يوم القيامة (إن الله على كل شيء قدير) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وكقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟) أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) وقوله تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) أي هو الحاكم المتصرف الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ولا يستل عما يفعل وهم يستلون فله الخلق والأمر مهما فعل فعدل لأنه المالك الذى لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذى رواه أهل السنن « إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لندبهم وهو غير ظالم لهم » ولهذا قال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تعلقون) أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) أي لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير إليه وهو الغنى عما سواه (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) والذين كفروا بآيات الله ولقائه (أي جحدوها وكفروا بالمعاد) أولئك يشسوا من رحمتي) أي لا نصيب لهم فيها (وأولئك لهم عذاب أليم) أي موجع شديد في الدنيا والآخرة

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ



يُؤْمِنُونَ \* وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل أنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم (فقالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم \* وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحوطوا حولها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب إلى عنان السماء ، ولم توقد نار قط أعظم منها ثم عمدوا إلى إبراهيم فكثفوه وألقوه في كفة المنجنيق ثم قذفوه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وخرج منها سالما بعد ما مكث فيها أياما ، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماما . فانه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان . وقوله تعالى (فأنجاه الله من النار) أى سلمه منها بأن جعلها عليه بردا وسلاماً (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون \* وقال إنما اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول لقومه مفرعا لهم وموبخا على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان إنما اتَّخَذْتُمْ هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على أنه مفعول له ، وأما على قراءة الرفع فمعناه إنما اتَّخَذْتُمْ هذا لتحصل لكم المودة في الدنيا فقط (ثم يوم القيامة) ينعكس هذا الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضا وشنانا ثم (يكفر بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ) أى تتجادون ما كان بينكم (ويلعن بَعْضُكُمْ بَعْضًا) أى يلعن الأتباع التبعين والتبوعون الأتباع (كلما دخلت أمة لعنت أختها) وقال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقال ههنا (ثم يوم القيامة يكفر بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ويلعن بَعْضُكُمْ بَعْضًا ومأواكم النار) الآية أى ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار ومالككم من ناصر ينصركم ولا متقذ يتقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين ، وأما المؤمنون فبخلاف ذلك . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا أبو عاصم الثقفي ثنا الربيع بن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن جعدة ابن هبيرة الخزومي عن أبيه عن جده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب قالت : قال لي النبي ﷺ « أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدري أين الطرفان ؟ - قالت الله ورسوله أعلم - ثم ينادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيشرئبون - قال أبو عاصم يرفعون ورسولهم - ثم ينادى يا أهل التوحيد ، ثم ينادى الثالثة يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم - قال - فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا - يعنى المظالم - ثم ينادى يا أهل التوحيد لعن بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وعلى الله الثواب »

﴿ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْوَزِيرُ الْحَكِيمُ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَلصَّالِحِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم أنه آمن له لوط يقال إنه ابن أخى إبراهيم ، يقولون هو لوط بن هاران بن آزر يعنى ولم يؤمن به من قومه سواء وسارة امرأة إبراهيم الخليل لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح أن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل إبراهيم عن سارة ما هى منه فقال أختي ، ثم جاء إليها فقال لها انى قد قلت له إنك أختي فلا تكذبينى فانه ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك فأنت أختي في الدين . وكان المراد من هذا والله أعلم أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الاسلام غيرى وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها وكان من أمرهم ما تقدم وما سياتى

وقوله تعالى (وقال إني مهاجر إلى ربي) يحتمل عود الضمير في قوله (وقال) على لوط لأنه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده إلى إبراهيم . قاله ابن عباس والضحاك وهو المكنى عنه بقوله (فأمن له لوط) أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء اظهار الدين والتمكن من ذلك ولهذا قال (إنه هو العزيز الحكيم) أي له العزة ورسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه القدريّة والشرعية . وقال قتادة: هاجرا جميعا من كوثي وهي من سواد الكوفة إلى الشام . قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنها ستكون هجرة بعدهجرة ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتقذّرهم روح الله عز وجل وتحشّرم النار مع القردة والحنازير تبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا ، وتأكل من ماسقط منهم » وقد أسند الإمام أحمد هذا الحديث فرواه مطولا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنابيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي فجنّته إذ جاء رجل فانتبذ الناس وعليه خميسة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم تقذّرهم نفس الرحمن ، تحشّرم النار مع القردة والحنازير فتبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف منهم » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيخرج أناس من أمّتي من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع - حتى عدّها زيادة على عشرين مرة - كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم » ورواه الإمام أحمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائي عن قتادة به ، وقد رواه أبو داود في سننه فقال في كتاب الجهاد (باب ما جاء في سكنى الشام) حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثني (١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم ، وتقذّرهم نفس الرحمن ، وتحشّرم النار مع القردة والحنازير » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا أبو جناب يحيى بن أبي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ، ثم لقد رأيتنا بأخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لأن أتم اتبعتم أذنان البقر وتبايعتم بالعينة وتركتم الجهاد في سبيل الله ليلزمكم الله مذلة في أعناقكم لا تنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتوبوا إلى الله تعالى » وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أيكم إبراهيم حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضهم ، وتقذّرهم روح الرحمن ، وتحشّرم النار مع القردة والحنازير تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون وما سقط منهم فلها » ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمّتي يسيئون الأعمال يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال يزيد لأعلمه إلا قال - يحقر أحدكم علمه مع علمهم يقتلون أهل الإسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو الحسن بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قالا حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الأوزاعي عن نافع ، وقال أبو النضر عن حمزة عن نافع عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « سهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة إلى مهاجر إبراهيم حتى لا يبقى إلا شرار أهلها تلفظهم الأرضون وتقذّرهم روح الرحمن ؛ وتحشّرم النار مع القردة والحنازير تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا لها ما سقط منهم » غريب من حديث نافع والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخه من الضعفاء والله أعلم . وروايته من حديث

(١) يباين بأسله ، ولعله سقط من السند رجل من الرواة صرحه .

عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ . وقوله تعالى ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب ) كقوله ( فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ، وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ) أى أنه لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح نبي في حياة جده وكذلك قال تعالى ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ) أى زيادة كما قال تعالى ( فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ) أى يولد لهذا الولد ولد في حياتكما تقر به أعينكما وكون يعقوب ولد لإسحاق نص عليه القرآن وثبتت به السنه النبوية قال الله تعالى ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ) الآية وفى الصحيحين « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام » فاما ما رواه العوفي عن ابن عباس فى قوله ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب ) قال هما ولدا إبراهيم فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الأمر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس . وحواله تعالى ( وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ) هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما أن جعل فى ذريته النبوة والكتاب فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلته فجميع أنبياء بنى إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن مريم فقام فى ملتهم مبشرا بالنبي العربى القرشى الهاشمى خاتم الرسل على الإطلاق ، وسيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة . الذى اصطفاه الله من صميم العرب العرباء من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام . وقوله ( وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ) أى جمع الله له بين سعادة الدنيا للوصول بسعادة الآخرة فكان له فى الدنيا الرزق الواسع الهنى والنزل الرحب ، والمورد العزب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن وكل أحد يحبه ويتولاه كما قال ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه كما قال تعالى ( وإبراهيم الذى وفى ) أى قام بجميع ما أمر به وكل طاعة ربه ولهذا قال تعالى ( وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ) وكما قال تعالى ( إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين - إلى قوله - وإنه فى الآخرة لمن الصالحين )

﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَؤُنَّ أَفْجِحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ \* أَنْتُمْ لَأَنْتَؤُنَّ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُنَبِّئُنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال فى إتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بنى آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أى يقفون فى طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم ( وتأتون فى ناديتكم المنكر ) أى يفعلون مالا يليق من الأقوال والأفعال فى مجالسهم التى يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك فمن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا فى الملا قاله مجاهد ، ومن قائل كانوا يتضارطون ويتضاحكون قائله عائشة رضى الله عنها وألقاسم ، ومن قائل كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا شرا من ذلك ، وقال الإمام أحمد حدثنا حماد بن أسامة أخبرنى حاتم بن أبى صغيرة حدثنا سماك ابن حرب عن أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ( وتأتون فى ناديتكم المنكر ) قال « يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم وذلك المنكر الذى كانوا يأتونه » ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث أبى أسامة حماد بن رسامة عن أبى يونس القشيري عن حاتم بن أبى

صغيرة به . ثم قال الترمذى هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن ممالك ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن الحكم عن مجاهد ( وتأتون في ناديكم للنكر ) قال الصغير ولعب الحمام والجلهاق والسؤال في المجلس وحل أزرار القباء ، وقوله تعالى ( فما كان جواب قومه إلا أن قال ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ) وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال ( رب انصرني على القوم الفاسدين )

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ \* قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْتَلُونَ ﴾

لما استنصر لوط عليه السلام بالله عز وجل عليهم بعث الله لنصرته ملائكة فرأوا على إبراهيم عليه السلام في هيئة أضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى إبراهيم أنه لا همة لهم إلى الطعام نكروهم وأوجس منهم خيفة فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هود والحجر فلما جاءت إبراهيم بالبشرى وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط أخذ يدافع لهم ينظرون لعل الله أن يهديهم ، ولما قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ( قال إن فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ) أى من المالكين لأنها كانت تماثلهم على كفرهم وبغيتهم ودرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شبان حسان فلما رأهم كذلك ( سوء بهم وضاق بهم ذرعا ) أى اغتم بأمرهم إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه وإن لم يضيفهم خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة الزاهنة ( قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين \* إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ) وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبيعد ، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة إلى يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد . ولهذا قال تعالى ( ولقد تركنا منها آية بيينة ) أى واضحة ( لقوم يعقلون ) كما قال تعالى ( وإنكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون )

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام أنه أئذ قومه أهل مدين فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وأن يخافوا بأس الله وقمته وسلطوته يوم القيامة فقال ( يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ) قال ابن جرير قال بعضهم معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى ( لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) وقوله ( ولا تعسوا في الأرض مفسدين ) نهاهم عن العيش في الأرض بالنسداد وهو السعي فيها والبغى على أهلها وذلك أنهم كانوا يتقصون السكيات والليزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها وعذاب يوم

الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها إنه كان عذاب يوم عظيم ، وقد تقدمت قصتهم مبسوطه في سورة الأعراف وهود والشعراء ، وقوله ( فأصبحوا في دارهم جاثمين ) قال قتادة ميتين ، وقال غيره قد ألقى بعضهم على بعض

﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزِينَتِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ \* وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَتَمِيمَةَ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ \* فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسول كيف أبادهم وتوعد في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف وهي قرية من حضرموت بلاد اليمن ، وعود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى . وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدا وعمر عليها كثيرا ، وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثمينة ، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله ﷺ ( فكلا أخذنا بذنبه ) أي كانت عقوبته بما يناسبه ( فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ) وهم عاد وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حباء الأرض فتلقيا عليهم وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر ( ومنهم من أخذته الصيحة ) وهم ثمود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوا سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهددوا نبي الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة أخذت الأصوات منهم والحركات ( ومنهم من خسفنا به الأرض ) وهو قارون الذي طغى وبنى وعتا وعصى الرب الأعلى ومشى في الأرض مرحا وفرح ومرح وتاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ( ومنهم من أغرقنا ) وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صيحة واحدة فلم ينج منهم غير ( وما كان الله ليظلمهم ) أي فيما فعل بهم ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ثم قال ( فكلا أخذنا بذنبه ) أي من هؤلاء المذكورين وإنما نهى على هذا لأنه قد روى ابن جرير قال : قال ابن عباس في قوله ( فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ) قال قوم لوط ( ومنهم من أغرقنا ) قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فإن ابن جرير لم يدركه . ثم قد ذكر الله في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط بانزال الرجز من السماء وأطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق ، وقال قتادة ( فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ) قال قوم لوط ( ومنهم من أخذته الصيحة ) قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم والله أعلم

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

هذا مثل ضرب به الله تعالى للشركيين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك

كسبت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها ، ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم ، ثم قال تعالى ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ) أى وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه . قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل ، وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضى الله عنه حيث يقول الله تعالى ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ) ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا ابن سنان عن عمرو بن مرة قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني سمعت الله تعالى يقول ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون )

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ \* أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه خلق السموات والأرض بالحق يعنى لا على وجه العبث واللعب ( لتجزى كل نفس بما تسعى ) ( ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ) وقوله تعالى ( إن في ذلك لآية للمؤمنين ) أى لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية ، ثم قال تعالى آمرا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وإبلاغه للناس ( وأقم الصلاة إن الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذکر الله أكبر ) يعنى أن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات أى مواظبتها تحمل على ترك ذلك ( وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعا « من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا »

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون النخعي الفلاس حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد حدثنا عمر ابن أبي عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) قال « من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر فلا صلته له » وحدثنا علي بن الحسين حدثنا يحيى بن أبي طلحة اليربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا » ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن السيب عمن ذكره عن ابن عباس في قوله ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) قال فمن لم تأمره صلته بالمعروف وتنه عن المنكر لم يزد بصلته من الله إلا بعدا . فهذا موقوف قال ابن جرير وحدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة » وطاعة الصلاة أن تنه عن الفحشاء والمنكر . قال : قال سفيان ( قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك ) قال : فقال سفيان إى والله تأمره وتنهاه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جوير عن الضحاك عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة تنه عن الفحشاء والمنكر » والموقوف أصح كما رواه الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن زيد قال قيل لعبد الله إن فلانا يطيل الصلاة قال إن الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها . وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً » والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف ابن موسى أنبأنا جرير - يعنى ابن عبد الحميد - عن الأعمش عن أبي صالح قال أراه عن جابر شك الأعمش قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق قال « سينهاه ما تقول » وحدثنا محمد بن موسى الجرشى أخبرنا زياد بن عبد الله عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يشك ثم قال : وهذا الحديث قد رواه عن الأعمش غير واحد واختلفوا في إسناده فرواه غير واحد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جرير وزياد عن عبد الله عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر ، وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أخبرنا الأعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق فقال « إنه سينهاه ما تقول » . وتشتمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر ولهذا قال تعالى ( ولله أكبر ) أى أعظم من الأول ( والله يعلم ما تصنعون ) أى يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم . وقال أبو العالية في قوله تعالى ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) قال إن الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة : الإخلاص والحشية وذكر الله فلا خلاص يأمره بالمعروف والحشية تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه ، وقال ابن عون الأنصارى إذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والذى أنت فيه من ذكر الله أكبر وقال حماد بن أبي سليمان ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) يعنى مادمت فيها ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى ( ولله أكبر ) يقول ولله أكبر إذا ذكره من ذكرهم إياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغيره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس ( ولله أكبر ) قال ذكر الله عند طعامك وعند منامك ، قلت فان صاحباً لي فى المنزل يقول غير الذى تقول ، قال وأى شيء يقول ؟ قلت قال يقول الله تعالى ( فاذا ذكروني أذكركم ) فلندكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه قال : صدق قال وحدثنا أبي حدثنا النضلي حدثنا إسماعيل عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى ( ولله أكبر ) قال لها وجهان قال ذكر الله عند ما حرمة قال وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال لى ابن عباس هل تدري ما قوله تعالى ( ولله أكبر ) ؟ قال : قلت نعم ، قال : فما هو ؟ قلت التسبيح والتحميد والتكبير فى الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك . قال : لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كذلك ولكنه إنما يقول ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه ، وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وروى أيضاً عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ولم يبق معهم مجادلة وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف وقال آخرون بل هى باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم فى الدين فيجادل بالتي هى أحسن ليكون أنجع فيه كما قال تعالى ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة ) الآية وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون ( فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ) وهذا القول اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد . وقوله تعالى ( إلا الذين ظلموا منهم ) أى حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح المحجة وعاندوا وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدل إلى الجلال

ويقاتلون بما يمنهم ويردعهم قال الله عز وجل ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد - إلى قوله - إن الله قوي عزيز ) قال جابر : أمرنا من خالف كتاب الله أن نضرب به بالسيف ، قال مجاهد ( إلا الذين ظلموا منهم ) يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية . وقوله تعالى ( وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ) يعني إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا تقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا ولا تصديقه فلعلة أن يكون باطلا ولكن نؤمن به إيمانا محملا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا . قال البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلينا وإلهم واحدا ونحن له مسلمون » وهذا الحديث تفرد به البخاري . وقال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن عمرو وأخبرنا يونس عن الزهري أخبرني ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أعلم » قال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم » ( قلت ) وأبو نملة هذا هو عمارة وقيل عمار وقيل عمرو بن معاذ بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا . قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم أخبرنا سفيان عن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا باطل فانه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه نالية تدعوه إلى دينه كتالية المال ، وقال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرنا ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرءونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم ، وقال البخاري وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد ابن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأخبار فقال إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ( قلت ) معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن منحه الله تعالى علما بذلك كل بحسبه وثقه بالحمد والمنة

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ \* وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ \* بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾

قال ابن جرير يقول الله تعالى كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب ، وهذا الذي قاله حسن ومناسبه وارتباطه جيد ؛ وقوله تعالى ( فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ) أي الذين أخذوه



فتلوه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما ، وقوله تعالى ( ومن هؤلاء من يؤمن به ) يعنى العرب من قريش وغيرهم ( وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ) أى ما يكذب بها ويحدهقها إلا من يستتر الحق بالباطل ، وينغى ضوء الشمس بالوسائل وهيهات ، ثم قال تعالى ( وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ) أى قد لبثت فى قومك يا محمد من قبل أن تأتى بهذا القرآن عمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أى لا تقرأ ولا تكتب وهكذا صفة فى الكتب للتقدمة كما قال تعالى ( الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدهونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ) الآية وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقالم . ومن زعم من متأخري الفقهاء كالفاضل أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله . فانما حملة على ذلك رواية فى صحيح البخارى : ثم أخذ فكتب . وهذه محمولة على الرواية الأخرى : ثم أمر فكتب . ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والغرب على من قال بقول الباجي وتبرءوا منه وأنشدوا فى ذلك أقوالا وخطبوا به فى محافلهم : وإنما أراد الرجل - أعنى الباجي - فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة كما قال صلى الله عليه وسلم إخباراً عن الدجال « مكتوب بين عينيه كافر » وفى رواية « ك ف ر » يقرأها كل مؤمن » وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة ضعيف لا أصل له ، قال الله تعالى ( وما كنت تتلو ) أى تقرأ ( من قبله من كتاب ) لتأكيد النفي ولا تخطه يمينك تأكيد أيضا وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى ( ولا طائر يطير بجناحيه ) . وقوله تعالى ( إذا لارتاب البطون ) أى لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة ( وقالوا أساطير الأولين اكتبها فىهى تملى عليه بكرة وأصيلا ) قال الله تعالى ( قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض ) الآية وقال ههنا ( بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ) أى هذا القرآن آيات بينة واضحة فى الدلالة على الحق أمرا ونهيا وخبرا يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا كما قال تعالى ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من نبي إلا وقد أعطى ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وفى حديث عياض بن حماد فى صحيح مسلم يقول الله تعالى « إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا » أى لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتجج إلى ذلك المحل لأنه قد جاء فى الحديث الآخر « لو كان القرآن فى إهاب ما أحرقته النار » ولأنه محفوظ فى الصدور ميسر على الألسنة مهيمن على القلوب معجز لفظا ومعنى ولهذا جاء فى الكتب المتقدمة فى صفة هذه الأمة أناجيلهم فى صدورهم ، واختار ابن جرير أن المعنى فى قوله تعالى ( بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ) بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه يمينك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ، ونقله عن قتادة وابن جرير وحكى الأول عن الحسن البصرى فقط قلت وهو الذى رواه العوفي عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الأظهر والله أعلم ، وقوله تعالى ( وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ) أى ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون أى المعتدون الكابرون الذين يعلون الحق ويحيدون عنه كما قال تعالى ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم )

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أُولَئِكَ يَكْفُرُ بِهَا أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي

وَيَبَيِّنُكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ترشدهم إلى أن عمداً رسول الله كما أتى صالح بناقته قال الله تعالى (قل) يا محمد (إنما الآيات عند الله) أي إنما أمر ذلك إلى الله فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم لأن هذا سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم أنكم إنما قصدتم التعت والامتحان فلا يجيبكم إلى ذلك كما قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون \* وآتينا نوحاً والناقة مبصرة فظلموا بها) وقوله (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما بعثت نذيراً لكم بين النذارة فعلى أن أبلغكم رسالة الله تعالى و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وقال تعالى (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم ، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة اذعجت الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى (أولم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية أننا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم وحكم ما بينهم وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب فجتهم بأخبار ما في الصحف الأولى بيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي كما قال تعالى (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من الأنبياء من نبي إلا أقدم أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » أخرجه من حديث الليث . وقد قال الله تعالى (إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) أي إن في هذا القرآن لرحمة أي بياناً للحق وإزاحة للباطل وذكري بما فيه حلول النعمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين لقوم يؤمنون ثم قال تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) أي هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول لكم من اخباري عنه بأنه أرسلني فلو كنت كاذباً عليه لانتقم مني كما قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ولهذا أبدى بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات (يعلم ما في السموات والأرض) أي لا تخفي عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) أي يوم القيامة سيجزئهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل فيسجزئهم على ذلك إنه حكيم علم

﴿ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \*  
يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَوْمَ يَنْفَسُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ  
وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم وبأس الله أن يحل عليهم كما قال تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ههنا (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاهم العذاب) أي لولا ما حتم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة

لجاءهم العذاب قريباً سريعاً كما استعجلوه ثم قال ( وليأتينهم بغتة ) أى فجأة ( وهم لا يشعرون \* يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ) أى يستعجلون العذاب وهو واقع بهم لا محالة. قال شعبة عن سماك عن عكرمة. قال فى قوله ( وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ) قال البحر وقال ابن أبي حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا أبى عن مجاهد عن الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول ( وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ) وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الله بن أمية حدثنى محمد بن حبي أخبرنى صفوان بن يعلى عن أبيه أن النبى ﷺ قال « البحر هو جهنم » قالوا ليعلى فقال : ألا ترون أن الله تعالى يقول ( ناراً أحاط بهم سرادقها ) قال لا والذى نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى هذا تفسير غريب وحديث غريب جداً والله أعلم ثم قال عز وجل ( يوم يشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ) كقوله تعالى ( لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ) وقال تعالى ( لهم من فوقهم ظلك من النار ومن تحتهم ظلك ) وقال تعالى ( لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) الآية فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ فى العذاب الحسى وقوله تعالى ( وتقول ذوقوا ما كنتم تعملون ) تهديد وتقريع وتوبيخ وهذا عذاب معنوى على النفوس كقوله تعالى ( يوم يسبحون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر \* إنا كل شىء خلقناه بقدر ) وقال تعالى ( يوم يدعون إلى نار جهنم دعاءً \* هذه النار التى كنتم بها تكذبون \* أفسح هذا أم أتم لا تبصرون \* اصلوها فاصبروا أو لا اصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون )

﴿ يٰٓعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ أَرْضِىْ وَسِعَةً فَاغْبُدُونِ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعٰمِلِينَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَكَآئِبٌ مِّنْ دَآئِبٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذى لا يقدر على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ولهذا قال تعالى ( يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقة بن الوليد حدثنى جبير بن عمرو القرشى حدثنى أبو سعد الأنصارى عن أبى بحر مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحينئذ أصبت خيراً فأقم » ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليؤمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين هناك أصحمة النجاشى ملك الحبشة رحمه الله تعالى فأواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوما بيلاده ثم بعد ذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة ثم قال تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ) أى أينما كنتم يدركم الموت فكونوا فى طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم فإن الموت لا بد منه ولا محيد عنه ثم إلى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعاً له جازاه أفضل الجزاء ووفاه أتم الثواب ولهذا قال تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار ) أى لنسكنهم منازل عالية فى الجنة تجرى من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وخمر وعسل ولبن يصفونها ويحرقونها حيث شاءوا ( خالدين فيها ) أى ما كثرين فيها أبداً لا ييغون عنها حولاً ( نعم أجر العاملين ) نعمت هذه الغرف أجر على أعمال المؤمنين ( الذين صبروا ) أى على دينهم وهاجروا إلى الله وناذبوا الأعداء

وفارقوا الأهل والأقرباء ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الأسود حدثني أبو معاوية الأشعري أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ حدثه أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدتها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام ، وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام ( وعلى ربهم يتوكلون ) في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم . ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقهم حيث كانوا وأين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ولهذا قال تعالى ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها ) أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لعد ( الله يرزقها وإياكم ) أي الله يفيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الثر في قرار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء . قال تعالى ( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري - هو أبو العطف - عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي ( يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ ) قال قلت لأشبهه يا رسول الله قال « لكني أشبهه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجد له ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخشون رزق سنتهم بضعف اليقين ؟ » قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ) فقال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فان الحياة بيد الله ، ألا وإني لأبكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لعد » هذا حديث غريب وأبو العطف الجزري ضعيف وقد ذكروا أن العراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض فإذا رآهم أبواهم كذلك نقرأ عنهم أياما حتى يسود الريش فيظل الفرخ فأنحأ فاه يتفقد أبويه فيفيض الله تعالى طيرا صغارا كالبرغش فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه والأبوان يتفقدانه كل وقت فكلمنا رأوه أبيض الريش نقرأ عنه فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفوا عليه بالحضانة والرزق ولهذا قال الشاعر

يا رازق النعاب في عشه \* وجابر العظم الكسير الميهض

وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر كقول النبي ﷺ « سافروا تصحوا وترزقوا » قال البيهقي أخبرنا إمام أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن يزيد شيخ من أهل المدينة حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا تصحوا وتغنموا » قال ورويناه عن ابن عباس ، وقال الإمام أحمد حدثنا قبيصة أخبرنا ابن لهيعة عن دراج عن عبد الرحمن بن حنبل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا ترحبوا ، وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا » وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا وعن معاذ بن جبل موقوفا ، وفي لفظ « سافروا مع ذوى الجد والميسرة » قال ورويناه عن ابن عباس وقوله ( وهو السميع العليم ) أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ \* اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مقررآ أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وأنه الخالق الرزاق لعباده ومقدر أجالهم ، واختلافها واختلاف أرزاقهم . فتفاوت بينهم فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلامهم ومن يستحق الغنى بمن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء المنفرد بتدبيرها ، فاذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكأنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيرآ ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية . وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلييتهم: لييك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَمَا بَاقٍ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى عبرآ عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها ، وأنها لا دوام لها وغاية ما فيها لهو ولعب ( وإن الدار الآخرة لهى الحيوان ) أى الحياة الدائمة الحق الذى لا زوال له ولا انقضاء بل هى مستمرة أبد الآباد ، وقوله تعالى ( لو كانوا يعلمون ) أى لآثروا ما يبقى على ما يفنى ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطراب يدعونه وحده لا شريك له فهلا يكون هذا منهم دائما ( فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ) كقوله تعالى ( وإذا مسك الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ) الآية وقال ههنا ( فلما نجاكم إلى البر إذا هم يشركون ) وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عكرمة بن أبى جهل أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فأرآ منها فركب فى البحر لينذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها يا قوم أخلصوا الربكم الدعاء فانه لا ينجى ههنا إلا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجى فى البحر غيره فانه لا ينجى فى البر أيضا غيره اللهم لك على عهد لئن خرجت لأذهبن فلا ضعن يدى فى يد محمد فلا جدنه ردو فأرحها فكان كذلك وقوله تعالى ( ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا ) هذه اللام يسمها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة لأنهم لا يقصدون ذلك ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهى لام التعليل ، وقد قدمنا تقرير ذلك فى قوله ( ليكون لهم عدوا وحزنا )

﴿ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَّخِطُّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ \* وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يقول تعالى ممتنا على قريش فبأحلهم من حرمة الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فهم فى أمن عظيم والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا كما قال تعالى ( لا يلاف قريش ) إلى آخر السورة . وقوله تعالى ( أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ) أى أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد ( بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ) فكفروا بنبي الله وعبدوا رسوله فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله وأن لا يشركوا به وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره فكذبوه فقاتلوه فأخرجوه من بين ظهرهم ولهذا سلهم الله تعالى ما كان أنعم به عليهم وقتل من قتل منهم يدر ثم

صارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين ففتح الله على رسوله مكة وأرغم آتافهم وأذل رقابهم ، ثم قال تعالى ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ) أى لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ، وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه فالأول مفتر والثانى مكذب ولهذا قال تعالى ( أليس في جهنم مثوى للكافرين ) ثم قال تعالى ( والذين جاهدوا فينا ) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ( لنهدينهم سبلنا ) أى لنبصرهم سبلنا أى طرقنا فى الدنيا والآخرة . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن أبى الحوارى أخبرنا عباس الهمداني أبو أحمد من أهل عكافى قول الله تعالى ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ) قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون قال أحمد بن أبى الحوارى فحدثت به أبا سليمان يعنى الدارانى فأعجبه وقال ليس ينبغى لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه فى الأثر ، فاذا سمعه فى الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما فى قلبه . وقوله ( وإن الله لمع المحسنين ) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عيسى بن جعفر قاضى الرى حدثنا أبو جعفر الرازى عن المغيرة عن الشعبي قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك والله أعلم . آخر تفسير سورة العنكبوت والله الحمد والمنة .

### ( تفسير سورة الروم وهى مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

﴿ اَلَمْ نَغْلِبِ الرُّومَ \* فِي اَدْنَى الْاَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾

زلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقصى بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألباه إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتى . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( ألم \* غلبت الروم فى أدنى الأرض ) قال غلبت وغلبت ، قال كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب فذكر ذلك لأبى بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إنهم سيغلبون » فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ألا جعلتها إلى دون - أراه قال العشر - » قال سعيد بن جبير البضع ما دون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله ( ألم \* غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون - إلى قوله - وهو العزيز الرحيم ) هكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق الفزارى عن سفيان الثورى به وقال الترمذى حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب . ورواه ابن أبى حاتم عن محمد بن إسحاق الصاغانى عن معاوية بن عمرو به . ورواه ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا محمد بن سعيد أو سعيد الثعلبي الذى يقال

له أبو سعد من أهل طرسوس حدثنا أبو إسحاق الفزاري فذكره ، وعندهم قال سفيان قبلني أنهم غلبوا بعد يوم بدر  
﴿ حديث آخر ﴾ قال سليمان بن مهران الأعمش عن مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدخان  
واللزام والبطشة ، والقمر . والروم . وأخرجاه . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند  
عن عامر - هو الشعبي - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون  
أن تظهر فارس على الروم . وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم  
فلما نزلت ( الم \* غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ) قالوا يا أبا بكر إن صاحبك  
يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال : صدق قالوا هل لك أن تمارك فبايعوه على أربع قلائص إلى  
سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال  
« ما يضع سنين عنكم ؟ » قالوا دون العشر قال « اذهب فرايدهم وازدد سنتين في الأجل » قال فامضت السنان حتى  
جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى ( الم \* غلبت الروم - إلى قوله تعالى -  
وعد الله لا يخلف الله وعده ) ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي  
حدثنا مؤمن عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال لما نزلت ( الم \* غلبت الروم في أدنى الأرض وهم  
من بعد غلبهم سيفلون ) قال المشركون لأبي بكر ألا تترى إلى ما يقوم صاحبك يزعم أن الروم تغلب فارس قال صدق  
صاحبى قالوا هل لك أن نخاطرك فجعل بينه وبينهم أجلا فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي  
صلى الله عليه وسلم وساء ذلك وكرهه وقال لأبي بكر « مادعاك إلى هذا ؟ » قال تصديقا لله ولرسوله . قال  
« تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله إلى بضع سنين » فأتاهم أبو بكر فقال هل لكم في العود فإن العود أحمد؟ قالوا نعم  
فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ، فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم فقال : هذا السحت ، قال « تصدق به » ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذى حدثنا محمد بن إسماعيل  
حدثنا إسماعيل بن أي أويس أخبرني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمى قال : لما نزلت  
( الم \* غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية  
قاهر بين الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى ( يومئذ يفرح  
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ) وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل  
كتاب ولا إيمان يبعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يهيج في نواحي مكة ( الم \* غلبت الروم في أدنى الأرض  
وهم من غلبهم سيفلون \* في بضع سنين ) فقال ناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم  
ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتهن أبو بكر والمشركون  
وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطاً انتهى إليه قال  
فسموا بينهم ست سنين قال فمضت ست السنين قبل أن يظهروا فأخذوا المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة  
السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين قال لأن الله يقول في بضع سنين  
قال فأسلم عند ذلك ناس كثير . هكذا ساقه الترمذى ثم قال هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث عبد الرحمن  
ابن أبي الزناد ، وقد روى نحوه هذا مرسل عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقادة والسدي والزهرى  
وغيرهم ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الإمام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن  
عكرمة قال : كان في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال فدعاها كسرى فقال إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً  
وأستعمل عليه رجلاً من بنيك فأشيرى على أبيهم أستعمل ؟ ! فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب وأحذر من صقر  
وهذا فرخان وهو أفقد من سنان ، وهذا شهريراز وهو أحلم من كذا تعنى أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت ،  
قال فأتى استعملت الحليم فاستعمل شهريراز فسار إلى الروم بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع

زيتونهم قال أبو بكر بن عبد الله فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال أما إنك لورأيتها لرأيت اللدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأثمت الشام بعد ذلك فرأيته . قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمر أن قيسر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهر يراز فالتقيا بين أذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون . قال عكرمة : ولقي المشركون أصحاب النبي ﷺ وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن فالتتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى ( الم \* غلبت الروم في أدنى الأرض - إلى قوله - ينصر من يشاء ) فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله فقال أنا حبيك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره فقال « ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزياده في الخطر وماده في الأجل » فخرج أبو بكر فلقى أيما فقال لملك ندمت ؟ فقال لا ، تعال أزيدك في الخطر وأمدك في الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون . قال عكرمة لما أن ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهر يراز فقال لأصحابه لقد رأيت كأتى جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب كسرى إلى شهر يراز إذا أتاك كتابي فابعث إلى برأس فرخان فكتب إليه شهر يراز أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان له نكايه وصوت في العدو فلا تفعل ، فكتب إليه إن في رجال فارس خلفاً منه فعجل إلى برأسه . فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريداً إلى أهل فارس إنى قد نزعتم عنكم شهر يراز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع إلى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال إذا ولي فرخان الملك واتماده أخوه فأعطه هذه ، فلما قرأ شهر يراز الكتاب قال ممما وطاعة ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ورفع إليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها قال اتنوني بشهر يراز وقدمه ليضرب عنقه فقال شهر يراز لا تعجل حتى أكتب وصيتي ، قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه الصحائف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك إلى أخيه شهر يراز وكتب شهر يراز إلى قيسر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تحملها الصحف فالتقى ولا تلقى إلا في خمسين روميا فإني لا ألتك إلا في خمسين فارسيا . فأقبل قيسر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه بأنه ليس معه إلا خمسون رجلا ، ثم بسط لهما والثيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهر يراز إن الذين خربوا مدائنك وأنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخيه فأثمت ثم أمر أخى أن يقتلني فقد خلعتنا جميعا فجنح نقاتله معك . قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السريين اثنين فإذا جاوز اثنين فمشا قال أجل قتلنا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية فرح وللمسلمون معه . فهذا سياق غريب وبناء عجيب . ولتتكم على كلمات هذه الآيات الكريمة فقله تعالى ( الم \* غلبت الروم ) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن اسحق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الأصفر وكانوا على دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ويقال لها التحيرة ويصلون إلى القطب الشمالي وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها وفيه محاريب إلى جهة الشمال فكان الروم على دينهم إلى بسد بعث المسيح بنحو من ثلثمائة سنة وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له قيسر فكان أول من دخل في دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين بن قسطنس وأمه مريم الميلانية الغنداقية من أرض حران كانت قد



تصرت قبله فدعته إلى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تقيّة واجتمعت به النصارى وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس واختلفوا اختلافا كثيرا منتشرا متمشقا لا ينضبط إلا أنه انفق من جماعتهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً فوضعوا لقسطنطين العقيدة وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة وإنما هي الحياة الحقيرة ، ووضعوا له القوانين يعنون كتب الأحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغيروا دين المسيح عليه السلام ، وزادوا فيه ونقصوا منه فصلوا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير ، واتخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والعطاس وغير ذلك من البواغيت والشعائين ، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الأساقفة والقساوسة ثم الشماسة ، وابتدعوا الرهبانية ، وبنى لهم الملك الكنائس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية يقال إنه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة ، وبنى بيت لحم بثلاث محاريب وبنيت أمه القمامة ، وهؤلاءهم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ، ثم حدثت بعدهم اليعقوبية أتباع يعقوب الأسكاف ثم النسطورية أصحاب نسطورا وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنهم ائترقوا على اثنتين وسبعين فرقة » والغرض أنهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا فتملك عليهم في رياسة عظيمة وأبهة كثيرة فناوأه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو سابور ذوالاكتاف ، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر وله رياسة العجم وحماسة الفرس وكانوا مجوسا يعبدون النار ، فتقدم عن عكرمة أنه قال بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية ، فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تعظمه تعظما زائدا ، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصاتها لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر فكانت تأتهم الميرة والمدد من هنالك ، فلما طال الأمر دبر قيصر مكيده ورأى في نفسه خديعة فطلب من كسرى أن يقلع من بلاده على مال يصلحه عليه ويشترط عليه ماشاء فأجاب به إلى ذلك وطلب منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر وأقمشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة ، فطاوعه قيصر وأوممه أن عنده جميع ماطلب واستقل عقله لما طلب منه ماطلب ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عشره ، وسأل كسرى أن يمكنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواسله ودفائنه فأطلق سراحه فلما عزم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية جمع أهل ملته وقال : إني خارج في أمر قد أبرمته في جند قد عينته من جيشي فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا ملككم وإن لم أرجع إليكم قبلها فأتهم بالخياري إن شئتم استمررتهم على يعنى وإن شئتم وليتم عليكم غيري فأجابوه بأنك ملكنا مادمت حيا ولوغبت عشرة أعوام ، فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة في جيش متوسط هذا وكسرى مخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجع فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس فعاث في بلادهم قتالارجالها ومن بها من القاتلة أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى اللدائن وهي كرسى مملكة كسرى فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأسرى نساءه وحريره وحلق رأس ولده وركبه على حمار وبعث معه من الأساورة من قومه في غاية الهوان والدلة وكتب إلى كسرى يقول هذا ماطلبت فخذه فلما بلغ ذلك كسرى أخذه من الغم مالا يحصيه إلا الله تعالى واشتد حنقه على البلد فجد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك ، فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون التي لاسبيل لقيصر إلى القسطنطينية لإمنها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها وهو أنه أرصد جنده وحواسله التي معه عند فم المخاضة وركب في بعض الجيش وأمر بأحمال من التبن والبر والروث فحملت معه وسار إلى قريب من يوم في الماء مصعدا ثم أمر بالقاء تلك الأحمال في النهر فلما مرت بكسرى وجنده ظن أنهم قد خاضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فشغرت المخاضة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والحوض فخاضوا وأسرعوا السير فقاتوا كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوماً مشهوداً

عند النصارى وبقى كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا على بلاد قيصر وبلادهم قد خربتها الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب فارس للروم ، وكانت الواقعة السكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهى طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز ، وقال مجاهد كان ذلك فى الجزيرة وهى أقرب بلاد الروم من فارس فأنه أعلم . ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهى تسع فان البضع فى كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع : وكذلك جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى وابن جرير وغيرهما من حديث عبدالله بن عبدالرحمن الجمحى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر فى مناجحة (الم \* غلبت الروم) الآية « ألا احتطت يا أبا بكر فان البضع ما بين ثلاث إلى تسع ؟ » ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وروى ابن جرير عن عبدالله بن عمرو أنه قال ذلك والله أعلم . وقوله تعالى ( الله الأمر من قبل ومن بعد ) أى من قبل ذلك ومن بعده فبنى على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ) أى للروم أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى ، وهم المجوس وكانت نصر الروم على فارس يوم وقعة بدر فى قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثورى والسدى وغيرهم وقد ورد فى الحديث الذى رواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم والبخارى من حديث الأعمش عن عطية عن أبى سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ففرحوا به وأنزل الله ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ) وقال الآخرون بل كان نصر الروم على فارس عام الحديبية . قاله عكرمة والزهرى وقتادة وغير واحد ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفروه الله بكسرى ليمشين من حمص إلى يلبا وهو بيت المقدس شكراً لله تعالى ففعل ، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله ﷺ الذى بعثه مع دحية بن خليفة فأعطاه دحية لعظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر . فلما وصل إليه سأل من بالشام من عرب الحجاز ، فأحضر له أبوسفيان صخر بن حرب الأموى فى جماعة من كبار قريش وكانوا بغزة فجيء بهم إليه فجلسوا بين يديه . فقال أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال أبوسفيان أنا فقال لأصحابه وأجلسهم خلفه إني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذب فكذبوه ، فقال أبوسفيان فوالله لولا أن يأتروا على الكذب لكذبت فسأله هرقل عن نسبه وصفته فكان فيما سأله أن قال : فهل يغدر ؟ قال قلت لا ونحن منه فى مدة لاندرى ما هو صانع فيها يعنى بذلك الهدنة التى كانت قد وقعت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش عام الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية لأن قيصر إنما وفى بنذره بعد الحديبية والله أعلم . ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت فما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح ما ينبغى له إصلاحه وتفقد بلاده ثم بعد أربع سنين من نصرته وفى بنذره والله أعلم : والأمر فى هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين ، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لأن الروم أهل كتاب فى الجسالة فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس كما قال تعالى ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى - إلى قوله - ربنا آمننا فآكتبنا مع الشاهدين ) . وقال تعالى ههنا ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنى أسيد الكلابى قال سمعت العلاء بن الزبير الكلابى يحدث عن أبيه قال رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم كل ذلك فى خمس عشرة سنة

وقوله تعالى ( وهو العزيز ) أى فى انتصاره وانتقامه من أعدائه ( الرحيم ) بعباده المؤمنين وقوله تعالى ( وعد الله لا يخلف الله وعده ) أى هذا الذى أخبرناك به يا محمد من أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق وخبر صدق لا يخلف ولا بد من كونه ووقوعه لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المتقتلتين إلى الحق ويجعل لها

العاقبة ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أى بحكم الله فى كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل . وقوله تعالى ( يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ) أى أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها فهم حذاق أذكياء فى تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون فى أمور الدين وما ينفعهم فى الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة ، قال الحسن البصرى والله ليبلغ من أحدهم بدياه أنه يقبل الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلى . وقال ابن عباس فى قوله تعالى ( يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ) يعنى الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم فى أمر الدين جهال

﴿ أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ \* أُولَٰئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

يقول تعالى منبأ على التفكر فى مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراجه بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال ( أو لم يتفكروا فى أنفسهم ) يعنى به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوى والسفلى وما بينهما من المخلوقات التنوعة والأجناس المختلفة فعملوا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ولهذا قال تعالى ( وإن كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون ) ثم نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات من إهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم فقال تعالى ( أو لم يسيرا فى الأرض ) أى بأفهامهم وعقولهم ونظيرهم وسماع أخبار الماضين ولهذا قال ( فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة ) أى كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم قوة أيها المبعوث إليهم محمد ﷺ وأكثر أموالا وأولادا ، وما أوتيتهم معشار ما أوتوا ومكنوا فى الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه وعمروا فيها أعمارا أطوالا وعمروها أكثر منكم . واستغلوها أكثر من استغلالكم ، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله ، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) أى وإساء أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم ولهذا قال تعالى ( ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات وكانوا بها يستهزئون ) كما قال تعالى ( وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ) وقال تعالى ( فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ) وقال تعالى ( فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ) وعلى هذا تكون السوأى منصوبة مفعولا لأساءوا وقيل بل اللغى فى ذلك ( ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى ) أى كانت السوأى عاقبتهم لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون . فعلى هذا تكون السوأى منصوبة خبر كان ، هذا توجيه ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقتادة ، ورواه ابن أبي حاتم عن الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله أعلم لقوله ( وكانوا بها يستهزئون )

﴿ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُم مِّن

شُرَكَائِهِمْ شُفَعُوا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿

يقول تعالى ( الله يبدأ الخلق ثم يعيده ) أى كما هو قادر على بداءته فهو قادر على إعادته ( ثم إليه ترجعون ) أى يوم القيامة فيجازى كل عامل بعمله . ثم قال ( ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون ) قال ابن عباس : يلبس المجرمون ، وقال مجاهد يفتضح المجرمون وفي رواية يكتب المجرمون ( ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ) أى ما شفعت فيهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم وخانوم أحوج ما كانوا إليهم . ثم قال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ) قال قتادة هى والله الفرقة التى لا اجتماع بعدها ، يعنى أنه إذا رفع هذا إلى عليين وخفض هذا إلى أسفل سافلين فذلك آخر العهد بينهما ولهذا قال تعالى ( فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون ) قال مجاهد وقاتدة : ينعمون وقال يحيى بن أبى كثير يعنى مماع الغناء . والحبرة أعم من هذا كله قال المعجاج :  
فالحمد لله الذى أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ \* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ \* يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

هذا تسييح منه تعالى لنفسه القدسة وإرشاد لعباده إلى تسييحه وتحميده فى هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه . ثم اعترض بحمده مناسبة للتسييح وهو التثعيد فقال تعالى ( وله الحمد فى السموات والأرض ) أى هو الحمود على ما خلق فى السموات والأرض ثم قال تعالى ( وعشيا وحين تظهرون ) فالعشاء هو شدة الظلام والاطهار قوة الضياء ، فسبحان خالق هذا وهذا فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا كما قال تعالى ( والنهار إذا جلاها \* والليل إذا يشاها ) وقال تعالى ( والليل إذا يغشى \* والنهار إذا تجلى ) وقال تعالى ( والضحى والليل إذا سجى ) والآيات فى هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ألا أخبركم لمسمى الله إبراهيم خليله الذى وفى ! لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » . وقال الطبرانى حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي عن أبيه عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون الآية بكاملها أدرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته فى ليلته » إسناده جيد (١) ورواه أبو داود فى سننه وقوله تعالى ( يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ) هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة ، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فانه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ليدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات ، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى ( ويحيى الأرض بعد موتها ) كقوله تعالى ( وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون - إلى قوله - وفجرنا فيها من العيون ) وقال تعالى ( وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت

(١) فى النسخة المكية : ضعيف

وربتت وأنت من كل زوج بهيج - إلى قوله - وأن الله يبعث من في القبور) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا - إلى قوله - لعلكم تذكرون) ولهذا قال ههنا (وكذلك تخرجون)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أبابكم آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظاما شكله على شكل الإنسان ثم كسا الله تلك العظام لحما، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير، ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر ورأى وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة، ولهذا قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون). وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد وغندر قالا حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والحديث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك» ورواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي خلق لكم من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا (لتسكنوا إليها) كما قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الاقصى الأيسر. ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمة يبيي آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهم مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة فان الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أولرحمة بها بأن يكون لها منه ولدا أو محتاجة إليه في الاتفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ لَعَالَمِينَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على قدرته العظيمة (خلق السموات والأرض) أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار. وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم) يعني اللغات فهؤلاء بلغة العرب وهؤلاء تتلهم لغة أخرى وهؤلاء كرج وهؤلاء روم وهؤلاء فرنج وهؤلاء بربر وهؤلاء تكرر وهؤلاء حبشة وهؤلاء هنود وهؤلاء عجم وهؤلاء صقالبة وهؤلاء خزر وهؤلاء أرمن وهؤلاء أكراد إلى غير ذلك مما لا يملئه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم وهي حلام فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عيوان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر بل لا بد أن

يفارقة بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بناته وهيته لاتشبه أخرى ، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر (إن في ذلك آيات للعالمين \* ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ) أى ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم فى الليل ، والنهار فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الا انتشار والسعى فى الأسباب والأسفار فى النهار وهذا ضد النوم ( إن فى ذلك آيات لقوم يسمعون ) أى يعون ، قال الطبرانى حدثنا حجاج بن عمران السدوسى حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن مروان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال « قل اللهم غارت النجوم وهذات العيون وأنت حى قيوم يا حى يا قيوم أتم عيني وأهدىء ليلي » فقلتها فذهب عني .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾

يقول تعالى ( ومن آياته ) الدالة على عظمته أنه ( يريكم البرق خوفا وطمعا ) أى تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من الطر المحتاج إليه ، ولهذا قال تعالى ( وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ) أى بعد ما كانت هامة لانبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء ( اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ) وفى ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال ( إن فى ذلك آيات لقوم يعقلون ) ثم قال تعالى ( ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ) كقولته تعالى ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه ) وقوله ( إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اجتهد فى الميئن قال .  
والذى تقوم السماء والأرض بأمره أى هى قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم ولهذا قال تعالى ( ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ) أى من الأرض كما قال تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبتم إلا قليلا ) وقال تعالى ( فأينما هى زجرة واحدة \* فإذا هم بالساهرة ) وقال تعالى ( إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون )

﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ \* وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ  
﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى ( وله من فى السموات والأرض ) أى ملكه وعبده ( كل له قانتون ) أى خاضعون خاشعون طوعا وكرها . وفى حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا « كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » وقوله ( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى أيسر عليه ، وقال بجاهد الإعادة أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هينة وكذا قال عكرمة وغيره وروى البخارى حدثنا أبو الهيثم أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقول له لن يعيدنى كما

بدأني وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله آخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » انفرد بإخراجه البخاري كما انفرد بروايته أيضا من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وقدرناه الإمام أحمد منفردا به عن حسن بن موسى عن ابن طبيعة حدثنا أبو يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله . وقال آخرون كلاهما بالنسبة إلى القدرة على السواء وقال العوفي عن ابن عباس كل عليه هين وكذا قاله الربيع بن خثيم ومال إليه ابن جرير وذكر عليه شواهد كثيرة قال ويحتمل أن يعود الضمير في قوله ( وهو أهون عليه ) إلى الخلق أي وهو أهون على الخلق . وقوله ( وله المثل الأعلى في السموات والأرض ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى ( ليس كمثله شيء ) وقال قتادة مثله أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير . وقد أنشد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف :

إذا سكن الغدير على صفاء      وجنب أن يحركه النسيم  
يرى فيه السماء بلا امتراء      كذلك الشمس تبدو والنجوم  
كذلك قلوب أرباب التجلي      يرى في صفوها الله العظيم

وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شيء وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه الحكيم في أقواله وأفعاله شرعا وقدرنا وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن النكدر في قوله تعالى ( وله المثل الأعلى ) قال لا إله إلا الله

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقِنَاكُمْ فَأَتَمُّ فِيهِ سِوَاهُ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ \* بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءهم من الأصنام والأنداد عبيده ملك له كما كانوا يقولون : ليك لاشريك لك إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فقال تعالى ( ضرب لكم مثلا من أنفسكم ) أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ( هل لكم مما ملكت أيانكم من شركاء فيما رزقناكم فأتتم فيه سواء ) أي يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكه في ماله فهو وهو فيه على السواء ( تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ) أي تخافون أن يقاممكم الأموال . قال أبو جعفر إن مملوك لا تخاف أن يقاممك مالك وليس له ذلك . كذلك الله لاشريك له . واللعنى أن أحدكم يأنف من ذلك فكيف تجملون لله الأنداد من خلقه وهذا كقوله تعالى ( ويجعلون لله ما يكرهون ) أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله وقد كان أحدكم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب فهم يأفون من البنات وجعلوا الملائكة بنات الله فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم فهذا أغلظ الكفر وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقهم وأحدم يأني غاية الآباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقامه عليه ( تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا )

قال الطبراني حدثنا محمود بن الفرج الأصباني حدثنا إسحاق بن عمرو الجبلي حدثنا حماد عن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يلي أهل الشرك ليك اللهم ليك لاشريك لك إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فأنزل الله تعالى ( هل لكم مما ملكت أيانكم من شركاء فيما رزقناكم فأتتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ) ولما كان التنبيه بمثل هذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأحرى . قال تعالى ( كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ) ثم قال تعالى مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا ( بل اتبع الذين ظلموا ) أي الشركون ( أهواءهم ) أي في عبادتهم الأنداد بغير علم ( فمن يهدي من أضل الله ) أي فلا أحد يهديهم إذا

كتب الله ضالهم ( وما لهم من ناصرين ) أى ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا معيد لهم عنه لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

﴿ فَأَمِّمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْمًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

يقول تعالى : فسدد وجهك واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذى هداك الله لها وكلها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى ( وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ) وفى الحديث « إني خلقت عبادى حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم » وسند ذكر فى الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية . وقوله تعالى ( لا تبديل لخلق الله ) قال بعضهم بمعناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها فيكون خبرا بمعنى الطلب كقوله تعالى ( ومن دخله كان آمنا ) وهو معنى حسن صحيح ، وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم فى الفطرة على الجبل المستقيمة لا يولد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس فى ذلك . ولهذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد فى قوله ( لا تبديل لخلق الله ) أى لدين الله ، وقال البخارى قوله ( لا تبديل لخلق الله ) لدين الله ، خلق الأولين دين الأولين ، الدين والفطرة الإسلام . حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى أخبرنى أبوسلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول ( فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ) ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب عن يونس بن يزيد الأيبلى عن الزهرى به ، وأخرجه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن هام عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ وفى معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة . فمنهم الأسود بن سريع التميمى . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن عن الأسود ابن سريع قال : أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه فأصبت ظفرا فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ؟ » فقال رجل يارسول الله أمهات أبناء المشركين فقال لا إنما خياركم أبناء المشركين - ثم قال - لا تقتلوا ذرية لا تقتلوا ذرية - وقال - كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها » ورواه النسائي فى كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصرى به . ومنهم جابر بن عبد الله الأنصارى قال الإمام أحمد حدثنا هاشم ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما مشركاً وإما كفوراً » ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمى . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » أخرجه فى الصحيحين من حديث أبى بشر جعفر بن إياس اليشكرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً بذلك ، وقد قال الإمام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا حماد بن عمار بن سلمة أنبأنا عمارة بن أبى عمار عن ابن عباس قال : أتى على زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع أولاد المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثنى فلان



عن فلان أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قال فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي ، ومنهم عياض بن حمار المجاشعي قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته « إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومى هذا : كل ما نحلته عبادى حلال . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ، ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغ رأسي فبدعه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسنفق عليك وابتعث جيشا نبعت خمسة مثله وقتل بمن أطاعك من عصاك - قال - : وأهل الجنة ثلاثة ذوسلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لسكل ذى قربي ومسلم ورجل عفيف متعفف ذو عيال - قال - وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له الدين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والحائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلاخانه . ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك » وذكر البخيل والكذاب والشنظير الفحاش . انفرد باخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به وقوله تعالى ( ذلك الدين القيم ) أى التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أى فهذا لا يعرفه أكثر الناس فهم عنه ناكبون كما قال تعالى ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) وقال تعالى ( وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ) الآية . وقوله تعالى ( منيبين إليه ) قال ابن زيد وابن جرير أى راجعين إليه ( واتقوه ) أى خافوه وراقبوه ( وأقيموا الصلاة ) وهى الطاعة العظيمة ( ولا تكونوا من المشركين ) أى بل كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة لا يريدون بها سواه ، قال ابن جرير حدثني يحيى بن واضح حدثنا يونس بن إسحاق عن يزيد بن أبي مرزوق قال مرعمرضى الله عنه بمعاذ بن جبل فقال عمر ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث وهن المنجيات الإخلاص وهى الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها والصلاة وهى الملة ، والطاعة وهى العصمة فقال عمر صدقت . حدثني يعقوب أنبأنا ابن علية أنبأنا أيوب عن أبي قلابة أن عمر رضى الله عنه قال لمعاذ ما قوام هذا الأمر ؟ فذكر نحوه وقوله تعالى ( من الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ) أى لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أى بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وقرأ بعضهم فارقوا دينهم أى تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كاليهودى والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وسائر أهل الأديان الباطلة مما عدا أهل الإسلام كما قال تعالى ( إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء إنما أمرهم إلى الله ) الآية فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة . وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة التمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فى قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم فى مستدركه أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال « من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابى »

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ \* لِيَكْفُرُوا بِبَنَاءِ آتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ \* آم أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُورَاتِنَا فَهُوَ بِتَكْلُمٍ بِيَمَانِهِمْ يُشْرِكُونَ \* وَإِذَا آذَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره . وقوله تعالى ( ليكفروا بما آتيناكم ) هي لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله ( فسوف تعلمون ) قال بعضهم والله لو توعدني حارس درب لحفت منه فكيف والتوعد ههنا هو الذي يقول للشئ كمن فيكون ثم قال تعالى منكرآ على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان ( أم أنزلنا عليهم سلطاناً أى حجة ) فهو يتكلم ) أى ينطق ( بما كانوا به يشركون ) وهذا استفهام إنكار أى لم يكن لهم شئ من ذلك ، ثم قال تعالى ( وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ) هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر . وقال ( ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ) أى يفرح في نفسه ويفخر على غيره وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى ( إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ) أى صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء كما ثبت في الصحيح « عجباً للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » وقوله تعالى ( أولم يروا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) أى هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ( إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون )

﴿ فَآتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً بإعطاء ( ذى القربى حقه ) أى من البر والصلة ( والمسكين ) وهو الذى لا شئ له ينفق عليه أوله شئ لا يقوم بكفائته ( وابن السبيل ) وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره ( ذلك خير للذين يريدون وجه الله ) أى النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى ( وأولئك هم المفلحون ) أى في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى ( وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ) أى من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله ، بهذا فسرهُ ابن عباس ومجاهد والضحاك وقناة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي ، وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى ( ولا تمنن تستكثر ) أى لا تعط العطاء تريد أكثر منه ؛ وقال ابن عباس : الربا رباان ، فربا لا يصح : يعنى ربا البيع ؛ وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها ، أضعافها ثم تلا هذه الآية ( وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ) وإنما الثواب عند الله في الزكاة ولهذا قال تعالى ( وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ) أى الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء في الصحيح « وما تصدق أحد بعدل تمره من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم من أحد » وقوله عز وجل ( الله الذى خلقكم ثم رزقكم ) أى هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا لا علم له ولا مع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأملك والسكائب كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سلام بن حبيب عن حبة وسواء ابنى خالد قال دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئا فأعناه فقال « لا تياسا من الرزق ما تهزهت رءوسكما فإن الإنسان

تلده أمه أحمر لبس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل « وقوله تعالى ( ثم يميتكم ) أى بعد هذه الحياة ( ثم يحييكم ) أى يوم القيامة ، وقوله تعالى ( هل من شركائكم ) أى الذين تعبدونهم من دون الله ( من يفعل من ذلكم من شيء ؟ ) أى لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والاماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله ( سبحانه وتعالى عما يشركون ) أى تعالى وتقدس وتنزه وتعظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدى وغيرهم المراد بالبرهنا الفيافي وبالبحر الأمصار والقرى وفى رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر الأمصار والقرى ما كان منها على جانب نهر ، وقال آخرون بل المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر هو البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع ( ظهر الفساد ) يعنى انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط وعن البحر يعنى دوابه . رواه ابن أبي حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن المقرئ عن سفيان عن حميد بن قيس الأعرج عن مجاهد ( ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ) أى بان النقص فى الزروع والثمار بسبب المعاصى . وقال أبو العالية . من عصى الله فى الأرض فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسما بالطاعة ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود « لحد يقام فى الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » والسبب فى هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطى المحرمات وإذا تركت المعاصى كان سببا فى حصول البركات من السماء والأرض . ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المظهرة فى ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله فى زمانة الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للأرض أخرجى بركتك فى كل من الرمانة القمام من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفى لبن اللقحة الجماعة من الناس وماذا لك إلا بركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقيم العدل كثرت البركات والحير . ولهذا ثبت فى الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف عن أبي عذبة قال وجد رجل فى زمان زياد وابن زياد صرة فيها حب يعنى من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت فى زمان كان يعمل فيه بالعدل ، وروى مالك عن زيد ابن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر وقوله تعالى ( ليذيقهم بعض الذى عملوا ) الآية أى يتلهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختبارا منه لهم ومجازاة على صنيعهم ( لعلهم يرجعون ) أى عن المعاصى كما قال تعالى ( وبلوناهم بالחסنات والسيئات لعلهم يرجعون ) ثم قال تعالى ( قل سيرا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ) أى من قبلكم ( كان أكثرهم مشركين ) أى فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدُّ عَن \* مِن كَفَرَ فَعَلَيْهِ

كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُمْ يَمْهَدُونَ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ ﴿

يقول تعالى أمراً عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات ( فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ) أى يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له ( يومئذ يصدعون ) أى يفرقون ففريق في الجنة وفريق في السعير ولهذا قال تعالى ( من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون \* ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ) أى يجازيهم مجازاة الفضل ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (إنه لا يحب الكافرين) ومع هذا هو العادل فيهم الذى لا يجوز

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها ولهذا قال تعالى ( وليذيقكم من رحمته ) أى للطر الذى ينزله فيحيى به العباد والبلاد ( ولتجرى الفلك بأمره ) أى فى البحر وإنما سيرها بالريح ( ولتبتغوا من فضله ) أى فى التجارات والمعاش والسير من إقليم إلى إقليم وقطر إلى قطر ( ولعلكم تشكرون ) أى تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التى لا تعد ولا تحصى . ثم قال تعالى ( ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجزموا ) هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أمهم به من الدلائل الواضحات . ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم وأتجى المؤمنين بهم ( وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ) أى هو حق أوجه على نفسه الكريمة تكريماً وفضلاً كقوله تعالى ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيلى حدثنا موسى بن أعين عن لىث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية ( وكان حقاً علينا نصر المؤمنين )

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ كُمُوسًا \* فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾

يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذى ينزل منه الماء فقال تعالى ( الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً ) إما من البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل ( فيبسطه فى السماء كيف يشاء ) أى يمدده فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثيراً ينشئ سحابة ترى فى رأى العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتى السحاب من نحو

البحر ثقلا مملوءة كما قال تعالى ( وهو الذي يرسل الرياح بشرآ بين يدي رحمة حتى إذا أقلت سحابا ثقلا ستفاه بلد ميت - إلى قوله - كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ) وكذلك قال ههنا ( الله الذي يرسل الرياح فثيرسحابا فيسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا ) قال مجاهد وأبو عمرو بن العلاء ومطر الوراق وقتادة يعني قطعا . وقال غيره مترا كما كماقاله الضحاك وقال غيره : أسود من كثرة الماء تراه مدلها ثقلا قريبا من الأرض وقوله تعالى ( فترى الودق يخرج من خلاله ) أي فترى المطر وهو القطر يخرج من بين ذلك السحاب ( فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون ) أي لحاجتهم اليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله اليهم . وقوله تعالى ( وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ) معنى السلام أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين أرلين من نزول المطر اليهم قبل ذلك فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعا عظيما ، وقد اختلف النحاة في قوله ( من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ) فقال ابن جرير هوتا كيد ، وحكاة عن بعض أهل العربية . وقال آخرون من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله أي الانزال لمبلسين ، ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ويكون معنى الكلام أنهم كانوا محتاجين اليه قبل نزوله ومن قبله أيضا قد فات عندهم نزوله وقتا بعد وقت فترقبوه في إبانته فتأخر ثم مضت مدة فترقبوه فتأخر ثم جاءهم بغتة بعد الإياس منه والقنوط فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامة أصبحت وقد اهتزت وربت وأبنتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى ( فانظر إلى آثار رحمة الله ) يعني المطر ( كيف يحيي الأرض بعد موتها ) ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفريقها وتمزيقها فقال تعالى ( إن ذلك لمحي الموتى ) أي إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات ( إنه على كل شيء قدير ) ثم قال تعالى ( ولئن أرسلنا ريحا فأرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ) يقول تعالى ( ولئن أرسلنا ريحا ) يابسة على الزرع الذي زرعه ونبت وشب واستوى على سوقه فأرأوه مصفرا أي قد اصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعده أي بعد هذا الحال يكفرون أي يمجدون ماتقدم إليهم من النعم كقوله تعالى ( أفأرأيتم ما تحرثون - إلى قوله - بل نحن محرومون ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو قال : الرياح ثمانية أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب ، فأما الرحمة فالناشرات والبشرات والرسلات والنداريات ، وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في الر والعاصف والقاصف وهما في البحر فاذا شاء سبحانه وتعالى حركة بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمة ولاقحا للسحاب تلقحه بعمله الماء كما يلقح الذكر الأنثى بالحل ، وإن شاء حركة بحركة العذاب فجعله عقبا وأودعه عذابا أليبا وجعله نعمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصرا وعاتيا ومفسدا لما يمر عليه والرياح مختلفة في مهابها صبا ، ودبور وجنوب وشمال ، وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف فريح لينة رطبة تعذى النبات وأبدان الحيوان وأخرى تجففه ، وأخرى تهلكه وتعطبه ، وأخرى تسيره وتصلبه ، وأخرى توهنه وتضعفه وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عياش حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة في الثانية - يعني الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا فقال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ، قال له الجبار تبارك وتعالى ، لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه ( ماتندر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ) » هذا حديث غريب ورفعه منكر والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو رضى الله عنه

﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْأَعْمَىٰ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ \* وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ  
إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ ﴾

يقول تعالى كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجدائها ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق ورددهم عن ضلالتهم بل ذلك إلى الله فإنه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لأحد سواه ، ولهذا قال تعالى ( إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ) أى خاضعون مستجيبون مطيعون فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين كما قال تعالى ( إنما يستجيب الذين يسمعون والوحي يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ) وقد استدل أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها بهذه الآية ( إنك لا تسمع الوحي ) على توهيم عبد الله ابن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قليب بدر بعد ثلاثة أيام ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم ، حتى قال له عمر يارسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا ؟ فقال « والذي نفسى بيده ما أتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون » وتأولته عائشة على أنه قال « إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » وقال قتادة أحياءهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعا وتوبيخا ونقمة ، والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة ، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححا له عن ابن عباس مرفوعا « مامن أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وثبت<sup>(١)</sup> عنه ﷺ لأتمه إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب العدوم والجماد ، والسلف يجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وروى عن أبي هريرة رضی الله عنه قال : إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ، وروى ابن أبي الدنيا بأسناده عن رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصم الجحدري في منامى بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت ؟ قال بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فتلقى أخباركم . قال قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيئات قد بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح ، قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمته قال وحدثنا محمد بن الحسين ثنا بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى نأى أهل الجبان فنقف على القبور فنسلم عليه وندعو لهم ثم نصرف فقلت ذات يوم لوصيرت هذا اليوم يوم الاثنين ؟ قال بلغنى أن الوحي يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها . قال ثنا محمد ثنا عبد العزيز بن أبان قال ثنا سفيان الثوري قال بلغنى عن الضحاك أنه قال : من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال لما كان يوم الجمعة . حدثنا خالد بن خدش ثنا جعفر بن سليمان عن أبي التياح يقول كان مطرف يغدو فإذا كان يوم الجمعة أدلج . قال وسمعت أبا التياح يقول بلغنا أنه كان ينزل بغوطة فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالسا على قبره فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة ويصلون عندهم يوم الجمعة ؟ قالوا نعم ونعلم ما يقول فيه الظير . قلت وما يقولون ؟ قال يقولون سلام عليكم ؟ حدثني محمد بن الحسن ثنا يحيى بن أبي بكر ثنا الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال للممات أبي جزعت عليه جزعاشديدا فكنت آتى قبره في كل يوم ثم قصرت عن ذلك ماشاء الله ثم أتى آتيته يوما فبينما أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فممت فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج وكأنه قاعد في قبره متوشح أ كفافه عليه سحنة الوحي قال فكأنني بكيت لمارأيته قال يا بني ما أبطأ بك عنى قلت وإنك لتعلم بمجيبى ؟ قال ماجئت مرة إلا علمتها وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر من حولي بدعائك قال فكنت آتية بعد ذلك كثيرا ، حدثني محمد حدثنا يحيى بن بسطام ثنا عثمان بن سويد الطفاوى قال وكانت

(١) من هنالى الآية التالية زيادة من اللسخة المكبية وهو غير موجود في النسخة الأمرية .

أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت يا ذخرى وذخيرتى من عليه اعتمادى في حياتى وبعد موتى لاتخذلنى عند الموت ولا توحشنى . قال فماتت فكنت آتيتها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور فرأيتها ذات يوم في منامى فقلت لها يا أمى كيف أنت ؟ قالت أى بنى إن لموت لكربة شديدة وإنى بحمد الله لنى برزخ محمود يفرش فيه الریحان وتتوسد السندس والامستبرق إلى يوم النشور فقلت لها ألك حاجة ؟ قالت نعم ، قلت وما هى ؟ قالت لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فأنى لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك يقال لى يا راهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر ويسر بذلك من حولى من الأموات ، حدثنى محمد حدثنا محمد بن عبدالعزيز ابن سليمان حدثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم ، وتجاوز عن مسيئكم ، وقبل حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال فأمسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلى ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، قال فيينا أنا نائم إذا انحلق قد جاءونى فقلت ما أتم وما حاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر ، قلت ما حاجتكم ؟ قالوا إنك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت وماهى ؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعوها ، قال قلت فأنى أعود لذلك ، قال فما تركتها بعد ، وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحى من أقاربه وإخوانه . قال عبد الله بن المبارك حدثنى ثور بن يزيد عن إبراهيم عن أيوب قال تعرض أعمال الأحياء على الموتى فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوءاً قالوا اللهم راجع به

وذكر ابن أبى الدنيا عن أحمد بن أبى الحوارى قال ثنا محمد أخى قال دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظمى ، قال بى أعظمتك أصلحك الله ؟ بلغنى أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى إبراهيم حتى أخضل لحيته . قال ابن أبى الدنيا وحدثنى محمد بن الحسين بنى خالد بن عمرو الأموى ثنا صدقة بن سليمان الجعفرى قال : كانت لى شرة ممجة فمات أبى فنتبت وندمت على ما فرطت ثم زلت أيما زلة فرأيت أبى فى المنام فقال أى بنى ما كان أشد فرحى بك وأعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديداً فلاتخزنى فيمن حولى من الأموات قال فكنت أسمعه بعد ذلك يقول فى دعائه فى السحر وكان جاراً لى بالسكوفة أسألك إياها لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصالحين ويا هادى المضلين ويا أرحم الراحمين . وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة ، وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله بن رواحة يقول : اللهم إنى أعود بك من عمل أخزى به عند عبد الله بن رواحة ، كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله . وقد شرع السلام على الموتى ، والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علم النبي ﷺ أمته إذا رأوا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العاقبة ، فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويحاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد والله أعلم

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

ينبه تعالى على تنقل الإنسان فى أطوار الخلق حالا بعد حال فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقته ثم من مضغة ثم يصير عظاما ثم تكسى العظام لحما وينفخ فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيراً ثم حدثا ثم مراهما ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع فى النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشيب اللمة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالى (ثم جعل من بعد قوه ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء) أى يفعل ما يشاء ويتصرف فى عييده بما يريد (وهو العلم القدير) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى قال : قرأت على ابن عمر (الله

الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) فقال (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) ثم قال قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت على فأخذ على كما أخذت عليك ، ورواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث فضيل به ورواه أبو داود من حديث عبد الله بن جابر عن عطية عن أبي سعيد بنحوه .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم . قال الله تعالى ( كذلك كانوا يؤفكون \* وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ) أى فإرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة ( لقد لبثتم في كتاب الله ) أى في كتاب الأعمال ( إلى يوم البعث ) أى من يوم خلقتم إلى أن بعثتم ( ولكنكم كنتم لا تعلمون ) قال الله تعالى ( فيومئذ ) أى يوم القيامة ( لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ) أى اعتذارهم عما فعلوا ( ولا هم يستعتبون ) أى ولا هم يرجعون إلى الدنيا كما قال تعالى ( وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ) .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جِثَّتْهُمْ بَشَايَةٌ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ \* كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ \* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾

يقول تعالى ( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ) أى قد بيناهم الحق ووضحناه لهم وضربنا لهم فيه الأمثال ليستبينوا الحق ويتبعوه ( ولئن جثت بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ) أى لورأوا أى آية كانت ، سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون \* ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) ولهذا قال ههنا ( كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون \* فاصبر إن وعد الله حق ) أى اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك ولن اتبعك في الدنيا والآخرة ( ولا يستخفك الذين لا يوقنون ) أى بل اتبعت على ما بعثك الله به فإنه الحق الذي لا مرية فيه ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله منحصر فيه . قال سعيد عن قتادة نادى رجل من الخوارج عليا رضى الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال : ( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ) فأنتست له على حتى فهم ما قال فأجابوه وهو في الصلاة ( فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال حدثنا وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان بن عفان عن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال : نادى رجل من الخوارج عليا رضى الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ) فأجابوه على رضى الله عنه وهو في الصلاة ( فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك



الدين لا يوقنون): ﴿طريق أخرى﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال صلى على بن أبي طالب رضى الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج (لئن أشركت ليحطن عملك ولتسكونن من الحاسرين) فأجابه على رضى الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الدين لا يوقنون)

﴿ ما روى في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيب بن روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال «إني يلبس علينا القرآن فان أقواما منكم يصابون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء» وهذا إسناده حسن ومتن حسن، وفيه سر عجيب. ونبا غريب، وهو أنه ﷺ تأثر بتقصان وضوء من اتهم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام. آخر تفسير سورة الروم والله الحمد والمنة

### ﴿ تفسير سورة لقمان وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ اَلَمْ تَرَ كَيْفَ اَنْزَلْنَا الْكِتَابَ الْحَكِيمَ \* هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ \* الَّذِيْنَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* اُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقها، ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى ( أولئك على هدى من ربهم ) أى على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي ( وأولئك هم المفلحون ) أى في الدنيا والآخرة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ \* وَإِذَا تَلَمَّ عَلَيْهِ إِيْدُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ) الآية عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماح كلام الله وأقبلوا على استماع الزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ) قال هو والله الغناء روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن ابن معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ) فقال عبد الله بن مسعود: الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي

الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ) قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن بديعة . وقال الحسن البصرى نزلت هذه الآية ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ) في الغناء والمزامير ، وقال قتادة: قوله ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ) والله لعله لا ينفق فيه مالا ولكن شراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع ، وقيل أراد بقوله ( يشتري لهو الحديث ) اشتراء المغنيات من الجوارى ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن خالد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « لا يخل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام ، وفيهن أنزل الله عز وجل على ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ) » وهكذا رواه الترمذى وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب وضعف على بن يزيد المذكور ﴿ قلت ﴾ على وشيخه والراوى عنه كلهم ضعفاء والله أعلم ، وقال الضحاك في قوله تعالى ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ) قال يعنى الشرك وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله ، وقوله ( ليضل عن سبيل الله ) أى إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للامر القصدى أى قبضوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى ( ويتخذها هزوا ) قال مجاهد ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها وقال قتادة يعنى ويتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى . وقوله ( أولئك لهم عذاب مهين ) أى كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة فى العذاب الدائم المستمر . ثم قال تعالى ( وإذا تتلى عليه آياتنا لى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا ) أى هذا القبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية لى عنها وأعرض وأدبر وتصام وما به من صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها ( فبشره بعذاب أليم ) أى يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ \* خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء فى الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وسدقوا المرسلين وعملوا الأعمال الصالحة التابعة لشريعة الله ( لهم جنات النعيم ) أى يتنعمون فيها بأنواع اللذات والمسار من الماء والشارب والملابس والمسكن والمرآكب والنساء والنضرة والسماع الذى لم يخطر ببال أحدوهم فى ذلك مقيمون دائما لا يظعنون ولا يبعثون عنها حولا وقوله تعالى ( وعد الله حقا ) أى هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأنه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شىء ( وهو العزيز ) الذى قهر كل شىء ودان له كل شىء ( الحكيم ) فى أقواله وأفعاله الذى جعل القرآن هدى للمؤمنين ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ) الآية ، وقوله ( وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا )

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَإِنِّى فِى الْأَرْضِ رَءِوسِى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ \* هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما فقال تعالى ( خلق السموات بغير عمد ) قال الحسن وقاتة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية . وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد لها عمد لا ترونها

وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته ( وألقى في الأرض رواسي ) يعني الجبال أرست الأرض وقلتها لثلاث تضرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال ( أن تמיד بكم ) أى لثلاث تמיד بكم . وقوله تعالى ( وبث فيها من كل دابة ) أى وذراً فيها من أصناف الحيوانات مما لا تعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذى خلقها ، ولما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله ( وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم ) أى من كل زوج من النبات كريم أى حسن النظر . وقال الشعبي والناس أيضاً من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ، وقوله تعالى ( هذا خلق الله ) أى هذا الذى ذكره تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك له فى ذلك ولهذا قال تعالى ( فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ) أى مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد ( بل الظالمون ) يعنى المشركين بالله العابدين معه غيره ( فى ضلال ) أى جهل وعمى ( مبين ) أى واضح ظاهر لا خفاء به

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

اختلف السلف فى لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة ؟ على قولين الأكثرين على الثانى . وقال سفيان الثورى عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال كان قصيراً أفتس الأنف من النبوة ، وقال يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة ، وقال الأوزاعى حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً ذا مشافر ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن أبى الأشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أخصب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تحرج أخصب مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال لقمان إنه ليس من شىء أطيب منهما إذا طابا ولا أخصب منهما إذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً ، وقال الأعمش قال مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين ، وقال حكام بن أسلم عن سعيد الزبيدى عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضياً على بنى إسرائيل ، وذكر غيره أنه كان قاضياً على بنى إسرائيل فى زمان داود عليه السلام ، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو فى مجلس ناس يحدثهم فقال له ألسنت الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته رآه رجل كان يعرفه قبيل ذلك فقال له ألسنت عبد بنى فلان الذى كنت ترعى بالأمس ؟ قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وتركى ما لا يعنينى فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفى كونه نبياً ومنها ما هو مشعر بذلك ، لأن كونه عبداً قدمه الرق ينافى كونه نبياً لأن الرسل كانت تبعث فى أحساب قومها ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه فإنه رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبياً وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش القبانى عن عمر مولى غفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بنى الحسحاس ؟ قال نعم ، قال أنت راعى الغنم قال نعم

قال أنت الأسود ! قال أما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من أمرى ! قال وطء الناس بساطك ، وغشيم بابك ، ورضائم بقولك ، قال يا ابن أخى إن صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان : غضى بصرى وكفى لسانى وعفة طعمتى وحفظى فرجى وقولى بصدق ، ووفائى بعهدى وتكرمتى ضيقى وحفظى جارى وتركى مالا يعينى ، فذاك الذى صيرنى إلى ما ترى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن أبى الدرداء أنه قال يوماً وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتى ما أوتى عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلاً صمامة سكتنا طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد قط يبرق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد ، وكان قد تزوج وولده له أولاد فما توافم بيك عليهم ، وكان يغشى السلطان ويأبى الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتى ما أوتى . وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الحزاعى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال : خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو قائم فذره عليه الحكمة أورش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها : قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرنى فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فآله أعلم ؛ والذى رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله تعالى ( ولقد آتينا لقمان الحكمة ) أى الفقه فى الإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه وقوله ( ولقد آتينا لقمان الحكمة ) أى الفهم والعلم والتعريف ( أن اشكر الله ) أى أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذى خصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ثم قال تعالى ( ومن يشكر فأنا نزيد ) أى إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى ( ومن عمل صالحاً فلا نفهمهم يمهدون ) وقوله ( ومن كفر فإن الله غنى حميد ) أى غنى عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً فإنه الغنى عما سواه ؛ فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ \* وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنَةً أُمَّهُ وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى محبراً عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عتقاء بن سدون واسم ابنه ثاران فى قول حكاة السهيلي . وقد ذكره الله تعالى بأحسن الله كرو أنه آتاه الحكمة وهو يوصى ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبههم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ثم قال محذراً له ( إن الشرك لظلم عظيم ) أى هو أعظم الظلم قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينما لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان ( يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ) » ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصيته إيا عبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى ( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ) وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك فى

القرآن ؛ وقال ههنا ( ووصيا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن ) قال مجاهد مشقة وهن الولد ؛ وقال قتادة جهدا على جهد ؛ وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف . وقوله ( وفصاله في عامين ) أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى ( والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ) الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى ( وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ) وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتمعها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً ليذكر الولد باحسانها المتقدم إليه كما قال تعالى ( وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ) ولهذا قال ( أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ) أي فإني سأجزيك على ذلك أو فر جزاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إني رسول رسول الله ﷺ إليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تطيعواي لا آلوكم خيراً ، وإن المصير إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظنن وخلود فلا موت . وقوله ( وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ) أي إن حرصاً عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً ومخفياً إليهما ( واتبع سبيل من أناب إلى ) يعني المؤمنين ( ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ) قال الطبراني في كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال أنزلت في هذه الآية ( وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ) الآية قال كنت رجلاً برأ بأبي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعل يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء . فكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتدت جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً بنفسا ماترت ديني هذا لشيء فان شئت فكلني وإن شئت لا تأكلني . فأكلت

﴿ يَبْنِيَّ إِنهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَآ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ \* يَبْنِيَّ أقيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ \* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس ويقتدوا بها فقال ( يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ) أي إن الظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله إنها ضمير الشأن والقصة ، وجوز على هذا رفع مثقال والأول أولى . وقوله عز وجل ( يأت بها الله ) أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر كما قال تعالى ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ) الآية وقال تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض فان الله يأتي بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولهذا قال تعالى ( إن الله لطيف خبير ) أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ( خبير ) بديب النمل في الليل البهيم

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله ( فتكن في صخرة ) أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيديها ويظهرها بلطيف علمه . كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لميعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كأننا ما كان » ثم قال ( يا بني أقم الصلاة ) أي بمجودها وفروضها وأوقاتها ( وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ) أي بحسب طاقتك وجهدك ( واصبر على ما أصابك ) علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله ( إن ذلك من عزم الأمور ) أي إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور وقوله ( ولا تصعر خدك للناس ) يقول لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ، ولكن ألق جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث « ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الأزار فإنها من الخيلة والخيلة لا يحبها الله » قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( ولا تصعر خدك للناس ) يقول لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك ، وكذا روى العوفي وعكرمة عنه ، وقال مالك عن زيد بن أسلم ( ولا تصعر خدك للناس ) لا تتكلم وأنت معرض وكذا روى عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الأصم وأبي الجوزاء وسعيد ابن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم ، وقال إبراهيم النخعي يعني بذلك التشدق في الكلام . والصواب القول الأول قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى تفلت أعناقها عن رءوسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حبي التعلبي

وكنا إذا الجبار صعر خده \* أقمنا له من ميله فتقوموا

وقال أبو طالب في شعره :

وكنا قديماً لا نقر ظلامه \* إذا ما ثنوا صعر الرءوس تقيمها

وقوله ( ولا تمش في الأرض مرحاً ) أي خيلاء متكبراً جباراً عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال ( إن الله لا يحب كل مختال فخور ) أي مختال معجب في نفسه فخور أي على غيره ، وقال تعالى ( ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ) وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشد فيه فقال « إن الله لا يحب كل مختال فخور » فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إنني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شركاء نعلي وعلاقة سوطي ، فقال « ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الحق وتغبط الناس » ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله ( واقصد في مشيك ) أي امش مقتصداً مشياً ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلاً وسطاً بين بين . وقوله ( واغضض من صوتك ) أي لا تباليغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال ( إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ) قال مجاهد وغير واحد إن أقيح الأصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى ، وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم لأن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يقي ثم يعود في قيئه » وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأيت شيطانا » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة

به ، وفي بعض الألفاظ بالليل فالله أعلم فهذه وصايا نافعة جداً وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم وقد روى عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أن نموذجاً ودستوراً إلى ذلك قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان أخبرنا نيهشل بن مجمع الضبي عن قرعة عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال « إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن محيصة عن رسول الله ﷺ قال : « قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار » وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا الثري بن يحيى قال : قال لقمان لابنه يا بني إن الحكمة أجلبت المساكين مجالس الملوك وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن السعدي عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه يا بني إذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الإسلام يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال : وضع لقمان جراباً من خردل إلى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظته ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تظفر قال فنظرت ابنه ، وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي اللصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الخزازي ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا أنس بن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن » . قال الطبراني أراد الحبش ﴿ فصل في الخمول والتواضع ﴾ وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً مفرداً ونحن نذكر منه مقاصده قال : حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن أسامة بن زيد بن حفص بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رب أشعث ذى طمرين يصفح عن أبواب الناس إذا أقسم على الله لأبره » ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وطلح بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد « منهم البراء بن مالك » وروى أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى للأتقياء الأترياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصاييح مجردون من كل فتنة غبراء مشتتة » وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياش بن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال له ما يبكيك يا معاذ ؟ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمعته يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأترياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة » حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا غنام بن حلي عن حميد بن عطاء الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الله الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً » وقال أيضاً حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أمتي من لو آتى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهماً أو فلساً لم يعطه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأل الله الدنيا لم يعطه إياها ولم يمنعه إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضاً حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من ملوك الجنة من هو أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج أحدهم تتجلجل في صدره ، لو قسم نوره

يوم القيامة بين الناس لوسمهم» قال وأشدني عمر بن شبية عن ابن عائشة قال : قال عبدالله بن المبارك :

ألا رب ذى طمرين في منزل غدا زرايه مبنوثة ونمارقه  
قد اطردت أنواره حول قصره وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروى أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا « قال الله : من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وأعطاه في السر ، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع إن صبر على ذلك » قال ثم أنفذ رسول الله ﷺ بيده وقال « عجنت منيته ، وقل ترائه وقلت بواكيه » وعن عبدالله بن عمرو قال : أحب عبادة الله إلى الله الغبراء ، قيل ومن الغبراء ، قال الفرارون بدينهم يجمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسترلك ؟ ألم ... ألم ... ألم أجمل ذكرك . ثم قال الفضيل إن استطعت أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محبوبا عند الله . وكان ابن محيرز يقول اللهم إني أسألك ذكرا خاملا ، وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك . وعند الناس من أوسط خلقك . ثم قال ﴿ باب ما جاء في الشهرة ﴾ حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمر بن الحارث وابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم » وروى مثله عن إسحاق بن البهلول عن ابن أبي فديك عن محمد بن عبد الواحد الأحنسي عن عبيد الواحد بن أبي كثير عن جابر ابن عبد الله مرفوعا مثله ، وروى عن الحسن مرسلنا نحوه فقليل للحسن فإنه يشار اليك بالأصابع ، فقال إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق : وعن علي رضي الله عنه قال : لا تبدأ لأن تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتفوا وصمت تسلم ، تسر الأبرار وتعيظ الفجار : وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة . وقال أيوب ما صدق الله عبد لإسره أن لا يشعر بمكانه . وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس . وقال سفيان بن عيينة إنك وكثرة الأخلاء . وقال أبو أنس بن عثمان إن أحببت أن يسلم اليك دينك فأقل من المعارف . كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم . وقال حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن أبي رجا قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراس النار : وقال ابن إدريس عن هرون بن أبي عيسى عن سليم بن حنظلة قال بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال : إنها مذلة للتابع وقتنة للمتبع وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجالان . وقال حماد بن زيد كنا إذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا فكان ذلك نعمة . وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قميصه فقليل له في ذلك فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص واليوم في تشميره . واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي صلى الله عليه وسلم فلبسهما أياما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما . وقال إبراهيم النخعي لا تلبس من الثياب ما يشهر في الفقهاء ولأما يزيدريك السفهاء . وقال الثوري كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم . والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستدل دينه ، وحدثنا خالد بن خديش حدثنا حماد عن أبي حسنة صاحب الزيادة قال كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كرم وهذا الحمار النفاق . وقال الحسن رحمه الله إن قوما جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه ما لهم تفاقدوا ، وفي بعض الأخبار أن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل مالكم تأنوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الدغاب البسوا ثياب الملوك وألبنوا قلوبكم بالخشية ﴿ فصل في حسن الخلق ﴾ قال أبو التياح عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ، وعن عطاء عن ابن عمر قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » وعن نوح بن عباد عن ثابت عن أنس مرفوعا « إن العبد ليلعب بحسن خلقه



درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة وإنه ليلبغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد» وعن سيار بن هارون عن حميد عن أنس مرفوعاً «ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» وعن عائشة مرفوعاً «إن العبد ليلبغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار» وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن إدريس أخبرني أبي وهمي عن جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال «تهوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال «الأجوفان الفم والفرج» وقال أسامة بن شريك كنت عند رسول الله ﷺ فجاءته الأعراب من كل مكان فقالوا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال «حسن الخلق»

وقال يعلى بن ممالك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به قال: ما من شيء أشقل في اليزان من خلق حسن، وكذا رواه عطاء عن أم الدرداء به وعن مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن أبي سارة عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يفتدو عليه الأجر ويروح» وعن مكحول عن أبي ثعلبة مرفوعاً «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً أحسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني منزلاً في الجنة مساويكم أخلاقاً الثرثارون للتشدقون التفتيهون» وعن أبي أويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً «ألا أخبركم بأكملكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً للوطؤون أكنافاً الذين يؤلفون ويألفون» وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن بكر بن أبي الفرات قال: قال رسول الله ﷺ «ما حسن الله خلق رجل وخلقه فتطمعه النار» وعن عبد الله بن غالب الحدادي عن أبي سعيد مرفوعاً «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق» وقال ميمون بن مهران عن رسول الله ﷺ «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق» وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخره. قال حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو الفيرة الأحمسي حدثنا عبد الرحمن ابن إسحق عن رجل من قريش قال: قال رسول الله ﷺ «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق، إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وقال عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق» وقال محمد بن سيرين حسن الخلق عون على الدين، (فصل في ذم الكبر) قال طلحة عن ابن مسعود رفعه «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وقال إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار» حدثنا إسحق بن إسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة عن أبيه مرفوعاً «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب»، وقال مالك بن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع تسييح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتاً لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسف به أبعد مما رفع قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدنا ليقنبر نفسه يقول: خرج من مجرى البول مرتين وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض) وقال الحسن عجباً لابن آدم يغسل الحرة بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات. قال حدثنا خالد بن خداح حدثنا حماد بن زيد عن علي بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم. وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال إن مطعم ابن آدم ضرب مثلاً للدنيا وإن قرخه وملحه. وقال محمد بن الحسين بن علي ممن ولد على رضي الله عنه ما دخل قلب رجل من شيء من الكبر إلا قص من عقله بقدر ذلك. وقال

يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق ، ونظر طاوس إلى عمر بن عبد العزيز وهو يختال في مشيئة وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس في جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرم ؟ ! فقال له كالمعتد إليه : يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها قال أبو بكر بن أبي الدنيا كان بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلمون هذه المشية ﴿ فصل في الاختيال ﴾ عن ابن أبي ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا « من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه » ورواه عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وحدثنا محمد بن بكر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرأزاره ، وبينما رجل يتبختر في برديه أعجبت نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وروى الزهري عن سالم عن أبيه بينا رجل إلى آخره .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى منها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم مافي السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحب وأمطار وتلج وبرد وجعله إياها لهم سقفا محفوظا وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله أي في توحيد إله وإرساله الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالى ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ) أي مبين مضيء ( وإذا قيل لهم ) أي لهؤلاء المجادلين في توحيد الله ( اتبعوا ما أنزل الله ) أي على رسوله من الشرائع المطهرة ( قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ) أي لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين ، قال الله تعالى ( أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ) أي فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آباءهم أنهم كانوا على ضلالة وأتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى ( أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير )

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ \* وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* نَسْتَعْتَمُ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل واتقاد لأمره واتباع شرعه ، ولهذا قال ( وهو محسن ) أي في عمله : باتباع ما به أمر ، وترك ما عنه زجر ( فقد استمسك بالعروة الوثقى ) أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه ( وإلى الله عاقبة الأمور \* ) ومن كفر فلا يحزنك كفره ( أي لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزئهم عليه ( إن الله عليم بذات الصدور ) فلا تخفى عليه خافية ثم قال تعالى ( نمتعهم قليلا ) أي في الدنيا ( ثم نضطرهم ) أي نلجئهم ( إلى عذاب غليظ ) أي فظيع صعب مشق على النفوس كما قال تعالى ( إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون \* متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون )

﴿ وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملاك له ، ولهذا قال تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله ) أى إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم ( بل أكثرهم لا يعلمون ) ثم قال تعالى ( لله ما في السموات والأرض ) أى هو خلقه وملكه ( إن الله هو الغنى الحميد ) أى الغنى عما سواه وكل شيء فقير إليه الحميد في جميع ما خلق له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع وهو المحمود في الأمور كلها

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنی وصفاته العلا وكمالاته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقال تعالى ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ) أى ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادا وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفذ ماء البحر ولو جاء أمثالها مددا ، وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآية الأخرى ( قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ) فليس المراد بقوله ( بمثله ) آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جرا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته قال الحسن البصري لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحر مدادا ، وقال الله إن من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام ، وقال قتادة قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ) أى لو كان شجر الأرض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقته وعلمه . وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ) الآية يقول لو كان البحر مدادا لكلمات الله والأشجار كلها أقلاما لانكسرت الأقلام ونفى ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يقننها شيء لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما تقول . وقد روى أن هذه الآية نزلت جوابا للهود قال ابن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة عن عكرمة عن ابن عباس أن أبا جهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة يا محمد أرأيت قولك ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ « كلا كما » قالوا أأنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ « إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم » وأنزل الله فيها سألوه عنه من ذلك ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ) الآية وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضى أن هذه الآية مدنية لا مكية والشهور أنها مكية والله أعلم وقوله ( إن الله عزيز حكيم ) أى عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شئونه وقوله تعالى ( ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة ) أى ما خلق جميع الناس وبشهم يوم الماد بالنسبة إلى

قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة للجميع هين عليه ( إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ) ( وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبحر ) أى لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده ( فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ) وقوله ( إن الله سميع بصير ) أى كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى ( ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة ) الآية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿

يخبر تعالى أنه ( يولج الليل في النهار ) يعنى يأخذ منه في النهار فيطول ذاك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في التقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء ( وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى ) قيل إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد لقول الأول بحديث أبي ذر رضى الله عنه الذى فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم . قال « فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس أنه قال : الشمس بمنزلة الساقية تجرى بالنهار فى السماء فى فلکها فإذا غربت جرت بالليل فى فلکها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر إسناده صحيح ، وقوله ( وان الله بما تعملون خبير ) كقوله ( ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض ) ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى ( الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ) الآية وقوله تعالى ( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ) أى إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أى الوجود الحق الإله الحق وأن كل ما سواه باطل فانه النقي مما سواه وكل شيء فقير إليه لأن كل ما فى السموات والأرض الجميع خلقه وعييده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يحرقوا ذبابا لجزوا عن ذلك ، ولهذا قال تعالى ( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ) أى العلى الذى لا أعلى منه الكبير الذى هو أكبر من كل شيء فكل خاضع حقير بالنسبة إليه

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ \* وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿

يخبر تعالى أنه هو الذى سخر البحر لتجرى فيه الفلك بأمره أى بلطفه وتسخيره فانه لولا ما جعل فى الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال ( ليرىكم من آياته ) أى من قدرته ( إن فى ذلك آيات لكل صبار شكور ) أى صبار فى الضراء شكور فى الرخاء ، ثم قال تعالى ( وإذا غشيهم موج كالظلم ) أى كالجبال والتهام ( دعوا الله مخلصين له الدين ) كما قال تعالى ( وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ) وقال تعالى ( فإذا ركبوا فى الفلك ) الآية ثم قال تعالى ( فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ) قال مجاهد أى كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى ( فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ) وقال ابن زيد هو للتوسط فى العمل وهذا الذى قاله ابن زيد

هو المراد في قوله تعالى ( فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ) الآية فالمتقصد ههنا هو المتوسط في العمل ، ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضاً ويكون من باب الإنكار طي من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر ثم بعدما أنعم الله عليه بالخلاص كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب في العبادة والمبادرة إلى الخيرات ، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه والله أعلم . وقوله تعالى ( وما يجحد بآياتنا إلا كل خثار كفور ) فالخثار هو الغدار . قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي كلما عاهد تقض عهده والختر أتم الغدر وأبلغه . قال عمرو بن معديكرب :

وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر

وقوله ( كفور ) أى جحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾

يقول تعالى منذراً للناس يوم للمعاد وأمرهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث ( لا يجزى والد عن ولده ) أى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله ( فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ) أى لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ( ولا يغرَّنكم بالله الغرور ) يعنى الشيطان . قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة فانه ينر ابن آدم ويسده ويمنيه وليس من ذلك شيء بل كان كما قال تعالى ( يعدم ويمنيه وما يعدم الشيطان إلا غروراً ) قال وهب بن منبه قال عزيز عليه السلام لما رأيت بلاد قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فتضرعت إلى ربي وصلت وصمت فأنا في ذلك التضرع أبكى إذ أتاني الملك فقلت له خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم ؟ قال إن القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيدرخصة لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد به غيره ، ولا يحزن لحزنه ولا أحد يرحمه ، كل مشفق على نفسه ، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يهمله همه ويكفي عوله ، ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره . رواه ابن أبي حاتم

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها ؟ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ( لا يعلمها لوقتها إلا هو ) وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواء ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه ، وكذا لا تدرى نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها ( وما تدرى نفس بأى أرض تموت ) في بلدها أو غيره من أى بلاد الله كان لا يعلم لأحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ) الآية . وقد وردت السنة بقسمية هذه المفاتيح الغيب

قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أنى بريدة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله علم خير ) » هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرجوه ﴿حديث ابن عمر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ) » انفرد بإخراجه البخارى فرواه في كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفريانى عن سفيان بن سعيد الثورى به ، ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « مفاتيح الغيب خمس » ثم قرأ ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم مافي الأرحام ) انفرد به أيضا . ورواه الإمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ) » ﴿حديث ابن مسعود﴾ رضى الله عنه قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : قال عبد الله أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير خمس ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ) وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره . قال قلت له أنت سمعته من عبد الله : قال نعم أكثر من خمسين مرة ، ورواه أيضا عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه ﴿حديث أبي هريرة﴾ قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشى فقال يا رسول الله : ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر » قال يا رسول الله ما الإسلام قال « الإسلام . أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان » قال يا رسول الله ما الإحسان . قال « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » قال يا رسول الله متى الساعة ، قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله ، إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ، ويعلم مافي الأرحام » الآية ثم انصرف الرجل فقال « ردوه على » فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال « هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » ورواه البخارى أيضا في كتاب الإيمان ومسلم من طرق عن أبي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخارى وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من افراد مسلم ﴿حديث ابن عباس﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا بهز حدثنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : جلس رسول الله ﷺ مجلسا فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الإسلام ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت ، قال « إذا فعلت ذلك فقد أسلمت » قال يا رسول الله فحدثني ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين ، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب واليزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره » قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ، قال « إذا فعلت ذلك فقد آمنت » قال يا رسول الله حدثني ما الإحسان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك » قال يا رسول الله فحدثني متى الساعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي - سبحان الله - في خمس لا يعلمهن إلا الله ( إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيب ، ويعلم مافي الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ) ولكن إن

سئلت حدثك بمعالم لها دون ذلك - قال أجل يا رسول الله فحدثني قال رسول الله ﷺ - إذا رأيت الأمة ولدت ربها - أورها - ورأيت أصحاب البنيان يتناولون في البنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشرطها » قال يا رسول الله ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة ؟ قال « العرب » حديث غريب ولم يخرجوه ( حديث رجل من بني عامر ) روى الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ فقال أألج ؟ فقال النبي ﷺ لحادمه « اخرجني إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقول لي له فليقل السلام عليكم أدخل » قال فسمعتة يقول ذلك فقلت السلام عليكم أدخل ؟ فأذني فدخلت فقلت بيم أئمتنا ؟ قال « لم آتكم إلا بخير ، أئمتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ؛ وأن تصوموا من السنة شهراً ، وأن تحجوا البيت وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنياكم فتدوها على فقراكم » قال فقال فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قال « قد علمني الله عز وجل خيراً وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل : الخمس ( إن الله عند علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ) » الآية وهذا إسناد صحيح وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتى جلي فأخبرني ماتلد ، وبلادنا مجذبة فأخبرني متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله عز وجل ( إن الله عنده علم الساعة - إلى قوله - علم خير ) قال مجاهد وهي مفتاح الغيب التي قال الله تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ( وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ) وقوله تعالى ( وما تدري نفس بأي أرض تموت ) قال قتادة أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ( إن الله عنده علم الساعة ) فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار ( وينزل الغيث ) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً ( ويعلم ما في الأرحام ) فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أو أسود وما هو ( وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ) أخير أم شر ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت لملك الميت غدا لملك المصاب غدا ( وما تدري نفس بأي أرض تموت ) أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بحر أم بر أو سهل أو جبل . وقد جاء في الحديث « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة » فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة ابن زيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي الليث عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة » وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن أبي إسحاق عن مطر بن عكاس قال ؟ قال رسول الله ﷺ « إذا قضى الله ميتة عبد بأرض جعل له إليها حاجة » وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود في الرسائل فاقه أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن أبي الليث بن أسامة عن أبي عزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها - أو قال بها - حاجة » وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال ابن عبد الهذلي . وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل ابن إبراهيم وهو ابن علية وقال صحيح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الأصفهاني حدثنا المؤمل ابن إسماعيل حدثنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي الليث عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الله عنده علم الساعة - إلى - علم خير ) . ( حديث آخر ) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن ثابت الجحدرى ومحمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عمر بن علي حدثنا إسماعيل عن فيس عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل لها إليها حاجة » ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحداً

رفعه لإعمر بن علي المقدي . وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان .

فما تزود مما كان يجمه  
سوى حنوط غداة البين مع خرق  
وغير فحة أعواد تشب له  
وقل ذلك من زاد لمنطلق  
لا تأسين على شيء فكل فقي  
إلى منيته سيار في عنق  
وكل من ظن أن الموت يخطه  
معلل بأعالييل من الحق  
بأبما بلدة تصدر منيته  
إلا يسير إليها طائفا ييق

أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا ، وقد كان ممن طلب العلم والنفقة ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به ، وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن بكر مرفوعا إذا كان أجل أحدكم بأرض أتتله إليها حاجة فإذ بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الأرض يوم القيامة : يارب هذا ما أودعتني قال الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي الليث عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال «ما جعل الله نية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة» . آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

### ( تفسير سورة الم السجدة ، وهي مكية )

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال . كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ( الم تنزيل ) السجدة و ( هل أتى على الإنسان ) ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري به . وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن طامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك ، تفرد به أحمد .

### ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( الم \* تنزيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْخَلْقُ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ )

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا ، وقوله ( تنزيل الكتاب لا ريب فيه ) أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ( من رب العالمين ) ثم قال تعالى مخبرا عن المشركين ( أم يقولون افتراه ) بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه ( بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ) أي يتبعون الحق .

( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ \* يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ \* ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ )

يخبر تعالى أنه خالق للأشياء مخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك ( ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ) أي بل هو المالك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القادر على كل شيء فلا ولي لحلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه ( أفلا تتذكرون ) يعي أيها العابدون



غيره المتوكلون على من عباده تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل ، لإله إلا هو ولا رب سواه ، وقد أورد النسائي هنا حديثا فقال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريح المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي فقال : « إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلق من آدم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبثها ، من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبث » هكذا أورد هذا الحديث إسنادا ومثنا ، وقد أخرج مسلم والنسائي أيضا من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريح عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق . وقد علله البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلم ، وقوله تعالى ( يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ) أي ينزل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى ( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن ) الآية وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سبع السموات ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة ومعك السماء خمسمائة سنة . وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى ( في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون \* ذلك عالم الغيب والشهادة ) أي المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها ، هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته وهذا هو الكمال، العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلاذل

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا أنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها . وقال مالك عن زيد بن أسلم ( الذي أحسن كل شيء خلقه ) قال أحسن خلق كل شيء كأنه جعله من القدم والمؤخر ، ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والأرض شرع في ذكر خلق الإنسان فقال تعالى ( وبدأ خلق الإنسان من طين ) يعني خلق أبا البشر آدم من طين ( ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ) أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ( ثم سواه ) يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما ( ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ) يعني العقول ( قليلا ما تشكرون ) أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل

﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهْنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيدًا بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ \* قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين في استبعادهم للمعاد حيث قالوا ( أئنا ضلنا في الأرض ) أي تمزقت أجسامنا وتمزقت في أجزاء الأرض وذهبت ( أئنا لفي خلق جديد ) أي أئنا لنعود بعد تلك الحال ؟ يستبعدون ذلك وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم ، الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى ( بل هم بقاء ربهم كافرون ) ثم قال تعالى ( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ) الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو التبادر من حديث البراء التميمي ذكره في سورة

إبراهيم وقد سمى في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور . قاله قتادة وغير واحد وله أعوان ، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، قال مجاهد: حويت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء . ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ بنحوه مرسل . وقاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ حدثنا عمر بن ممرة عن جعفر ابن محمد قال سمعت أبي يقول : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ « يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن » فقال ملك الموت يا محمد طب نفساً وقر عيناً فاني بكل مؤمن رقيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أنصفهم في كل يوم خمس مرات حتى إنى أعرف بضعيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله يا محمد لو آتى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها ، قال جعفر بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضرهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهداً يقول : ما طي ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطرف به كل يوم مرتين ، وقال كعب الأحبار والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى ( ثم إلى ربكم ترجعون ) أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يغير تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالمهم حين طأوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل خعيرين ذليلين ناكس رؤوسهم أي من الحياء والحجل يقولون ( ربنا أبصرنا وسمعنا ) أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ) وكذلك يمددون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم ( لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) وهكذا هؤلاء يقولون ( ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا ) أي إلى دار الدنيا ( نعمل صالحاً إننا موقنون ) أي قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولفاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله كما قال تعالى ( ولو ترى إذ ذوقوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ) الآية وقال ههنا ( ولو شئنا لآتيناه كل نفس هداها ) كما قال تعالى ( ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ) ( ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ) أي من الصنفين فدارهم النار لا عهد لهم عنها ولا يحص لهم منها . نعوذ بالله وكتابه التامة من ذلك ( فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ) أي يقال لأهل النار على سبيل التقرير والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملته من هوناس له ( إننا نسيناكم ) أي سناملكم معاملته الناسي لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة كما قال تعالى ( فالיום ننساكم كأنسيتم لقاء يومكم هذا ) وقوله تعالى ( وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ) أي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال تعالى في الآية الأخرى ( لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حمها وغساقاً ) إلى قوله - فلن يزيدكم إلا عذاباً

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُّوا وَسُجِدُوا \* وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* تَتَجَافَى

جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

يقول تعالى ( إنما يؤمن بآياتنا ) أى إنما يصدق بها (الدين إذا ذكرها خروا سجدا) أى استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً (وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) أى عن اتباعها والالتقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ، قال الله تعالى ( إن الدين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ) ثم قال تعالى ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) يعنى بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة ، قال مجاهد والحسن فى قوله تعالى ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) يعنى بذلك قيام الليل ، وعن أنس وعكرمة ومحمد بن النكدر وأبى حازم وقناة هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بإسناد جيد ، وقال الضحاك هو صلاة العشاء فى جماعة وصلاة الغداة فى جماعة ( يدعون ربهم خوفاً وطمعا ) أى خوفاً من وبال عقابه وطمعا فى جزيل ثوابه ( ومما رزقناهم ينفقون ) فيجمعون بين فعل القرباآت اللازمة والتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم فى الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ كما قال عبدالله ابن رواحة رضى الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه \* إذا انشق معروف من الصبح ساطع  
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا \* به موقنات أن ما قال واقع  
بيت يجافى جنبه عن فراشه \* إذا استقلت بالمركب المضاجع

وقال الإمام أحمد حدثنا روح وعفان قالوا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « عجب ربنا من رجلين : رجل نار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة بما عندى ، ورجل غزا فى سبيل الله تعالى فانهزموا فعمل ما عليه من الفرار وما له فى الرجوع فرجع حتى أهرق دمه رغبة فيما عندى وشفقة بما عندى ، فيقول الله عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدى رجح رغبة فيما عندى ورهبة مما عندى حتى أهرق دمه » وهكذا رواه أبو داود فى الجهاد عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سقر فأصبحت يوماً قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال « لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت - ثم قال - ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة ، وصلاة الرجل فى جوف الليل - ثم قرأ - ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) حتى بلغ ( جزاء بما كانوا يعملون ) ثم قال - ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ - قلت بلى يا رسول الله فقال - رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله - ثم قال - ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه ثم قال « كف عليك هذا » فقلت يا رسول الله وإننا لملؤاخذون بما تتكلم به ، فقال « تكلمت أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه فى سنتهم من طرق عن معمر به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال : سمعت عزرة بن التزال يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد فى جوف الليل » وتلاه هذه الآية ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ) ورواه أيضا من حديث الثورى عن منصور بن العتمة عن الحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت والحكم عن ميمون بن أبى شبيب

عن معاذ مرفوعاً بنحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) قال « قيام العبد من الليل » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا قطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال « إن شئت نبأتك بأبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله ﷺ ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا طي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق يعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكريم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع - الآية فيقومون وهم قليل » وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب بن زياد بن أسلم عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) ثم قال لا نعم روى أسلم عن بلال سواء وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) الآية أى فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم القيم واللذات التي لم يطعم على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب ، جزاء وفاقا فانجزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري : أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم . قال البخاري قوله تعالى ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) الآية حدثنا طي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال الله مثله . قيل لسفيان رواية قال فأى شيء ؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخر من به ما أطلعتم عليه » ثم قرأ ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ) قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة ( قرأت أعين ) انفرده البخاري من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ « إن الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضى الله عنه قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة نعم لا يياس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الإمام أحمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه يقول شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع - إلى قوله - يعملون ) وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون بن معروف وهارون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به

وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا معلى بن أسد حدثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد العافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه عز وجل « قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمير وغيره حدثنا سفيان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ قال سألت موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يحيى بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقلت في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك ما اشتئت نفسك ولدت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلام منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصدقه من كتاب الله عز وجل ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) الآية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمير وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والرفوع أصح قال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن الدائقي حدثنا أبو بدر بن شجاع بن الوليد حدثنا زياد بن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عامر بن عبد الواحد قال : بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أتى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت ؟ فتقول أنا من الزيد فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أتى لك أن يكون لنا منك نصيب فتقول من أنت ؟ فتقول أنا التي قال الله ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) وقال ابن لهيعة حدثني عطاء ابن دينار عن سعيد بن جبير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) ويخبرون أن الله عنهم راض ، وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي الجيان الهوزني وغيره قال : الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وآبئتها فضة وتراها المسك ، والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآبئتها ذهب والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآبئتها اللؤلؤ وتراها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ) الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن القطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الروح الأمين قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته ينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة وسع الله له في الجنة قال فدخلت على بزاد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فأين ذهب الحسنة قال ( أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم ) الآية قلت قوله تعالى ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ) قال العبد يعمل سراً أسره إلى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين .

﴿ أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ \* أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْمُورِ زُولاَ بِمَا كَانُوا يَمْعَلُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ \* وَلَنُدْخِلَنَّهُمُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِنِآيَتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوى في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسوله بمن كان فاسقاً  
 أى خارجاً عن طاعة ربه مكذباً رسل الله إليه كما قال تعالى ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) وقال تعالى ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسقين في  
 الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ) وقال تعالى ( لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ) الآية ولهذا قال تعالى ههنا  
 ( أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون ) أى عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدى وغيرهما أنها نزلت  
 في طي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال ( أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أى صدقت قلوبهم  
 بآيات الله وعملوا بمتناتها وهى الصالحات ( فلهن جنات المأوى ) أى التى فيها المساكن والدور والغرف العالية ( نزلاً )  
 أى ضيافة وكرامة ( بما كانوا يعملون \* وأما الذين فسقوا ) أى خرجوا عن الطاعة فسأواهم النار كلما أرادوا أن  
 يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ) الآية قال الفضيل بن عياض  
 والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تتمعهم ( وقيل لهم ذوقوا عذاب النار  
 الذى كنتم به تكذبون ) أى يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيخاً . وقوله تعالى ( ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون  
 العذاب الأكبر ) قال ابن عباس معنى بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتنا وما يحل بأهلها مما يتلى الله به  
 عباده ليتوبوا إليه ، وروى مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم النخعي والضحاك وعقمة وعطية  
 ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزرى وخصيف ، وقال ابن عباس فى رواية عنه يعنى به إقامة الحدود عليهم . وقال  
 البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعنى به عذاب القبر ، وقال النسائي أخبرنا عمرو بن طي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي  
 عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله ( ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب  
 الأكبر ) قال سنون أصابهم ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن  
 شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب فى هذه الآية  
 ( ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ) قال القمى والدمخاني قد مضيا والبطشة والازم ، ورواه مسلم  
 من حديث شعبة به موقوفاً نحوه وعند البخارى عن ابن مسعود نحوه ، وقال عبد الله بن مسعود أيضاً فى رواية عنه  
 العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر . وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدى وغيره لم يبق بيت  
 بمكة إلا دخله الحزن طي قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا ومنهم من جمع له الأمران . وقوله تعالى ( ومن أظلم  
 ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ) أى لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجدها  
 وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها . قال قتادة : إياكم والأعراض عن ذكر الله فإن من أعرض عن ذكره فقد  
 اغترأ أكبر الفرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ، ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك ( إنا من المجرمين  
 منتقمون ) أى سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام . وروى ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعى حدثنا محمد بن  
 المبارك حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل  
 قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلن فقد أجزم ، من عقد لواء فى غير حق أو عق والدية  
 أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجزم يقول الله تعالى ( إنا من المجرمين منتقمون ) ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل  
 ابن عياش به وهذا حديث غريب جداً .

( وَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لَّغَايِهِ وَجَمَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ \* وَجَمَلْنَا  
 مِنْهُمْ ءُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِنَايِنَا يُوقِنُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا  
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ )

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو التوراة ، وقوله تعالى ( فلا تكن في مريه من لقائه ) قال قتادة يعني به ليلة الإسراء ثم روى عن أبي العالیه الرياحی قال حدثني ابن عم نبيك يعني ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أريت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة . وأريت عيسى رجلاً مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ، وأريت مالكا خازن النار والدجال » في آيات أراهن الله إياه ( فلا تكن في مريه من لقائه ) أنه قد رأى موسى ولفى موسى ليلة أسرى به .

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن علي الحلواني حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالیه عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى ( وجعلناه هدى لبي إسرائيل ) قال جعل موسى هدى لبي إسرائيل وفي قوله ( فلا تكن في مريه من لقائه ) قال من لقاء موسى ربه عز وجل وقوله تعالى ( وجعلناه ) أي الكتاب الذي آتيناها ( هدى لبي إسرائيل ) كما قال تعالى في سورة الإسراء ( وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبي إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلاً ) وقوله تعالى ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وتصديق رساله واتباعهم فيما جاءهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرقوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالح ولا اعتقاداً صحيحاً ولهذا قال تعالى ( ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب ) قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن ابن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يقتدى به حتى يتحامي عن الدنيا ، قال وكعب قال سفيان لا بد للدين من العلم كالأبد للجسد من الخبز وقال ابن بنت الشافعي : قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ) قال لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين ولهذا قال تعالى ( ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر ) الآية كما قال هنا ( إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ) أي من الاعتمادات والأعمال

﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ \* أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾

يقول تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاءهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ( هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ) ولهذا قال ( يمشون في مساكنهم ) أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها ( كأن لم يبقوا فيها ) كما قال ( فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ) وقال ( وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ) أفلم يسيروا في الأرض - إلى قوله - ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ) ولهذا قال ههنا ( إن في ذلك آيات ) أي إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم آيات وعبراً ومواعظ ودلائل متناظرة ( أفلا يسمعون ) أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى ( أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ) يبين تعالى لطفه بخلقهم وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السبح وهو ما تحمله الأنهار ويتجدد من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ولهذا قال تعالى ( إلى الأرض الجرز ) وهي التي لا نبات فيها كما قال تعالى ( وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ) أي

يبساً لا تثبت شيئاً ، وليس المراد من قوله ( إلى الأرض الجرز ) أرض مصر فقط بل هي بعض القصود وإن مثلها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية فانها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحملة من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضاً لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ماء جديد مطور في غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان الحكيم الكريم اللطيف المحمود أبداً ، قال ابن لميعة عن قيس بن حجاج عن حدثه قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص وكان أميراً بها حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال وماذا قالوا إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤونة والنيل لا يجرى حتى هموا بالجلد فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر أما بعد فإنك إن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجرى ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك . قال فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له . ولهذا قال تعالى ( أولم يروا أناسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ) كما قال تعالى ( فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا ) الآية ولهذا قال ههنا ( أفلا يبصرون ) وقال ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس في قوله ( إلى الأرض الجرز ) قال هي التي لا تعطى إلا مطراً لا يغنى عنها شيئاً إلا ما يأتيها من السيول ، وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض باليمن ، وقال الحسن رحمه الله هي قرى فباين اليمن والشام . وقال عكرمة والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى ( وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ) الآيتين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ • قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ • فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَاَنْتَظِرْ لَهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم وحلول غضبه وبقمته عليهم استبعاداً وتسكيداً وعناداً ( ويقولون متى هذا الفتح ) أي متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينتقم لك منا متى يكون هذا مانرك أنت وأصحابك لإمختفين خائفين ذليلين قال الله تعالى ( قل يوم الفتح ) أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة ( لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ) كما قال تعالى ( فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ) الآيتين . ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجسة ، وأخطأ فأفحش ، فان يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ . إسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من الفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى ( قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ) وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله ( فاتح بيني وبينهم فتحاً ) الآية وكقوله ( قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق ) الآية وقال تعالى ( واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ) وقال تعالى ( وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ) وقال تعالى ( إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ) ثم قال تعالى ( فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ) أي أعرض عن هؤلاء الشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك كقوله تعالى ( اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو ) الآية وانتظر فإن الله سينجز لك



ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف اليمين وقوله ( إنهم منتظرون ) أنت منتظر وهم منتظرون  
ويترصدون بكم الدوائر ( أم يقولون شاعر تتربص به ريب النون ) وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء  
رسالة الله في نصرتك وتأيدك وسيجدون غيب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه  
بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة والله الحمد والمنة

### ( تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية )

قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال : قال لي أبي بن كعب كآين  
تقرأ سورة الاحزاب أو كآين بعدها ؟ قال قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة  
ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر  
عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو أبو بهدلة به ، وهذا إسناد حسن وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ  
لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ  
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى  
والأحرى ، وقد قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية  
الله على نور من الله مخافة عذاب الله . قوله تعالى ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ) أى لا تسمع منهم ولا تستشرهم  
( إن الله كان عليهما حكيمًا ) أى فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الأمور حكيم فى أقواله وأفعاله  
ولهذا قال تعالى ( واتبع ما يوحى إليك من ربك ) أى من قرآن وسنة ( إن الله كان بما تعملون خبيرًا ) أى فلا تخفى عليه خافية  
وتوكل على الله أى فى جميع أمورك وأحوالك ( وكفى بالله وكيلا ) أى وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأتاب إليه

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ  
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ \* أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ  
أَفْصَحُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَبَوَالِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ  
وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

يقول تعالى موثقا قبل المقصود المعنوى أمرا معروفا حسيا وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه  
ولا تصير زوجته التى يظاهر منها بقوله أنت على كظهر أمى أما له ، كذلك لا يصير الدعى ولدا للرجل إذا تبناه  
فدعاه ابناله فقال ( ما جعل الله للرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ) كقوله عز  
وجل ( ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم ) الآية . وقوله تعالى ( وما جعل أدعياءكم أبناءكم ) هذا هو المقصود  
بالنفي فانها نزلت فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى النبي صلى عليه وسلم ، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه  
قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالتاق وهذه النسبة بقوله تعالى ( وما جعل  
أدعياءكم وأبناءكم ) كما قال تعالى فى أثناء السورة ( ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين

وكان الله بكل شيء علياً) وقال ههنا (ذلك قولكم بأفواهكم) يعني تبنيتكم لهم قول لا يقتضى أن يكون ابناً حقيقياً فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلباً (والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل) قال سعيد بن جبير (يقول الحق) أى العدل، وقال قتادة (وهو يهتدى السبيل) أى الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال إن أباه حدثه قال قلت لابن عباس رأيت قول الله تعالى ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) ما عني بذلك؟ قال قام رسول الله ﷺ يوماً يصلى فخطر خطر فقل المناقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فأنزل الله تعالى ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن صاعد الحرانى عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل : يقول ليس ابن رجل آخر ابناً وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد أنها نزلت في زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله عز وجل ( ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله ) هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأديعاء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والتوسط والبر . قال البخارى رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال إن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ( ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله ) وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن موسى بن عقبة به . وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه في الخاوة بالمحارم وغير ذلك ، ولهذا قالت سهة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة رضى الله عنهما يا رسول الله كنا ندعو سالماً ابناً وإن الله قد أنزل ما أنزل وإنه كان يدخل على وبنى أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً ، فقال صلى الله عليه وسلم « أرضعته تحرمى عليه » الحديث ، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعوى ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب بنت جحش المطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وقال عز وجل ( لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ) وقال تبارك وتعالى في آية التحريم ( وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ) احترازاً عن زوجة الدعوى فانه ليس من الصلب فأما الابن من الرضاعة فنزل منزلة ابن الصلب شرعاً بقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين « حرماً من الرضاعة من يحرم من النسب » فأما دموة الغير ابناً على سبيل التكريم والتحبیب فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذى من حديث سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلة بنى عبد المطلب على جمرات لنا من جمع فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول « أبني لا ترموا الجمره حتى تطلع الشمس » قال أبو عبيدة وغيره أبني تصغروا بنى وهذا ظاهر الدلالة فان هذا كان في حجة الوداع سنة عشر . وقوله ( ادعواهم لأبائهم ) في شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضاً ففي صحيح مسلم من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكرى عن الجعد أبي عثمان البصرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ « يا بنى » ورواه أبو داود والترمذى ، وقوله عز وجل ( فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ) أمر تعالى برد أنساب الأديعاء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم أى عوضاً عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة حمزة رضى الله عنها تنادى يا عم يا عم فأخذها على رضى الله عنه

وقال لفاطمة رضى الله عنها دونك ابنة عمك ، فاحتلمتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم فى أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة . فقال على رضى الله عنه أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وقال زيد ابنة أخى ، وقال جعفر بن أبى طالب ابنة عمى وخالها تحق يعنى أسماء بنت عميس ، ففضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلى رضى الله عنه « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر رضى الله عنه « أشبهت خلقتى وخلقتى » وقال لزيد رضى الله عنه « أنت أخونا ومولانا » فى هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه صلى الله عليه وسلم حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين وقال لزيد رضى الله عنه « أنت أخونا ومولانا » كما قال تعالى ( فإخوانكم فى الدين ومواليكم ) وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال أبو بكر رضى الله عنه قال الله عز وجل ( ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ) فأنا ممن لا يعرف أبوه فأنا من إخوانكم فى الدين ، قال أبى والله إنى لأظنه أنه لو علم أن أباه كان حمارا لاتسمى اليه وقد جاء فى الحديث « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وهذا تشديد وتهديد ووعد أكيد فى التبرى من النسب المعلوم ولهذا قال تعالى ( ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ) ثم قال تعالى ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ) أى إذا نسبتهم بعضهم إلى غير أبيه فى الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج فى الخطأ ورفع إثمك كما أرشد اليه فى قوله تبارك وتعالى أمرا عباده أن يقولوا ( ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ) وثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل قد فعلت » . وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر » وفى الحديث الآخر « إن الله تعالى رفع عن أمتى الخطأ والنسيان والأمر الذى يكرهون عليه » وقال تبارك وتعالى ههنا ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيمًا ) أى وإنما الإثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل ( لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ) الآية . وفى الحديث المتقدم « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وفى القرآن المنسوخ فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم أنه قال : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده ، ثم قال قد كنا نقرأ ( ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ) وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فإنا أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله » وربما قال معمر « كما أطرت النصارى ابن مريم » ورواه فى الحديث الآخر « ثلاث فى الناس كفر ، الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت . والاستسقاء بالنجوم » .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

قد علم الله تعالى شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم على أمتة ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ) وفى الصحيح « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » وفى الصحيح أيضاً أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله والله لأنت أحب الى من كل شئ إلا من نفسى ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا يعمر حتى أكون أحب اليك من نفسك . فقال يارسول الله

والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم « الآن يا عمر » ولهذا قال تعالى في هذه الآية ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وقال البخارى عنده هذه الآية الكريمة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن طي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة : اقرءوا إن شئتم ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتمني فأنا مولاه » تفرد به البخارى ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ، ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن الزهري في قوله ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) عن أبي سلة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ كان يقول « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيا رجل مات وترك ديناً فإلى ، ومن ترك مالا فهو لورثته » ورواه أبو داود عن أحمد ابن حنبل به نحوه وقوله تعالى ( وأزواجه أمهاتهم ) أى في الحرمة والاحترام ، والتوقير والاكرام والاعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالاجماع ، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعى رضى الله عنه في المختصر ، وهو من باب إطلاق العبارة لإثبات الحكم ، وهل يقال لمعاوية وأمته خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء رضى الله عنهم ، ونص الشافعى رضى الله عنه على أنه لا يقال ذلك ، وهل يقال لمن أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع الذكر السالم تليها ؟ فيه قولان ، صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعى رضى الله عنه . وقد روى عن أبي بن كعب وابن عباس رضى الله عنهم أنهما قرآ ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ) . وروى نحوه هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعى رضى الله عنه . حكاه البغوى وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذى رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب يمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة . وأخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن عجلان ، والوجه الثانى أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى ( ما كان أباً أحد من رجالكم ) . وقوله تعالى ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ) أى فى حكم الله . ( من المؤمنين والمهاجرين ) أى القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التى كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجرى يرث الأنصارى دون قراباته وذوى رحمه للأخوة التى آخى بينهما رسول الله ﷺ ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف . وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثاً عن الزبير بن العوام فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر اللصبي من ساكنى بغداد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ) وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم ووارثناهم فأخى أبو بكر رضى الله عنه خارجه بن زيد ، وأخى عمر رضى الله عنه فلانا ، وأخى عثمان رضى الله عنه رجلاً من بني زريق ابن سعد الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضى الله عنه وواخيت أنا كعب بن مالك فبجته فابتغلته فوجدت السلاح قد ثقله فبايرى فوالله يا بنى لومات يومئذ عن الدنيا ماورثه غيرى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى موارثنا . وقوله تعالى ( إلا أن تسفلوا إلى أوليائكم معروفاً ) أى ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والاحسان والوصية ، وقوله تعالى ( كان ذلك فى الكتاب مسطوراً ) أى هذا الحكم وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب فى الكتاب الأول الذى لا يبدل ولا

يعبر . قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لئله في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدرى الشرعى والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۗ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن أولى العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى ( وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ) فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا ، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذكرهم أيضاً في هذه الآية وفي قوله تعالى ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) فذكر الطرفين والوسط الفاعل والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله تعالى ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ) الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأني قلبهم » سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسل وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله أعلم . وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدى بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خيار ولد آدم حمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم . موقوف وحمزة فيه ضعف ، وقد قيل إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة القدر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعني ذريته وأن فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال : رب لوسويت بين عبادك فقال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) وهذا قول مجاهد أيضاً ، وقال ابن عباس : للميثاق الغليظ العهد وقوله تعالى ( ليسأل الصادقين عن صدقهم ) قال مجاهد البلغين المؤدين عن الرسل ، وقوله تعالى ( وأعد للكافرين ) أى من أممهم ( عذاباً أليماً ) أى موجاف نحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلى الذى لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وإن كذبهم من الجهلة واللعاندين وللارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة ( لقد جاءت رسل ربنا بالحق )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ۝ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتغزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة طى الصحيح المشهور ، وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خير منهم سلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وأبوهم طى حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدهم من أنفسهم النصر والاعانة فأجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعواهم فاستجابوا لهم أيضا ، وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وطى غطفان عينه بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بخفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتراب وحفر ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات . وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم في أعلى أرض المدينة كما قال الله تعالى ( إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم إلى سلع وجوههم إلى نحو العدو ، والخندق حفر ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الحيلة والرجالة أن تصل إليهم وجعل النساء والدراري في أطام المدينة ، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم خبي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى تقضوا العهد ومالوا الأحزاب طى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمظم الحطب واعتد الأمر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى ( هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ) ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال ، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب وبعه فوارس فاقتمحوا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين إليه فيقال إنه لم يبرز إليه أحد ، فأمر عليا رضي الله عنه فخرج إليه فتجاولا ساعة ثم قتله طى رضي الله عنه فكان علامة طى النصر . ثم أرسل الله عز وجل طى الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا ) قال مجاهد وهي الصبا ، ويؤيده الحديث الآخر « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور » وقال ابن جرير حدثني محمد بن عيسى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عكرمة قال : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلق نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسرى بالليل قال : فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أرسلني خالي عثمان ابن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد وريح إلى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال « من أتيت من أصحابي فرهم يرجعوا » قال فذهبت والريح تسفي كل شيء فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه ، قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضربه طى وكان فيه حديد قال فضرته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد طى كفى فأبعدها إلى الأرض .

وقوله ( وجنودا لم تروها ) هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بني فلان إلى فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه يومه ؟ قال : نعم يا ابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال الفتى والله لو أدركناه

ما تركناه يمشی على الأرض ولجئناه على أعناقنا . قال : قال حذيفة رضى الله عنه يا ابن أخى والله لو رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالحنديق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يا من الليل ثم التفت فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ - يشترط له النبي ﷺ أن يرجع - أدخله الله الجنة » قال فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ثم التفت إلىنا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلىنا فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، - يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال ﷺ « يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا » قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قراراً ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جليسه . قال حذيفة رضى الله عنه فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت من أنت ، فقال أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم ، قال حذيفة رضى الله عنه فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رأني أدخلني بين رجله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجدوا في لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت : فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقر فقال رسول الله ﷺ « ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة » فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم « يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم » فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال « ائتني بخبر القوم ولا تدعهم على » قال فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعهم على ولو رميته لأصبتة قال فرجعت كأنما أمشي في حمام فأبليت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قم يا نومان » ورواه يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال إن رجلا قال لحذيفة رضى الله عنه نشكو إلى الله صحبتكم لرسول الله ﷺ إنكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره فقال حذيفة رضى الله عنه ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم نروه والله لا تدري يا ابن أخى لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الحندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا . وروى بلال ابن يحيى العيسى عن حذيفة رضى الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة ابن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى عن عبد العزيز بن أخى حذيفة قال ذكر حذيفة رضى الله عنه مشاهدم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة لليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهى ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ، فاستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، وبأذن لهم فيتسللون أو نحن ثلثائة أو نحو ذلك

إذا استقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى آتى على وما على جنة من الصدو ولا من البرذ إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتي قال فأثنى عليّ ﷺ وأنا جاث على ركبتي فقال « من هذا ؟ » قلت حذيفة قال « حذيفة » فتقاصرت الأرض فقلت: بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم قمت فقال « إنه كائن في القوم خير فأثنى بخبر القوم » قال وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله ما خلق الله تعالى فزعا ولا قرأ في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا قال فلما وليت قال ﷺ « يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني » قال فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد فإذا رجل أدم ضخم يقول يسده على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فاتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ « لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني » قال فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ثم إنى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شيئا فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة في رحالمهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتصفت في الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعي القوم وجعلت أقرقف فأومأ إلى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل على شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى فأخبرته خبر القوم وأخبرته أنى تركتهم يرتحلون وأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها وكان الله بآعمالهم بصيرا ) وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى؛ من حديث عكرمة بن عمار به . وقوله تعالى ( إذ جاءوك من فوقكم ) أى الأحزاب ( ومن أسفل منكم ) تقدم عن حذيفة رضى الله عنه أنهم بنو قريظة ( وإذ اغت الأَبصار وبلغت القلوب الحناجر ) أى من شدة الخوف والفزع ( وتظنون بالله الظنونا ) قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الهائرة على المؤمنين وأن الله سيفعل ذلك ، وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى ( وإذ زاغ الأَبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ) ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل ككوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى العائط ، وقال الحسن في قوله عز وجل ( وتظنون بالله الظنونا ) ظنون مختلفة ظن النفاقون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون . وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الأنصارى حدثنا أبو طامرح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير بنى ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء تقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال ﷺ نعم ، قولوا اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » قال فضرب وجوه أهدائه بالريح فهزمهم بالريح وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \* وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾



يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا وزلزالاً شديداً فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم ( وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ) أما المنافق فنجم نفاقه ، والذي في قلبه شبهة أو حسكة ضعف حاله فتتفسر بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال ، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى ( وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ) يعني المدينة كما جاء في الصحيح « أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهى أنها هجر فإذا هى يثرب » وفي لفظ المدينة ، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمى المدينة يثرب فليستفر الله تعالى إنما هى طابة هى طابة » فترد به الإمام أحمد وفي إسناده ضعف والله أعلم ، ويقال إنما كان أصل تسميتها يثرب رجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهليل بن عوص بن هملق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . قاله السهيلي ، قال وروى عن بعضهم أنه قال إن لها في التوراة أحد عشر اسماً : المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة . وعن كعب الأجار قال : إنا نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة يا طيبة ويا طابة ويا مسكينة لا تغلى الكنوز أرفع أحاجرك على أحاجر القرى وقوله ( لا مقام لكم ) أى ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الرابطة (فارجوا) أى إلى بيوتكم ومنازلكم ( ويستأذن فريق منهم النبي ) قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا تخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد ، وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيطى يعنى اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أى ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى ( وما هى بعورة ) أى ليست كما يزعمون ( إن يريدون إلا فرارا ) أى هرباً من الزحف

﴿ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوهُا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا بَسِيْرًا ۗ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوانَ الْأَدْبِرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۗ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيْلًا ۗ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا ۗ ﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ( يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا ) أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سألوا الفتنة وهى الدخول في الكفر لكفروا سريعاً وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفرع ، هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جزير وهذا ذم لهم في غاية الذم ، ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفرون من الزحف ( وكان عهد الله مسئولا ) أى وإن الله سيسألم عن ذلك العهد لا بد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سبباً في تسجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى ( وإذا لا تمتعون إلا قليلا ) أى بعد هربكم وفراركم ( قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ) ثم قال تعالى ( قل من ذا الذى يعصمكم من الله ) أى يمنعكم ( إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ) أى ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا منغيث .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيْلًا ۗ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾

فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ  
سَلَقُوا بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لإخوانهم أى أصحابهم وعشراتهم وخطائهم  
(هلم إلينا) أى إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك (لا يأتون البأس إلا قليلا \* أشحة عليكم) أى بخلاء  
بالمودة والشفقة عليكم ، وقال السدي (أشحة عليكم) أى في الغنائم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور  
أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) أى من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال (فإذا  
ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد) أى فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحاً عاليا وادعوا لأنفسهم المقامات  
العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما (سلقوكم) أى استقبلوكم ،  
وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأهم مقامة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله  
للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أى ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:  
أفى السلم أعيار جفاء وغلظة وفى الحرب أمثال النساء العوارك  
أى في حال للسالمة كأنهم الحجر ، والأعيار جمع عير وهو الحمار ، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ، ولهذا قال تعالى  
(أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا هينا عنده .

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ  
أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) بل هم قريب منهم وإن  
لهم عودة إليهم (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنباءكم) أى يودون إذا جاءت الأحزاب  
أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم (ولو كانوا  
فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) أى ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله  
سبحانه وتعالى العالم بهم .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا  
رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى  
الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من  
ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا  
واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أى هلا اقتديتم به وتأسيتم بشأنه  
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذَكَرَ الله كثيرا) ثم قال تعالى مخبرا عن عباده  
المؤمنين الصادقين بموعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب  
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) قال ابن عباس رضى الله عنهما وقاتدة يعنون قوله تعالى في سورة  
البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب ) أى هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذى يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى ( وصدق الله ورسوله ) . وقوله تعالى ( وما زادكم إلا إيماناً وتسليماً ) دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك فى أول شرح البخارى والله الحمد والمنة ومعنى قوله جلّت عظمته ( وما زادكم ) أى ذلك الحال والضيق والشدة ( إلا إيماناً ) بالله ( وتسليماً ) أى اشقياداً لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَافُوًّا رَحِيمًا ﴾

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم تقضوا العهد الذى كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و ( صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ) قال بعضهم أجله وقال البخارى عهده وهو يرجع إلى الأول ( ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ) أى وما غيروا عهدها ولا تقضوه ولا بدلوه ، قال البخارى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمه بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ) تفرد به البخارى دون مسلم وأخرجه أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما من حديث الزهري به وقال الترمذى حسن صحيح وقال البخارى أيضاً حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر رضى الله عنه ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ) الآية انفرد به البخارى من هذا الوجه ، ولكن له شواهد من طرق أخرى . قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قال أنس : عمى أنس بن النضر رضى الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لأن أراى الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له أنس رضى الله عنه يا أبا عمرو أين واهل لريح الجنة إلى أجده دون أحد قال ققاتلهم حتى قتل رضى الله عنه قال فوجد فى جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته عمتى الربيع ابنة النضر فما عرفت أختى إلا بينانه قال فنزلت هذه الآية ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه ، وفى أصحابه رضى الله عنهم ورواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائى أيضاً وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه قال إن عمه يعنى أنس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدنى الله عز وجل قتالاً للمشركين ليرين الله تعالى ما أصنع ، قال فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقى سعد يعنى ابن معاذ رضى الله عنه دون أحد فقال أنا معك قال سعد رضى الله عنه فلم أستطع أن أصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفى أصحابه نزلت ( فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ) وأخرجه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد والنسائى فيه أيضاً عن إسحق بن إبراهيم كلاهما عن يزيد بن هرون به

وقال الترمذى حسن . وقد رواه البخارى فى المغازى عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن أنس رضى الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث العتمر بن سليمان عن حميد عن أنس رضى الله عنه به : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن الفضل السقلانى حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة ابن عبيد الله حدثني أبي عن جدى عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضى الله عنه قال : لما أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد سعد للنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والدخر ثم قرأ هذه الآية ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ) الآية كلها ، فقام اليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وطى ثوبان أخضران حصرمان فقال « أيها السائل هذا منهم » وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحى به ، وأخرجه الترمذى فى التفسير والمناقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما رضى الله عنه به وقال حديث غريب لانصره إلا من حديث يونس وقال أيضا حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى حدثنا أبو عامر - يعنى العقدي - حدثني إسحاق - يعنى ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسى بن طلحة قال : دخلت على معاوية رضى الله عنه فلما خرجت دعاني فقال ألا أضع عندك يا ابن أخي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الجمالى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحى عن موسى بن طلحة قال : قام معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ولهذا قال مجاهد فى قوله تعالى ( فمنهم من قضى نحبه ) يعنى موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زبير وقال بعضهم : نحبه نذره وقوله تعالى ( وما بدلوا تبديلا ) أى وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالعدو ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما تقضوه كعمل الناققين الذين قالوا ( إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار ) وقوله تعالى ( ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب الناققين إن شاء أو يتوب عليهم ) أى إنما يختبر عباده بالخوف والزلازل ليميز الحبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يصلوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ( ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ) فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصله قبل وجوده : وكذا قال الله تعالى ( ما كان الله ليدر للؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الحبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ) ولهذا قال تعالى ههنا ( ليجزى الله الصادقين بصدقهم ) أى بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظةهم عليه ( ويعذب الناققين ) وهم الناقضون لمهادة المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكنهم تحت مشيئته فى الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان ولما كانت رحمته ورافته تبارك وتعالى بخلقه هى الغالبة لغضبه قال ( إن الله كان عفورا رحيفا )

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾

يقول تعالى خبيرا عن الأحزاب لما أجلاه عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم التي أرسلها على عاد ولكن قال تعالى ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ) فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلط من قبائل شتى أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذى فرق جماعتهم وردد خائبين خاسرين بغيظهم وحقهم لم ينالوا خيرا لافى

الدنيا بما كان في أنفسهم من الظفر والمغرم ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة ومهم بقتله واستئصال جيشه ، ومن هم بشيء وصدق همه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله . وقوله تبارك وتعالى ( وكفى الله المؤمنين القتال ) أى لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ؛ بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ؛ وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده » أخرجاه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . وفي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ؛ اللهم اهزمهم وزلزمهم » وفي قوله عز وجل ( وكفى الله المؤمنين القتال ) إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يهزم المشركون بل غزاهم للمسلمون في بلادهم ، قال محمد بن إسحق لما انصرف أهل الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » فلم تغز قريش بعد ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة ، وهذا الحديث الذى ذكره محمد بن إسحق حديث صحيح كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو إسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب « الآن تغزوهم ولا يغزونا » وهكذا رواه البخارى فى صحيحه من حديث الثورى وإسرائيل عن أبي إسحق به وقوله تعالى ( وكان الله قويا عزيزا ) أى بجوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد والمنة

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ هَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

قد تقدم أن بنى قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة تقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حي بن أخطب النضرى لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى تقضى العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئتكم بمز الدهر أتيتك بقريش وأحايبها وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا عمداً وأصحابه ، فقال له كعب بل واهه أتيتنى بذل الدهر . ويحك يا حي إنك مشثوم فدعنا منك فلم يزل يفتل فى الدروة والغارب حتى أجابه واشترط له حي إن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شيء أن يدخل معهم فى الحصن فيكون له أسوتهم ، فلما قضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا فلما أيدته الله تعالى ونصره وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يتسل من وعناء تلك المرابطة فى بيت أم سلمة رضى الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم » قال لكن اللائكة لم تضع أسلحتها وهذا الآن رجوعى من طلب القوم ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قريظة ، وفى رواية فقال له عذيرك من مقاتل أوضعت السلاح ؟ قال « نعم » قال لكننا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم « أين ا » قال بنى قريظة فان الله تعالى أمرنى أن أزلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير إلى بنى قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا يصلين أحدنكم العصر إلا فى بنى قريظة » فسار الناس فأدركتهم الصلاة فى الطريق فصلى بعضهم فى الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل السير ، وقال آخرون لا نصليها إلا فى بنى قريظة فلم يعنف

واحداً من الفريقين ، وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وأعطى الراية لعل بن أبي طالب رضى الله عنه . ثم نزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمباً وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ؟ واعتقدوا أنه يحسب إليهم في ذلك كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول في مواليه بنى قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعداً سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ولم يعلموا أن سعداً رضى الله عنه كان قد أصابه سهم في أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله ﷺ في أكحله وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقي لها ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتني حتى تفر عيني من بنى قريظة ، فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلباً من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أُقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه جعل الأوس يلوذون به ويقولون يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه ، لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . ففرغوا أنه غير مستبقيهم فلما دنا من الحيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا إلى سيدكم » فقام إليه المسلمون فأنزله أعظاما وكراما واحتراما له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت » فقال رضى الله عنه وحكمي نافذ عليهم ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وطى من في هذه الحيمة ؟ قال « نعم » قال وطى من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالا وإكراما وإعظاما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال رضى الله عنه إنى أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة » ، وفي رواية « لقد حكمت بحكم الملك » ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فخذت في الأرض وجمى بهم مكنتين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعائة إلى الثمانمائة وسي من لم يثبت منهم مع النساء وأموالهم ، وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردهناه موجزا وبسيطا والله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى ( وأنزل الدين ظاهرهم ) أى عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من أهل الكتاب ) يعنى بنى قريظة من اليهود من بعض أسباط بنى إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما طمعا فى اتباع النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) فعليهم لعنة الله ؟ وقوله تعالى ( مرج صياصيم ) يعنى حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدى وغيرهم من السلف ومنه سمي صياصى البقر وهى قرونها لأنها أظلمت فيها ( وقذف فى قلوبهم الرعب ) وهو الخوف لأنهم كانوا مالوا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوهم فى الدنيا فانعكس عليهم الحال ، واقلب إليهم القال انشمر المشركون ففازوا بصفقة العيون ، فكأراموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة أن هذه هى الصفقة الخاسرة ؟ ولهذا قال تعالى ( فريقا يقتلون وتأسرون فريقا ) فالذين قتلوا هم للقائلة والأسراء هم الأسفر والنساء ، وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا فى فأمرنى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا هل أنبت بعد فنظرونى فلم يجدونى أنبت فخلى عني وأخفنى بالسي ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذى حسن صحيح ، ورواه النسائى أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى ( وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ) أى جعلها لكم من قتلكم لهم ( وأرضالم تطأوها ) قيل خير وقيل

مكة رواء مالك عن زيد بن أسلم ، وقيل فارس والروم ، وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مراداً ( وكان الله على كل شيء قديراً ) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرني عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الحندق أقفوا الناس فسمعت وثيد الأرض ورأى فإذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست إلى الأرض فر ساعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فر وهو يرتجز ويقول :

ليث قليلا يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا خان الأجل

قالت فتمت فاتجعت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه تسبغة له تعنى المغفر فقال عمر رضي الله عنه ماجاء بك ؟ لعمرى والله إنك لجريرة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ فدخلت فيها فر فرج الرجل التسبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال : يا عمر ويحك إنك قدأ كثر منذ اليوم ، وأين التخور أو الفرار إلا إلى الله تعالى قالت ورمى سعدا رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكله فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه فقال : اللهم لا تمتني حتى تفرعيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبوسفیان ومن معه بهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمربقة من آدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت فجاءه جبريل عليه السلام وان على ثيابه لتقع العبار فقال أوقد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فر على بني تميم وهم جيران المسجد فقال « من مريبك » قالوا مريبنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم إنه الذبيح ، قالوا نزل على حكم سعد ابن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه ، وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل الكتاب (١) ومن قد علمت قالت فلا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . قالت قال أبو سعيد فلما طلع : قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال « أنزلوه » فأنزلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احكم فيهم » قال سعد رضي الله عنه فأتى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله » ثم دعا سعد رضي الله عنه : فقال اللهم إن كنت أبهت على نبيك من حرب قريش شيئا فأبني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك ، قال فأنجز كلمه وكان قد برى منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت فوالذي نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء أبي بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى (رحماء بينهم) قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإمما هو آخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخاري

(١) في النسخة المكية : وأهل النكابة .

ومسلم من حديث عبد الله بن نعيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نحوها من هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعاء رضي الله عنه

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرْضُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُمْ تَرْضُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مِمَّا كُنْتُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة . قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرى أبويك » وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال « إن الله تعالى قال ( يا أيها النبي قل لأزواجك ) » إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا استأمر أبوي فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . وكذا رواه معلقاً عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت وقد حكى البخاري أن معمرًا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال : قالت عائشة رضي الله عنها لما نزل الحيار قال لي رسول الله ﷺ « إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تمضي فيه شيئاً حتى تستأمرى أبويك » قالت قلت وما هو يا رسول الله ؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله ؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله ؟ قالت فقراً ﷺ عليها ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم ترذون الحياة الدنيا وزينتها ) إلى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قالت ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تفتأي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما » فقلت يا رسول الله وما هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم ترذون الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم سراحاً جميلاً وإن كنتم ترذون الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً ) » قالت فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان رضي الله عنهما . فضحك رسول الله ﷺ ثم استقرأ الحجر فقال « إن عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا » فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن محمد بن عمرو بن قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمر بن عبد الله رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ لما نزل (١) إلى نساءه أمر أن يخيرهن فدخل على فقال « سأذكر لك أمراً فلا تعجلي حتى تستشيري أباك » فقلت وما هو يا رسول الله ؟ قال « إني أمرت أن أخيركن » وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيري أباك ؟ فاني أختار الله ورسوله . فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نساءه فتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور



عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت عائشة رضى الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نساءه فقال ﷺ « إني ذا كرك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك » قالت وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بهما قالت ثم قال « إن الله تبارك وتعالى قال ( يا أيها النبي قل لأزواجك ) » الآيتين قالت عائشة رضى الله عنها قلت أفى هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضى الله عنهن وأخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها مثله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئاً أخرجه من حديث الأعمش . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا زكريا بن إسحاق عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يباه جالوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلوا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نسائه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضى الله عنه لأكلن النبي ﷺ لعله يضحك فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آتفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال « هن حولى يسألنني النفقة » فقام أبو بكر رضى الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضى الله عنها فقال « إني أذكرك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمرى أبويك » قالت وما هو ؟ قال فتلا عليها ( يا أيها النبي قل لأزواجك ) الآية قالت عائشة رضى الله عنها أبويك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نساءك ما اخترت فقال ﷺ « إن الله تعالى لم يعثنى معنفا ولكن بعثنى معلماً ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها » انفردها بخارجه مسلم دون البخارى فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن إسحاق السكيت به . وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خير نساءه الدنيا والآخرة ولم يخبرهن الطلاق وهذا منقطع . وقد روى عن الحسن وقتادة وغيرها نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فانه قال ( فتعالين أمتكن وأسرحكن سراحا جيلا ) أى أعطىكن حقوقكن وأطلق سراحكن ، وقد اختلف العلماء في جواز تزوج غيره لمن لو طلقتن على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل القصد من السراح والله أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قرين عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضى الله عنهن ، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حيي النضيرية<sup>(١)</sup> وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المطلقية رضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين

﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ بَيَاتٍ مِنْكُمْ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \*

وَمَنْ يَفْعَلْ يَفْعَلْ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُورًا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾

يقول تعالى واعظا نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة . قال ابن عباس رضى الله عنهما وهى النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضى الوقوع

(١) فى البغوى : الحبيرية .

كقوله تعالى ( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ) وكقوله عز وجل ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ) ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لأصبح مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار ) فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى ( من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ) قال مالك عن زيد بن أسلم ( يضاعف لها العذاب ضعفين ) قال في الدنيا والآخرة ، عن ابن أبي نجيب عن مجاهد مثله ( وكان ذلك على الله يسيرا ) أى سهلا هينا ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله ( ومن يقنت منكن لله ورسوله ) أى يطع الله ورسوله ويستجب ( نوتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما ) أى فى الجنة فانهم فى منازل رسول الله ﷺ فى أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق فى الوسيلة التى هى أقرب منازل الجنة إلى العرش

﴿ يُدَسَّاءُ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا \* وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا \* وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن فى الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى ( فلا تخضعن بالقول ) أى دغلا ( وقلن قولا معروفا ) قال ابن زيد: قولا حسنا جميلا معروفا فى الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أى لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها . وقوله تعالى ( وقرن فى بيوتكن ) أى الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الحوائج الشرعية الصلاة فى المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن ثقلات » وفى رواية « وبيوتهن خير لهن » وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبى روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضى الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ قلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله تعالى فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « من قدمت - أو كلمة نحوها - منكن فى بيتها فأنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى » ثم قال لا نعلم . رواه عن ثابت الأرواح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البرزاني أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثني عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورك عن أبي الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن للمرأة عورة فإذا خرجت استترتها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قصر بيتها » ورواه الترمذى عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه . وروى البرزاني بإسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلاة المرأة فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها » وهذا إسناده جيد ، وقوله تعالى ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشى بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) يقول إذا خرجت من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فهى الله تعال عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) والتبرج أنها تلتقى الحجار على رأسها ولا تشده

فيواري قلائدها وقرطها وعنفها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج . وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) قال كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة . وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ إبليس شيئا من مثل الذي يزم فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فاتابوهم يسمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فيتبرج النساء للرجال قال وتزين الرجال لهن وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأنى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) وقوله تعالى ( وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ) ناهن أولاعن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى الخلق ( وأطعن الله ورسوله ) وهذا من باب عطف العام على الخاص . وقوله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادى في السوق ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة . وهكذا روى ابن أبي حاتم قال : حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وقال عكرمة من شاء باهله إنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ( الحديث الأول ) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن يزيد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب ( حديث آخر ) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحق أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال « الصلاة يا أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أبو داود الأعمى هو نقيب بن الحارث كذاب ( حديث آخر ) وقال الإمام أيضاً أيضاً حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على وائلة بن الأسقع رضي عنه وعنده قوم فذكروا علياً رضي الله عنه فشموه فشمته معهم فلما قاموا قال لي شمت هذا الرجل قلت قد شتموه فشمته معهم ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه فقالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فآذني علياً وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق » . وقدرناه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمر والأوزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال وائلة رضي الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلك ؟ قال صلى الله عليه

وسلم « وأنت من أهلي » قال وائلة رضى الله عنه وإنهما من أرحمى ما أرتجى، ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد بن أبي عمار قال إني لجالس عند وائلة بن الأسقع رضى الله عنه إذ ذكروا عليا رضى الله عنه فشموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموه إني عند رسول الله ﷺ إذ جاء على وفاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم فألقى ﷺ عليهم كساء له ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلت يا رسول الله وأنا؟ قال ﷺ « وأنت » قال فوالله إنها لأوثق عمل عندي

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني من سمع أم سلمة رضى الله عنها تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة رضى الله عنها بيرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وسلم لها « ادعى زوجك وابنيك » قالت فجاء على وحسن وحسين رضى الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيري قالت وأنا في الحجرة أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت رضى الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ( قالت فأدخلت رأسى البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير إنك إلى خير » في إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت جاءت فاطمة رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ بيرمة لها قد صنعت فيها عسيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال « أين ابن عمك وابناك؟ » فقالت رضى الله عنها في البيت فقال صلى الله عليه وسلم « ادعهم » فجاءت إلى علي رضى الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة رضى الله عنها فلما رأهم مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده إلى كساء كان على النمامة فدهه وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم ابن سعد قال ذكرنا على ابن أبي طالب رضى الله عنه عند أم سلمة رضى الله عنها فقالت في بيتي نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة جاء رسول الله ﷺ إلى بيتي فقال « لا تأذنى لأحد » فجاءت فاطمة رضى الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن رضى الله عنه فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضى الله عنهما ثم جاء علي رضى الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا؟ قالت فوالله ما أنعم وقال « إنك إلى خير » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوى عن أبيه قال إن أم سلمة رضى الله عنها حدثتني قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما إذ قالت الخادم إن فاطمة وعليارضى الله عنهما بالسدة قالت فقال لى رسول الله ﷺ « قومي فتحنى عن أهل بيتي » قالت فقممت فتحنيت في البيت قريبا فدخل على وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضى الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا رضى الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضى الله عنها باليد الأخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال « اللهم إليك لا إلى النار وأنا وأهل بيتي » قالت فقلت وأنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم « وأنت » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير

حدثنا أبو كريب حدثنا الحسن بن عطية حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضی الله عنها قالت إن هذه الآية نزلت في بيتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ فقال صلى الله عليه وسلم «إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم» قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضی الله عنهم (طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضاً عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضی الله عنها بنحوه (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمة قال أخبرني أم سلمة رضی الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين رضی الله عنهم، ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأ إلى الله عز وجل ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي» قالت أم سلمة رضی الله عنها فقلت يا رسول الله أدخلني معهم فقال ﷺ «أنت من أهلي».

(طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضاً عن أحمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الأصهباني عن يحيى بن عبيد السكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضی الله عنها بنحو ذلك (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضی الله عنها خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن رضی الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضی الله عنه فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضی الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضی الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وراه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن محمد بن بشر بن بشر بن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضی الله عنها حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن حوشب رضی الله عنه عن ابن عم له قال دخلت مع أبي علي عائشة رضی الله عنها فسألته عن علي رضی الله عنه فقالت رضی الله عنها: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضی الله عنهم فألقى عليهم ثوباً فقال «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالت فدنوت منهم فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم «تنحى فانك على خير» (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي حدثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة» (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) «قد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضی الله عنها كما تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هرون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضی الله عنه موقوفاً والله سبحانه وتعالى أعلم (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا بكير بن مسهر قال سمعت عامر بن سعد رضی الله عنه قال: قال سعد رضی الله عنه: قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضی الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال «رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي» (حديث آخر) وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعاً عن ابن علي قال زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني أبو حيان حدثني يزيد بن جبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر ابن سلمة إلى زيد بن أرقم رضی الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يزيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ ومعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يزيد خيراً كثيراً. حدثنا يزيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثكم فاقبلوا وما فلا تكلفوا فيه، ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ

يوماً خطيباً بماء يدعى خمابين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ثلاثاً فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال نعم . ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده . هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والأخذ بها أخرى . وهذه الثانية تحتل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد بهم آل الدين حرموا الصدقة أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط ، بل هم مع آل ، وهذا الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت فإن في بعض أسانيدنا نظرا والله أعلم ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله ( واذكرونا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ) أي واعلمن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد واذكرونا هذه النعمة التي خصصن بها من بين الناس ، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العيمة ، فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكرا سواها ولم يتم معها رجل في فراشها سواها صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها فناسب أن تخصص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية ، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرأته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « وأهل بيتي أحق » وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال « هو مسجدي هذا » فهذا من هذا القبيل فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الأحاديث الأخرى ، ولكن إذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتسميته بذلك والله أعلم ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي جميلة قال إن الحسن بن علي رضي الله عنهما استخلف حين قتل علي رضي الله عنهما قال . فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره ، وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن رضي الله عنه ساجد . قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في ورثه فمرض منها أشهراً ثم برأ فقصد على المنبر فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم وضيغانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) قال فما زال يقولها حتى ما بق أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاء ، وقال السدي عن أبي الدليم قال : قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) قال نعم ولأتمم هم ؟ قال نعم وقوله تعالى ( إن الله كان لطيفاً خبيراً ) أي بلطفه بكن بلغن هذه اللزلة وبخبرته بكن وأنكن أهل لتلك أعطاك ذلك وخصكن بذلك ، قال ابن جرير رحمه الله واذكرونا نعمة الله عليكم بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه ( إن الله كان لطيفاً خبيراً ) أي ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة . وهي السنة ، خيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة ( واذكرونا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ) قال يمتن عليهن

بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي في قوله تعالى (إن الله كان لطيفاً خبيراً) يعني لطيفاً باستخراجها خبيراً بموضعها رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة .

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وسلم تقول قلت للنبي ﷺ ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعنى منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرى حجرة بيتى فجعلت ممعى عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » إلى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله في طريق أخرى عنها قال النسائي أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ يابني الله مالى أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن ؟ فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أيدكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) ( طريق أخرى ) قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) ( حديث آخر ) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا سنان (١) بن مظاهر العمري حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي ﷺ فقلن قد ذكر كن الله تعالى في القرآن ولم نذكر بشيء أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) الآية فقوله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أخص منه لقوله تعالى ( قالت الأعراب آمننا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ) وفي الصحيحين « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه أول في شرح البخارى . وقوله تعالى ( والقانتين والقانتات ) القنوت هو الطاعة في سكون ( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ) وقال تعالى ( وله من في السماوات والأرض كل له قانتون ) ( يا مريم اتقى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ) ( وقوموا لله قانتين ) فالإسلام بعده مرتبة يرتقى إليها وهو الإيمان ثم القنوت ناشئ عنهما ( والصادقين والصادقات ) هذا في الأتوال فان الصدق خصلة عمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنه لم تجرب عليه كذبة لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام ، وهو علامة على الإيمان كما أن الكذب أمارة على النفاق ، ومن صدق نجاء ، عليكم بالصدق فان الصدق يهدى إلى البروان البريهدى إلى الجنة ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والأحاديث فيه كثيرة جداً ( والصابرين والصابرات ) هذه سجية الأنبيات وهى الصبر على المصائب والعلم بأن المقدر كانن لا محالة وتلقى

(١) الذى فى تفسير ابن جرير سيار بن مظاهر العنزى وهو الموافق لما فى هرب التهذيب .

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أى أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية ووثابها ( والخاشعين والخاشعات ) الخشوع: السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما في الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ( والتصدقين والتصدقات ) الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاييج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت في الصحيحين « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفي الحديث الآخر « والصدقة تطفيء الحطية كما يطفىء الماء النار » والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته ( والصائمين والصائمات ) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرباً كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى ( والصائمين والصائمات ) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده ( والحافظين فروجهم والحافظات ) أى عن المحارم والمآثم إلا عن الباح كما قال عز وجل ( والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ) وقوله تعالى ( والداكرين الله كثيراً والداكرات ) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقرع عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أبقت الرجل امرأته من الليل فصلياً ركعتين كانا تلك الليلة من الداكرين الله كثيراً والداكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن طهيرة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الداكرون الله كثيراً والداكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الداكرون الله تعالى أفضل منه » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمندان فقال « هذا جمندان سيروا فقد سبق الفردون » قالوا وما الفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الداكرون الله كثيراً والداكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملاً قط أحبى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن طهيرة حدثنا زيان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجعفى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلاً سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكراً » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الداكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسند ذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث



الواردة في كثرة الله كره عند قوله تعالى في هذه السورة ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى ( أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هياً لهم مغفرة منه لتوبهم وأجراً عظيماً وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت لست بنا كحنته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أوامر في نفسي؟ فيبينها يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ) الآية قالت قد رضيتني لى يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحت نفسي وقال ابن لهيعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فامتنعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي ﷺ على جلييب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فنعم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جلييبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في - ترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يجبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أمر يدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبيها وقالت صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيت فقد رضينا قال صلى الله عليه وسلم « فاني قد رضيت » قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جلييب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وإنما لمن اتفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم الهدوي عن أبي برزة الأسدي قال إن جلييبا كان امرأ يدخل على النساء يمرهن ويلعبهن فقلت لامرأتي لا تدخلن عليكن جلييبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجني ابنتك » قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إني لست أريدها لنفسى » قال فلمن يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجلييب » فقال يارسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

يخطبها لنفسه إنما يخطبها جليبيب فقالت: أجليبيب ، ابنه أجليبيب ابنه ؟ الالعمر الله لا تزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبتي إليك فأخبرتها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه رضى الله عنهم « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم « انظروا هل تفقدون من أحد » قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم « لكنني أفقد جليبيبا » قال صلى الله عليه وسلم « فاطلبوه في القتلى » فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال « قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا مني » مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ماله سرير إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره ولم يذكر أنه غسله رضى الله عنه قال ثابت رضى الله عنه فما كان في الأنصار أيم أنفق منها وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتا هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال « اللهم صب عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا » وكذا كان فما كان في الأنصار أيم أنفق منها هكذا أورده الإمام أحمد بطوله وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب أن الجارية لما قالت في خدرها أتردون على رسول الله ﷺ أمره نزلت هذه الآية ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ) وقال ابن جريج أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضى عنه الله ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ) فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأى ولا قول كما قال تبارك وتعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) وفي الحديث « واللى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال ( ومن يعص الله ورسوله فقد ضللا مبينا ) كقوله تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام ومناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ( وأنعمت عليه ) أى بالعتق من الرق وكان سيدا كبير الشأن جليل القدر حبينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضى الله عنها ما بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم ، ولو عاش بعده لا استخلفه ، رواه الإمام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها . وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : كنت في المسجد فأتاني العباس وطى بن أبي طالب رضى الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لناطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت : على والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم « أتدرى ما حاجتهما ؟ » قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم

«لكني أدري» قال فأذن لها قالا يا رسول الله جئناك لتخبرنا أي أهلك أحب إليك؟ قال صلى الله عليه وسلم «أحب أهلي إلى فاطمة بنت محمد» قالا يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة، قال صلى الله عليه وسلم «فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها وأمها أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمرا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان، فكشكت عنده قريمان سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فبجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له «أمسك عليك زوجك واتق الله» قال الله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها. وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضاً حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا. وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى ابن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يعلى بن هاشم ابن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال «اتق الله وأمسك عليك زوجك» فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه. وهكذا روى عن السدي أنه قال نحو ذلك

وقال ابن جرير حدثني إسحق بن شاهين حدثني خاله عن داود عن عامر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كنتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله تعالى لكنتم (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخفي الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) الوطر هو الحاجة والأرب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر، قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن عمار بن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة «اذهب فاذكرها علي» فانطلق حتى أتاه وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت علي عقبى وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطمعنا عليها الحبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستين وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان ابن المغيرة به، وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة رضي الله عنها أنا التي نزل عندي من السماء فاعترفت لها زينب رضي الله عنها وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال: كانت

زينب رضى الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدى وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله عز وجل من السماء، وإن السفير حبريل عليه الصلاة والسلام. وقوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) أى إنما أبخنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لكلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الأدعياء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبني زيد ابن حارثة رضى الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم - إلى قوله تعالى - ادعواهم لأبائهم هو أفسط عند الله) ثم زاد ذلك بياناً وثأ كيداً بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضى الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضى الله عنه، ولهذا قال تعالى في آية التحريم (وحلائل الذين من أصلابكم) ليحترز من الابن الدعوى فان ذلك كان كثيراً فيهم. وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولاً) أى وكان هذا الأمر الذى وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة، كانت زينب رضى الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾  
يقول تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحله وأمره به من تزويج زينب رضى الله عنها التى طلقها دعيه زيد بن حارثة رضى الله عنه وقوله تعالى (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى هذا حكم الله تعالى فى الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم فى ذلك حرج وهذا رد عن من توهم من المناقنين تفصلاً فى تزويج امرأة زيد مولاه ودعيه الذى كان قد تنبأه (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أى وكان أمره الذى يقدره كائن لا محالة وواقعاً لا يعيد عنه ولا معدل لما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ \* مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿

مدح تبارك وتعالى (الذين يبلغون رسالات الله) أى إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها (ويخشونه) أى يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى (وكفى بالله حسيباً) أى وكفى بالله ناصرًا ومعيناً، وسيد الناس فى هذا اللقائ بل وفى كل مقام محمد رسول الله ﷺ فانه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشرق والمغرب إلى جميع أنواع بنى آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فانه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو صلى الله عليه وسلم فانه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله فى ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلايته فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثة كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدى المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم اللبان أن يجعلنا من خلفهم. قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنا أحق أن يخشى » ورواه أيضاً عبد الرزاق عن الثورى عن زيد بن عمرو بن مرة، ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به. وقوله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وإن كان قد تنبأه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والظاهر

من خديجة رضى الله عنها فأتوا صغاراً ، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعاً وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فمات في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لسته أشهر وقوله تعالى ( ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء علياً ) كقوله عز وجل ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا يعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثلى في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنان ويعجبون منه ويقولون لولم يوضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » ورواه الترمذى عن بندار عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار ابن فلعل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرسالة والنبوة قد انقطعتم فلا رسول بعدى ولا نبي » قال فشق ذلك على الناس فقال « ولكن البشريات » قالوا يا رسول الله وما البشريات ؟ قال « رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » وهكذا رواه الترمذى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلعل

( حديث آخر ) قال أبو داود الطيالسى حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » ورواه البخارى ومسلم والترمذى من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذى صحيح غريب من هذا الوجه ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل النبيين كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » انفرد به مسلم من رواية الأعمش به . ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسى قال سمعت أبا الطفيل رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نبوة بعدى إلا البشريات » قيل وما البشريات يا رسول الله قال « الرؤيا الحسنة » - أو قال - « الرؤيا الصالحة » ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل ابنتى بيوتاً فأكملها وأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فتم بنيانك - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكنت أنا اللبنة » أخرجه من حديث عبد الرزاق ( حديث آخر ) عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضاً قال الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وطلح بن حجر قالوا حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الفنائم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت لى الخلق كافة ، وختم لى النبيون » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسماعيل بن جعفر وقال الترمذى حسن صحيح ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب

كلاهما عن أبي معاوية به ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العراب بن سارية رضى الله عنه قال : قال لى النبي صلى الله عليه وسلم « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » ( حديث آخر ) قال الزهري أخبرني محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي » أخرجه فى الصحيحين . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال « أنا محمد النبي الأسمى - ثلاثاً - ولا نبي بعدى ، أتيت فواتح الكلم وجوامعها وخواتمها وعلت كم خزانة النار وحملة العرش ، وتجويز بى ، وعوقيت وعوقيت أمتى ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله تعالى أحوالاً وحلاله وحرماً وحرامه » تفرد به الإمام أحمد

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم فاذا ذكر مثله سواء والا حديث فى هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الخفيف له ، وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه أنه لاني بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلمها محال وضلال عند أولى الأبواب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن ومسيمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يخطموا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقهم بضرورة الواقع لا يأمرهم بمعروف ولا ينهاهم عن منكر إلا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون فى غاية الافك والفجور فى أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى ( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل كل أفاك أئيم ) الآية وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فى غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الحوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً مادامت الأرض والسموات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَنَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا \* تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم و صنوف المنن لما لهم فى ذلك من جزيل الثواب ، وجميل الثآب . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عباس عن أبي بجرية عن أبي الدراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله

عز وجل « وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالله بن سعيد بن أبى هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبى بجرية واسمه عبدالله بن قيس البراعشى عن أبى الدرداء رضى الله عنه به ، قال الترمذى ورواه بعضهم عنه فأرسله ، قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى ( والذاك لكرين الله كثيراً والذاك لكرات ) فى مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبى زياد مولى عبدالله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه فإله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن أبى سعيد الحمصى قال : سمعت أباهريرة رضى الله عنه يقول : دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه : اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى عن وكيع . عن أبى فضالة الفرج بن فضالة عن أبى سعيد الحمصى عن أبى هريرة رضى الله عنه فذكر مثله وقال غريب وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبى سعيد المرى عن أبى هريرة رضى الله عنه فذكره . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يارسول أى الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم « من طال عمره وحسن عمله » وقال الآخر يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فممنى بأمر أتشبه به قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وروى الترمذى وابن ماجه الفصل الثانى من حديث معاوية بن صالح به ، وقال الترمذى حديث حسن غريب . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال : إن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الجردى رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون » . وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبه بن مكرم العمى حدثنا سعيد بن سفين الجردى حدثنا الحسن بن أبى جعفر عن عقبه بن أبى شبيب الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اذكروا الله ذكراً » حتى يقول المناقون إنكم تراءون » ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبى سمعت أبا الوائز جابر بن عمرو يحدث عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « مامن قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رآوه حسرة يوم القيامة ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( اذكروا الله ذكراً كثيراً ) إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير التذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى إليه ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على تركه فقال ( اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ) بالليل والنهار فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسرى والعلانية ، وعلى كل حال . وقال عز وجل ( وسبحوه بكرة وأصيلا ) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ، والأحاديث والآيات والآثار فى الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفى هذه الآية الكريمة الحث على الأكثر من ذلك . وقد صنف الناس فى الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالتسائى والمعمرى وغيرهما . ومن أحسن الكتب المؤلفة فى ذلك كتاب الأذكار للشيخ محى الدين النووى رحمه الله وقوله تعالى ( وسبحوه بكرة وأصيلا ) أى عند الصباح والساء كقوله عز وجل ( فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون \* وله الحمد فى السماوات والأرض وَعشيا وحين تظهرون ) وقوله تعالى ( هو الذى يصلى عليكم وملائكته ) هذا تهيبج إلى الله كراى أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أتم كقوله عز وجل ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزككم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون \* فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ) وقال النبى ﷺ « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه » والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاة البخارى عن أبى العالية ورواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عنه ، وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة . وقد يقال .

لا منافاة بين القولين والله أعلم ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمديهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم \* ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم \* وقهم السيئات ) الآية . وقوله تعالى ( ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ( وكان بالمؤمنين رحيما ) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فانه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سوامم من الدعاء إلى الكفر أو البدعة وأبتاعهم من الطعام ، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفرع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لرحمته لهم ورافته بهم قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد بن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول : ابني ، ابني وسعت فأخذته فقال القوم يارسول الله ما كانت هذه لتلقى ابنها في النار قال فخنضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لا ، والله لا يلقى حبيبه في النار » إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن في صحيح الإمام البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه تلقى ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ » قالوا لا قال رسول الله ﷺ فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها . وقوله تعالى ( تحيتهم يوم يلقونه سلام ) الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يسلم عليهم كما قال عز وجل ( سلام قولا من رب رحيم ) وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير : [ قلت ] وقد يستدل بقوله تعالى ( دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام ) وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ) . وقوله تعالى ( وأعد لهم أجرا كريما ) يعني الجنة وما فيها من الماء كل والشارب والملابس والساكن والناسك والملاذ والنظر بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِيرًا وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾  
بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا \* وَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَدَعَا أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا

قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ) وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى ، ميمتك التوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن ينفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي . ورواه في التفسير عن عبدالله قيل ابن رجاء وقيل ابن صالح عن عبدالعزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو به . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبدالله بن رجاء عن عبدالعزيز بن أبي سلمة اللجشون به .

وقال البخاري في البيوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه ، وقال وهب بن منبه إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيا : أن قم في قومك بني إسرائيل فإني منطلق لسانك بوحي وأبنت أميا من الأميين ، أبنته ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من



سكينته ، ولو عشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبشه مبشرا ونذيرا لا يقول الحنا ، أنتح به أعينا كها وآذانا صا وقلوبا غلغا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والنفوس والعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحداصمه أهدى به بعد الضلال ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة . وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فثاما من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدون مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلي ؛ ألهمهم التسييح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثوامهم يصلون لي قياما وقعودا ويقاثلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا ، يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم . وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالتهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم وأؤيد من دعاتهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم ، أو بنى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأتهم بأولهم ، ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم . هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه الجاني رحمه الله . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ) وقد كان أمر عليا ومعاذنا رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل على ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ) » ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي بإسناده مثله ، وقال في آخره « فانه قد أنزل على يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجا منيرا بالقرآن » . فقوله تعالى ( شاهدا ) أي لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كقوله ( لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وقوله عز وجل ( ومبشرا ونذيرا ) أي بشيرا للمؤمنين بجزييل الثواب ونذيرا للكافرين من وييل العقاب . وقوله جلوت عظمته ( وداعيا إلى الله بإذنه ) أي داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك ( وسراجا منيرا ) أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يمحدها إلا معاند . وقوله جل وعلا ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أدام ) أي لا تطعمهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ( ودع أدام ) أي اصمح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله ( وتوكل على الله وكفى بالله وكيل )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على المقدوحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فانه استعمال في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ) وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى ( المؤمنات ) خروج

مخرج الغالب إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتيبة في ذلك بالاتفاق وقد استدلل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد ابن المسيب والحسن البصرى وطى بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح لأن الله تعالى قال ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) فمقب النكاح بالطلاق فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعى وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال إن تزوجت فلانة فهى طالق ، فصحها متى تزوجها طلقت منه ، واختلفا فيما إذا قال كل امرأة أتزوجها فهى طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة . وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزى حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن يعقوب بن أبى إسحاق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . قال إذا قال كل امرأة أتزوجها فهى طالق قال ليس بشيء من أجل أن الله تعالى يقول ( يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) الآية وحدثنا محمد بن إسمايل الأحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن ينيق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما قال الله عز وجل ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال الله تعالى ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا طلاق لابن آدم فيم لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روى في هذا الباب ، وهكذا روى ابن ماجه عن طى والسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا طلاق قبل النكاح » ، وقوله عز وجل (فألكم عليهن من عدة تعتدونها) هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فنذهب فتزوج في فورها (١) من شاءت ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشرًا وإن لم يكن دخل بها بالا جماع أيضا ، وقوله تعالى ( فمتوهن وسرحوهن سراحا جميلا ) اللثة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو اللثة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها . قال الله تعالى ( وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ) وقال عز وجل ( لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفضوا لهن فريضة ومتوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقاً على المحسنين ) وفي صحيح البخارى عن سهل بن سعد وأبى أسيد رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أن دخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبى أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين ، قال طى ابن أبى طلحة رضي الله عنهما إن كان ممي لها صداقا فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن ممي لها صداقا أمتها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجليل

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهى الأجور

ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونشز وهو نصف أوقية فالجميع خمسمائة درهم  
 لإم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربعائة دينار وإلا صفة بنت حبي فإنه اصطفاها  
 من سبي خير ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن  
 قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن أجمعين - وقوله تعالى ( وما ملكك يمينك بما آفأ الله عليك ) أي وأباح لك  
 التسرى مما أخذت من الغنائم وقد ملك صفة وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك ريحانة بنت شمعون النضرية  
 ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكاتتا من السراري رضي الله عنهما وقوله تعالى ( وبنات عمك وبنات  
 عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ) الآية هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة  
 إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة  
 الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الحال والحالة وتحريم ما فرطت فيه اليهود من  
 إباحت بنت الأخ والأخت وهذا شنيع فظيع ، وإنما قال ( وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك )  
 فوحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الإناث لتقصين كقوله ( عن اليمين والشمال ) ( يخرجهم من الظلمات إلى النور ) ( وجعل  
 الظلمات والنور ) وله نظائر كثيرة وقوله تعالى ( اللاتي هاجرن معك ) قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار  
 ابن الحارث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعدرتني ، ثم أنزل الله تعالى ( إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت  
 أجورهن وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليه وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي  
 هاجرن معك قالت فلم أكن أحل له ولم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن  
 عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عنها بنحوه ، ورواه الترمذي  
 في جامعه . وهكذا قال أبو رزين وبتادة إن المراد من هاجر معه إلى المدينة . وفي رواية عن قتادة ( اللاتي هاجرن  
 معك ) أي أسلمن ، وقال الضحاك قرأ ابن مسعود ( واللاتي هاجرن معك )

وقوله تعالى ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك ) الآية أي ويحل لك أيها  
 النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية توالي فيها شرطان كقوله  
 تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه ( ولا ينفك نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن  
 يغويكم ) وكقول موسى عليه السلام ( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ) وقال ههنا ( وامرأة  
 مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) الآية وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق أخبرنا مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي  
 أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال  
 يا رسول الله زوجها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ « هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ »  
 فقال ما عندي إلا إزارى هذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك فالتمس  
 شيئا » فقال لا أجد شيئا ، فقال « التمس ولو خاتما من حديد » فالتمس فلم يجد شيئا ، فقال له النبي ﷺ « هل معك  
 من القرآن شيء ؟ » قال نعم سورة كذا وسورة كذا - السور بسما - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « زوجتكها بما معك من  
 القرآن » أخرجاه من حديث مالك وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول : كنت مع أنس  
 جالسا وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أقل  
 حياها فقال « هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها » افرد بإخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد العزيز  
 عن ثابت البناني عن أنس به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي عن  
 أنس بن مالك أن امرأة أمت النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله ابنة لي كذا وكذا فذكرت من حسنها وجالها  
 فأثرتك بها فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشك شيئا قط فقال « لا حاجة لي في ابنتك »

لم يخرجوه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم ، وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة سالحة . فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة أخرى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا : تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة ستا من قريش : خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم الساكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرظيات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعادت منه زينب بنت جحش الأسدية ، والسيتين صفة بنت حيي ابن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) قال هي ميمونة بنت الحارث فية انقطاع هذا مرسل والشهور أن زينب التي كانت تدعى أم الساكين هي زينب بنت خزاعة الأنصارية وقد ماتت عند النبي ﷺ في حياته فالله أعلم . والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلا أنزل الله تعالى ( ترجى من تشاء منهمن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ) قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن ذلك مباحا له ومخصوصا به لأنه مردود إلى مشيئته كما قال الله تعالى ( إن أراد النبي أن يستنكحها ) أي إن اختار ذلك .

وقوله تعالى ( خالصة لك من دون المؤمنين ) قال عكرمة أي لا تحل للموهوبة لتفرك ولو ان امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيا شيئا وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي انها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله ﷺ بسداق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر الثلث في المفوضة . تغير النبي ﷺ فأما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لأن له أن يتزوج بغير سداق ولا ولى ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله ( خالصة لك من دون المؤمنين ) يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولى ولا مهر إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ) قال أبو بن كعب ومجاهد والحسن وقاتدة وابن جرير في قوله ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ) أي من حصرهم في أربع نسوة حررات وما شاء وامن الإمام واشترط الولى والمهر والشهود عليهم وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه ( لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما )

﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَن ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟ فأنزل الله عز وجل (ترجي من تشاء وتؤوي إليك من تشاء) الآية قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك . وقد تقدم أن البخاري رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن) أي من الواهبات (وتؤوي إليك من تشاء) أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت فيها أيضاً بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قال عامر الشعبي في قوله تعالى (ترجي من تشاء منهن) الآية كن نساء أوهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل بعضهم وأرجأ بعضهم لم ينكحن بعده، منهن أم شريك ، وقال آخرون بل المراد بقوله (ترجي من تشاء منهن) الآية أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لمن تقدم من شئت وتؤخر من شئت وتراجع من شئت وتترك من شئت هكذا يروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لمن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة ، وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الأحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فقلت لها ما كنت تقولين ؟ فقالت كنت أقول إن كان ذلك إلى فاني لا أريد يارسول الله أن أوثر عليك أحدا . فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه غير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي وفيه جمع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى (ذلك أدنى أن تفر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كلهن) أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أن تقسم لمن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرون به وحملن جميلك في ذلك ، واعترفن بمتك عليهن في قسمتك لمن وتسويتك بينهن وإنصافك لمن وعدك فيهن . وقوله تعالى ( والله يعلم ما في قلوبكم ) أي من الليل إلى بعضهم دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا فعلى فيما أملكك فلا تلقني فيما تملك ولا أملكك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله « فلا تلقني فيما تملك ولا أملكك » يعني القلب . وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى ( وكان الله عليا ) أي بضائر السرائر ( حلينا ) أي يحلم ونضر .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنعهم في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية ، فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإمام والسراي فلا حرج عليه فيهن ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ

حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن  
قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم  
حتى أحل الله له النساء ، ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ، ورواه الترمذي  
والنسائي في سننهما ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر  
حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزازي عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن عبد الله بن وهب بن زعبة عن أم سلمة أنها قالت : لم  
يحت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم . وذلك قول الله تعالى (ترجى من  
تشاء منهن ) الآية فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كما بقي عدة الوفاة في البقرة ، الأولى ناسخة للتي بعدها  
والله أعلم ، وقال آخرون بل معنى الآية ( لا يحل لك النساء من بعد ) أى من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي  
أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ، وبنات العم والعمات والحال والحالات والواهبه  
وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، وهذا ما روى عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة  
والضحاك في رواية وأبي رزين في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسندي وغيرهم قال ابن جرير  
حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الأنصار قال  
قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج ؟ فقال وما يمنعه من  
ذلك ؟ قال قلت قول الله تعالى ( لا يحل لك النساء من بعد ) فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى ( يا أيها النبي  
إننا أحللنا لك أزواجك - إلى قوله تعالى - إن وهبت نفسها للنبي ) ثم قيل له ( لا يحل لك النساء من بعد )  
ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داوديه ، وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى ( لا يحل لك النساء من بعد ولا أن  
تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ) فأحل الله فتياتكم المؤمنات ، وامرأة مؤمنة  
إن وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الإسلام ثم قال ( ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ) الآية  
وقال تعالى ( يا أيها النبي إننا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - إلى قوله تعالى - خالصة لك من دون  
المؤمنين ) وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء ، وقال مجاهد ( لا يحل لك النساء من بعد ) أى من بعد ما سمى لك  
لا مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، وقال أبو صالح ( لا يحل لك النساء من بعد ) أمر أن لا يتزوج أعرابية  
ولا عريية ويتزوج بعد من نساء تهامة وما شاء من بنات العم والعمة والحال والحالة إن شاء ثلاثمائة ، وقال عكرمة  
( لا يحل لك النساء من بعد ) أى التي سمى الله ، واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف  
النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعا ، وهذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف  
فإن كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم . ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روى أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل  
نزول قوله تعالى ( لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ) الآية ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان  
قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج إلى ذلك فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته  
وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال فإله أعلم ، فأما قضية  
سودة ففي الصحيح عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها وهي سبب نزول قوله تعالى ( وإن امرأة خافت من  
بطنها نشوزا أو إعراسا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ) الآية ، وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي  
وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن صالح بن صالح بن حي عن سلمة بن كحيل  
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا إسناد قوى  
وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال : دخل عمر على

حفصة وهى تبكى فقال ما يبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجل الله لأن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً . ورجاله على شرط الصحيحين . وقوله تعالى ( ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ) فهنا عن الزيادة عليهن إن طلقوا واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً مناسباً ذكره ههنا فقال حدثنا إبراهيم بن نصر حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام ابن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : كان البديل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بأمرأتى أى تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزله الله (ولأن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأين الاستئذان ؟ » فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك ؟ فقال رسول الله ﷺ « هذه عائشة أم المؤمنين » قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق ؟ قال « يا عيينة إن الله قد حرم ذلك » فلما أن خرج قالت عائشة من هذا ؟ قال « هذا أحق مطاع وإنه على ماترين لسيدقومه » ثم قال البزار : إسحاق بن عبد الله بن الحديث جداً وإنما ذكرناه لأننا نحفظه بالإمن هذا الوجه وبيننا العلة فيه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلْقِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْتَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفَّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهى مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ثبت ذلك فى الصحيحين عنه أنه قال واقعت ربي عز وجل فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفجور فلو حجبتن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تأملنا لأن عليه فى الفيرة ( عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ) فنزلت كذلك وفى رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهى قضيه رابعة وقد قال البخارى حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها فى صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش التى تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة الخامسة فى قول قتادة والواقدي وغيرهما ، وزعم أبو عبيدة معمر بن لثمة وخليفة بن خياط أن ذلك كان فى سنة ثلاث فافه أعلم قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشى حدثنا مضمهر بن سليمان سمعت أبى حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو يتبأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ، قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا فبحثت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فأتى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إنه ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر، ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش بجزء لحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجىء قوم فياً كلون ويخرجون ثم يجىء قوم فياً كلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال « ارفعوا طعامكم » وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت وعليك السلام ورحمة الله وكيف وجدت أهلك يا رسول الله بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لمن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فأدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب . انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث ثم رواه عن إسحاق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان الشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت أذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرته مني السلام وأخبره أن هذا منا له قليل قال أنس : والناس يومئذ في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال « ضعه » فوضعت في ناحية البيت ثم قال « اذهب فادع لي فلانا وفلانا » فسمى رجالا كثيرا وقال « ومن لقيت من المسلمين » فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلاثمائة قال أنس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « جىء به » فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال « ما شاء الله » ثم قال « ليتعلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه » فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعه » قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزاً أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد تعلقوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فكش رسول الله ﷺ في بيته يسيراً وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلوا هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ) الآيات قال أنس فقرأهن على قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهداً ، وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه ، ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به ، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه ، ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشر الأحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك ، وقال الإمام أحمد حدثنا بهزو هاشم بن القاسم قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما اتقضت عدة زينة قال رسول الله



زيد رضي الله عنه « اذهب فاذا كرها على » قال فانطلق زيد حتى أتاها - قال - وهي تخمر عجبها فلما رأيتها عظمت في صدري ، وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى ( فلما قضى زيد منها وطرا ) وزاد في آخره بعد قوله : ووعظ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثه ( لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ) الآية . وقد أخرج مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالدليل إذا تبرزن إلى المناصح - وهو صعيد أفصح - وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب . هكذا وقع في هذه الرواية ، والشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرأها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين . قالت فانكفأت راجمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله إنى خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » لفظ البخاري بقوله تعالى ( لا تدخلوا بيوت النبي ) حذر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والدخول على النساء » الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى ( إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ) قال مجاهد وقنادة وغيرهما أي غير متحيين فضجبه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطويل وهو الذي تسميه العرب الضيفن ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها ، ثم قال تعالى ( ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره » وأصله في الصحيحين ، وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذي دعيتكم إليه فحففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض » ولهذا قال تعالى ( ولا مستأنسين لحديث ) أي كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ( إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ) وقيل المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حياته عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى ( والله لا يستحي من الحق ) أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى ( وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ) أي وكانهيتكن عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابته أصبعه أصبعي فقال حسن أو أوله أو أطاع فيمكن ما رأيتكن عين فنزل الحجاب ( ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ) أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب وقوله تعالى ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم عند الله عظيما ) قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن سعيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ) قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده

قال رجل لسفيان: أهي عائشة؟ قال قد ذكروا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضي الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه محرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله (من بعده) أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فإنا نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاها والله أعلم، وقال ابن جرير حدثني محمد بن اللثمي حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر بن نبي الله ﷺ مات وقدم ملك قيلة ابنة الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يغيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها، قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه وسكن، وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) ثم قال تعالى (إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً) أي مهما تكنه ضائركم وتنطوي عليه سرائركم، فإن الله يعلمه فإنه لا تخفى عليه خافية (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أبنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أبنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾

لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى (ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو نساءهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من رجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرا والكلام عليها بما أغنى عن إعادته هنا. وقد سأل بعض السلف فقال: لم يذكر العم والحال في هاتين الآيتين؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرهما لأنهما قد يصفان ذلك لبيهما، قال ابن جرير حدثني محمد بن اللثمي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى (لا جناح عليهن في آبائهن) الآية قلت ما شأن العم والحال لم يذكر؟ قال لأنهما يمتانها لأبنائهما وكرها أن تضع فخارها عند خالها وعمها. وقوله تعالى (ولا نساءهن) يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات، وقوله تعالى (وما ملكت أيمانهن) يعني به أرقاءهن من الكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه، وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب إنما يعني به الإمام فقط رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي واخشينه في الخلو والعلانية فإنه شهيد على كل شيء لا تخفى عليه خافية فراقبن الرقيب

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون بركون هكذا علمه البخاري عنها؛ وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء، رواهما ابن أبي حاتم، وقال أبو عيسى الترمذي وروى عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال: صلواته تبارك وتعالى سبح قدوس سبقت رحمتي

غضبي . والقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونيبه عنده في الملائكة الأظلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة القريين وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر يعني ابن الغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبي إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلى ربك ؟ فناداه ربه عز وجل : يا موسى سألوكم هل يصلى ربك فقل نعم أنا أصلى وملائكتي طى أنبيأى ورسلى ، فأزل الله عز وجل طى نبيه صلى الله عليه وسلم ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) . وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلى طى عباده المؤمنين في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا \* وسبحوه بكرة وأصيلا \* هو الذى يصلى عليكم وملائكته ) الآية وقال تعالى ( وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون \* أولئك عليهم صلوات من ربهم ) الآية ، وفي الحديث « إن الله وملائكته يصلون طى ميامن الصفوف » ، وفي الحديث الآخر « اللهم صل طى آل أبى أوفى » وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلى عليها وطى زوجها : « صلى الله عليك وطى زوجك » ، وقد جاءت الأحاديث التواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان ، قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبى عن مسعر عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال « قولوا اللهم صل طى محمد وطى آل محمد كما صليت طى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك طى محمد وطى آل محمد كما باركت طى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبى ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ! خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة ؟ فقال « قولوا اللهم صل طى محمد وطى آل محمد كما صليت طى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ؛ اللهم بارك طى محمد وطى آل محمد كما باركت طى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة فى كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخارى وعبد الله بن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فذكرهم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبى زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ( إن الله وملائكته يصلون طى النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل طى محمد وطى آل محمد كما صليت طى إبراهيم وطى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك طى محمد وطى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وكان عبد الرحمن بن أبى ليلى يقول وعلينا معهم ، ورواه الترمذى بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذى فى التشهد الذى كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ( حديث آخر ) قال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى عليك قال « قولوا اللهم صل طى محمد عبدك ورسولك كما صليت طى آل إبراهيم ، وبارك طى محمد وطى آل محمد كما باركت طى آل إبراهيم » قال أبو صالح عن الليث : طى محمد وطى آل محمد كما باركت طى آل إبراهيم . حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبى حازم والدراوردى عن يزيد بن عيسى بن الهاد قال : كما صليت طى إبراهيم وبارك طى محمد وآل محمد كما باركت طى إبراهيم وآل إبراهيم . وأخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن الهاد به . ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم أنه قال أخبرنى أبو حميد الساعدى أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال « قولوا اللهم صل طى محمد وأزواجه وذريته كما صليت طى إبراهيم وبارك طى محمد وأزواجه وذريته

كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذى من حديث مالك به .  
( حديث آخر ) قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التيمي قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجرم أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري قال : وعبد الله بن زيد هو الذي كان أرى النداء بالصلاة أخبره عن أبي مسعود الأنصاري قال : أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسألنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائي وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذى حسن صحيح وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن إسحق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدرى أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » وذكره ورواه الشافعى رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة بمثله ، ومن هنا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أن يجب على الصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير فان تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض للتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الإمام الشافعى في اشتراط ذلك في الصلاة ويزعم أنه قد تفرد بذلك ، وحكى الاجماع على خلافة أبو جعفر الطبرى والطحاوى والخطابى وغيرهم فيما نقله القاضى عياض عنهم ، وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعى وتكلف في دعواه الاجماع في ذلك وقال ما لم يحط به علما فانا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقى ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعى لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً ، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقى به ، وبه قال إسحاق بن راهويه والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن اللواز المالكي رحمهم الله حتى إن بعض أئمة الخنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه ﷺ كما علمهم أن يقولوا لما سألوه وحتى إن بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله فيما حكاه البندنجى وسليم الرازى وصاحبه نصر بن إبراهيم القدسى ، ونقله إمام الحرمين وصاحبه النزائى قولاً عن الشافعى . والصحيح أنه وجه ، على أن الجهور على خلافة وحكموا الاجماع على خلافة وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم . والغرض أن الشافعى رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلفاً وخلفاً كما تقدم والله الحمد ولله في الاجماع على خلافة في هذه المسئلة لا قديماً ولا حديثاً والله أعلم .  
وما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ، والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما من رواية حيوة بن شريح المصرى عن أنى هانىء حميد بن هانىء عن عمرو بن مالك أنى على الحسينى عن فضالة ابن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يعبد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله ﷺ « عجل هذا » ثم دناه فقال له أو لغيره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم يصل على النبي ثم ليندع بعد بما شاء » وكذا الحديث الذى رواه ابن ماجه من رواية عبد الله بن عيسى بن عباس بن سهل بن سعد الساعدى عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه . ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار » ولكن عبد الله بن عيسى هذا متروك وقد رواه الطبرانى من رواية أخيه أنى بن عباس ولكن في ذلك نظر وإنما يعرف من رواية عبد الله بن عيسى .

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل عن أنى داود الأعمى عن بريدة قال : قلنا

يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال ؟ « قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » أبو داود الأعمى اسمه نفع بن الحارث متروك (حديث آخر) موقوف رويناه من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد بن الحباب ثلاثهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن علياً رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داعي المدحوات ، وبارئ السموات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورافة تحننك ، على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامع لجيشات الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك ، مستوفراً في مرضاتك غير نكل في قدم ، ولا ذهن في عزم ، وإعيا لوحيدك ، حافظاً لمهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفن والإثم ، وأبهج موضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ، ومينرات الإسلام ، فهو أمينك للأمن ، وخازن علمك الخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهينات له غير مكدرات ، من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك الملول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله . وأتمم له نوره واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة . مرضى المقالة ذا منطلق عدل . وخطة فصل . وحجة وبرهان عظيم . هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا أن في إسناده نظراً . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني : سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك علياً . كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ فيقول اللهم داعي المدحوات وذكرة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا زيد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تندرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا ، قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وإمام المؤمنين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ابثه مقاماً محموداً يضبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا موقوف ؟ وقد روى إسماعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو وأبو عمر على الشك من الراوي قريباً من هذا ؛ (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا أبو إسرائيل عن يونس بن حباب قال خطبنا بفارس فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل قتلنا أو قالوا يارسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وارحم محمد وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور وبعضه حديث الأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فقال رسول الله ﷺ « لقد حجرت واسعاً » وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منه قال وأجزه أبو محمد بن أبي زيد ،

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى على صلاة لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك أولئك » ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذى حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان أن عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » تفرد بروايته الترمذى رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب ﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان بن يعقوب بن زيد بن طلحة قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني آت من ربي فقال لي مامن عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرآ » فقام إليه رجل فقال يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك ؟ قال « إن شئت » قال ألا أجعل لك كله قال « إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة » فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عن أسنده قال لأدري ﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » فقال أبي يا رسول الله إني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشطر » قال أفأجعل لك شطر صلاتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الثلثان » قال أفأجعل لك صلاتي كلها قال « إذن يغفر لك الله ذنبك كله » وقد رواه الترمذى بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبي قلت يا رسول الله إني أكرر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال « ماشئت » قلت الربع قال « ماشئت فإن زدت فهو خير لك » قلت فالنصف قال « ماشئت فإن زدت فهو خير لك » قلت فأجعل لك صلاتي كلها قال « إذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك » ثم قال هذا حديث حسن . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه قال : قال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال « إذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزامي ويونس هو ابن محمد قالا حدثنا ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبته حتى دخل نخلًا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه : قال فبحث أنظر فرفع رأسه فقال « مالك يا عبد الرحمن ؟ » قال فذكرت ذلك له فقال « إن جبريل عليه السلام قال لي ألا أشرك إن الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبي عمر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال : قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقه فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال « من هذا » قلت عبد الرحمن قال « ماشأئك » قلت يا رسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها فقال « إن جبريل أتاني فبشرني أن الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرا » ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه عن يحيى بن عبد الحميد عن الدرازدي عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ، ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن مجير بن عبد الله بن معاوية بن مجير بن ريان حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحداً يتبعه ففرغ عمر فأتاه بمظهرة من خلفه فوجد النبي ﷺ ساجدا في مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال « أحسنت يا عمر حين وجدتني »

ساجدا فتنجيت حتى إن جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات» وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه للمستخرج على الصحيحين ، وقد رواه إسماعيل القاضي عن القعني عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ، ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدان عن عمر بن الخطاب بنحوه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إنا نرى السرور في وجهك فقال « إنه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً قلت ؟ بلى » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به ؛ وقد رواه إسماعيل القاضي عن إسماعيل بن أبي أوس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الأنصاري قال أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال « أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ؛ ومحامنه عشر سيئات. ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها » وهذا أيضا إسناد جيد ولم يخرجوه . ﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وأبي طلحة وأنس وأبي بن كعب ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في أعلا الجنة ولا ينالها إلا رجل ، وأزجو أن أكون أنا هو » تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن إسحاق البكالي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علي عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلوا علي فانها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة » فسألناه أو أخبرنا فقال « هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وأرجو أن أكون ذلك الرجل » في إسناده بعض من تكلم فيه ﴿ حديث آخر ﴾ قاله الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لميعة عن عبد الرحمن بن بريح الخولاني سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمرو يقول : من صلى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته لها سبعين صلاة ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال « أنا محمد النبي الأمي — قاله ثلاث مرات — ولا نبي بعدى ، أو تبيت قوائم الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعلت كم خزنة النار وحملة العرش وتجووز بي عوفيت وعوفيت أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذهب بي فليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه :

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو سلمة الخراساني حدثنا أبو إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة واحد صلى الله عليه عشراً » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي داود الطيالسي عن أبي سلمة وهو المغيرة بن مسلم الخراساني عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن أنس به ﴿ حديث آخر ﴾ عن أنس قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مرجم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك ابن عمرو وأبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن الحسن

عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البخيل من ذكرت عنده لم يصل طي » وقال أبو سعيد « فلم يصل طي » ورواه الترمذى من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن طي ومنهم من جعله من مسند طي نفسه

( حديث آخر ) قال إسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن هلال العنزي حدثنا رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل طي » ( حديث آخر ) مرسل قال إسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على » ( حديث آخر ) قال الترمذى حدثنا أحمد بن إبراهيم الهورقي حدثنا ربيع بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل طي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يضره ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة » ثم قال حسن غريب . قلت وقد رواه البخارى في الأدب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه ، ورويناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به قال الترمذى وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله ( إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ) وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوى والحليى ويتقوى بالحديث الآخر الذى رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن اللطس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة » جنادة ضعيف ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة » وهذا مرسل يتقوى بالله قبله والله أعلم . وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذى عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذى رواه الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » تفرد به الترمذى من هذا الوجه ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً مثله ثم قال الترمذى هذا حديث حسن

وقد روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه وقد رواه إسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال « ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » وحكى عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية . ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذى نصره القاضي عياض بعدما حكى الاجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجملة . قال وقد حكى الطبرى أن محملاً الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة وما زاد على ذلك فنذوب ومرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله [ قلت ] وهذا قول غريب فانه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه . فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا سمعتم مؤذناً يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه بها



عشر اثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة (طريق أخرى ) قال إسماعيل القاضى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمرو بن هلى عن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من سأل الله لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة » .

(حديث آخر ) قال إسماعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الأحبار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلوا لى فان صلاتكم لى زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة » قال فإما حدثنا وإما سألتناه قال « الوسيلة ألى درجة فى الجنة لا ينالها إلا لرجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل » ثم رواه عن محمد بن أبى بكر عن معمر عن ليث وهو ابن أبى سليم به وكذا الحديث الآخر . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمى عن رويغ بن ثابت الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى لى محمد وقال اللهم أنزله القعد للقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » وهذا إسناد لا بأس به ولم يخرجوه (أثر حسن ) قال إسماعيل القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنى معمر عن ابن طاوس عن أبيه سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله فى الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام . إسناد جيد قوى صحيح .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا ليث بن أبى سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى لى محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى لى محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » وقال إسماعيل القاضى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمى عن سليمان الضبى عن على بن الحسين قال ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا مررت بالمساجد فسلوا لى النبي صلى الله عليه وسلم . وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها فى التشهد الأخير ومذهب إلى ذلك من العلماء منهم الشافعى رحمه الله وأكرمه ، وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولاً واحداً وهل تستحب ؟ على قولين للشافعى ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنائز فان السنة أن يقرأ فى التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب ، وفى الثانية أن يصلى لى النبي صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة يدعو للميت وفى الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده قال الشافعى رحمه الله : حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهرى . أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة فى الصلاة على الجنائز أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا فى نفسه ثم يصلى لى النبي صلى الله عليه وسلم ويخلص الدعاء للجنائز وفى التكبيرات لا يقرأ فى شىء منها ثم يسلم سرا فى نفسه . ورواه النسائى عن أبى أمامة نفسه أنه قال من السنة فذكره ، وهذا من الصحاحى فى حكم المرفوع على الصحيح . ورواه إسماعيل القاضى عن محمد بن المثنى عن عبد الأهل عن معمر عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة فى الصلاة على الجنائز فذكره . وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عمر والشعبى ومن ذلك فى صلاة العيد قال إسماعيل القاضى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى حدثنا حماد بن أبى سليمان عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوماً قبل العيد فقال لهم إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى لى النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلى لى النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن إسناد صحيح ، ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم قال الترمذي حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن شميل عن أبي قررة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلى على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب . ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قررة عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعا ، وكذا رواه رزين ابن معاوية في كتابه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصل على فلا تجعلوني كغمر الرابك صلوا على أول الدعاء وآخره وأوسطه » وهذه الزيادة إنما تروى من رواية جابر ابن عبد الله في مسند الإمام عبد بن حميد الكشي حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ « لا تجعلوني كقدح الرابك إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فتلأه من الماء فان كان له حاجة في الوضوء توشأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا هراق ما فيه اجعلوني في أول الدعاء وفي وسط الدعاء وفي آخر الدعاء » وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث ، ومن أكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهتدي فيمن هديت . وعافني فيمن عافيت . وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت . وقتني شرما قضيت . فإنك تقضي ولا يقضي عليك . إنه لا يذل من واليت . ولا يعز من عاديت . تباركت ربنا وتعاليت . وزاد النسائي في سننه بعد هذا وصلى الله على محمد . ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة ؛ وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي » قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ يعني وقد بليت ، قال « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الأذكار ( حديث آخر ) قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد البصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو ابن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عباد بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لن يصل على فيه إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال قلت وبعد الموت ؟ « قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فبني الله على يرضق » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عباد بن نسي وأبي الدرداء فانه لم يدركه والله أعلم

وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالاكثر من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في إسنادها ضعف والله أعلم . وروى مراسلا عن الحسن البصري فقال إسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تأكل الأرض جسد من كلمه روح القدس » مرسل حسن والنووي في الأذكار (١) وقال القاضي وقال الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة على » هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصل على النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة . وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « مامنكم من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أورد عليه السلام » فترد به أبو داود وصححه النووي في الأذكار . ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح قال : قرأت

على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عبدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » تفرد به أبو داود أيضا ، وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووي أيضا وقد روى من وجه آخر متصلا قال القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن طلي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عمن أخبره من أهل بيته عن علي بن الحسين بن علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه طلي بن الحسين فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا ؟ قال أحب السلام على النبي ﷺ فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبي ؟ قال نعم فقال له علي بن الحسين أخبرني أبي عن جدى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عبداً ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم » في إسناده رجل مبهم لم يسم ، وقد روى من وجه آخر مرسلا قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا قبرى عبدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » فلعله رأيهم يستثون الأدب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم . وقد روى أنه رأى رجلا ينتاب القبر فقال : يا هذا ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء . أى الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ؛ وقال الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن رشدين المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الأصبهاني حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هارون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ « أرايت قول الله عز وجل ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) - فقال - « إن هذا من المكثوم ولولا أنكم سألتوني عنه ما أخبرتكم ، إن الله عز وجل وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي على إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين ، ولا يصلي على أحد إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين » غريب جدا وإسناده به ضعف شديد . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان التروي وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به . فأما الحديث الآخر « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على من بعيد بلغته » ففي إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا . قال أصحابنا ويستحب للحرم إذا لم يفرغ من تليته أن يصلي على النبي ﷺ لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تليته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ، وقال إسماعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الأجدع قال : سمعت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول : إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ، ثم اتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك ، وعلى المروة مثل ذلك إسناده جيد حسن قوى ، قالوا ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الحج واستأنسوا بقوله تعالى ( ورفعناك ذكرك ) قال بعض المفسرين : يقول الله تعالى لا أذكر إلا ذكرت معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الأكل والدخول

والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر القدي حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثي » في إسناده ضعيفان وهما عمرو بن هارون وشيخه والله أعلم . وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ، ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن إن صح الخبر في ذلك على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال : حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد ابن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه عن رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طنت أذن أحدكم فلينكرني وليصل على وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » إسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم .

﴿ مسألة ﴾ وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقد روى من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا ، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا أحسبه موضوعا ، وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم . وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه [ الجامع الآداب الراوي والسامع ] قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال : وبلغني أنه كان يصلى عليه لفظا . ﴿ فصل ﴾ وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالاجماع وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى ( هو الذي يصلى عليكم وملائكته ) وبقوله ( أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ) وبقوله ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم ) الآية وبحديث عبد الله ابن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقهم قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » أخرجاه في الصحيحين ، وبحديث جابر أن امرأته قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال « صلى الله عليك وعلى زوجك » قال الجمهور من العلماء لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال أبو بكر صلى الله عليه أو قال على صلى الله عليه ، وإن كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل ، وإن كان عزيزا جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدماء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته وهذا مسلك حسن . وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ؟ ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى ؟ على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار . ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيهية لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود . قال أصحابنا والعمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو على صلى الله عليه ؛ هذا لفظ بحر وفه ؛ قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال على عليه السلام وسواء في هذا الأحياء والأموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى ما ذكره ( قلت ) وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد على رضى الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه ؛ وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن

هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال إسماعيل القاضي حدثنا عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لا تصح الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمفطرة ، وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد فإن ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعسل الآخرة ، وإن ناسا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاءك كتابي هذا فمهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعواتهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوى ذلك . أثر حسن ؛ قال إسماعيل القاضي حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه ابن وهب أن كعبا دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب : مامن فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يزفونه . ﴿ فرع ﴾ قال النووي إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط ، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله ( يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) فالأولى أن يقال ﷺ تسليما

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُنَّ قَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿

يقول تعالى متهددا ومتوعدا من آذاه بخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص - عيادا بالله من ذلك - قال عكرمة في قوله تعالى ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) نزلت في الصوريين . وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره » ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فهي عن ذلك . هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرها من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا إبراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي رائطة الخذاء المجاشعي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال : قال رسول الله ﷺ « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » وقد رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل به ، ثم قال وهذا حديث غريب لانقره إلا من هذا الوجه

وقوله تعالى ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كتبتوا ) أي ينسبون اليهم ما لم يبرأ منه لم يفعلوه ولم يفعلوه ( فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ) وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الراضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بتقيض ما أخبر الله عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضى

عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه  
أبدأ فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون المدوحين ويمدحون المذمومين ، وقال أبو داود حدثنا القعني حدثنا  
عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أنه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بما يكره » قيل  
أفرايت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته »  
وهكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به ثم قال حسن صحيح ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سلمة  
حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن عمار بن أنس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ  
لأصحابه « أي الربا أربي عند الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « أربي الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم »  
ثم قرأ ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ) ،

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ آذَنِي أَنْ يَعْرِفَنَ  
فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ  
لِنُفْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نَفَعُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا \* سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ  
خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

يقول تعالى آمراً رسول الله ﷺ تسليماً أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدين  
عليهن من جلابيبهن ليميزن عن سيات نساء الجاهلية وسيات الاماء ، والجلباب هو الرداء فوق الخمار . قاله ابن  
مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة  
الازرار اليوم . قال الجوهرى : الجلباب الملحف ، قالت امرأة من هذيل ترى قتيلاها  
تمشى النسور إليه وهى لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيب

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن  
من فوق ردوسهن بالجلابيب ويدين عيناً واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل  
( يدين عليهن من جلابيبهن ) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطي ثغرة عنقها بجلابيبها تدين عليها  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري في كتابه كتب إلى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية  
بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية ( يدين عليهن من جلابيبهن ) خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن  
الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني الليث حدثنا يونس  
ابن يزيد قال وسألناه عن الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة ؟ قال عليها الخمار إن كانت متزوجة  
ونهى عن الجلباب لأنه يكره لمن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى ( يا أيها النبي قل لأزواجك  
وبناتك ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلابيبهن ) ، وروى عن سفيان الثوري أنه قال : لا بأس بالنظر إلى زينة نساء  
أهل الدمة وإنما نهى عن ذلك لحوف الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله تعالى ( ونساء المؤمنين ) وقوله ( ذلك آذني  
أن يعرفن فلا يؤذين ) أى إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر ، لسن بإمام ولا عواهر . قال السدي في قوله تعالى ( يا أيها النبي  
قل لأزواجك وبنااتك ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلابيبهن ذلك آذني أن يعرفن فلا يؤذين ) قال كان ناس  
من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة  
ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهم ، فإذا رأوا  
المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها ،

وقال مجاهد يتجلبن فيعلم أنهم حرائر فلا يتعرض لمن فاسق بأذى ولا ريبة ، وقوله تعالى ( وكان الله غفورا رحيما )  
أى لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك ، ثم قال تعالى متوعداً للناقضين وهم الذين يظهرون  
الإيمان ويبتغون الكفر ( والذين في قلوبهم مرض ) قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا ( والمرجفون في المدينة )  
يعنى الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب واقتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق  
( لتغرينك بهم ) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس أى لئسطنك عليهم . وقال قتادة لئسطنك بهم ، وقال السدى  
لئسطنك بهم ( ثم لا يجاورونك فيها ) أى في المدينة ( إلا قليلا \* ملعونين ) حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة  
قرية مطرودين مبعدين ( أينما ثقوا ) أى وجدوا ( أخذوا ) لذتهم وقتلهم ( وقتلوا تفتيلا ) ثم قال تعالى ( سنة الله  
في الدين خلوا من قبل ) أى هذه سنته في الناقضين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان  
يسلطون عليهم ويقهرونهم ( ولن تجد لسنة الله تبديلا ) أى وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا \* إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ  
الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا \* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا \* يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ  
يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا \* رَبَّنَا  
ءَاتِنِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك ، وأرشده  
أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الأعراف وهي مكة وهذه مدينة فاستمر الحال في رد علمها  
إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله ( وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ) كما قال تعالى ( اقتربت  
الساعة وانشق القمر ) وقال ( اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) وقال ( آتت أمر الله فلا تستعجلوه ) ثم  
قال ( إن الله لعن الكافرين ) أى أبعدهم من رحمته ( وأعد لهم سعيرا ) أى في الدار الآخرة ( خالدين فيها  
أبدا ) أى ما كثرين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها ( لا يجدون وليا ولا نصيرا ) أى وليس  
لهم معيث ولا معين يتقدم محام فيه ثم قال ( يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول )  
أى يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا  
ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله ( ويوم بعض الظالم على يديه يقول ياليتني  
اتخذت مع الرسول سبيلا \* يا ويلتنا ليتني لم آخذ فلانا خليلا \* لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان  
للإنسان خذولا ) وقال تعالى ( ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ) وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم  
يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ( وقالوا ربنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا )  
وقال طاوس : سادتنا يعنى الأشراف وكبراءنا يعنى العلماء رواه ابن أبى حاتم أى اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء  
من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شئ فإذا هم ليسوا على شئ ( ربنا آتهم ضعفين من العذاب )  
أى بكفرهم وإغوائهم إيانا ( والعنهم لعنا كبيرا ) قرأ بعض القراء بالباء الواحدة ، وقرأ آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبا  
المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علني دعاء أدعو به في صلاتي قال « قل اللهم إني ظلمت  
نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمى انك أنت الغفور الرحيم » أخرجه في  
الصحيحين ، يروى كثيرا وكثيرا وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعى بين اللفظين في دعائه وفى ذلك  
نظر ، بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القارئ غير بين القراءتين أيهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما

والله أعلم وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن سرد حدثنا علي بن هاشم عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو بن غزوة وهو الذي كان يقول عند اللقاء يا معشر الأنصار أتريدون أن تقولوا لرَبنا إذا لقيناه ( رَبنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا \* ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنم لعنا كبيرا ) ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح بن عباد حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن موسى كان رجلاً حياً وذلك قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) هكذا أورد هذا الحديث ههنا مختصراً جداً وقد رواه في أحاديث الأنبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً — قال — فذلك قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه عليه وسلم أنه قال في هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه . » ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولاً ورواه عنه في تفسيره عن روح عن عوف به . ورواه ابن جرير من حديث الثوري عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو هذا . وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن النهال بن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس في قوله ( لا تكونوا كالذين آذوا موسى ) قال : قال قومه له إنك آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشد بثيابه وخرج يتبعها عرياناً حتى انتهت به مجالس بني إسرائيل قال فرأوه ليس بأدر فذلك قوله ( فبرأه الله مما قالوا ) وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المولى الأدهمي قالا حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « كان موسى عليه السلام رجلاً حياً وإنه آتى — أحسبه قال للماء — ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبدي عورته فقال بنو إسرائيل إن موسى آدر أو به آفة — يعنون أنه لا يضع ثيابه — فأحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بجذء مجالس بني إسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال — أو كما قال — فذلك قوله ( فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله ( فبرأه الله مما قالوا ) قال سعد موسى وهارون الجليل فمات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياءً فأذوه من ذلك فأمر الله للملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن



يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون الأول هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل [ قلت ] يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم : رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال : فقلت يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به ( طريق أخرى ) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج السيكم وأنا سليم الصدر » فأتى رسول الله ﷺ مال قسمه قال فررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالاً ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا « لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً » وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا ؛ فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال « دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر » وقدرناه أبو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل بن الوليد بن أبي هشام به مختصراً « لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج السيكم وأنا سليم الصدر » وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي سواء إلا أنه قال زيد بن زائدة ، ورواه أيضاً عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً أيضاً فزاد في إسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى ( وكان عند الله وجيباً ) أي له وجهة وجاه عنده عز وجل . قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء عز وجل . وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا ( قولاً سديداً ) أي مستقياً لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أنابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية . وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى ( ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ) وذلك أنه يجاز من نار الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد بن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الطهر فلما انصرف أوماً إلينا بيده فجلسنا فقال « إن الله تعالى أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً » ثم أتى النساء فقال « إن الله أمرني أن أمركن أن تتقين الله وتقلن قولاً سديداً » وقال ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما قام رسول الله ﷺ على المنبر إلا سمعته يقول ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ) الآية غريب جداً ، وروى عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفاً : من سره أن يكون أكرم الناس فليقلق الله ، قال عكرمة القول السديد لإله إلا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

قال العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقها فقال لآدم : إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ) وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : الأمانة الفرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكروها ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم قبلها بما فيها وهو قوله تعالى ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ) يعني غرا بأمر الله ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ) قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلت فما كان إلا مقدار ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخبيثة ، وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر واقطاع بين الضحاك وبينه والله أعلم . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصرى وغير واحد : إن الأمانة هي الفرائض ، وقال آخرون هي الطاعة وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الأمانة أن المرأة أتومت على فرجها . وقال قتادة الأمانة الدين والفرائض والحدود ؟ وقال بعضهم الغسل من الجنابة ، وقال مالك عن زيد ابن أسلم قال الأمانة ثلاثة ، الصلاة والصوم والاعتسالم من الجنابة وكل هذه الأقوال لاتنافية بينها بل هي متفقة وراجحة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب قبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله وبالله الاستعان ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصرى حدثنا حماد بن واقد يعني أبا عمر الصغار سمعت أبا معمر يعني عون بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصرى أنه تلا هذه الآية ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ) قال عرضها على السبع الطبايق الطرائق التي زينت بالنجوم ، وحمة العرش العظيم ، فقيل لها هل تحملي الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا ، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد ، التي شدت بالأوتاد ، وذلك بالمهاد ، قال فقيل لها هل تحملي الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، قالت لا ، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملي الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا . وقال مقاتل بن حيان إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسموات والأرض والجبال فبدأ بالسموات فرض عليهن الأمانة وهي الطاعة فقال لمن تحملي هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة ؟ قلن يارب إنا لانستطيع هذا الأمر وليس بنا قوة ولكننا لك مطيعين ، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لمن : تحملي هذه الأمانة وتقبلنها منى وأعطيك من الفضل والكرامة في الدنيا ؟ قلن : لا صبر لنا على هذا يارب ولا نطق ولكننا سامعين مطيعين لانصيك في شيء أمرتنا به . ثم قرب آدم فقال له تحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم مالى عندك ؟ قال يا آدم إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك عندى الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة ، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار ، قال : رضيت يارب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك



الودائع ، فلقيت البراء فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء اسناده جيد ولم يخرجوه . ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلووا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الحبل كجمر دحرجته على رجلك تراه متبيرا وليس فيه شيء - قال ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله قال - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن في بنى فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حية خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبلى أيكم بايعت إن كان مستملا ليردنه على دينه ، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا . وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أربيع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » هكذا رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنها ، وقد قال الطبراني في مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصرى حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربيع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » فزاد في الاسناد ابن حجيرة وجعله في مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النهى عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي إسحاق الشيباني عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والأمانة فجعل زياد ييكى وييكى فظننت أنى أوتيت أمرا عظيما فقلت له أ كان يكره هذا ؟ قال : نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهى وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله ، وقوله تعالى ( ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ) أى إنما حمل بنى آدم الأمانة وهى التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبتغون الكفر متابعة لأهله ( والمشركين والمشركات ) وهم الذين ظاهروهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسوله ( ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ) أى ويرحم المؤمنين من الخلق الذى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله العاملين بطاعته ( وكان الله غفورا رحيا ) آخر تفسير سورة الأحزاب والله الحمد والمنة .

### ﴿ تفسير سورة سبأ وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ \* يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾

يخبر تعالى عن نفسه السكينة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لأنه النعم التفضل على أهل الدنيا والآخرة ،

المالك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الإله في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) ولهذا قال تعالى ههنا ( الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ) أى الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره كما قال تعالى ( وإن لنا للآخرة والأولى ) ثم قال عز وجل (وله الحمد في الآخرة) فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدى وقوله تعالى ( وهو الحكيم ) أى في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (الخير) الذى لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء وقال مالك عن الزهري: خير بخلقه حكيم بأمره ، ولهذا قال عز وجل ( يعلم ما يليح في الأرض وما يخرج منها ) أى يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض والحب للبذور والكامن فيها ، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته ( وما ينزل من السماء ) أى من قطر ورزق ، وما يعرج فيها أى من الأعمال الصالحة وغير ذلك (وهو الرحيم الغفور) أى الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \* وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ \* وَيَرَى الَّذِينَ ءَاتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لمن مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى ( ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أتم معجزين ) والثانية هذه ( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم ) والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ) فقال تعالى ( قل بلى وربى لتأتينكم ) ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال ( عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا كتاب مبين ) قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أى الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء ، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شيء علم . ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى ( ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم \* والذين سعوا في آياتنا معاجزين ) أى سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله ( أولئك لهم عذاب من رجز أليم ) أى لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل ( لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ) وقال تعالى ( أم نجعل الذى آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار )

وقوله تعالى ( ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ) هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذى كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضاً ( لقد جاءت رسلنا بالحق ) يقال أيضاً ( هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ) ( لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ) ( ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ) العزيز هو النجى الجنب الذى لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء . وغلبه الحميد فى جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود فى ذلك كله جل وعلا

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْتَبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ إِنَّكُمْ لَأَنفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ \* أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ \* أَقَلَّمْ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك ( وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق ) أى تفرقت أجسادكم فى الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق ( إنكم ) أى بعد هذا الحال ( لنى خلق جديد ) أى تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو فى هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على العتوه والمجنون ولهذا قالوا ( أفترى على الله كذباً أم به جنة ) قال الله عز وجل راداً عليهم ( بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ) أى ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذى جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء ( فى العذاب ) أى الكفر المفضى بهم إلى عذاب الله تعالى ( والضلال البعيد ) من الحق فى الدنيا ثم ، قال تعالى منبهاً لهم على قدرته فى خلق السموات والأرض فقال تعالى ( أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ) أى حينما توجهوا وذهبوا فالسما مظة عليهم والأرض تحتمهم كما قال عز وجل ( والسماء بيناها بأيدٍ وإنا لموسعون \* والأرض فرشناها فنعم الماهدون ) : قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ( أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ) قال إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض . وقوله تعالى ( إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ) أى لو شئنا لنعلمنا بهم ذلك بظلمهم وقد مرتنا عليهم ولكن تؤخر ذلك لعلنا وعفونا ثم قال ( إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب ) قال معمر عن قتادة ( منيب ) تائب ؟ وقال سفيان عن قتادة: المنيب المقبل إلى الله تعالى أى إن فى النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع إلى الله ، على قدرة الله تعالى على بعث الاجساد ووقوع المعاد لأن من قدر على خلق هذه السموات فى ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين فى انخفاضها ، وأطوالها وأعراضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام ، كما قال تعالى ( أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ) وقال تعالى ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون )

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالَ أَوُّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ أَكْحَدِيدَ \* أَنِ اعْمَلْ سَابِغَةً وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوى العدد والعدد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذى كان إذا سبغ به تسبغ معه الجبال الراسيات . الصم الشاحات ، وتقف له الطيور السارحات : والغايات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الأشعري رضى الله عنه يقرأ من الليل فوق فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » وقال أبو عثمان

الهندي ما سمعت صوت صنج ولا يربط ولا وتر أحسن من صوت أي موسى الأشعري رضى الله عنه ، ومعنى قوله تعالى ( أوبى ) أي سبحى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحى بلسان الحبشة وفي هذا نظر فان التأويب في اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه - الجمل - في باب النداء منه ( يا جبال أوبى معه ) أي سبرى معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله ، والإسآد سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جداً لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى في قوله تعالى ( أوبى معه ) أي رجعى مسبحة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى ( وألنا له الحديد ) قال الحسن البصرى وقادة والأعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الحيوط ولهذا قال تعالى ( أن اعمل سابغات ) وهى الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا ابن ماعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شوذب قال : كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بنى إسرائيل خبز الحواري ( وقدر في السرد ) هذا إرشاد من الله تعالى لنبىه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع ، قال مجاهد في قوله تعالى ( وقدر في السرد ) لا تدق المسار فيقلق في الحلقة ولا تظلمه فيقصمها واجعله بقدر ، وقال الحكم بن عيينة لا تظلمه فيقصم ولا تدقه فيقلق ، وهكذا روى عن قتادة وغير واحد وقال طى بن أبي طلحة عن ابن عباس : السرد : حلق الحديد . وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الخلق واستشهد بقول الشاعر :

وعليهما مسرودتان قضاها      داود أو صنع السوانغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عسكر في ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق إسحاق بن بشروفية كلام عن أبي الياس عن وهب بن منبه ما مضمونه أن داود عليه السلام كان يخرج متسكراً فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحداً إلا أثنى عليه خيراً في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام ، قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكاً في صورة رجل فلقبه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً قال ماهى ؟ قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعنى بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملاً بيده يستغنى به ويعنى به عياله فالأن الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدروع وهو أول من عملها فقال الله تعالى ( أن اعمل سابغات وقدر في السرد ) يعنى مساميرا الخلق ، قال وكان يعمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلتها واشترى بثلتها ما يكفيه وعياله ، وأمستك الثلث يتصدق به يوماً يوماً إلى أن يعمل غيرها وقال إن الله تعالى أعطى داود شيئاً لم يعطه غيره من حسن الصوت إنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفرو ما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا طى أصناف صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير ، وكان قد أعطى سبعين مزاراً في حلقه ، وقوله تعالى ( واعملوا صالحاً ) أى فى الذى أعطاكم الله تعالى من النعم ( إنى بما تعملون بصير ) أى مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى طى من ذلك شيء .

﴿ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحِ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوْحُهاَ شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَمْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرِغْ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ ﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به طى داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له

تحمل يساطه غدوها شهر ورواحها شهر . قال الحسن البصرى كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتعدى بها ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع ، وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع . وقوله تعالى ( وأسلنا له عين القطر ) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراسانى وقناة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قناة وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام ، قال السدى وإنما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى ( ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ) أى وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أى بقدره وتسخره لهم بمشيئته ما يشاء من النبات وغير ذلك ( ومن يزغ منهم عن أمرنا ) أى ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ( نذقه من عذاب السعير ) وهو الحريق . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبى الزهراء عن جبير بن نفير عن أبى ثعلبة الحشنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون » رفعه غريب جدا . وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا حرمة حدثنا ابن وهب أخبرنى بكر بن مضر عن محمد بن بجير عن ابن أنعم أنه قال : الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات وكلاب . قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثنى أن الإنس ثلاثة أصناف ، صنف يظلمهم الله بظلم عرشه يوم القيامة . وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وصنف فى صور الناس على قلوب الشياطين . وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا على بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعنى ابن الفضل عن إسماعيل عن الحسن قال الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم فى الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وقوله تعالى ( يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ) أما المحاريب فهى البناء الحسن وهو أشرف شىء فى السكن وصدرة وقال مجاهد المحاريب ببيان دون القصور . وقال الضحاك هى المساجد وقال قناة هى القصور والمساجد وقال ابن زيد هى المساكن . وأما التماثيل فقال عطية العوفى والضحاك والسدى التماثيل الصور . قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قناة من طين وزجاج

وقوله تعالى ( وجفان كالجواب وقدور راسيات ) الجواب جمع جابية وهى الحوض الذى يجي فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

تروح على آل الملق جفنة كجاية الشيخ العراقى تفهق

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ( كالجواب ) أى كالجوبة من الأرض وقال العوفى عنه كالجياض وكذا قال مجاهد والحسن وقناة والضحاك وغيرهم . والقدر الراسيات أى الثابتات فى أما كنها لا تحرك ولا تتحول عن أما كنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أنافيا منها وقوله تعالى ( اعملوا آل داود شكرا ) أى وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم فى الدين والدنيا ، وشكرا مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلى : الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير عمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل . وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى بكر حدثنا جعفر بن يعنى ابن سليمان عن ثابت البنانى قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتى عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى فغمرتهم هذه الآية ( اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ) وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ



أنه قال « إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى » . وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن النكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة » وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثرا غريبا مطولا جدا ، وقال أيضا حدثنا أوى حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن إسحق الرقى قال : قال فضيل في قوله تعالى ( اعملوا آل داود شكرا ) قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال « الآن شكرتني حين علمت أن النعمة منى » وقوله تعالى ( وقليل من عبادى الشكور ) إخبار عن الواقع

﴿ فَلَمَّا فَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحو من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهى الأرضه ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول كذا فيقول لأى شيء أنت فان كانت تفرس غرست وإن كانت لدواء كتبت، فيينا هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك، قالت الحروب قال لأى شيء أنت؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب ففتحها عصاً فتوكأ عليها حولاً ميتاً والجن تعمل ، فأكلتها الأرضه فتبينت الإنسان أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين » قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضه فكانت تأتيا بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابه ونكارة والأقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى له غرابات وفي بعض حديثه نكارة . وقال السدى في حديثه نكارة وقال السدى في حديث ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قال : كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرر في بيت للقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرا به فأدخله في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا يئبث الله في بيت القدس شجرة فيأتيا فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فان كانت لفرس غرستها وإن كانت تنبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الحروب فسألها ما اسمك قالت أنا الحروب قال ولأى شيء نبتت قالت نبت هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأناحى أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت القدس فزرعها وفرسها في حائط له ثم دخل الخراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المخراب وكان المخراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألسنت جلدنا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فقولم يكن شيطان ينظر

إلى سليمان عليه السلام في الحراب إلا احترق فمرو ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجح فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحو عليه فأخرجوه. ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرض ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرض على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضى الله عنه . فكشوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ؛ وذلك قول الله عز وجل ( ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خربت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) يقول تبيين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرض لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكننا سنقل إليك الماء والطين قال فهم يتقاون إليها ذلك حيث كانت ، قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الحشب ! فهو ما تأتيا به الشياطين شكرا لها ، وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب ، وقال ابن وهب وأصعب بن الفرج عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى ( ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ) قال : قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه ، قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها ففخر ميتاً ، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى ( ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ) قال أصعب بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر ، وذو كغير واحد من السلف نحووا من هذا والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَمَشَى مِنْ سُدرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴾

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزرعهم ونسارهم وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبأ شذر مذر كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفصيله ويأينه قريباً وبه الثقة ، قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بل هو رجل وله عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة فأما الجانيون فمدحج وكندة والأزد والأشعريون وأتار وحمير ، وأما الشامية فلنخم وجذام وعاملة وغسان » ورواه عن عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب القصد والأمم ، بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم - من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكر نحوه . وقد روى نحوه من وجه آخر وقال الإمام أحمد أيضاً وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلابي عن

ابن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقاتل بمقبل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم » فلما وليت دعائى فقال « لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام » فقلت يا رسول الله أرأيت سبأ وادهو أو جبل أو ماهو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشاءم أربعة تيامن الأزدي والأشعريون وحمير وكندة ومدحج وأعمار الدين يقال لهم بجيلة وخنعم ، وتشاءم لحم وجذام وعاملة وغسان » وهذا أيضا إسناد حسن وإن كان فيه أبو جناب الكلبي وقد تسكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقري عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هانىء المرادى عن عمه أوعن أبيه - شك أسباط - قال قدم فروة بن مسيك رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (طريق أخرى) لهذا الحديث : قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن طبيعة عن توبة بن نمير عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بافريقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها فقال على بن أبي رباح كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطيفي رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية وإنى أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم فقال ﷺ « ما أمرت فهم بشيء بعد » فأنزلت هذه الآية ( لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ) الآيات فقال له رجل يا رسول الله ماسبأ ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذى قبله أن رسول الله ﷺ سئل عن سبأ ؟ ماهو أبله أم رجل أم امرأة ؟ قال ﷺ « بل رجل ولده عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة أما اليمنيون فمدحج وكندة والأزد والأشعريون وأعمار وحمير وغير ما حلها وأما الشام فلخم وجذام وغسان وعاملة » فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكية والله سبحانه وتعالى أعلم

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي فروة بن مسيك الغطيفي رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن سبأ ماهو أرض أم امرأة ؟ قال ﷺ « ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومدحج وحمير وأعمار » فقال رجل ما أعمار ؟ قال ﷺ « الذين منهم خنعم وبجيلة » ورواه الترمذى فى جامعه عن أبى كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن طلى عن يزيد بن حصين عن تميم الدارى رضى الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن . قال علماء النسب - منهم محمد بن إسحاق - اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ فى العرب وكان يقال له الرائش لأنه أول من غنم فى الغزو فأعطى قومه فسمى الرائش ، والعرب تسمى المال ريشا ورياشا . وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه المتقدم وقال فى ذلك شعرا :

سيملك بعدنا ملكا عظيما	نبي لا يرخص فى الحرام	ويملك بعده منهم ملوك
يدينون القياد بكل دامى	ويملك بعدهم منا ملوك	يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي	تقى يحب خير الأنام	يسمى أحداً ياليت أتى
أعمر بعد مبعثه بعام	فأعضده وأحبوه بنصرى	بكل مدحج وبكل رام

مضى يظهر فكونوا ناصريه ومن يلقاه يبلغه سلامى

ذكر ذلك الهمداني فى كتاب - الاكليل - واختلفوا فى قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه من سلالة إرم ابن سام بن نوح واختلفوا فى كيفية اتصال نسبة به طلى ثلاثة طرائق (والثانى) أنه من سلالة عابر وهو هود عليه

الصلاة والسلام واختلفوا أيضا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا (والثالث) أنه من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا . وقد ذكر ذلك مستقصى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النخعي رحمة الله تعالى عليه في كتابه المسمى - الانباه على ذكر أصول القبائل الرواه - ومعنى قوله عليه السلام « كان رجلا من العرب » يعني العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح ، وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم . ولكن في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أسلم يتصلون فقال « ارموا بني إسماعيل فان أباكم كان راميا » فأسلم قبيلة من الأنصار - والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ - نزلوا يثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام ، وإنما قيل لهم غسان بما نزلوا عليه قيل باليمن ، وقيل إنه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

إما سألت فانا معشر نجب الأزدي نستبنا والماء غسان

ومعنى قوله عليه السلام « ولد له عشرة من العرب » أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل وأكثر كما هو مقرر مبين في مواضع من كتب النسب . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « فتيامن منهم ستة وتشام منهم أربعة » أى بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزع عنها إلى غيرها . وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقدام فبنوا بينهما سدا عظيما يحكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين ففرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من البكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكنل أوزنييل وهو القدي تحترف فيه الثمار فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطف لكثرة ونضجه واستوائه ، وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويعرف بسد مأرب وذكر آخرون أنه لم يكن يبلدهم شيء من الدباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحده ويصده كما قال تبارك وتعالى ( لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ) ثم فسرها بقوله عز وجل ( جنتان عن يمين وشمال ) أى من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك ( كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ) أى غفور لكم إن استمررتم على التوحيد . وقوله تعالى ( فأعرضوا ) أى عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام ( وجنتك من سبأ نبأ يقين \* إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم \* وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون ) وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا ، وقال السدي أرسل الله عز وجل إليهم اثني عشر ألف نبي والله أعلم . وقوله تعالى ( فأرسلنا عليهم سيل العرم ) المراد بالعرم المياه ، وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز ، حكى ذلك السهيلي . وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وفتادة والضحاك أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بارسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ تقبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يجحدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنابير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنابير وولجت إلى السد فقبته فاتهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد تقبت أسفله حتى إذا ضعف ووهى وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ونضب الماء عن

الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيست وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار الثمرة الأنيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى ( وبدلناهم بجنتين ذواتي أكل خمط ) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدي وهو الأراك وأكلة البربر ( وأثل ) قال العوفي عن ابن عباس هو الطرفاء . وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمرة والله أعلم . وقوله ( وشيء من سدر قليل ) لما كان أجود هذه الأشجار البديل بها هو السدر ( قال وشيء من سدر قليل ) فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة والناظر الحسنة والظلال العميقة والأنهار الجارية تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ، ولهذا قال تعالى ( ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ) أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب إلا الكفور . وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور . وقال طاوس لا يناقش إلا الكفور . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البيداء عن هشام بن صالح التغلبي عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال : جزاء العصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة ؟ قال لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصنه إياها

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيُوا أَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ \* قَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والعبطة والعيش الهنيئ الرغيد ، والبلاد الرخية ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث إن مسافريهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمار ، ويقبل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى ( وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ) قال وهب بن منبه هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفي عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضا هي قرى عربية بين المدينة والشام ( قرى ظاهرة ) أي بيوت واضحة يعرفها المسافرون يقبلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى ( وقدرنا فيها السير ) أي جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ( سيرا فيها ليالي وأياما آمنين ) أي الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا ( قَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ) وقرأ آخرون ( بعدين أسفارنا ) وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والخواف ، كاطلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما ثبتت الأرض من قبلها وقلائمها وفومها وعدسها وصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسوى وما يشتهون من ما كل ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم ( أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ) وقال عز وجل ( وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها ) وقال تعالى ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) . وقال تعالى في حق هؤلاء ( قَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ) أي بكفرهم ( فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ) أي جعلناهم حديثا للناس وسمرآ يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيئ تفرقوا في البلاد

ههنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدي سباً وأيدي سباً وتفرقوا شذر مذر  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول  
سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ قال ( لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال - إلى قوله  
تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم ) وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء  
من أخبار السماء . فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلمهم  
فلم يدر كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيته وهو أعزهم أخوالاً يا بني إذا كان غداً وأمرتك  
بأمر فلا تفعله فإذا اتهرت فأتهرني ، فإذا لطمتك فالطمني ، قال يا أبت لا تفعل إن هذا أمر عظيم وأمر شديد ،  
قال يا بني قد حدث أمر لا بد منه فلم يزل به حتى وافاه على ذلك ، فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يا بني افعل كذا  
وكذا فأبى فاتهره أبوه فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال ابني يلطمني ؟  
على بالشفرة ، قالوا ما تصنع بالشفرة ؟ قال أذبحه ، قالوا تريد أن تذبح ابنك : الطمه أو اصنع ما بدا لك قال فأبى قال  
فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذنا ما بدالك فأبى إلا أن يذبحه قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه  
قال فإذا كان الحديث هكذا فأبى لا أرى أن أقيم بيلد يحال بيني وبين ابني فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني أرضي  
فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في يده وأحزره قال : أي قوم إن العذب قد أظلمكم وزوال  
أمركم قد دنا فمن أراد منكم داراً جديداً وحى شديداً . وسفراً بعيداً . فليلحق بعمان . ومن أراد منكم الحجر والحجر  
والعصير . وكلمة قال إبراهيم لم أحفظها - فليلحق ببصرى ومن أراد الراسخات في الوحل : المطمعات في الحبل . المتعمات  
في القحل فليلحق بيثرب ذات نخل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان . وخرجت غسان إلى بصرى . وخرجت  
الأوس والخزرج وبنو عمان إلى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عمان هذا مكان صالح لا ينبغي  
به بدلاً فأقاموا به فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخرعوا من أصحابهم واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة  
وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى . هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء  
اليمن وكبراء سبأ وكهانتهم وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول  
من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره بإرسال العرم عليهم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني  
به أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرزا يحفر في سد مأرب الذي كان يجبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاء وأمن أرضهم  
فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا غلظله ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه  
ففعل ابنته ما أمره به فقال عمرو لا أقيم بيلد لطم وجهي فيها أصغر ولدي وعرض أمواله . فقال أشرف من أشرف اليمن  
اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل هو في ولده وولد ولده ، وقالت الأسد لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا  
أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربهم عك وكانت حربهم سجلاً في ذلك  
يقول عباس بن مرداس السامي رضي الله عنه :

وعك بن عدنان الدين تلعبوا بفسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت من قصيدة له . قال ثم ارتحلوا عنهم ففترقوا في البلدان فنزل آل جصنة بن عمرو بن عامر الشام ،  
ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرا . ونزلت أزد السراة السراة ، ونزلت أزد عمان عمان : ثم أرسل  
الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات . وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما  
ذكر محمد بن إسحاق إلا أنه قال فأمر بن أخيه مكان ابنته - إلى قوله - فباع ماله وارتحل بأهله ففترقوا رواه ابن أبي حاتم  
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن إسحاق قال يزعمون أن عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهناً  
فرأى في كهنته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم . فقال لهم إني قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد  
وحمل شديد . ومزاد حديث : فليلحق بكاس أو كرو . قال فكانت وادعة بن عمرو . ومن كان منكم ذا هم مدن . وأمر

دعن ، فليلحق بأرض شن ، فكانت عوف بن عمرو وهم الدين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آتيا ، وحرما آتيا فليلحق بالأرزين فكانت خزاعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، اللطعات في المحل ، فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والحزرج وهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا ، وملكا وتأميرا ، فليلحق بكوثى وبصرى ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق . قال ابن إسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهاتها ذلك فأنه أعلم أى ذلك كان وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي أما غسان فلحقوا بعان فزقمهم الله كل ممزق بالشام ، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الأزدي فلحقوا بعان فزقمهم الله كل ممزق . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، ثم قال محمد بن إسحق حدثني أبو عبيدة قال : قال الأعشى أعشى بن قيس بن ثعلبة وأمه ميمون بن قيس :  
وفي ذاك للموتى أسوة \* ومأرب قني عليها العرم \* رجام بنته لهم حمير \* إذا جاء مأوئهم لم يرم  
فأروى الزروع وأعابها \* على سعة مأوئهم إذ قسم \* فصاروا أيادي ما يقدر \* ن منه على شرب طفل فطم  
وقوله تعالى ( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) أى إن في هذا الذى حل بهؤلاء من النعمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى قال أخبرنا سفيان عن أبي إسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر ، يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته » . وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي إسحق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه « عجبا للمؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » . قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة ( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) قال كان مطرف يقول : نعم العبد الصبار الشكور الذى إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْمَةٍ مِّن يُّوْمِنٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌ ﴾

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشد والهدى فقال ( ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال ( أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلا ) وقال ( ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ) والآيات في هذا كثيرة ، وقال الحسن البصرى لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال إذا أصبت من الأيوين ما أصبت فالدرية أضعف وأضرب وكان ذلك ضما من إبليس فأنزل الله عز وجل ( ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ) فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعده وأمنيه وأخذعه ، فقال الله تعالى وعزنى وجلالى لا أحجب عنه التوبة ما لم يفرغ بالموت . ولا يدعوني إلا أجنبته ، ولا بسألتى إلا أعطيت ، ولا يستغفرنى إلا غفرت له رواه ابن أبي حاتم . وقوله تبارك وتعالى ( وما كان له عليهم من سلطان ) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى من حجة وقال الحسن البصرى والله ما ضربهم بصا ولا أكرههم على شيء وما كان إلا غرورا وأمانى دعاهم إليها

فأجابوه . وقوله عز وجل ( إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ) أى إنما سلطناهم عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك وقوله تعالى ( وربك على كل شيء حفيظ ) أى ومع حفظه ضل من ضل من اتباع إبليس ، وبحفظه وكلاءه سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ \* وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ) أى من الآلهة التى عبدت من دونه ( لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ) كما قال تبارك وتعالى ( والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطير ) . وقوله تعالى ( وما لهم فيها من شرك ) أى لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركه ( وما له منهم من ظهير ) أى وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به فى الأمور ، بل الخلق كلهم قراء إليه عبيد لديه قال قتادة فى قوله عز وجل ( وما له منهم من ظهير ) من عون يمينه بشيء . ثم قال تعالى ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) أى لمظنته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى فى شيء إلا بعد إذنه له فى الشفاعة كما قال عز وجل ( من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ) وقال جل وعلا ( وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) وقال تعالى ( ولا يشفون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) ولهذا ثبت فى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شافع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام الحمد ليشفع فى الخلق كلهم أن يأتى ربهم لفصل القضاء قال « فأسجد لله تعالى فيدعى ما شاء الله أن يدعى ، ويفتح على بمحامد لا أحصيا الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع » الحديث بتامه . وقوله تعالى ( حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ) وهذا أيضاً مقام رفيع فى العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرددوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشى ، قاله ابن مسعود رضى الله عنه ومسروق وغيرهما ( حتى إذا فزع عن قلوبهم ) أى زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي وإبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة فى قوله عز وجل ( حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ) يقول خلقى عن قلوبهم ، وقرأ بعض السلف ، وجاء مرفوعاً إذا فرغ بالعين المعجمة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلوونهم ثم الذين يلوونهم لمن تحتهم حتى ينتهى الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى ( قالوا الحق ) أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان ( وهو العلى الكبير ) . وقال آخرون بل معنى قوله تعالى ( حتى إذا فزع عن قلوبهم ) يعنى الشركيين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة فى الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم الحق وأخبروا به . مما كانوا عنه لاهين فى الدنيا قال ابن أبى نجيح عن مجاهد ( حتى إذا فزع عن قلوبهم ) كشف عنها النطاء يوم القيامة . وقال الحسن ( حتى إذا فزع عن قلوبهم ) يعنى ما فيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ( حتى إذا فزع عن قلوبهم ) يعنى ما فيها من الشك قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانهم وما كان يضلهم ( قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير ) قال وهذا فى بنى آدم هذا عند الموت أقرأوا حين لا ينفعهم الأقرار وقد اختار ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على



الملائكة وهذا هو الحق الذي لامرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره قال البخارى عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسممها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان يده فحرفها ونشر بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » انفرد بإخراجه البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قالا : حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الأنصار فرمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية » قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية ، قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون ، فاجاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون » هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعتل بن عبيد الله أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الأنصار به وقال يونس عن رجال من الأنصار رضى الله عنهم ، وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ، ورواه الترمذى فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الأنصار رضى الله عنه والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادى والسياق لمحمد بن عوف قالا : حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء ابن حيوة عن النواس بن سمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي ، فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أوقال رجفة - شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صمقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضى به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ، فيقول عليه السلام : قال الحق وهو العلى الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض » وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا ابن أبان للصري عن نعيم بن حماد به وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : ليس هذا الحديث بالتمام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بإتداء إحياء الله تعالى إلى محمد ﷺ بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية .

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَأْتِكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قُلْ لَا تُسْتَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْتَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ \* قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى مقرونا تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية أيضا فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والأرض أى بما ينزل من المطر وينبت من الزرع إلا الله فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره وقوله تعالى ( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) هذا من باب اللف والنشر أى واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لاسبيل إلى أن تكونوا أتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال ( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) . قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن وإياكم على أمر واحد إن أحد الفريقين لمهتد ، وقال عكرمة وزيد بن أبى مریم معناها إنا نحن لعلى هدى وإناكم لفي ضلال مبين . وقوله تعالى ( قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا تسئل عما تعملون ) معناه التبرى منهم أى لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيدِهِ وإفراء العبادة له فإن أجبتم فأتتم منا ونحن منكم وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأتم برآء منا كما قال تعالى ( فإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ) . وقال عز وجل ( قل يا أيها الكافرون \* لا أعبد ما تعبدون \* ولا أتم عابدون ما أعبد \* ولا أنا عابدون ما أعبدتم \* ولا أناطب ما تعبدتم \* ولا أتم عابدون ما أعبد \* لكم دينكم ولى دين ) وقوله تعالى ( قل يجمع بيننا ربنا ) أى يوم القيامة يجمع بين الخلائق فى صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أى يحكم بيننا بالعدل فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وستعملون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية كما قال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون \* فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون \* وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ) ولهذا قال عز وجل ( وهو الفتاح العليم ) أى الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور . وقوله تبارك وتعالى ( قل أرونى الذين ألحقتهم به شركاء ) أى أرونى هذه الآلهة التى جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا ( كلالا ) أى ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل . ولهذا قال تعالى ( بل هو الله ) أى الواحد الأحد الذى لا شريك له ( العزيز الحكيم ) أى ذو العزة الذى قد قهرها كل شىء وغلبت كل شىء ، الحكيم فى أفعاله وأقواله وشرعه وقدره وتبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا والله أعلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَشْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْدِمُونَ ﴾

يقول تعالى لعبدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ تسليما ( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ) أى إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ) ( تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ) ، ( بشيرا ونذيرا ) أى تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) كقوله عز وجل ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) ( وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوا عن سبيل الله ) قال محمد بن كعب فى قوله تعالى ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) يعنى إلى الناس عامة وقال قتادة فى هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراى حدثنا حفص بن عمر العدى حدثنا الحكم يعنى

ابن أبان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضی الله عنهما يقول : إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا يا ابن عباس فبم فضله على الأنبياء ؟ قال رضی الله عنه إن الله تعالى قال ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ) وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس . وهذا الذي قاله ابن عباس رضی الله عنهما قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأبى رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « بعثت إلى الأسود والأحمر » قال مجاهد يعني الجن والإنس وقال غيره يعني العرب والعجم والكل صحيح . ثم قال عز وجل مخبراً عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) وهذه الآية كقوله عز وجل ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذي آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ) الآية ثم قال تعالى ( قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ) أي لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزداد ولا ينقص فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى ( إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ) وقال عز وجل ( وما تؤخره إلا لأجل معدود \* يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ) .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صُدِّدْنَا عَنْ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأْنَا لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عماد الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى ( وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ) قال الله عز وجل متهدداً لهم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الدليّة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجمهم ( يرجع بعضهم إلى بعضهم القول يقول الذين استضعفوا ) وهم الأتباع ( للذين استكبروا ) منهم وهم قادتهم وسادتهم ( لولا أنتم لكننا مؤمنين ) أي لولا أنتم تصدوننا لكاننا تبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به ، فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا ( أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ) أي نحن ما فعلنا بكم أكثر من أننا دعموناكم فاتبعونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا ( بل كنتم مجرمين \* وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ) أي بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً وتضروننا وتمنوننا وتخبرونا أننا على هدى وأنا على شيء فإذا جميع ذلك باطل وكذب ومين ، قال قتادة وابن زيد ( بل مكر الليل والنهار ) يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار ( إذا تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ) أي نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شياً وأشياء من المحال تضلوننا بها ( وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ) أي الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه ( وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ) وهي السلاسل التي تجمّع أيديهم مع أعناقهم ( هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ) أي إنما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للعقوبة بحسبهم وللأتباع بحسبهم ( قال لكل ضعف

ولكن لا تعلمون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المعراء حدثنا محمد بن سليمان بن الأصهباني عن أبي سنان ضرار بن صرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقاهم لها ثم لتحتهم لفة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب » وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن بن يحيى الخشني قال ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا اسم صاحبها عليها مكتوب قال فحدثته أبا سليمان يعني الداراني رحمة الله عليه فبكى ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله والغل في يديه والسلسلة في عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار ؟ اللهم سلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ \* قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ أَضْعَفٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ \* وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ \* قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَذْنَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ وأمره بالتأسي بمن قبله من الرسل وعبره بأنه ما بعث نبيا في قرية إلا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام ( أنؤمن لك واتبعك الأذليون ) ( وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ) وقال الكبراء من قوم صالح ( للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعملون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون \* قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ) وقال عز وجل ( وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ) وقال تعالى ( وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ) وقال جل وعلا ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) وقال جل وعلا ههنا ( وما أرسلنا في قرية من نذير ) أي نبي أو رسول ( إلا قال مترفوها ) وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة ، قال قتادة هم جبارتهم وقادتهم وراءوسهم في الشر ( إنا إياهم أرسلتم به كافرون ) أي لا تؤمن به ولا تتبعه ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل . فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلتني عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى كذا وكذا » قال أشهد أنك رسول الله . قال ﷺ « وما عليك بذلك ؟ » قال إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآية ( وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ) الآية قال فأرسل إليه النبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك أضياء الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل . وقال تبارك وتعالى إخبارا عن الترفين المكذبين ( وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعزيين ) أي اقتنخوا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على حجة الله تعالى لهم واعتناهم بهم وأنه ما كان يعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيئات

لهم ذلك قال الله تعالى ( أيحسبون أنما نمدمهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ) وقال تبارك وتعالى ( فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ) وقال عز وجل ( ذري ومن خلقت وحيدا \* وجعلت له مالا ممدودا \* وبنين شهودا \* ومهدت له تمهيدا \* ثم يطعمه أن أزيد \* كلا إنه كان لآياتنا عنيدا \* سأرهقه صعودا ) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنة أنه كان ذا مال وممر وولد ثم لم يفن عنه شيئا بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ها هنا ( قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويفني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ثم قال تعالى ( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى ) أي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا لكم . قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ، ولهذا قال الله تعالى ( إلا من آمن وعمل صالحا ) أي إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح ( فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ) أي تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ( وهم في العرفات آمنون ) أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي العراء الكندي حدثنا القاسم وطى بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد عن طى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لعرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها » فقال أعرابي لمن هي ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » ( والذين يسعون في آياتنا معاجزين ) أي يسعون في الصد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته ( فأولئك في العذاب محضرون ) أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم . وقوله تعالى ( قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ) أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدا وله في ذلك من الحكمة مالا يدركها غيره كما قال تعالى ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ) أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في العرفات في أعلى الدرجات وهذا في التمرات في أسفل الدرجات ؛ وأطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وقوله تعالى ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ) أي مهما أنفقتم من شيء فبما أمركم به وأبأجه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث « يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك » وفي الحديث أن ملكين يصبجان كل يوم يقول أحدهما : اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر : اللهم أعط منقفا خلفا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنفق بطلا ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده حذار الانفاق » ثم تلا هذه الآية ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ) وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده حذار الانفاق » قال الله تعالى ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ) وفي الحديث « شرار الناس يباعون كل مضطر ألا إن يبيع المضطرين حرام ، ألا إن يبيع المضطرين حرام ، للمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك معروف فعده على أخيك وإلا فلا تزده هلاكا إلى هلاكه » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد

قال : قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية ( وما أفقتم من شيء فهو يخلفه ) إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه فإن الرزق مقسوم

﴿ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءُ أَمْ لِي آيَاتُكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ \* فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رءوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقرّبوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة ( أهولاء إياكم كانوا يعبدون ) أي أتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم كما قال تعالى في سورة الفرقان ( أنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ) وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام ( أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ) وهكذا تقول الملائكة ( سبحانك ) أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ( أنت ولينا من دونهم ) أي نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ( بل كانوا يعبدون الجن ) يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم ( أ أكثرهم بهم مؤمنون ) كما قال تبارك وتعالى ( إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا \* لعنه الله ) قال الله عز وجل ( فالיום لا يملك بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا ) أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكرسكم اليوم لا يملك لكم نفعا ولا ضرا ( ونقول للذين ظلموا وهم للمشركون ) ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ( أي يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا .

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آبَائِكُمْ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِّمَّنْ قَدْ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ \* وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ \* وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب لأنهم كانوا إذا تلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله ﷺ ( قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كانت يعبد آباؤكم ) يعنون أن دين آباؤهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل ، عليهم وعلى آباؤهم لعائن الله تعالى ( وقالوا ما هذا إلا إنك مفترى ) يعنون القرآن ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ) قال الله تعالى ( وما آتيناكم من كتاب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ) أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد ﷺ وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا ، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه ثم قال تعالى ( وكذب الذين من قبلهم ) أي من الأمم ( وما بلغوا معشار ما آتيناهم ) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا . وكذلك قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى ( ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلناهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون \* أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أ أكثر منهم وأشد قوة ) أي وما دفع ذلك

عندهم عذاب الله ولا رده ، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) أى فكيف كان عقابي ونكالي واتصاري لرسلي

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون (إنما أعظكم بوحدة) أى إنما أمركم بوحدة وهى (أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة) أى تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً هل محمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً (ثم تفكروا) أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر فى ذلك ولهذا قال تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة) هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذى رواه ابن ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة عن طى بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « أعطيت ثلاثاً لم يعطهن أحد قبلى ولا فخر . أحلت لى الغنائم ولم تحل لمن قبلى ، كانوا قبلى يجمعون غنائمهم فيحرقونها . وبعثت لى كل أحر وأسود ، وكان كل نبي يبعث لى قومه خاصة ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً أتيتم بالصعيد وأصلى فيها حيث أدركتني الصلاة قال الله تعالى ( أن تقوموا لله مثنى وفردى ) وأعنت بالرعب مسير شهرين يدي » فهو حديث ضعيف الإسناد ، وتفسير الآية بالقيام فى الصلاة فى جماعة وفردى بعيد ولعله مقحم فى الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت فى الصحيح وغيرها والله أعلم

وقوله تعالى ( إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ) قال البخارى عندها حدثنا طى بن عبد الله حدثنا محمد ابن حازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال « أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصحبكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونى » قالوا بلى ؟ قال صلى الله عليه وسلم « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لؤب تبارك لك لهذا جمعنا . فأنزل الله عز وجل ( ثبت يدا أبى لؤب وتب ) وقد تقدم عند قوله تعالى ( وأنذر عشيرتلك الأقرين ) وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبىه رضى الله عنه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى ثلاث مرات فقال « أيها الناس تدرون ما مثلى ومثلكم ؟ » قالوا الله تعالى ورسوله أعلم . قال ﷺ « إنما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتهم فبعثوا رجلاً يترأى لهم فيبيننا هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه ، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم ثلاث مرات ، وبهذا الإسناد قال : قال رسول ﷺ « بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقنى » فمرد به الإمام أحمد فى مسنده

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* قُلْ إِنْ رَبِّي يَخَذِفُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ \* قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ \* قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾

يقول تعالى أمرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ( ما سألتكم من أجر فهو لكم ) أى لا أريد

منكم جملا ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل إليكم ونصحي إياكم وأمركم بعبادة الله ( إن أجرى إلا على الله )  
 أي إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله ( وهو على كل شيء شهيد ) أي عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخباري  
 عنه بإرساله إياي إليكم وما أتم عليه . وقوله عز وجل ( قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ) كقوله تعالى ( يلقي  
 الروح من أمره على من يشاء من عباده ) أي يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض وهو علام الغيوب  
 فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض وقوله تبارك وتعالى ( قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد )  
 أي جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى ( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه  
 فاذا هو زاهق ) ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة  
 حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ ( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن كان الباطل زهوقا ) ( قل  
 جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية كلهم من حديث  
 الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخرية عن ابن مسعود رضی الله عنه به ، أي لم يبق للباطل  
 مقالة ولا رياسة ولا كلمة ، وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاهنا إبليس أي أنه لا يخلق أحدا ولا يعيده ولا يقدر  
 على ذلك وهذا وإن كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم . وقول تبارك وتعالى ( قل إن ضللت فأنما  
 أضل على نفسي وإن اهتديت فبأوحى إلى ربي ) أي الخير كله من عنده لله وفيما أنزل الله عز وجل من الوحي والحق  
 اللبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فأنما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضی الله عنه لما سئل  
 عن تلك المسئلة في المفوضة أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله  
 بريثان منه . وقوله تعالى ( إنه سمع قريب ) أي سمع لأقوال عباده قريب يجب دعوة الداعي إذا دعاه ، وقد روى  
 النسائي ههنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين « إنكم لا تدعون أصم ولا غابا إنما تدعون سميعا قريبا مجيبا »

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ \* وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ  
 مَّكَانٍ بَعِيدٍ \* وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ \* وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ  
 كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء الكذبة يوم القيامة فلا قوت أي فلامفر لهم ولا وذر لهم ولا ملجأ  
 ( وأخذوا من مكان قريب ) أي لم يمكنوا أن ينعوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة . قال الحسن البصري حين خرجوا  
 من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفي وقتادة من تحت أقدامهم ، وعن ابن عباس رضی الله عنهما والضحاك يعني عندهم  
 في الدنيا ، وقال عبد الرحمن بن زيد يعني قتلهم يوم بدر والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، وإن  
 كان ما ذكر متصلا بذلك ، وحكى ابن جرير عن بعضهم قال إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام  
 بني العباس رضی الله عنهم . ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب  
 منه ( وقالوا آمنابه ) أي يوم القيامة يقولون آمننا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى ( ولو ترى إذ المجرمون ناكسو  
 رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمنا فارجمنا نعمل صالحا إننا موقنون ) ولهذا قال تعالى ( وأنى لهم التناوش من  
 مكان بعيد ) أي وكيف لهم تعاطى الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء  
 لدار الابتلاء فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول  
 الإيمان كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد . قال مجاهد ( وأنى لهم التناوش ) قال التناول لذلك . وقال  
 الزهري : التناوش تناولهم الإيمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا ، وقال الحسن البصري أما إنهم طلبوا  
 الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد ، وقال ابن عباس رضی الله عنهما : طلبوا الرجعة إلى الدنيا



والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجمة ولا توبة . وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله . وقوله تعالى ( وقد كفروا به من قبل ) أى كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل ( ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ) قال مالك عن زيد بن أسلم ( ويقذفون بالغيب ) قال بالظن قلت كما قال تعالى ( رجما بالغيب ) فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ، ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ( ويقولون إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ) قال قتادة ومجاهد يرجمون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعنى الإيمان وقال السدي ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) وهى التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله . وقال مجاهد ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل ، وروى نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع ابن أنس رضى الله عنهم وهو قول البخارى وجماعة والصحيح أنه لامنافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما يطلبوه في الآخرة فمنعوا منه . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثراً غريباً عجيباً جداً فنذكره بطوله فإنه قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامى حدثنا على بن منصور الأنبارى عن الرقى بن قطامى عن سعيد ابن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله عز وجل ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) إلى آخر الآية قال كان رجل من بنى إسرائيل فأتى إن يتبع الله تعالى له مالا فمات فورثه ابن له تافه أى فاسد فكان يعمل فى مال الله تعالى بمعاصى الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أليه أتوا الفتى فعدلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا أبحاجة فسرح فيها ماله وابتى قصراً فبينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجاء أى ريحا فقالت من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بنى إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من زوجة ، قال لا . قالت فكيف يهيك العيش ولا زوجة لك ، قال قد كان ذلك ، قال فهل لك من بعل ، قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ، قالت إني امرأة منك على مسيرة ميل فإذا كان غد فترود زاد يوم واثنتى وإن رأيت فى طريقك هولاً فلا يهولتك فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فاتتهى إلى قصر ففرغ رتاجه فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجاء أى ريحا فقال من أنت يا عبد الله ، فقال أنا الإسرائيلي قال فما حاجتك ، قال دعيتى صاحبة هذا القصر إلى نفسها قال صدقت ، قال فهل رأيت فى الطريق هولاً ، قال نعم ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس على لهاتى الذى رأيت قال ما رأيت ، قال أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بكلمة فأتحة فاها ففرغت فوثبت فإذا أنا من ورائها وإذا جراؤها ينبحن فى بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان يقاعد الغلام الشبيخة فى مجلسهم ويسرهم حديثه ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بمائة عتر حفل وإذا فيها جدى يمصها فإذا آتى عليها وظن أنه لم يترك شيئاً فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئاً فتح فاه يلتمس الزيادة ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بشجر فأعجبني غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعه فنادتني شجرة أخرى يا عبد الله منى فخذ حتى نادانى الشجر أجمع يا عبد الله منى فخذ فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى إن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل فإذا أنا برجل قائم على عين يعرف لكل إنسان من الماء فإذا تصدعوا عنه صب فى جرته فلم تعلق جرته من الماء بشيء ، قال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصى الله تعالى ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بمنز وإذا يقوم قد أخذوا بهواتهم وإذا رجل قد أخذ بقرنيها وإذا رجل قد أخذ بذيها وإذا راكب قد ركبا وإذا رجل يحتلبها فقال أما العز فى الدنيا والدين أخذوا بهواتهم يتساقطون من عيشها ، وأما الذى أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقاً . وأما الذى أخذ بذيها فقد أدبرت عنه ، وأما الذى ركبا فقد

تركها؟ وأما الذي يجلها فيخرج ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل يمتح على قلب كلما أخرج دلوه صبه في الحوض فانساب الماء راجعا إلى القلب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل يندر بندرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله: ادن مني فخذ يدي وأعدني فوالله ما أعدت منذ خلقتني الله تعالى فأخذت يده فقام يسعي حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمر الأبعد نفد ، أنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتتك أمرني الله تعالى بقبض روح الأبعد في هذا المكان ثم أصيره إلى نار جهنم قال فقيه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا اللغور للفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بقنة وحيل بينه وبين ما يشتهي . وقوله تعالى (كافل بأشياعهم من قبل) أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد دخلت في عباده وخسر هناك الكافرون) . وقوله تبارك وتعالى (إنهم كانوا في شك مريب) أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهم لم يقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب : قال قتادة إياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه . آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

### ( تفسير سورة فاطر وهي مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قال سفيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كنت لا أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أي بدأتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ( فاطر السموات والأرض ) أي بديع السموات والأرض ، وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض . وقوله تعالى ( جاعل الملائكة رسلا ) أي بينه بين أنبيائه ( أولى أجنحة ) أي يطرون بها ليلفوا ما أمروا به سريعا ( مثنى وثلاث ورباع ) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستائة جناح بين كل جناحين كما بين الشرق والغرب ولهذا قال جل وعلا ( يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ) قال السدي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى ( يزيد في الخلق ما يشاء ) يعني حسن الصوت رواه عن الزهري البخاري في الأدب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ ( يزيد في الخلق ) بالخاء المهملة والله أعلم .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَدْنِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراذ مولى المغيرة بن شعبه قال إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبه اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت إليه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وسمعتة ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . وعن وأد البنات ، وعقوق الأمهات ، ومنع وهات . وأخرجاه من طرق عن وراد به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول «سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم أهل الشاء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى ( وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ) ولها نظائر كثيرة . وقال الإمام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضى الله عنه إذا مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ) ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾

يفيه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في افراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشركه غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ولهذا قال تعالى ( لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ) أى فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان ، وأتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان والله أعلم

﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ \* إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تبارك وتعالى وإن يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جنتهم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ( وإلى الله ترجع الأمور ) أى وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء . ثم قال تعالى ( يا أيها الناس إن وعد الله حق ) أى العاد كائن لا محالة ( فلا تغرنكم الحياة الدنيا ) أى العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تغرنكم عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ( ولا يغرنكم بالله الغرور ) وهو الشيطان قاله ابن عباس رضى الله عنهما أى لا يفتنكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فانه غرار كذاب أفك ، وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ) وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب ( بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ) ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال ( إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًّا ) أى هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يفركم به ( إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ) أى إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو اللبى نسال الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والافتقار بطريق رسوله إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، وهذه كقوله تعالى ( وإذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا )

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ \* أَقْمَنَ زَيْنٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وأن الذين آمنوا بالله ورسوله ( وعملوا الصالحات لهم مغفرة ) أى لما كان منهم من ذنب ( وأجر كبير ) على ما عملوه من خير ثم قال تعالى ( أقمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ) يعنى كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا أى أقمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة ، لا حيلة لك فيه ( فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ) أى بقدره كان ذلك ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) أى لا تأسف على ذلك فان الله حكيم في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى ( إن الله عليم بما يصنعون ) . وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أبو حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبي عمرو والشيبانى أو ربيعة عن عبد الله بن الديلمى قال أتيت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وهو فى حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الله « إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأ منه ضل فذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل » ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزوينى حدثنا حسان بن حسان البصرى حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشى عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « الحمد لله الذى يهدى من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب » وهذا أيضا حديث غريب جداً

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ \* مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمِرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

كثيرا ما يستدل تعالى على اللعاد باحيائه الأرض بعد موتها كما فى أول سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فان الأرض تكون ميتة هادمة لا نبات فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها ( اهترزت ورببت وأنبتت من كل زوج بهيج ) كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يعم الأرض جميعا ونبتت الأجساد فى قبورها كما نبتت الحبة فى الأرض ولهذا جاء فى الصحيح « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب » ولهذا قال تعالى ( كذلك النشور ) وتقدم فى الحج حديث أبى رزين قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه . قال صلى الله عليه وسلم « يا أبا رزين أما مررت بوادى قومك ممجلا ثم مررت به يهترخضرا » قلت بلى ، قال صلى الله عليه وسلم « فكذلك يحيى الله الموتى »

وقوله تعالى ( من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ) أى من قان يجب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليزيم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى ( الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ) وقال عز وجل ( ولا يحزنك قولهم ، إن العزة لله جميعا ) وقال جل جلاله ( والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ) قال مجاهد ( من كان يريد العزة ) بعبادة الأوثان ( فإن العزة لله جميعا ) وقال قتادة ( من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا ) أى فليتمتع بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هي ( فإن العزة لله جميعا ) وحكاها ابن جرير . وقوله تبارك وتعالى ( إليه يصعد الكلم الطيب ) يعنى الذكر والثلاوة والدعاء ؛ قاله غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل الأحسى أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله السعوى عن عبد الله بن الحارث عن أبيه الحارث بن سليم قال : قال لنا عبد الله هو ابن مسعود رضى عنه إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقاتلن حتى يجي بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد بن الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله أكبر لدويا حول العرش كدوى النحل يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الحزائن وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمة الله عليه ، وقد روى مرفوعا . قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى بن يعنى ابن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الذين يذكرون الله من جلال الله من تسيبته وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به » وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه به . وقوله تعالى ( والعمل الصالح يرفعه ) قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وإبراهيم النخعى والضحاك والسدى والربيع بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال إياس بن معاوية القاضى لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقاتدة لا يقبل قول إلا بعمل

وقوله تعالى ( والذين يمشون السيات ) قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب هم الرءاون بأعمالهم يعنى يمشون بالناس يومنون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء إلى الله عز وجل يرءاون بأعمالهم ( ولا يذكر الله إلا قليلا ) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون ، والصحيح أنها عامة والمشركون داخلون بطريق الأولى ولهذا قال تعالى ( لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ) أى يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولى البصائر والنهى فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وقلبات لسانه وما أسر أحد سريرة إلا لإكسائه الله تعالى رءاءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فالمرأى لا يروج أمره ويستمر إلا على غيب ، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية . وقوله تبارك وتعالى ( والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ) أى ابتداء خلق أياكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ( ثم جعلكم أزواجا ) أى ذكر وأنثى لطفنا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا إليها وقوله عز وجل ( وما تحمّل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ) أى هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل ( ما تسقط من ورقه إلا

يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) وقد تقدم الكلام على قوله تعالى ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار \* عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ) وقوله عز وجل ( وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ) أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده في الكتاب الأول ( وما ينقص من عمره ) الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر ، وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ( وما يسر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ) يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فأما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزداد عليه ، وليس أحد قدرت له أنه قصر العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى ( ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ) يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ( ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ) قال ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام ، وقال عبد الرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا ، وقال قتادة: والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل ستين سنة، وقال مجاهد ( وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ) أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ ، وقال بعضهم بل معناه ( وما يعمر من معمر ) أي ما يكتب من الأجل ( ولا ينقص من عمره ) وهو ذهابه قليلا قليلا للجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة للجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه . نقله ابن جرير عن أبي مالك وإليه ذهب السدي وعطاء الخراساني ، واختاره ابن جرير الأول وهو كما قال ، وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الإيلي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله أبو سرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسعدة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « إن الله تعالى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالدورية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر » وقوله عز وجل ( إن ذلك على الله يسير ) أي سهل عليه يسير له يسهله بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته فإن علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٍ سَائِفٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار ، والعمران والبراري والقفار ، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك ( وهذا ملح أجاج ) أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار ، وإنما تكون ما لحة زعاقا مرة ولهذا قال ( وهذا ملح أجاج ) أي مر ثم قال تعالى ( ومن كل تأكلون لحما طريا ) يعني السمك ( وتستخرجون حلية تلبسونها ) كما قال عز وجل ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان \* فبأي آلاء ربكم تكذبان ) وقوله جل

وعلا ( وترى الفلك فيه مواخر ) أى تمخره وتشقه بجزومها وهو مقدمها السنم الذى يشبه جوجو الطير وهو صدره ، وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام ، وقوله جل وعلا ( لتبتغوا من فضله ) أى بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم ( ولعلكم تشكرون ) أى تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شيء منه ، بل بقدرته قد سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض الجميع من فضله ورحمته .

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ \* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم فى تسخيره الليل بظلامه والنهار بضائه ويأخذ من طول هذا فيزيده فى قصر هذا فيعتدلان ، ثم يأخذ من هذا فى هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفاً وشتاءً ( وسخر الشمس والقمر ) أى والنجوم السيارات ، والثواب الثقات ، بأضوائهن أجرام السموات ، الجميع يسرون بمقدار معين . وعلى منهاج مقنن محرر ، تقديرأ من عزيز عليم ( كل يجرى لأجل مسمى ) أى إلى يوم القيامة ( ذلكم الله ربكم ) أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا إله غيره ( والذين تدعون من دونه ) أى من الأصنام والأنداد التى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين ( ما يملكون من قطمير ) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفى والحسن وقتادة وغيرهم : القطمير هو اللفافة التى تكون على نواة التمرة أى لا يملكون من السموات والأرض شيئاً ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى ( إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ) يعنى الآلهة التى تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم لأنها جماد لا أرواح فيها ( ولو سمعوا ما استجابوا لكم ) أى لا يقدرن على شيء مما تطلبون منها ( ويوم القيامة يكفرون بشرككم ) أى يتبرءون منكم كما قال تعالى ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) وقال تعالى ( واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا \* كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ) وقوله تعالى ( ولا ينبتك مثل خبير ) أى ولا يخبرك بعواقب الأمور وما لها وما تصير إليه مثل خبير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقع لا محالة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ \* وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنَا بَعْضُكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

يخبر تعالى بضعائه مما سواه وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتعللها بين يديه فقال تعالى ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ) أى هم محتاجون إليه فى جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الذى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل ( والله هو الغنى الحميد ) أى هو المنفرد بالذى وحده لا شريك له وهو الحميد فى جميع ما فعله ويقوله ويقدره ويشعره ، وقوله تعالى ( إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ) أى لو شاء لأذهبكم أيها الناس وآتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا يمتنع ولهذا قال تعالى ( وما ذلك على الله بعزيز ) . وقوله تعالى ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) أى يوم القيامة ( وإن تدع مثقلة إلى حملها ) أى وإن تدع نفس مثقلة بأوزاها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه

( لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ) أى وإن كان قريبا إليها حتى ولو كان أبها أو ابنها ، كل مشغول بنفسه وحاله ، قال عكرمة فى قوله تعالى ( وإن تدع مثقلة إلى حملها ) الآية قال هو الجار يتعلق بجارحه يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم كان يفلق بابه دونى ، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن إن لى عندك يدا قد عرفت كيف كنت لك فى الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو فى النار ، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بنى أى والد كنت لك فى الدنيا يقول له يا بنى إني قد احتجت إلى مقال ذرة من حسناتك أنجوبها مما ترى فيقول له ولده يا أبت ما أسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا ، ثم يتعلق بزوجه فيقول يا فلانة أو يا هذنه أى زوج كنت لك فى الدنيا يقول لها إني أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لى لعلى أنجوبها مما ترى ، قال فتقول ما أسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا إني أتخوف مثل الذى تتخوف ، يقول الله تعالى ( وإن تدع مثقلة إلى حملها ) الآية ، ويقول تبارك وتعالى ( لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ) ويقول تعالى ( يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ) رواه ابن أبى حاتم رحمه الله عن أبى عبد الله الزهرانى عن حفص ابن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة به ، ثم قال تبارك وتعالى ( إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ) أى إنما يتعظ بما جئت به وأولو البصائر والنهى الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به ( ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ) أى ومن عمل صالحا فإنما يعود نفسه على نفسه ( وإلى الصير ) أى وإليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعُ مَن فِي الْقُبُورِ \* إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ \* إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا \* وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ \* وَإِن يَكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

يقول تعالى كما لا تستوى هذه الأشياء للتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوى الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا تستوى الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء والكافرين وهم الأموات كقوله تعالى ( أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ) وقال عز وجل ( مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا ؟ فالؤمن بصير مسمع فى نور يمشى على صراط مستقيم فى الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال فى الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم فى ظلمات يمشى لا خروج له منها ، بل هويته فى غيه وضلاله فى الدنيا والآخرة حتى يفرض به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم ، وظل من محموم لا بارد ولا كريم وقوله تعالى ( إن الله يسمع من يشاء ) أى يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والالتقاد لها ( وما أنت بمسمع من فى القبور ) أى كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم ( إن أنت إلا نذير ) أى إنما عليك البلاغ والانداز والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ( إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ) أى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ( وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ) أى وما من أمة خلعت من بنى آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العمل كما قال تعالى ( إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ) وكما قال تعالى ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا



الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ( الآية والآيات . في هذا كثيرة . وقوله تبارك وتعالى ( وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات ) وهى المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات ( وبالزبر ) وهى الكتب ( وبالكتاب النير ) أى الواضح البين ( ثم أخذت الدين كفروا ) أى ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاءهم به فأخذتهم أى بالعقاب والنكال ( فكيف كان نكير ) أى فكيف رأيت إنكارى عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا والله أعلم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ \* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

يقول تعالى منبها على كمال قدرته فى خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو الشاهد من تنوع ألوانها وطعمومها وروائحها كما قال تعالى فى الآية الأخرى ( وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ) وقوله تبارك وتعالى ( ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ) أى وخلق الجبال كذلك مختلفه الألوان كما هو الشاهد أيضا من بيض وحمر ، وفى بعضها طرائق وهى الجدد جمع جده مختلفه الألوان أيضا . قال ابن عباس رضى الله عنهما: الجدد الطرائق ، وكذا قال أبو مالك والحسن وقادة والسدى ومنها غرابيب سود قال عكرمة : الغرابيب الجبال الطوال السود ، وكذا قال أبو مالك وعطاء الخرساني وقادة ، وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا أسود غريب ولهذا قال بعض المفسرين فى هذه الآية هذا من اللؤلؤ والمرج في قوله تعالى ( وغرابيب سود ) أى سود غريب وفيما قاله نظر وقوله تعالى ( ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ) أى كذلك الحيوانات من الأناس والدواب وهو كل مادب على القوائم ، والأنعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هى مختلفة أيضا فالناس منهم بربر وحوش وطماطم فى غاية السواد وسقالبه وروم فى غاية البياض ، والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ، ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى ( واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للمالئين ) وكذلك الدواب والأنعام مختلفه الألوان حتى فى الجنس الواحد بل النوع الواحد منهم مختلف ألوان بل الحيوان الواحد يكون فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسبغ ربك قال **بلى** « نعم صبغا لا ينفص أحمر وأصفر وأبيض » وروى مرسلًا وموقوفًا والله أعلم . ولهذا قال تعالى بعد هذا ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) أى إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير للعظيم الموصوف بصفات الكمال للنموت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر

قال طى ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) قال الذين يعلون أن الله على كل شيء قدير . وقال ابن لهيعة عن ابن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك شيئا ، وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعلمه ، وقال سعيد بن جبير الخشية هى التى تحول بينك وبين معصية الله عزوجل ، وقال الحسن البصرى: العالم من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله

فيه وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن ( إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ) وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية . وقال أحمد بن صالح المصرى عن ابن وهب عن مالك قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله فى القلب . قال أحمد بن صالح المصرى معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما العلم الذى فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله : نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه . وقال سفيان الثورى عن أبي حيان التيمى عن رجل قال : كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله . وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فالعالم بالله وبأمر الله الذى يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ \* لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والافتقار مما رزقهم الله تعالى فى الأوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا وعلانية ( يرجون تجارة لن تبور ) أى يرجون ثوابا عند الله لا بد من حصوله ، كما قدمنا فى أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى ( ليؤفهم أجورهم ويزيدهم من فضله ) أى ليؤفهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ( إنه غفور ) أى لذنوبهم ( شكور ) للقليل من أعمالهم قال قتادة كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال : إنه سمع دراجا أبا السمع يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن الله تعالى إذا رضى عن العبد أتى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعملها وإذا سخط على العبد أتى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعملها » غريب جدا

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

يقول تعالى ( والذى أوحينا إليك ) يا محمد من الكتاب وهو القرآن ( هو الحق مصدقا لما بين يديه ) أى من الكتب المتقدمة صدقتها كما شهدت هى له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين ( إن الله عباده خبير بصير ) أى هو خبير بهم بصير عن يستحق ما يفضله به على من سواه ، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى ( فمنهم ظالم لنفسه ) وهو للفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ( ومنهم مقتصد ) وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويعمل بعض المكروهات ( ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ) وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات

وبعض المباحات . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العتيبي قالا حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » قال ابن عباس رضى الله عنهما السابق بالحيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته محمد ﷺ وكذا روى عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقدير . وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما ففهم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيارواه ابن جرير ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ( فمنهم ظالم لنفسه ) قال هم أصحاب المشأمة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها ، والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضا ونحن إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر

( الحديث الأول ) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : في هذه الآية ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالحيرات يأذن الله ) قال « هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم وقدرناه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أى في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في النازل في الجنة ( الحديث الثانى ) قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أنس بن عياض الليثى أبو حمزة عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالحيرات يأذن الله ) فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون ( الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور \* الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ) » ( طريق أخرى ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه - قال - فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة » ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب أبي الدرداء رضى الله عنه فقال اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي ويسر لي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضى الله عنه لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالحيرات ) فأما السابق بالحيرات فيدخلها بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا . وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من التمس والحزن وذلك قوله تعالى ( وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن )

( الحديث الثالث ) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل

ابن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ( فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ) الآية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلهم من هذه الأمة » ( الحديث الرابع ) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن غقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمتي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لإله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهى التى قال الله تعالى ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) وتصديقها فى التى فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) فجعلهم ثلاثة أفعال وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذى يحصى ويكشف « غريب جدا » ( أثر عن ابن مسعود ) رضى الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضى الله عنه عن يزيد بن الحارث عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن هذه الأمة ثلاث أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء ؟ وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى . وتلاعب الله رضى الله عنه هذه الآية ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) الآية ( أثر آخر ) قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عقبه بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لى يابني هؤلاء فى الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فمثلكم قال فجعلت نفسها رضى الله عنها معنا وهذا منها رضى الله عنها من باب المضم والتواضع وإلا فهى من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فى قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هى لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد رواه ابن أبي حاتم وقال عوف الأعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الأحبار رحمة الله عليه قال إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ، ألم تر أن الله تعالى قال ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ) جنات عدن يدخلونها - إلى قوله عز وجل - والذين كفروا لهم نار جهنم ) قال فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به . ثم قال حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال إن ابن عباس رضى الله عنهما سألا كعباً عن قوله تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا - إلى قوله - بإذن الله ) قال تماسنا منا كعبهم ورب كعب ثم أعطوا الفضل بأعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحاق السبيعي فى هذه الآية ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) الآية قال أبو إسحاق أما ما سمعت من ذى ستين سنة فكلهم ناج ، ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه قال إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنان عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله . ورواه الثورى عن إسماعيل بن ميمع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه بنحوه . وقال أبو الجارود : سألت محمد بن طي - يعنى البار - رضى الله عنهما عن قول الله تعالى ( فمنهم ظالم لنفسه ) فقال هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئاً . فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام . وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة فى جميع الأقسام الثلاثة فى هذه الأمة فالعلماء أعبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس

بهذه الرحمة فانهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضى الله عنه وهو بدمشق فقال ما أقدمك أى أخى ؟ قال حديث بلغنى أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ ، قال أما قدمت لتجارة ؟ قال لا ، قال أما قدمت لحاجة قال لا ؟ قال أما قدمت إلا فى طلب هذا الحديث ؟ قال نعم . قال رضى الله عنه فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة وإن اللائكة لتضع أجنحتها رضالطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » وأخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضى الله عنه ، وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى والله الحمد والمنة وقد تقدم فى أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إني لم أضع علمى وحكمتى فىكم إلا وأنا أريد أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالى »

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ \* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة مأواهم جنات عدن أى جنات الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقدمهم على الله عز وجل ( يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ) كما ثبت فى الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » ( ولباسهم فيها حرير ) ولهذا كان محظورا عليهم فى الدنيا فأباحه الله تعالى لهم فى الآخرة ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » وقال « هى لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحى أخبرنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن أبا أمامة رضى الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جردمرد مكحولون » ( وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ) وهو الخوف من المهدور أراحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونخزره من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » رواه ابن أبى حاتم من حديثه وقال الطبرانى حدثنا جعفر بن محمد الفريابى حدثنا موسى بن يحيى الروزى حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفى عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى الموت ولا فى القبور ولا فى النشور وكأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره : غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات ( الذى أحلنا دار المقامة من فضله ) يقولون

الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته لم تكن أعمالنا تساوي ذلك كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة» قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمته منه وفضل» (لا يمسن فيها نصب ولا يمسن لغوب) أي لا يمسن فيها عناء ولا إعياء. والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب وكان المراد بنبي هذا وهذا غنم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم، فمن ذلك أنهم كانوا يدثبون أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستمرة قال الله تبارك وتعالى (كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ \* وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ \* فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان ما للأشقياء فقال (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) كما قال تعالى (لا يموت فيها ولا يحيى) وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون» وقال عز وجل (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كثون) فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل إلى ذلك قال الله تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) كما قال عز وجل (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون \* لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) وقال جل وعلا (كلا خبت زدناهم سعيرا) (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) ثم قال تعالى (كذلك نجزي كل كفور) أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق وقوله جلت عظمته (وهم يصطرخون فيها) أي ينادون فيها يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم (ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل) أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فلماذا لا يجيبهم إلى سؤالهم كما قال تعالى مخبرًا عنهم في قولهم (فهل إلى مرد من سبيل؟ \* ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أي لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ولوردتم لعذبتكم إلى ما نهيتم عنه ولذا قال ههنا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير؟) أي أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لا تنفعتم به في مدة عمركم؟ وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا فروى عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما أنه قال مقدار سبع عشرة سنة. وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة فعوذ بالله أن نغير بطول العمر قد نزلت هذه الآية (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) وإن فيهم لابن ثمانى عشرة سنة وكذا قال أبو غالب الشيباني. وقال عبد الله بن المبارك عن معمر بن رجل عن وهب بن منبه في قوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قال عشرين سنة. وقال هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن في قوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قال أربعين سنة، وقال هشيم أيضا عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل وهذه رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فيها قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأطلح حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أربعون سنة. هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنهما به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من طريق الثوري وعبد الله بن إدريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضا لما ثبت

في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره ، وقد روى أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه أنه قال : العمر الذي غيرهم الله به في قوله ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) . ستون سنة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حميد بن عمار بن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل الخزومي عن ابن أبي حسين المكي أنه حدثه عن عطاء هو ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) » وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن إسماعيل بن أبي فديك به وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك به ، وحذا الحديث في نفسه نظر لحال إبراهيم بن الفضل والله أعلم ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أعذر الله تعالى إليه لقد أعذر الله تعالى إليه » وهكذا رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة » ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح الفزاري حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبدالقادر أي الاسكندري حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر » وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعاً عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ، ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم ستون سنة » يعني ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد ابن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا أبو عبد الرحمن القرني حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر » وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو القرني به ورواه أحمد أيضاً عن خلف عن أبي معشر عن أبي سعيد المقبري . ( طريق أخرى ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن الفرغ أبو عتبة الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المطرف بن مازن الكناي حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين » قد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت . وقول ابن جرير إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ثم يشرح بمد هذا في النقص والمهرم كما قال الشاعر :

إذا بلغ الفتي ستين عاماً فقد ذهب للسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذي يعمر الله تعالى إلى عباده به ويزجج به عنهم الملل كان هو الغالب على أعمار هذا الأمة كما ورد بذلك الحديث ، قال الحسن بن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن محمد الهاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وهذا عجب من الترمذي فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه

آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو بن محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وقد رواه الترمذي في كتاب الزهد أيضاً عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد روى من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه في الوضعين والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « معتمرك النيا ما بين الستين إلى السبعين » وبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقل أمتي أبناء سبعين » إسناده ضعيف (حديث آخر) في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن هاني حدثنا إبراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربيعي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال يارسول الله أنبأنا بأعمار أمتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين الخمسين إلى الستين » قالوا يارسول الله فأبناء السبعين قال صلى الله عليه وسلم « قل من يبلغها من أمتي ، رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين » ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين ، والمشهور الأول والله أعلم . وقوله تعالى ( وجاءكم النذير ) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضي الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن زيد ( هذا نذير من النذر الأولى ) وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيخان عنه أنه قال : احتج عليهم بالمرسل وهذا اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله تعالى ( ونادوا يامالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ما تكونون \* لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ) أي لقد بينا لكم الحق على السنة المرسل فأبىتم وخالفتم ، وقال تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) وقال تبارك وتعالى ( كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير \* قالوا بلى قد جاءنا نذير \* فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أتمم إلا في ضلال كبير ) وقوله تعالى ( فذوقوا فالظالمين من نصير ) أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعمالكم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أتمم فيه من العذاب والنكال والأغلال

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض وأنه يعلم ما تنكشفه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله . ثم قال عز وجل ( هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ) أي يخلف قوم آخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم . كما قال تعالى ( وجعلكم خلفاء الأرض فمن كفر فعليه كفره ) أي فأنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ( ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ) أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزله في الجنة وزاد أجره وأحب خلقه ووبره رب العالمين

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ لِيَاءَتِيَهُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَهُمْ أَلَّا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَلِ الْبَاطِلِ الْأَعْمَارِ لَشَدِيدٌ ﴾



يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين ( أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ) أى من الأصنام والأنداد ( أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ) أى ليس لهم شيء من ذلك ما يملكون من قسطير وقوله ( أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ) أى أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ؟ ليس الأمر كذلك ( بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا ) أى بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور ، ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال ( إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ) أى أن تضطربا عن أماكنهما كما قال عز وجل ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ) وقال تعالى ( ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ) ( ولئن زالتا إن أمسكهما من أحده من بعده ) أى لا يقدر على دوامها وإبقائهما إلا هو وهو مع ذلك حلیم غفور أى يرى عباده وهم يكفرون به ويحسونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستأخرين ويفخر ولهذا قال تعالى ( إنه كان حلما غفورا ) وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكرا فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام على النبر قال : وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عز وجل فأرسل الله تعالى إليه ملكا فأرقت ثلاثا وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يدها تلتقيان ثم يستيقظ فيجسس إحداهما عن الأخرى حتى نام نومه فاصطنقت يدها فانكسرت القارورتان ، قال ضرب الله له مثلا إن الله عز وجل لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض ، والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الإسرائيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه ( الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ) وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال : جاء رجل إلى عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه فقال من أين جئت ؟ قال من الشام قال من لقيت ؟ قال لقيت كعبا قال ما حدثك ، قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال أفصدته أو كذبتة ؟ قال ما صدقته ولا كذبتة قال لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها كذب كعب إن الله تعالى يقول ( إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعد ) وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود رضى الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال ذهب جندب الجبلى إلى كعب بالشام فدكر نحوه . وقد رأيت في مصنف للفقهاء يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطلى سماه - سير الفقهاء - أورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الأعمش به ، ثم قال وأخبرنا زونان يعنى عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك أنه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية وبحديث « إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه » قلت وهذا الحديث في الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِنسَانِ الْأُولَىٰ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا هَاسِتِ كِبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السُّيُوفِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السُّيُوفِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى ( أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفة من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين \* أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ) وكقوله تعالى ( وإن كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين \* فكفروا به فسوف يعلمون ) قال الله تعالى ( فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ) ما زادهم إلا نفورا ) أي ما ازدادوا إلا كفرا إلى كفرهم ثم بين ذلك بقوله ( استكبارا في الأرض ) أي استكبروا عن اتباع آيات الله ( ومكر السوء ) أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله ( ولا يحق المكر السوء إلا بأهله ) أي وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم . قال ابن أبي حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياك ومكر السوء فإنه لا يحق المكر السوء إلا بأهله ولهم من الله طالب » وقال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغى أو نكث وتصديقها في كتاب الله تعالى ( ولا يحق المكر السوء إلا بأهله ) ( إنما بيحك على أنفسكم ) ( ومن نكث فأنما ينكث على نفسه ) وقوله عز وجل ( فهل ينظرون إلا سنة الأولين ) يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ( ولن تجد لسنة الله تبديلا ) أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب ( ولن تجد لسنة الله تحويلا ) أي ( وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ) ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا \* وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جتتهم به من الرسالة سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد ، وكثرة الأموال والأولاد فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السموات والأرض ( إنه كان عليما قديرا ) أي عليم بجميع الكائنات قدير على مجموعها ثم قال تعالى ( ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ) أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : كأذا جعل أن يعذب في حجره يذنب ابن آدم ثم قرأ ( ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ) وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى ( ما ترك على ظهرها من دابة ) أي لما سقام المطرفات جميع الدواب ( ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ) أي ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازى بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل العصية ولهذا قال تبارك وتعالى ( فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيرا ) آخر تفسر سورة فاطر والله الحمد والمنة .

### ( تفسير سورة يس وهي مكية )

قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن. وهارون أبو محمد شيخ مجهول . وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف إسناده ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه منظور فيه أما حديث الصديق رضي الله عنه فرواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول ، وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الحباب حدثنا حميد هو السكي مولى آل علقمة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس » ثم قال لا نعلم رواه إلا زيد عن حميد . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ، ومن قرأ حم التى يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له » إسناده جيد . وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن إسحاق ابن إبراهيم مولى تقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خيشمة حدثنا محمد ابن ججادة عن الحسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له » وقد قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « البقرة سنم القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً . واستخرجت ( الله لا إله إلا هو الحى القيوم ) من تحت العرش فوصلت بها - أو فوصلت بسورة البقرة - ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له واقراءوها على موتاكم » وكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان به : ثم قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقراءوها على موتاكم » يعنى يس ورواه أبو داود والنسائي في اليوم واللييلة وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به إلا أن في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى ، وكان قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم . قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان قال : كان الشيخة يقولون إذا قرئت يعنى يس عند الميت خفف الله عنها بها . وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » يعنى يس

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يس - وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ \* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

قد تهدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن يس بمعنى يا إنسان ، وقال سعيد بن جبير هو كذلك في لغة الحبشة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى (والقرآن الحكيم) أى الحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (إنك) أى يا محمد (لمن المرسلين) على صراط مستقيم ( أى على منهج ودين قوم وشرع مستقيم ) (تنزيل العزيز الرحيم) أى هذا الصراط والمنهج والدين الذى جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى ( وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم \* صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ) . ر قوله تعالى ( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ) يعنى بهم العرب فإنه ما أتاهم من نذير من قبله وذكروهم وحدهم لا ينفي من عداهم

كما أن ذكر بعض الأفراد لا يفي العموم وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ) : وقوله تعالى ( لقد حق القول على أكثرهم ) قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم بأن الله تعالى قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون ( فهم لا يؤمنون ) بالله ولا يصدقون رسوله

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ \* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ \* وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخِرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾

يقول تعالى إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ولهذا قال تعالى ( فهم مقمحون ) والمقمح هو الرفع رأسه كما قالت أم زرع في كلامها : وأشرب فأتمم ، أى أشرب فأروى وأرفع رأسى تهنيتاً وتروياً ، واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين وإن كانتا مرادتين كما قال الشاعر :

لما أدري إذا يمت أرضاً \* أريد الخير أيها يليني  
أالخير الذي أنا أتبعه \* أم الشر الذي لا يأتيني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه : وهكذا هذا لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين ، قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى ( إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ) قال هو كقوله عز وجل ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ) يعنى بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير . وقال مجاهد ( فهم مقمحون ) قال رافعي ردوسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير وقوله تعالى ( وجعلنا من بين أيديهم سداً ) قال مجاهد عن الحق ( ومن خلفهم سداً ) قال مجاهد : عن الحق فهم يترددون . وقال قتادة في الضلالات وقوله تعالى ( فأغشيناهم ) أى أغشينا أبصارهم عن الحق ( فهم لا يبصرون ) أى لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه ، قال ابن جرير : وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقرأ ( فأغشيناهم ) بالعين المهملة من العشا وهو داء في العين ، وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم : جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه وقرأ ( إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) ثم قال : من منعه الله تعالى لا يستطيع . وقال عكرمة قال أبو جهل لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فأنزلت ( إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا — إلى قوله — فهم لا يبصرون ) قال وكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو ؟ لا يبصره ، رواه ابن جرير ، وقال محمد بن إسحق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال : قال أبو جهل وهم جلوس إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكاً فإذا تم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن ، وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرها على ردوسهم ويقرأ ( يس ) والقرآن الحكيم — حتى انتهى إلى قوله تعالى — وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباتوا رصداً على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال مالك ؟ قالوا نتظر محمداً

قال قد خرج عليكم لما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه تراباً ثم ذهب لحاجته ، فجعل كل رجل منهم ينفذ ما على رأسه من التراب . قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال « وأنا أقول ذلك إن لم مني لذبحاً وإنه لآخذهم » وقوله تبارك وتعالى ( وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ) أى قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به ، وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى ( إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) ( إنما تنذر من اتبع الذكر ) أى إنما ينتفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم ( وخشى الرحمن بالغييب ) أى حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل ( فبشره بمغفرة ) أى لذنوبه ( وأجر كريم ) أى كبير واسع حسن جميل كما قال تبارك وتعالى ( إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ) ثم قال عز وجل ( إنا نحن نحيي الموتى أى يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيى قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهدبهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب ( اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ) وقوله تعالى ( ونكتب ما قدموا ) أى من الأعمال ، وفي قوله تعالى ( وآثارهم ) قولان ( أحدهما ) نكتب أعمالهم التى باشروها بأنفسهم وآثارهم التى أثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله صلى الله عليه وسلم « من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » رواه مسلم من رواية شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه ، وفيه قصة مجتأى الثمار المضريين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى ابن سليمان الجعفي عن أبي الهيثم يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية ( ونكتب ما قدموا وآثارهم ) وقدرناه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره ، وهكذا الحديث الآخر الذى فى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذ مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . من علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده » وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضى الله عنه قال سمعت مجاهداً يقول فى قوله تعالى ( إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ) قال ما أورتوا من الضلالة وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى ( ونكتب ما قدموا وآثارهم ) يعنى ما أثروا ، يقول ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فإن كانت خيراً فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئاً ، وإن كانت شراً فلهم مثل أجورهم ولا ينقص من أوزار من عمل بها شيئاً ذكرها ابن أبي حاتم ، وهذا القول هو اختيار البغوى ( والقول الثانى ) أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية ، قال ابن أبي نجيب وغيره عن مجاهد ( ما قدموا ) أعمالهم ( وآثارهم ) قال خطاهم بأرجلهم ، وكذا قال الحسن وقتادة ( وآثارهم ) يعنى خطاهم وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره فى طاعة الله تعالى فليفعل . وقد وردت فى هذه المعنى أحاديث ( الحديث الأول ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ما أريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال ﷺ يا بني سلمة « دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم » وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهش بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضى الله عنه به ( الحديث الثانى ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد ابن الوزير الواسطي حدثنا إسحاق الأزرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال

كانت بنوا سلة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت ( إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ) فقال لهم النبي ﷺ « إن آثاركم تكتب » فلم ينتقلوا ، تفرد بإخراجه الترمذي عند تفسيره هذه الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ، ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمرو بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن طريف - وهو ابن شهاب أبو سفيان السعدي - عن أبي نضرة به ، وقد روى من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : إن بني سلة شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فنزلت ( ونكتب ما قدموا وآثارهم ) فأقاموا في مكاتهم وحدثنا محمد بن المثني حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية فآله أعلم ، ( الحديث الثالث ) قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبير حدثنا إسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت ( ونكتب ما قدموا وآثارهم ) فقالوا ثبت مكاننا ، هكذا رواه وليس فيه شيء مرفوع ، ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل عن ممالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت ( ونكتب ما قدموا وآثارهم ) فثبتوا في منازلهم ، ( الحديث الرابع ) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله عمرو رضي الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة فعلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال « ياليت مات في غير مولده » فقال رجل من الناس : ولم يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة » ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى وابن ماجه عن حرمة كلاهما عن ابن وهب عن حي بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو عميلة حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ يدي فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي فقال يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب ؟ وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى فانه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى والله أعلم وقوله تعالى ( وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ) أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ والإمام المبين ههنا هو أم الكتاب فآله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وكذا في قوله تعالى ( يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ) أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال عز وجل ( ووضع الكتاب وجيء بالبين والشهداء ) وقال تعالى ( ووضع الكتاب قترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا مع عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا )

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ \* قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا كَذِبُونَ \* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ \* وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾

يقول تعالى واضرب يا محمد قومك الذين كذبوك ( مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ) قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه أنها مدينة انطاكية وكان بها ملك يقال له انطيوخس ابن انطيوخس بن انطيوخس وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم

وهكذا روى عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة وأزهرى أنها انطاكية ، وقد استشكل بعض الأئمة كونها انطاكية بما سند كره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى

وقوله تعالى ( إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ) أي بادروها بالكذب ( ففرزنا ثالث ) أي قويناهما وشدنا أزرهما برسول ثالث قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبالي قال كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص والقرية انطاكية ( فقالوا ) أي لأهل تلك القرية ( إنا إليكم مرسلون ) أي من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له ، وقاله أبو العالية وزعم قتادة بن دعامة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل انطاكية ( قالوا ما أتم إلا بشر مثلنا ) أي فكيف أوحى إليكم وأتم بشر ونحن بشر فلم لا أوحى إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله عز وجل ( ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا ؟ ) أي استعجبوا من ذلك وأنكروه ، وقوله تعالى ( قالوا إن أتم إلا بشر مثلنا- تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتتونا بسلطان مبين ) وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون ) وقوله تعالى ( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ؟ ) ولهذا قال هؤلاء ( ما أتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أتم إلا تكذبون \* قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ) أي أجابهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أنا رسله إليكم ولو كنا كذبة عليه لا تقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى ( قل كفى بالله بيني وبينكم شميدا يعلم ما في السموات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ) ( وما علينا إلا البلاغ المبين ) يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم فاذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والأخرى وإن لم تجيبوا فاستعابون غب ذلك والله أعلم

﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ ﴾

فبعد ذلك قال لهم أهل القرية ( إنا تطيرنا بكم ) أي لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا . وقال قتادة يقولون إن أصابنا شر فإما هو من أجلكم . وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها ( لكن لم تأنهوا الترجمكم ) قال قتادة بالحجارة ، وقال مجاهد بالشم ( وليمسكنكم منا عذاب أليم ) أي عقوبة شديدة ، فقالت لهم رسلهم ( طائركم معكم ) أي مردود عليكم كقوله تعالى في قوم فرعون ( فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا بما طائرهم عند الله ) وقال قوم صالح ( اطيرنا بك وعن معك قال طائركم عند الله ) وقال قتادة ووهب بن منبه أي أعمالكم معكم . وقال عز وجل ( وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ ) وقوله تعالى ( أئن ذكركم بل أتم قوم مسرفون ) أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا بل أتم قوم مسرفون . وقال قتادة أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل أتم قوم مسرفون

﴿ وَجَاء مِنَ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَالِيَ لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ \* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْتَمِعُوا مِنِّي ﴾

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: إن أهل القرية هموا بقتل رسالهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسمى أى لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير وهو الحباك وكان رجلا سقيا قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة (١) ، وقال ابن إسحاق عن رجل ضمه عن الحكم عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه وقال الثورى عن عاصم الأحوال عن أبى مجاز كان اسمه حبيب بن مرى وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب النجار قتلته قومه وقال السدى كان قصارا وقال عمر بن الحكم كان إسكافا وقال قتادة كان يتصد في غار هناك ( قال يا قوم اتبعوا المرسلين ) يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم ( اتبعوا من لا يسألكم أجرا ) أى على إبلاغ الرسالة ( وهم مهتدون ) فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ( ومالى لا أعبد الذى فطرنى ) أى وما يمتنعى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له ( وإليه ترجعون ) أى يوم اللعاب فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ( آتخذ من دونه آلهة ) استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ( إن يردنى الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا يتقنون ) أى هذه الآلهة التى تصدونها من دونه لا يمكنون من الأمر شيئا فإن الله تعالى لو أرادنى بسوء ( فلا كاشف له إلا هو ) وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا يتقنونى مما أنا فيه ( إني إذا لفي ضلال مبين ) أى إن آخذتها آلهة من دون الله ، وقوله تعالى ( إني آمنت بربكم فامعون ) قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه ( إني آمنت بربكم ) الذى كفرتم به ( فامعون ) أى فامعوا قولى ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله ( إني آمنت بربكم ) أى الذى أرسلكم ( فامعون ) أى فاشهدوا لى بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى إني آمنت بربكم واتبعتمكم وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر فى المعنى والله أعلم ، قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب رضى الله عنهما فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه ، وقال قتادة جعلوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فأهم لا يملكون فلم يزالوا به حتى أقصوه وهو يقول كذلك قتلوه رحمه الله

( قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ \* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ \* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ )

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضى الله عنه أنهم وطشوه بأرجلهم حتى خرج قسه من دبره وقال الله له ( ادخل الجنة ) فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك أنه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب ( قال ياليت قومي يعلمون ) قال قتادة لا تلقى المؤمن إلا ناصحا لا تلقاه غاشا . لما طين ما طين من كرامة الله تعالى ( قال ياليت قومي يعلمون \* بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ) تبنى والله أن يعلم قومه بما طين من كرامة الله وما هجم عليه وقال ابن عباس نصح قومه فى حياته بقوله ( يا قوم اتبعوا المرسلين ) وبعد مماته فى قوله ( ياليت قومي يعلمون \* بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ) رواه ابن أبى حاتم وقال سفيان الثورى عن عاصم الأحوال عن أبى مجاز ( بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ) بإعانة ربى وتصديق المرسلين ومتصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لى من هذا الثواب والجزاء والنعم اللقيم لقادم ذلك إلى اتباع الرسل فرحمه الله ورضى عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد بن عبد الملك بنى ابن عمير قال : قال عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه لئن صلى الله عليه وسلم ابغى إلى قومي أدهوهم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أخاف أن



يقتلوك » فقال لو وجدوني نائما ما أيقظوني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « انطلق » فانطلق فر على اللات والعزى فقال لأصبحنك غدا بما يسوءك فغضبت ثقيف فقال يا معشر ثقيف إن اللات لالات وإن العزى لاعزى وأسلموا تسلموا ، يا معشر الأحلاف إن العزى لا عزى وإن اللات لالات أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هذا مثله كمثل صاحب يس » ( قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ) . وقال محمد بن إسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول نعم ثم يقول أتشهد أنى رسول الله فيقول لا أسمع فيقول له مسيلة لعنه الله أسمع هذا ولا تسمع ذاك ؟ فيقول نعم ففعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب . وقوله تبارك وتعالى ( وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ) يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبامنه تبارك وتعالى عليهم لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم بل الأمر كان أيسر من ذلك . قاله ابن مسعود فيها رواه ابن إسحق عن بعض أصحابه أنه قال في قوله تعالى ( وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ) أى ما كثرناهم بالجموع ، الأمر كان أيسر علينا من ذلك ( إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ) قال فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهلك أهل انطاكية فبادوا عن وجه الأرض فلم يبق منهم باقية وقيل ( وما كنا منزلين ) أى وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكتناهم بل نبعث عليهم عذابا يدمرهم ، وقيل المعنى في قوله تعالى ( وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء ) أى من رسالة أخرى إليهم قاله مجاهد وقتادة قال قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ( إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ) قال ابن جرير والأول أصح لأن الرسالة لا تسمى جنداً . قال المفسرون بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضا دى باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم لم تبق بهم روح تردد في جسد ، وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي انطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره ، وفى ذلك نظر من وجوه ( أحدها ) أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى ( إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ) - إلى أن قالوا - ربنا إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين ) ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم ( إن أتم إلا بشر مثلنا ) ( الثانى ) أن أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى إحدى اللدائن الأربعة اللاتى فهن بئاركة وهن القدس لأنها بلد المسيح وانطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والاسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البئاركة والبطاركة والاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهايين . ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذى نصر دينهم وأوطده ، ولما ابنتى القسطنطينية نقلوا البئاركة من رومية إليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين فإذا تقرر أن انطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكرا لله تعالى أنهم كذبوا رسله وأنه أهلكتهم بصيحة واحدة أخدمتهم والله أعلم ( الثالث ) أن قصة انطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يمهت عليهم بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى ( ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكتنا القرون الأولى ) فضى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة فى القرآن قرية أخرى

غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً . أو تكون انطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذا القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في اللغة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم ، فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا الحسين بن أبي السرى العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « السبق ثلاثة : فالسابق إلى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب يس ، والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه » فانه حديث منكر لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر وهو شيعى متروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿ يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ \* وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( يا حسرة على العباد ) أي يا ويل العباد وقال قتادة ( يا حسرة على العباد ) أي يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله ، وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسهم ومعنى هذا يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله فانهم كانوا في الدار الدنيا الكذوبون منهم ( ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ) أي يكذبونه ويستهزئون به ويحسدون ما أرسل به من الحق ثم قال تعالى ( ألم يروا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ) أي ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من الكذابين للرسول كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهالتهم وفجرتهم من قولهم ( إن هي إلا حياتنا الدنيا موت ونحي ) وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى ( ألم يروا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ) وقوله عز وجل ( وإن كل لما جميع لدينا محضرون ) أي وإن جميع الأمم الماضية والآية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، ومعنى هذا كقوله جل وعلا ( وإن كلا لما يوفينهم ربك أعمالهم ) وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ ( وإن كل لما ) بالتخفيف فعنده أن إن للاثبات ومنهم من شدد ( لما ) وجعل ان نافية ولما بمعنى إلا ، تقديره وما كل إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى ( وآية لهم ) أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى ( الأرض الميتة ) أي إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات ، فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى ( أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ) أي جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم ( وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ) أي جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون إليها لياكلوا من ثمره : لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها . وقوله جل وعلا ( وما عملته أيديهم ) أي وما ذاك كله إلا من رحمة تعالى الله بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة ولهذا قال تعالى ( أفلا يشكرون ) أي فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد

ولا تحصى ، واختار ابن جرير - بل جزم به ، ولم يحك غيره إلا احتيالا - أن ما في قوله تعالى ( وما عملته أيديهم ) بمعنى الذي تقديره ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أي غرسوه ونصبوه ، قال وهى كذلك في قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ( ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ) ، ثم قال تبارك وتعالى ( سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ) أى من زروع وثمار ونبات ( ومن أنفسهم ) فجعلهم ذكراً وأثى ( وما لا يعلمون ) أى من مخلوقات شئ لا يعرفونها كما قال جلست عظمتها ( ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون )

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَاذَاهُمْ مُظْلِمُونَ \* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ \* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضائه وجعلهما يتعاقبان يحيى هذا فيذهب هذا ، ويذهب هذا فيجىء هذا كما قال تعالى ( يفتى الليل النهار يطلبه حثيثا ) ولهذا قال عز وجل ههنا ( وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ) أى نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى ( فاذا هم مظلمون ) كما جاء في الحديث « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى ( يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ) وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا ، وقال إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا وليس هذا مرادا في هذه الآية وهذا الذى قاله ابن جرير حق . وقوله جل جلاله ( والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ) فى معنى قوله ( لمستقر لها ) قولان أحدهما أن المراد مستقرها المكانى وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب وهى أينما كانت فهى تحت العرش وهى وجميع المخلوقات لأنه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة ، وإنما هوقبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس فالشمس إذا كانت فى قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش ، فإذا استدارت فى فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون إلى العرش فحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث . قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضى الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ فى المسجد عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم « يا أباذر أتدرى أين تقرب الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى ( والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز ) » حدثنا عبدالله بن الزبير الحميدى حدثنا وكيع حدثنا عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضى الله عنه ، قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تبارك وتعالى ( والشمس تجري لمستقر لها ) قال صلى الله عليه وسلم « مستقرها تحت العرش » هكذا أورده ههنا ، وقد أخرجه فى أماكن متعددة ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله ﷺ فى المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم « يا أباذر أتدرى أين تذهب الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال صلى الله عليه وسلم « فانها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه عز وجل فتستأذن فى الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فترجع إلى مطلعها وذلك مستقرها - ثم قرأ - ( والشمس تجري لمستقر لها ) » وقال سفيان الثورى عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس « أتدرى أين تذهب ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك

أن تسجد فلا يقبل منها ؟ وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتقطع من مغربها فذلك قوله تعالى ( والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم )

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال في قوله تعالى ( والشمس تجري لمستقرها ) قال إن الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى إذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى إذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول إن السير بعيد وإني إن لا يؤذن لي لأبلغ فتحبس ماشاء الله أن تحبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال فن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينع نقسا لإيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا . وقيل المراد بمستقرها هواتها سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض ( والقول الثاني ) أن المراد بمستقرها هومنتها سيرها وهو يوم القيامة يُبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور ويتبى هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني قال قتادة ( لمستقرها ) أي لوقتها ولأجل لاعتدوه ، وقيل المراد أنها لا تنزل تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها ، يروي هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ( والشمس تجري لمستقرها ) أي لا قرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة ليلا ونهاراً لا تفر ولا تقف كإلهة تبارك وتعالى ( وسخر لكم الشمس والقمر دائمين ) أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة ( ذلك تقدير العزيز ) أي الذي لا يخالف ولا يمانع ( العليم ) بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تماكس كما قال عز وجل ( فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا ذلك تقدير العزيز العليم ) وهكذا حتم آية خم السجدة بقوله تعالى ( ذلك تقدير العزيز العليم ) ثم قال جل وعلا ( والقمر قدرنا منازل ) أي جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به على مضي الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل ( يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ) . وقال تعالى ( هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ) الآية وقال تبارك وتعالى ( وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ) فجعل الشمس لها ضوء يخصها والقمر له نور يخصه وفاوت بين سير هذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفا وشتاء يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهاري ، وأما القمر فقدرة منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالمرجون القديم . قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل العذق ، وقال مجاهد المرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن عباس رضي الله عنهما أصل العنقود من الرطب إذا عتق وييس وانحنى ، وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا بيديه الله تعالى جديدا في أول الشهر الآخر والعرب تسمى كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر فيسمون الثلاث الأول غرر واللواتي بعدها نقل ، واللواتي بعدها تسع لأن أواخرها التاسعة في اللواتي بعدها عشر لأن أولها من العاشرة واللواتي بعدها البيض لأن ضوء القمر فيهن إلى آخرهن ، واللواتي بعدها بدع جمع درع لأن أولهن أسود لتأخر القمر في أولهن منه ، ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود وبدعن ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس وثلاث دأدى وثلاث عماق لأن عماق القمر أول الشهر فيهن ، وكان أبو عبيدة رضي الله عنه ينكر التسع والعشر . كذا قال في كتاب غريب للسنف . وقوله تبارك وتعالى ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ) قال مجاهد لكل منهما حد لا يسدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا ، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن في قوله تعالى ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ) قال ذلك ليلة الهلال . وروى ابن أبي حاتم ههنا عن عبد الله بن المبارك أنه قال إن للريح جناحا

وإن القمر يأوى إلى غلاف من الماء ، وقال الثوري عن إسماعيل بن أبي خاله عن أبي صالح لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا . وقال عكرمة في قوله عز وجل ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ) يعني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل . وقوله تعالى ( ولا الليل سابق النهار ) يقول لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ، وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا وأوماً بيده إلى الشرق ، وقال مجاهد ( ولا الليل سابق النهار ) يطلبان حثيثين يسلم أحدهما من الآخر ، والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لأنهما مسخران دائمين يتطلبان طلبا حثيثا . وقوله تبارك وتعالى ( وكل في فلك يسبحون ) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء . قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والأرض . رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكة كفلكة المنزل ، وقال مجاهد الفلك كحديدة الرمح أو كفلكة المنزل لا يدور المنزل إلا بها ولا تدور إلا به

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ \* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ \* وَإِنْ نَشَأْ نُفْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ \* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى ودلالة لهم أيضا على قدرته تبارك وتعالى تسخير البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل ( وآية لهم أنا حملنا ذريتهم ) أي آباءهم ( في الفلك المشحون ) أي في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : المشحون الموقر ، وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي ، وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام . وقوله جل علا ( وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الإبل فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة في رواية وعبد الله بن شداد وغيرهم ، وقال السدي في رواية هي الأنعام . وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتدرون ما قوله تعالى ( وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) قلنا لا ، قال هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها ، وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تعالى ( وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) أي السفن ، ويقوى هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا ( إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية \* لنجعلها لكم تذكرا ونعيبها أذن واعية ) . وقوله عز وجل ( وإن نشأ نفرقهم ) يعني الذين في السفن ( فلا صريح لهم ) أي فلا مغيث لهم مما هم فيه ( ولا هم ينقدون ) أي مما أصابهم ( إلا رحمة منا ) وهذا استثناء منقطع تقديره ولكن برحمتنا نسركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى ( ومتاعا إلى حين ) أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطِقُوا لَنَا مِمَّا نُرِيهَاهُمْ أَنْطِقُوا لَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تمادى الشركين في غيهم وضلالهم وعدم اكرامهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة ( وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ) قال مجاهد من الذنوب وقال غيره بالعكس ( لعلكم ترحمون ) أى لعل الله بانقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام أنهم لا ينجون إلى ذلك بل يعرضون عنه ، واكتفى عن ذلك بقوله تعالى ( وما تأتيهم آية من آيات من ربهم ) أى على التوحيد وصدق الرسل ( إلا كانوا عنها معرضين ) أى لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها . وقوله عز وجل ( وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ) أى وإذا أمروا بالاتفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمجاورين من المسلمين ( قال الذين كفروا للذين آمنوا ) أى عن الذين آمنوا من الفقراء أى قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالاتفاق محاجين لهم فيما أمرهم به ( أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ) أى هؤلاء الذين أمرعونا بالاتفاق عليهم لولاء الله لأغنائهم ولأطعمهم من رزقه فحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ( إن أتم إلا في ضلال مبين ) أى فى أمركم لنا بذلك ، قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم فقال لهم ( إن أتم إلا فى ضلال مبين ) وفى هذا نظر والله أعلم

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ \* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ \* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة فى قولهم ( متى هذا الوعد ) ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ) قال الله عز وجل ( ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ) أى ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع ، ينفخ فى الصور نفخة الفزع والناس فى أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عاداتهم فينبأهم كذلك إذ أمر الله عز وجل إسرافيل فنفخ فى الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتهاورفع لينا وهى صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء ، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى ( فلا يستطيعون توصية ) أى على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك ( ولا إلى أهلهم يرجعون ) وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها فى موضع آخر ، ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التى تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحى القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ \* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ \* فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ سُوءًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿

هذه هى النفخة الثالثة وهى نفخة البعث والنشور لقيام من الأجداث والقبور ولهذا قال تعالى ( فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ) والنسلان هو المشى السريع كما قال تعالى ( يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون \* قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ ) يعنون قبورهم التى كانوا يعتقدون فى الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها فلما عاينوا ما كذبوا به فى محشرهم ( قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ) وهذا لا ينفى عذابهم فى قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده فى الشدة كالرقاد . قال أبو بن كعب رضى الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة : ينامون نومة قبل البعث قال قتادة وذلك بين النفختين فلذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون ، قاله غير واحد من السلف ( هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ) وقال الحسن إنما يجيبهم بذلك اللائكة ، ولا منافاة إذا الجمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم . وقال عبد الرحمن بن زيد : الجميع من قول الكفار ( يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ) نقله ابن جرير واختار الأول وهو أصح وذلك كتقوله تبارك وتعالى فى الصفات ( وقالوا

يا ويلنا هذا يوم الدين \* هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ( وقال الله عز وجل ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون \* وقال الدين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون )

وقوله تعالى ( إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ) كقوله عز وجل ( فإمّا هي زجرة واحدة \* فإذا هم بالساهرة ) وقال جلت عظمتة ( وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ) وقال جل جلاله ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ) أى إنما تأمرهم أمرا واحدا فإذا أجمع محضرون ( فالיום لا تظلم نفس شيئا ) أى من عملها ( ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون )

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ \* هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِدُونَ \* لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ \* سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات فزولوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والنور العظيم ، قال الحسن البصرى وإسماعيل بن أبى خالد في شغل عمافيه أهل النار من العذاب ، وقال مجاهد ( في شغل فاكهون ) أى في نعيم معجبون أى به . وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاكهون أى فرحون ، قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن المسيب وعكرمة والحسن وقاتدة والأعمش وسليمان التيمي والأوزاعى في قوله تبارك وتعالى ( إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ) قالوا شغلهم اقتضاض الأبقار ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه ( في شغل فاكهون ) أى بسماع الأوتار ، وقال أبو حاتم لعله غلط من المستمع وإنما هو اقتضاض الأبقار . وقوله عز وجل ( هم وأزواجهم ) قال مجاهد وحلائلهم ( في ظلال ) أى في ظلال الأشجار ( على الأرائك متكئون ) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقاتدة والسدى وخفيف ( الأرائك ) هى السرر تحت الحجال [ قلت ] نظيره فى الدنيا هذه التخوت تحت البشائخ والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله عز وجل ( لهم فيها فاكهة ) أى من جميع أنواعها ( ولهم ما يدعون ) أى مها طلبوا وجدوا من جميع أصناف اللذات . قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن مهاجر عن الضحاك العافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أأهل مشمر إلى الجنة إاقان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور كلها يتلأأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ونهر مطرد ، وثمرة نصيجة ، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ، ومقام فى أبدي فى دار سلامة . وفاكهة خضرة وخير ونعمة فى محلة عالية بهية » قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال **ﷺ** « قولوا إن شاء الله » فقال القوم إن شاء الله ، وكذا رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به . وقوله تعالى ( سلام قولا من رب رحيم ) قال ابن جريج قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( سلام قولا من رب رحيم ) فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما كقوله تعالى ( تهيتهم يوم يلقونه سلام ) . وقد روى ابن أبى حاتم هنا حديثا وفى إسناده نظر فانه قال : حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشولرب حدثنا أبو عاصم العبادانى حدثنا الفضل الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله **ﷺ** « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرقموا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى ( سلام قولا من رب رحيم ) قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبق نوره وبركته عليهم وفى ديارهم » ورواه ابن ماجه فى كتاب السنة

من سننه عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به ، وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله تعالى ( سلام قولا من رب رحيم ) فيقول الله عز وجل: سلوني، فيقولون ماذا نسألك أي رب اقل بل سلوني، قالوا نسألك أي رب رضاك ، قال رضائي أحلكم دار كرامتي قالوا يا رب فما الذي نسألك فوعزت لك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمنهم ولأسقينهم ولألبسنهم ولأخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيئا . قال تعالى إن لدى مزيداً قال فيفعل ذلك بهم في درجهم حتى يستوى في مجلسه ، قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها إليهم الملائكة ثم ذكر نحوه . وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم .

﴿ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ \* أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى ( ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم ) وقال عز وجل ( ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون ) ( يومئذ يصدعون ) أي يصيرون صدعين فرقتين ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون \* من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ) ، وقوله تعالى ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ) هذا تعريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى ( وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ) أي قد أمرتكم في دار الدنيا بمصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتهم غير ذلك واتبعت الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل ( ولقد أضل منكم جبلا كثيراً ) يقال جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام ، ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقناة والسدي وسفيان بن عيينة . وقوله تعالى ( أفلم تكونوا تعقلون ) أي ألما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدولكم إلى اتباع الشيطان . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين \* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم \* ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون \* هذه جهنم التي كنتم توعدون ) ( وامتازوا اليوم أيها المجرمون ) فيتميز الناس ويبحثون وهي التي يقول الله عز وجل ( وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ) »

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كنتم تُوعَدُونَ \* أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون \* اليوم نخضع على أفواههم وتكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون \* ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأبى يبصرون \* ولو نشاء لمسخنهم على مكائبتهم فما استطعوا مضياً ولا يرجعون ﴾

يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريبا وتويخا ( هذه جهنم التي كنتم توعدون ) أي هذه إلى حذرتم الرسل فكذبتموهم ( أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ) كما قال تعالى ( يوم يدعون إلى نار جهنم دعا



هذه النار التي كنتم بها تكذبون \* أفسح هذا أم أتم لا تبصرون ) وقوله تعالى ( اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ) هذا حال الكفار والنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجتموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبة إبراهيم ابن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون مم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى ، فيقول لا أجزى على إلا شاهدا من نفسي ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانها انطق فتنتطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فنحن كنت أناضل » وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به . ثم قال النسائي لأعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث غريب والله تعالى أعلم . كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عن عبد الملك بن عمرو الأسدي وهو العقدي عن سفيان ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « إنكم تدعون مفدما على أفوهكم بالقدم فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به ، وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه « ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت فيقول أنا عبدك آمنت بك وبنيك وبكتابك وصمت وصدقت ويثنى بخير ما استطاع - قال - فيقال له ألا نبعث عليك شاهدا ؟ - قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطق - قال - فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه » ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مضمض بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى » ورواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن إسماعيل بن عياش به مثله . وقد جرد إسناده الإمام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن مضمض بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن حدثنا عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة قال أبو موسى هو الأشعري رضى الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه به عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستره منها قال فما على الأرض خليفة ترى من تلك الذنوب شيئا وتبدوا حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه به عمله فيجمد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك مالم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته فاذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه فاني أجسب أول ما ينطق منه الفخذ اليميني ثم تلا ( اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ) وقوله تبارك وتعالى ( ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فاني يبصرون ) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسيرها يقول ولو نشاء لأضلناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال مرة أعميناهم وقال الحسن البصري لو نشاء الله لطمس على أعينهم فجعلهم عميا يرددون وقال السدي يقول ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدي فاستبقوا الصراط يعنى الطريق وقال ابن زيد يعنى

بالصراط ههنا الحق فأنى يبصرون وقد طمستنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما فأنى يبصرون لا يبصرون الحق . وقوله عز وجل (ولو نشاء لمسخناهم على مكاتهم) قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أهلكتناهم وقال السدى يعنى لغيرنا خلقهم . وقال أبو صالح لجلناهم حجارة ، وقال الحسن البصرى وقتادة لأقعدهم على أرجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى (فما استطاعوا مضياً) أى إلى أمام (ولا يرجعون) إلى وراء بل يلزمون حالاً واحداً لا يتقدمون ولا يتأخرون .

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ \* وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ \* لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) وقال عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لادار دوام واستقرار ولهذا قال عز وجل (أفلا يعقلون) أى يتفكرون بعقولهم فى ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى سن الشيبة ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لازوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهى الدار الآخرة ، وقوله تبارك وتعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) يقول عز وجل مجزاً عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما علمه الشعر (وما ينبغي له) أى ما هو فى طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضية جبلته ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه ، وقال أبو زرعة الرازى حدثنا إسماعيل بن مجاهد عن أبيه عن الشعبي أنه قال ما ولد عبد المطلب ذكراً ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله ﷺ ذكره ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبي لهب الذى أكله الأسد بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصرى قال إن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت \* كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهياً \* فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله \* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهياً \* قال أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما: أشهد أنك رسول الله يقول تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وهكذا روى البيهقى فى الدلائل أن رسول الله ﷺ قال: لعباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه «أنت القائل: \* أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعينة \*» فقال إنما هو بين عينة والأقرع فقال ﷺ «السكر سواء» يعنى فى المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم . وقد ذكر السهلبى فى الروض الأنف لهذا التقديم والتأخير الذى وقع فى كلامه ﷺ فى هذا البيت مناسبة أغرب فيها ، حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عينة بن بدر الفزارى لأنه ارتد أيام الصديق رضى الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم ، وهكذا روى الأدهم فى معانيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشى بين القتلى يوم بدر وهو يقول «تلق هاما» فيقول الصديق رضى الله عنه منما للبيت

من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

وهذا لبعض شعراء العرب فى قصيدة له وهى فى الحماسة وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفه: \* ويأتيك بالأخبار من لم تزود \* وهكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها ورواه الترمذى والنسائى أيضاً من حديث المقدم بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها كذلك ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أسامة عن زائد عن

سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يتمثل من الأشعار  
\* ويأتيك بالأخبار من لم تزود \* ثم قال ورواه غير زائدة عن سماك عن عطية عن عائشة رضى الله عنها وهذا في شعر  
طرفه بن العبد في معلقته المشهورة وهذا المذكور عجز بيت منها أوله

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له  
بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضى الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشئ من الشعر ؟ قالت  
رضى الله عنها كان أبيض الحديث إليه غير أنه ﷺ كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله  
فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ « إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي »  
رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر عن قتادة بلغني أن عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان  
رسول الله ﷺ يتمثل بشئ من الشعر فقال رضى الله عنها لا إلا بيت طرفه

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل صلى الله عليه وسلم يقول « من لم تزود بالأخبار » فقال أبو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم  
« إني لست بشاعر ولا ينبغي لي » وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد  
ابن نعيم وكيل المتنى ببغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضريري حدثنا علي بن عمرو والأنصاري حدثنا سفيان  
ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيتا واحدا  
تفادل بما تهوى يكن فلقما  
يقال لشئ كان إلا تحقفا

سألت شيخنا الحافظ أبا الحلج المزى عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضريري وثبت  
في الصحيح أنه ﷺ تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ولكن تبعا لقول أصحابه رضى الله  
عنهم فانهم كانوا يرجزون وهم يحفرون فيقولون

لا هم لولا أنت ما اهتدينا \* ولا تصدقنا ولا صلينا \* فأنزلنا سكينتنا علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا \* إن الأولى قد بغوا علينا \* إذا أرادوا فتنة أينا

ويرفع ﷺ صوته بقوله أينا ويمدها وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضا ، وكذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين  
وهو راكب البغلة يقدم بها في نحر العدو .

أنا النبي لا كذب \* أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد إليه وكذلك ما ثبت في الصحيحين  
عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنكبت أصبعه فقال صلى الله عليه وسلم  
هل أنت إلا أصبع دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت  
وسياتى عند قوله تعالى ( إلا اللهم ) إنشاد

إن تغفر اللهم تغفر لنا  
وأى عبد لك ما ألما

وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعرا وما ينبغي له فان الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم ( الذى لا يأتيه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) وليس هو بشعر كازعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة  
ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة  
الشعر طبعا وشعرا كما رواه أبو داود قال حدثنا عبيد الله بن عمرو حدثنا عبد الله بن سويد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا  
شر حبيب بن يزيد المعافري عن عبد الرحمن بن رافع التبوخي قال سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول سمعت  
رسول الله ﷺ يقول « ما أبالي ما أوتيت إن أنا شربت ترياقا أو تعلقت تيممة أو قلت الشعر من قبل نفسي »

تفرد به أبو داود وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسائق عنده الشعر؟ فقالت قد كان أبغض الحديث إليه ، وقال عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدماء ويدع ما بين ذلك وقال أبو داود حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيثا خيرا له من أن يمتلىء شعرا » انفرد به من هذا الوجه وإسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قزعة بن سويد الباهلي عن عاصم بن مغلله عن أبي الأشعث الصنعاني ح وحدثنا الأشيب فقال عن ابن عاصم عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لا إنشاده والله أعلم ، على أن الشعر فيه ماهو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبدالله ابن رواحة وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين ، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمن شعره وكفر قلبه » وقد أشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول ﷺ عقب كل بيت « هيه » يعني يستطيعه فيزيده من ذلك ، وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكا » ولهذا قال (وما علمناه الشعر) يعني محمد صلى الله عليه وسلم ما علمه الله الشعر (وما ينبغي له) أي وما يصلح له (إن هو ذكر وقرآن مبين) أي ما هذا الذي علمناه (إلا ذكر وقرآن مبين) أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره ولهذا قال تعالى (لينذر من كان حيا) أي لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقال جل وعلا (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وإنما ينتفع بذاكرته من هو حي القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حي القلب حي البصر وقال الضحاك يعني عاقلا (ويحق القول على الكافرين) أي هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين .

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ \* وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم (فهم لها مالكون) قال قتادة مطيقون أي جعلهم يهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لوجاء صغير إلى كبير لأناخه ولوشاء لأقامه وساقه وذلك دليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير ، وقوله تعالى (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) أي منها ما يركبون في الأسفار ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار (ومنها يأكلون) إذا شاءوا نحرروا واجتزروا (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أئانا ومتاعا إلى حين (ومشارب) أي من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك (أفلا يشكرون) أي أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره ؟

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ \* لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرهم وهم لهم جند محضرون \* فَلَا يَخْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقرهم إلى الله زلفى قال الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من

ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها ولا الانتقام ممن أراها بسوء لأنها حماد لا تسمع ولا تعقل ، وقوله تبارك وتعالى ( وهم لهم جند محضرون ) قال مجاهد يعنى عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم وقال قتادة ( لا يستطيعون نصرهم ) يعنى الآلهة ( وهم لهم جند محضرون ) والمشركون يفضبون للآلهة في الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا إنما هى أصنام وهكذا قال الحسن البصرى وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى ، وقوله تعالى ( فلا يحزنك قولهم ) أى تكذيبهم لك وكفرهم بالله ( إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ) أى نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزئهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ \* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُتَوَقِدُونَ ﴾

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدى وقاتة جاء أبى بن خلف لعنه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم يبعثك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار » ونزلت هذه الآيات من آخر يس ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ) إلى آخرهن ، وقال بن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان ابن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن العاصى بن وائل أخذ عظم من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبعث الله هذا بعد ما أرى اققال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم يبعثك الله ثم يحْيِيك ثم يدخلك جهنم » قال ونزلت الآيات من آخر يس ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضى الله عنها وروى من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء عبد الله بن أبي يعقوب ففته وذكر نحو ما تقدم ، وهذا منكر لأن السورة مكية وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبى بن خلف أو العاصى بن وائل أو فيهما فهى عامة في كل من أنكر البعث ، والألف واللام في قوله تعالى ( أولم ير الإنسان ) للجنس يعنى كل منكر للبعث ( أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ) أى أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلاله من ماء مهين فخلق من شئ حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل ( ألم نخلقكم من ماء مهين \* فجعلناه في قرار مكين \* إلى قدر معلوم ) وقال تعالى ( إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ) أى من نطفه من أخلاط متفرقة فالذى خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته كما قال الإمام أحمد فى مسنده حدثنا أبو الوليد حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن ججاش قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى بنى آدم أتى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أصدق وأنى أو ان الصدقة ؟ » ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به ولهذا قال تعالى ( وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ) أى استبعد إعادة الله تعالى ذى القدر العظيمة التى خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميمة ونسى نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره

وججده ولهذا قال عز وجل ( قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) أى يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهب وأين تفرقت وتمزقت ، قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربهى قال : قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضى الله عنهما : ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « إن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لى حطباً كثيرا جزلائم أوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتحشت فخذوها فدقوها فذروها فى اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى إليه ثم قال له لم فعلت ذلك ؟ قال من خشيتك فففر الله عز وجل له » فقال عقبة بن عمرو : وأنا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان نباشا ، وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بألفاظ كثيرة منها أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فى يوم رائج أى كثير الهواء ففعلوا ذلك ، فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فإذا هو رجل قائم فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال : مخافتك وأنت أعلم ، فما تلافاه أن غفر له ، وقوله تعالى ( الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون ) أى الذى بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نظرا ذا ثمر وينبع ثم أعاده إلى أن صار حطبيا يابساً توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء . قال قتادة فى قوله ( الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون ) يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه ، وقيل المراد بذلك شجر المريح والغفار ينبت فى أرض الحجاز فى أى من أراد قدح نار وليس معه زناد فىأخذ منه عودين أخضرين ويقدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء وروى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وفى المثل : لكل شجر نار واستمجد المريح والغمار ، وقال الحكماء فى كل شجر نار إلا العناب

﴿ أَوْ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ \* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* فَسَبِّحْنِ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا منبها على قدرته العظيمة فى خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثواب والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشدا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة كقوله تعالى ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ) وقال عز وجل ههنا ( أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ ) أى مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم ، قاله ابن جرير ، وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل ( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يمس بحلقهم بقادر على أن يحيى الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير ) وقال تبارك وتعالى ههنا ( بلى وهو الخلاق العليم \* إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ) أى إنما يأمر بالشيء أمرا واحدا لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد

إذا ما أراد الله أمرا فإنما \* يقول له كن قوله فيكون

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن نمير حدثنا موسى بن السيب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى ذر رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يقول يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم وكلكم فقير إلا من أغنيت ، إى جواد ماجد واجداً فعل ما أشاء ، عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئا فأنما أقول له كن فيكون » . وقوله تعالى ( فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ) أى تنزيهه وتقديسه وتبرئته من السوء للذى القيوم الذى بيده مقاليد السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه ترجع العباد يوم العباد فيجازى كل عامل بعمله وهو العادل النعم التفضل . ومعنى قوله سبحانه وتعالى ( فسبحان

الذي بيده ملكوت كل شيء) كقوله عز وجل (قل من بيده ملكوت كل شيء ؟) وكقوله تعالى ( تبارك الذي بيده الملك ) فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت ، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح والصحيح الأول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم . قال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا حماد عن عبد الملك بن عمير حدثني ابن عم حذيفة عن حذيفة - وهو ابن العيمان - رضي الله عنه قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في ركعات وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال مع الله لمن حمده - ثم قال - الحمد الذي ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة « وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي . وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن رجل من بني عباس عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وكان يقول « الله أكبر - ثلاثاً - ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه وكان يقول في ركوعه « سبحان ربى العظيم » ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحواً من ركوعه وكان يقول في قيامه « لربى الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه وكان يقول في سجوده « سبحان ربى الأعلى » ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدين نحواً من سجوده وكان يقول « رب اغفر لى رب اغفر لى » فعلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام - شك شعبة - هذا لفظ أبي داود . وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة كذا قال والأشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الإمام أحمد والله أعلم . وأما روايه صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فانه في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو ابن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ، ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به . آخر تفسير سورة يس والله الحمد والمنة

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ، وأوله سورة الصافات

﴿ الجزء الثالث من تفسير ابن كثير ﴾

٤٠٦	نبأ سيدنا نوح مع قومه	٢٠٣	( تفسير سورة الحج )	٢	( تفسير سورة سبحان )	
٤٠٧	نبأ سيدنا إبراهيم عليه السلام	٢١٥	أذان سيدنا إبراهيم بالحج	٢	قصة الاسراء والمعراج	
٤٢٢	( تفسير سورة الروم )	٢٢٤	دفاع الله عن المؤمنين	٢٤	إتياء سيدنا موسى عليه السلام	
٤٢٩	آيات الدالة على قدرته عز وجل	٢٣٧	( تفسير سورة المؤمنون )	التوراة ٢٧	كتاب الأعمال	
٤٤١	( تفسير سورة لقمان )	٢٤٠	بيان كيفية خلق الإنسان	٢٨	بعثة الرسل ٣٢	
٤٤٤	وصية لقمان لابنه	٢٦٠	( تفسير سورة النور )	٣٣	القرون الماضية بعد نوح	
٤٥٦	تفسير سورة السجدة	٢٦٥	ما جاء في اللعان ٢٦٨	٣٣	هلاك من آثر الدنيا على الآخرة	
٤٥٨	صفات المؤمنين	٢٧٨	الأمر بالاستئذان	٣٧	الأمر بالتوسط في الانفاق	
٤٦٥	( تفسير سورة الأحزاب )	٢٨١	أمر المؤمنين بغض أبصارهم	٥١	تكريم بنى آدم	
٤٦٧	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم الخ	٢٨٢	أمر المؤمنات بغض أبصارهن	٦٠	الكلام على الروح	
٤٦٩	أخذ العهد على الأنبياء	٢٨٦	الأمر بكناح الأيادي المؤمنات	٦٢	لو اجتمع الإنس والجن على أن	
٤٧٤	الأمر بالاعتداء برسول الله صلى	٢٨٩	تفسير قوله تعالى : الله نور	يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا	٦٦	إتياء موسى عليه السلام التسع آيات
	الله عليه وسلم		السموات والأرض	٧٠	( تفسير سورة الكهف )	
٤٨٢	فضل أمهات المؤمنين	٢٩٢	الأمر ببناء المساجد وتعظيمها	٧٢	قصة أصحاب الكهف	
٤٨٧	ما أعد الله للمؤمنين والمؤمنات	٣٠٨	( تفسير سورة الفرقان )	٨٢	قصة صاحب الجنتين	
٤٩٤	الأمر بالإكثار من ذكر الله	٣٢٤	صفات عباد الرحمن		قصة سيدنا موسى مع الخضر	
٥٠٣	آية الحجاب ٥٠٦	٣٣٠	( تفسير سورة الشعراء )	١٠٠	قصة ذى القرنين	
	على النبي ﷺ	٣٣١	قصة سيدنا موسى مع فرعون	١١٠	تفسير سورة مريم	
٥١٨	أمر المؤمنات بتطويل الثياب	٣٣٧	قصة سيدنا إبراهيم مع قومه	١١٠	قصة سيدنا زكريا عليه السلام	
٥٢٤	( تفسير سورة سبأ )	٣٤٠	قصة سيدنا نوح مع قومه	١١٤	قصة السيدة مريم	
٥٢٧	تسخيره الريح والجن لسيدنا سليمان	٣٤١	قصة سيدنا هود مع قومه	١٢٢	قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام	
٥٣٠	قصة سبأ ٥٣٨	٣٤٤	قصة سيدنا لوط مع قومه	١٢٤	قصة سيدنا موسى عليه السلام	
	إلى الناس كافة	٣٤٥	قصة سيدنا شعيب مع قومه	١٢٥	قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام	
٥٤٦	( تفسير سورة فاطر )	٣٥٥	( تفسير سورة النمل )	١٢٦	قصة سيدنا إدريس عليه السلام	
٥٤٦	ما يفتح الله للناس من رحمة فلا	٣٥٦	قصة سيدنا موسى مع فرعون	١٣١	للرور على الصراط	
	تمسك لها	٣٥٧	قصة سيدنا داود وسليمان	١٤١	( تفسير سورة طه )	
٥٥١	الكلام على قوله تعالى : يا أيها	٣٦٦	قصة سيدنا صالح مع قومه	١٤٣	قصة سيدنا موسى مع فرعون	
	الناس أتم الفقراء إلى الله	٣٧٤	قصة الدابة التي تخرج من الأرض	١٧٢	تفسير سورة الأنبياء	
٥٥٤	الكلام على قوله تعالى : إن الدين	٣٧٧	النفخ في الصور	١٨١	قصة سيدنا إبراهيم مع قومه	
	يتلون كتاب الله . . الخ	٣٧٩	( تفسير سورة القصص )	١٨٥	قصة سيدنا داود وسليمان	
٥٦٢	( تفسير سورة يس )	٣٧٩	نبأ سيدنا موسى مع فرعون	١٨٨	قصة سيدنا أيوب عليه السلام	
٥٦٦	أصحاب القرية	٣٩٨	قصة قارون	١٩١	قصة سيدنا يونس عليه السلام	
٥٨١	الدليل على البعث	٤٠٤	( تفسير سورة العنكبوت )			



